

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السَّجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥ هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الخامس

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠ - ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٤
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: على عمر
ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : ٦ ٣٩٢ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء - معاجم
أ- عمر ، على
ب- العنوان
(محقق)

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الابداع : ٢٠٠٨/٧٦٦٩



obeikandi.com



إتخاف أعلام الناهر
بجمال أخبار حاضرة مكناس
لابن زيدان



obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

٤١٢- عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن فخر الملوك أبي
النصر إسماعيل السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن
السلطان.

ولادته: قال نجله العلامة المولى العباس فيما قرأته بخطه ومنه نقلت ولفظه:
ولعل فى هذا العام (يعنى عام ١٢٠٤ أربعة ومائتين وألف) ازداد والدنا رحمه الله
سيدى ومولاي عبد الرحمن بن هشام هـ أمه السيدة هنية بربرية.

حاله: وصفه أبو حامد العربى الجامعى فيما كتب به للأمين الحاج محمد
الزبيدى معزيا بتاريخ خامس صفر عام ستة وسبعين بقوله: مولانا فخر الملوك،
وملجأ الضعفاء والمساكين، وسيف الله على الطغاة المعتدين، الحليم الرؤوف
الصابر، الجابر المتيقظ المتغافل، العابد الزاهد أويس وقته هـ.

ووصفه العلامة الناسك المرشد الشيخ المختار بن محمد بن المختار الكنتى
فيما كتب به إليه يعظه وينصحه بما لفظه: نخبة الأخيار، وخلاصة خاصة
الأحرار، سلسلة السادات الأبرار، وخاتمة القادات ذوى الأقدار، منبع الفضل
والجود، وفرع سبب أصل الوجود، من ثبت أصل شجرته وفرعها فى السماء،
وطاب ثمرها ودنت قطوفها للاجتماع، فكان أعرقها عرقا، وأرحبها عزقا، الفارع
البارع، الورع البر المتواضع، الساعى فى الخيرات المسارع، الجهبذ المجاهد أعداء

الدين، حامى بيضة الإسلام من المعتدين، إمام الأمة، القائم بكل الإمامة^(١) الباقعة
السامى يتيمة الخلف، الخليفة المستخلف، الذى أنشد فيه الحال:

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

الإمام الحق، الحاكم بالحق، وظل الله فى أرضه، أمير المؤمنين سيدنا
ومولانا عبد الرحمن ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا هشام ابن أمير المؤمنين سيدنا
ومولانا محمد ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين سيدنا
وملانا إسماعيل بن مولاى على الحسنى.

إلى أن قال: هذا وقد قدم علينا من ناحيتكم الميمونة الفاضل الأديب،
الفائق الأريب، السالك الناسك الصادق الذائق سيدى بابا أحمد بن عبد الرحمن
فى وفده المبارك غير خزايا ولا ندامى، فأثنوا عليك بما أنت أهله، وأنشدوا من
فضائلك ما طوى البين، وفصلوا وأذاعوا من تقريبك العلماء، واحتفالك بالعلم،
وصرفك عنان الهمة إليه، وإحيائك السنة، وإماتتك البدعة، ولين جانبك،
وخوفك وتواضعك، وعفوك وحلمك وصبرك، ووقارك، وتوكلك وزهدك،
وورعك وكرمك، ما هو الغاية القصوى المنتقاة، وقرة العين المبتغاة، والدليل
القاطع على أحقيتك بالإمامة الحقيقية وأخلاقيتك بالخلافة الحقية الحقيقية. إلى أن
قال: إنه لم ينقل إلينا واش ولا خاص ولا عام قديما وحديثا من سيرتكم من عهد
أمير المؤمنين مولانا سليمان إلى الآن ما ينقم حاسد، ولا ينقد بصير ناقد، إلا
شدة الحجاب إلخ.

(١) فى هامش المطبوع: «الإمامة بالكسر: النعمة، كما فى المصباح».

ووصفه العلامة الخطيب السيد عبد الحفيظ الملقب الكبير الفاسى الفهرى فى «إعراب الترجمان، عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمن» بما لفظه: الإمام الذى حطت لديه السيادة ركابها، وأرخت عليه السعادة أطناها، وتنظمت عقود مملكته أى انتظام، وانقادت له سوابق الخلافة بغير زمام، وتقلد بسيف النصر والمهاد، وقام على ساق الجد والاجتهاد، وشمر على ساعد السعد لنصرة الدين، مقتفيا آثار الخلفاء الراشدين، الأمير الذى ارتقى ذروة الجلال، وتحلى بأوصاف الكمال، وتفرد بالمحاسن الرائقة الجليلة الحسان، وجمع من الفضائل ما لم يأت على حصره لسان، رفيع القدر والشان، أمير المؤمنين أبو زيد مولانا عبد الرحمن هـ.

وقال أبو محمد العربى بن على المشرفى الراشدى فى مؤلفه «فتح المنان بشرح قصيدة ابن الونان» أو «المواهب السنية، فى شرح الشمقمقية» - وكان شروعه فى هذا الشرح مستهل شوال سنة ١٢٩٤ أو فى العشر الأواخر من رمضان، وانتهاء استخراجها من مبيضته أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٩٥ كما قال ذلك عن نفسه - فى حق صاحب الترجمة ما لفظه:

أعز الله به الدين، وخذل الأعداء والبغاة المعتدين، وتمم مكارم الأخلاق لمن كان قبله، ولم يسود للإيمان وجهها بل نور نهاره وأقمر ليله، وأرغم أنف الشيطان وأوليائه بوصية المولى سليمان، فكان فى أسوأ الزمان حسنة الليالى والأيام، المضاعف أجرها للمولى الإمام، إذ هو الذى عهد له بالخلافة، وما شان تصرفه طول عمره على وفق الشرع وما رام خلافه.

فهو الذى اختاره الله سلطانه العزيز، ورفعته على منصة التبريز، بل هو الإمام الذى ألفت إليه الإمامة زمامها، وقدمته الأفاضل لما اختص به من الفضائل أمامها، عميد المجد الذى لا يتناهى فخره، ووحيد الحسب الذى تسامى قدره،

فرع الدوحة المحمدية التي عم خيرها الإسلام، وغصنها الناعم الذي فى روض
أمنه أنام الأنام، بل هو المستظل بظل حرم نسبه المتصل بسيدنا محمد النفس
الزكية، وشجرته الثابتة فى الروضة الفاطمية العلوية، أعز الله به هذه الأمة
المحمدية، التى هى خير أمة أخرجت للناس، وأسعد به هذه الأقطار المغربية كما
أسعد بطالع سعدة حاضرة فاس، وكان يسترعى على رعيته، حفظا لرعايته،
ويأخذ فى تسكين هذه الأوطان وتمهيدها، واستئناف العزائم وتجديدها، وإطفاء نار
الفتن وإخمادها، وإعلاء أركان الإيالة ورفع عمادها، فكسر للبغاة الشوكة، ودفع
بسياسته عن رعاياه الوثنية والشركة، وقد كان وعظما لرعيته مشفقا عليها رءوفا
بها، وإذا ظهر جور عامل وكررت به الشكوى لديه ولم يوافق على عزله فى
الحين، فإنما ذلك من سوء الظن بالشاكى، لعموم الفساد على وجه الأرض فى البر
والبحر، وفى كل ذلك لم يخل فؤاده من نية عزله وكذلك عند جور وزير أو غيره
هـ.

وقد كان رحمه الله صواما قواما، من أتقى ملوك الإسلام وأقومهم طريقة،
ذا علم وورع، وديانة وعفاف، وكمال هدى وجد، ونجدة وشجاعة، وصدق
لهجة، واقتصاد فى الأمور وتدبر ونظر فى العواقب، ومراقبة وخوف وخشية،
وحلم وشفقة، وتأن وتوقف فى الدماء، وصلابة فى الدين، وقوفا مع الحق لا
تأخذه فى الله لومة لائم.

مقتصدا فى مأكله ومشربه وملبسه يلبس المرقع والمخصوف، قدم له يوما
صاحب طعامه جريدة صائره اليومى فوجد به زيادة غير معتادة، فسأله عنها؟
فقال: هى قيمة بعض الخضروات أول ظهورها، فقال له: لا تعد لمثلها، فإنى لا
أحب أن أتناول إلا ما يقدر الضعيف على تناوله، ما لى وللخضرة الجديدة، حتى
إذا كثرت أكلها كغيرى.

قال الفضيلي في الدرر البهية: أخبرني من أعتمد حديثه من أقاربنا أنه تعذر ذات يوم على أهل مطبخته الوقود، ولما أمسى المساء بات جل أهله بدون عشاء، فلما بلغه ذلك كشف رأسه واعتراه سرور عظيم، ثم رفع يديه وقال: اللهم لك الحمد والثناء حيث سويت بين أهلي وبين ضعفاء المسلمين، وما لام من فعل ذلك ولا عاتبه ولا عنفه ولا أنبه، قال: وهذا دأبه في سائر الأحوال هـ.

وحسبك في هذا الباب أنموذجا ما كتب به لنجله المولى سليمان وإليك لفظه بعد افتتاحه:

«ولدنا الأبر مولاي سليمان، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أن التوسع في المآكل والمشارب بأن يأكل المرء كل ما اشتهى من الخصال البهيمية، والأخلاق الحيوانية، مع أنكم اليوم في مقابلة جهاد ورباط، ولستم بصدد رفاهية ونشاط، ففي الحديث من كانت همته في بطنه فقيمته ما يخرج منها، وفي الأثر عن سيدنا عمر رضى الله عنه: كفى بالمرء إثما أن يأكل جميع ما اشتهى ونحن من العرب، وشأن العرب أخذ البلغة والاكتفاء بما وجد ولقد قائلهم:

وإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نلت غاية الذم أجمعا

كما كان أسلافنا في حركاتهم لتمهيد القبائل بناحية الترك يقتصرون عند الحاجة على جمع فضلات علف الخيل، ويقلونه ويدقونه ويقتاتون به، وما أدركوا الذى أدركوه بالرفاهية والسعة، وإنما أدركوه بالصبر وتحمل المشاق من جوع وغيره، فالزم القناعة والإمساك عما فيه غضاضة وشرة، وإياك أن تكلف الأمين هنالك أو غيره بشيء خارج عن الضرورى، وتجعل تقول: ايتنى بهذا الشيء، فإنى إن

سمعت عنك شيئاً من ذلك لا تبقى تساوى عندى قلامه، وتسقط من العين التى أنت فيها عندى، فأقبل على ما آتاك الله ولا تمدن عينيك إلى ما زاد على ذلك، وإياك أن ترى فرسا عند عامل أو غيره وتوجه له فيه، وارفع همتك عن كل أحد حتى إن عرض عليك أحد شيئاً قل له: لا أتوقف على شيء، وأنا الذى أعطى للناس، وإذا دعيتك داعية لشهوة أو غرض فاقمع نفسك، وشم يدك واشبع، ففى المثل: تجوع المرأة ولا تأكل من ثديها، وقال الشافعى:

إذا أظمتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعاً ورياً
فكن رجلاً رجله فى الثرى وهامة همته فى الثرى
فإن إراقة ماء الحيا ة دون إراقة ماء المحيا

واعلم أن تلك المراسى الثلاثة تطوان وطنجة والعرائش من أضعف البلاد وأقلها زرعاً، وإنما يجلب لها من القبائل جيرانهم، فلا ينبغي أن يكلفوا أو يشططوا، بل ينبغي للنازل فيهم أن يعيش بعيشهم ويقتصر على قوتهم:

البس لكل حاجة لباسها إما نعيمها وإما بؤسها
وهذه وصية خصصناك بها، وتذكرة آثرناك لها لتجرى على مقتضاها، وتسلك السبيل التى نجبها ونرضاها، والله يبقيك والسلام فى ٢٨ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠ هـ.

وكان قبل هذا قد كتب كتاباً شديداً اللهجة للقائد بريك الحبشى يحذره من أن يدع ولده المولى سليمان المذكور يتمتع بأنواع الملابس، كما حذره قبل من التنوع فى المآكل والمشارب، ونص ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرشد بريك الحبشى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى، وبعد:

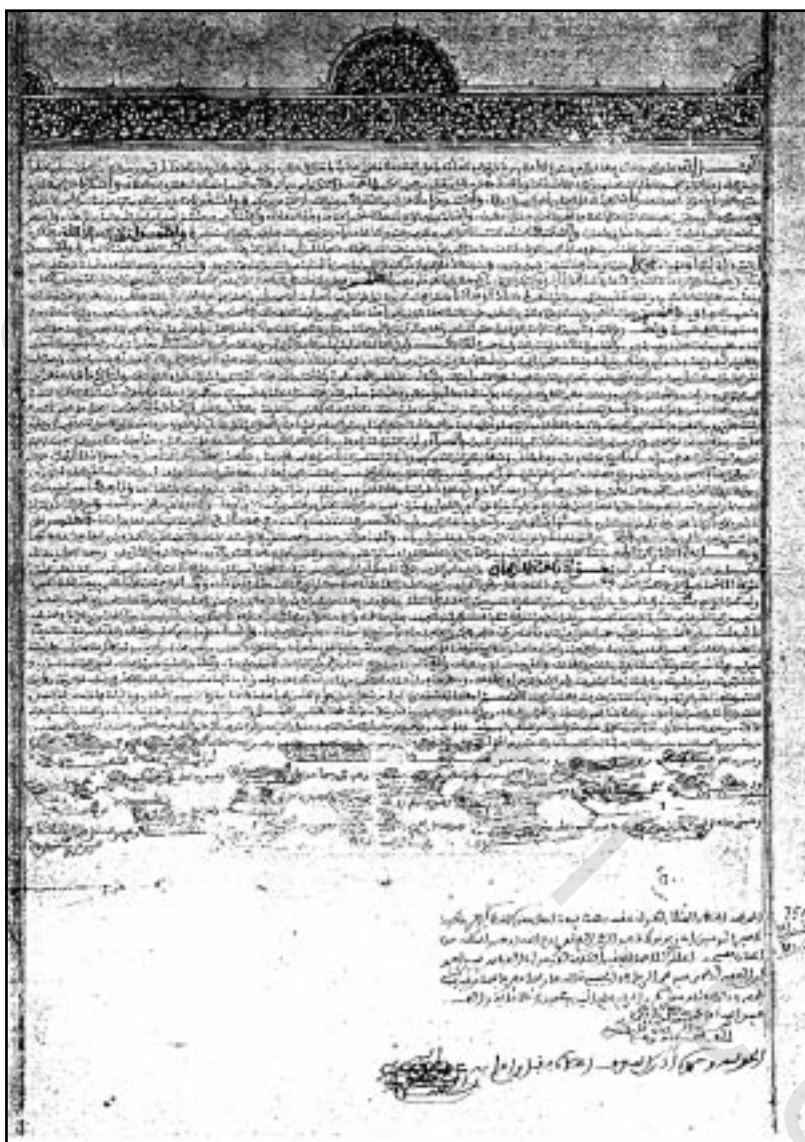
فاعلم أنا إنما بعثنا ولدنا المولى سليمان بقصد قراءته والاشتغال بما يعنيه، ولم نوجهه دلالة يتخير في الشقق ويتلون في الملابس، ولم نبعثك معه إلا بقصد حراسته وحفظه من هذا وشبهه ومنعه ما لم نأذن لك فيه، فإن احتاج إلى كسوة أو شيء يطلبه منا ولا يباشر ذلك بنفسه ويوجه... عليه ولم ننقم على أخيه مولاي أحمد إلا هذا وشبهه، مع محافظته على دينه ومروءته، وعليه فإنني أعاهد الله تعالى إن سمعت عليه شيئاً بعد هذا أو أطلقت له اليد في التصرف في شيء مما دخل عليه من الهدايا شققاً ودراهم حتى نخلى داربوك، فإنما وجهناك معه لتمنعه مما لا يناسب، فإذا تركته وما يريد فوجودك وعدمك سواء، فإن ضاع مما دخل عليه قلامة أو تصرف في شيء بيعت أو إعطاء نعاقبك عليه، واترك ذلك موقوفاً حتى أرى فيه رأيي إن شاء الله والسلام في ٢٣ شعبان المبارك ١٢٥٥هـ».

وله قدس الله سره في مثال هذا أخبار يضيق عنها المقام.

ولاه عمه أبو الربيع سليمان أمانة ثغر الصويرة وعمالته، ثم نقله للخلافة عنه بفاس وذلك عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف، فأحسن السيرة وقام بمأمراته أحسن قيام.

ووجهه مع أولاده للحرمين الشريفين بقصد أداء فريضة الحج وزيارة قبر جده عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأعطاه بضاعة ينفقها في سبيل حجه فحفظها ولم يتصرف في قيراط منها، ولما آب من حجه ردها إلى عمه وقال له يا سيدي: إنني كنت ادخرت بضاعة جمعتها من كد يدي لأنفقها في هذا الصدد، وآليت أن لا أضيف إليها غيرها إلا إذا نفدت، وقد حصلت لي بها الكفاية والحمد لله، فعجب عمه من حاله وسر واستبشر وقال له: خذ ذلك بارك الله لك فيه.

بويع له بالخلافة بعد وفاة عمه أبي الربيع المذكور بعهد منه يأتي نصه في ترجمة عمه سليمان بحول الله وقوته، وكانت بيعته بفاس في خامس عشر ربيع



بيعة أهل الرباط للمولى عبد الرحمن

النبوى عام ١٢٣٨ ثمانية وثلاثين، وبويع له بالعاصمة المكناسية يوم الأحد الرابع عشر من ربيع الثانى، وسبب تأخر بيعة أهل مكناس ما كان من المخالفة والشقاق بين قاضيها أبى العباس أحمد بن عبد الملك مار الترجمة، وبين عبيد البخارى على ما قرأته بخط أبى العباس الأغزاوى المترجم فيما سلف، قال: حتى هم العبيد بقتل القاضى، وما منعهم من ذلك إلا الشرفاء، قال: وأقام المترجم بفاس بعد البيعة له سنتين هـ.

والذى للزيانى فى «عقد الجمان»، فى شمائل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام» وذكر حركاته وغزواته وعماله وقواده وأمنائه وقضاته، أن خبر وفاة المولى سليمان إنما وصل لفاس فى السادس والعشرين من ربيع الأول هـ.

وفى الاستقصاء أن القاضى ابن عبد الملك كان ممن حضر البيعة بفاس هـ يعنى وهو متول خطة القضاء بها إذ ذاك، والذى يظهر أن ما عند الأغزاوى المذكور أصح وأضبط، لأنه ممن حضر وعاین الوقائع وممن كان بصدد تقييد الحوادث مياومة والله أعلم، ثم أعلنت بيعته فى سائر البلاد المغربية.

ونص بيعة أهل الرباط له من إنشاء أبى العباس أحمد الرفاعى الرباطى كاتب الدولتين ومن خطه نقلت:

«نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين. هذه بيعة مظهر العدل والإحسان. أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن. ابن حائز الشرفين. وشريف الطرفين. مولانا هشام بواه الله فراديس الجنان.

الحمد لله عاقد أُلوية النصر بمعاهد العز منشورة الأعلام، وناشر الرحمة العامة بأنوار الخلافة العظمى عناية بأهل الإسلام، ومرسى قواعد الشريعة بالخلفاء أن تميد، وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد،

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، أحمدته حمداً يوافي متوالى آلائه التى من أجلها الاستظلال فى كنف الخلافة، وأشكره شكراً كفيلاً بالمزيد من كرمه الذى يؤمله ولا نعتمد خلافه، وأستعينه على القيام بأمور الدين وأتولاه، وأستنصره جلت قدرته وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم، وأستغفره مما يعرض من التقصير فيما طوقناه من الأمور الأكيدة، وأعوذ بوجهه الكريم من شرور أنفسنا التى لولا عدل الخلافة يحجزها لهوت فى هوة المكيدة، وأستهديه إلى الاستضاءة بشمس الخلافة فى فلك السعادة، وأستكفيه فتنة من يعيش عن أنوار الحق فى البدء والإعادة، وأعتصم به اعتصام الذين باعوا من الله أنفسهم فآمنوا وجاهدوا، وأستمسك بسنته استمسك الوثائق به الموفين بعهدهم إذا عاهدوا، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يزين التدين بطاعة سلطان الله حلاها، وينتظم فى سلك الدين والوفاء علاها، شاهدة لمن وفى بما عاهد عليه الله بالنجاة، كفيلة لمن دان بها بأعلى الدرجات، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده الذى بعثه رحمة لخلقه يزيهم ويهديهم، وخليفته الأعظم الذى أوحى إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...﴾ [الفتح: ١٠]، وأمينه الذى شرع نصب الخلافة عصمة نامن بها سوء العدو ومكره، وحبيبه الذى ألزم لخلقه السمع والطاعة فى المنشط والمكره، ووليه الذى نوه بذكره فقال: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله العترة الزكية، والنسمات الذكية، الذين عقدت لهم لواء المجد فى صدور الأكارم، وحفظت بهم نظام أشات المكارم، وأغلقت

نفائس معاليهم فوق الدر النظيم، صلاة وسلاما يشملان أصحابه الذين قاموا على الواجب بأعباء ما رغب فيه وأمر، وأجمعوا على إنفاذ عهد أبى بكر بالخلافة لعمر، وحافظوا على التمسك بسنته فى الحديث والقديم، وواصل اللهم رضوانك الأكبر، ورحمتك الموجودة فى المورد والمصدر، على ساداتنا العلماء الذين بلغونا عنه حقائق الدين، وأئمتنا الخلفاء المهتدين، الذين لم يزالوا شجى فى لغايد المعتدين، وسرجا يستضاء بهم فى دياجى ليل الخطب البهيم.

ونضرع لك فى تأييد مولانا الإمام الذى عقدت عليه الخناصر، وقطع به أثر كل باغ متمرد فما له من قوة ولا ناصر، وكففت به أكف أهل العدا وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون، ومننت على العباد تيمنا به بعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم.

أما بعد: هذه الفاتحة التى تيسر لها من الآمال كل مرتجى، وأطلقت من ألسنة المسألة والابتهاال ما كان معقودا مرتجا، ورسخت فى قواعد التأييد والظفر سوقها، ونفقت فى متاجر العز والتمكين سوقها، وسقاها اليمن وابل عهادها، وأحلها الإقبال بحبوحة صدره وفسيح مهاده، وأسرعت نحوها الآمال خاضعة، ولبت دعوتها أعيان الأكابر وأكابر الأعيان مطرقة متواضعة، وابتسمت لها ثغور اليمن ضاحكة بملء فيها، وهش لها من كل قلب منيب يتغى الديانة ويصطفئها، فإن الله جل جلاله، وعز كماله، دعا خلقه والصحف مطوية والأقلام جافة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً...﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وإن الإمامة العظمى من الدين بمحل الروح من الجسد، والشجاعة من الأسد، ومنصب عظيم الخطر والبال، ومرتبة يعز منالها بتكلف واهتبال، ولكنها موهبة من الله يرشح لها من اختصاصه بفضل ومبرته، ومظهر قدرة حفته عناية قوله عليه السلام: إذا أراد الله أن يخلق خلقا للخلافة مسح يده على ناصيته، وقد احتضنتها بهذا

المغرب والحمد لله أبوة نبوية، ونسبة هاشمية علوية، فتمت له المآرب بهالات
البدور، وانشرحت به الصدور من الصدور، فإنها دولة رفعت منار العدل على
العلم المنيف، وأمنت كل مروع من الخطوب فى إقامة الدين الحنيف، وازدهت
بالخلافة بيض أيامها وغر لياليها، واتسقت لها المفاخر الجسام من مواليتها، ونشرت
أعلام الفضل المبذول للأنام على السوية، وحاطتها أيدى الأقدار لحسن السيرة
وصفاء الطوية، وصارت أزمانها على التجدد موسما وعيدا، وأمنتها عناية الملك
الحق إسعادا وتأييدا، بأمراء ورثوا سر النبوة كابرا عن كابر، وتأثلوا الفخر التليد
المتلو فى المصاحف على رءوس المنابر، حتى أفضت بالتأييد والمبرة العميمة، إلى
صدر صدورهم الذى حاز من هذا الفخر صميمه، إمامنا الذى لم يختلف فى
عدله وفضله اثنان، وسلطاننا الذى أيد الله به الدين وقلده أمر المسلمين فما بات
عن مصالحهم بطرف وسان، سلطان العلماء وعالم السلاطين أبى الربيع مولانا
سليمان، فلم يأل جهدا رضى الله عنه فى نصيحة يدرها لغده، ومبرة يتعجلها
حيثما مرت على خلده، مؤيدا للدين والسنن، موضحا بالقول والفعل كل نهج
حسن، رافعا منار الحق وشعاره، جاعلا تقوى الله دثاره وشعاره.

وكانت أيامه الغر شامة فى محيا الدهر، وعوامله المرجوة المخوفة محيية
للمهيج قاصمة للظهر، فى خفض ودعة، وبركة وسعة، لا جرم قد طلع فى آفاق
السعد مطلعا قفى به وفاق سلفه، ويسر له وعلى يديه من الآمال ما أجزل به أجره
وأدخله كنفه، وناهيك به من إمام حسنت أياديه فهى لعيون الزمان نواظر، وطابت
بعدله أغصان السؤل فهى زواه نواضر، تزهى فى ثوب العز والقبول، وتميس ببرد
قشيب بين الصبا والقبول، وللناس ببركته سرور وازدهاء، والأيام فى طرب من
مراد واشتهاء.

وهو لنا أب بر ونحن له بنون، تجرى بأمره الأقدار وعلى حكم خواطره

المنون، حتى اشتاق إلى ربه، وأحس بإجابة الداعى من قلبه، نظر رحمه الله شفقا فى الأمانة، فى عصابة أبقى الله على خلقه ببقائهم أمانه، فاختر على محك السبر يواقيت الآل، ونفائس الال، فتخير أثبتها جنانا، وأقواها نجدة وبيانا، وأوفرها مروءة وديانة، وأكملها عدالة وصيانة، وأجمعها لشرائط الإمامة اتفاقا، وأوعبها لضروب الكمال فى سوق المعارف والعوارف نفاقا، وكان هذا البدر الساطع، والسيف القاطع، حسنة الدهر، وشذا خمائل الزهر، المفضل المبرز فى ميدان العلوم بذكائه، والمقدام المجلى فى مضمار السبق بذكائه.

طالع الأمن فى غرة الأزمان، وبيمة الفخر التى تضاءلت لعلو مقدارها الأرواح والأئمان، أبو زيد مولانا عبد الرحمن ابن أخيه أمير المؤمنين مولانا هشام ابن أمير المؤمنين السلطان الجليل مولانا إسماعيل الشريف الحسنى العلوى.

فعهد إليه بالخلافة بعده، وألزم كل واحد من رعيته السمع والطاعة له جهده، فكان أمره رحمه الله حتما، وعهده حكما، ولما تحول رحمه الله للملك الكبير، وجوار الملك الخير، وثبت عهده الذى نصح فيه لله ولرسوله وللمسلمين كان أول من قام بتنفيذ أمره العاطر الأنفاس، صدور العلماء وعلماء الصدور بحاضرة فاس، فى جملة من بها من الأئمة والأشراف الذين هم بدور الحنادس المدلهمة، وعامة المسلمين وخاصتهم، والجيش السعيد من الوداية وغيرهم، فقلدوه الإمامة الجسيمة، ورفعوا ببيعته منار الإسلام اغتناما لبركته العيمة، فقام بها علما، وأرضاها عدلا وسيفا وقلما، وأفاض سجال الفضل وهو أيسر شمائله، وسار سيرة أخجلت ورود الزهر فى خمائله، فأرتهم محاسنه من ضروب الحسن والإحسان عجائب أحجم المقوال عن إبانة فضلها، وتلت عليهم باليمن والعافية ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا...﴾ [البقرة: ١٠٦].

وإنا معشر أهل رباط الفتح من الخاصة والعامة من ساداتنا الشرفاء والفقهاء،

والعلماء والطلبة والمجاهدين الرؤساء، من الطبخية والبحرية قاطبة، وأهل الحرف قد بلغنا على الحقيقة جميل ما صنعه أهل حارة المغرب قاعدة فاس، العطرة الأنفاس، من تنفيذ عهده، والوفاء بوعدده، فأسرعنا مهرولين، وعلى إجابته معولين.

فإنا نشهد الله وملائكته أنا نقر له بالسمع والطاعة، فى المعروف حسب الاستطاعة، وأعطينا أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن هذا أيده الله تأييد جده ببدر، وأحله من القلوب بسويدائها ومن محافل الجلالة بالصدر، صفقة أيدينا، وعقد قلوبنا، وبايعناه بيعة نبتغى بها رضا الله والدخول فى الطاعة، وننتظم بها فى سلك جماعة المسلمين، فيد الله مع الجماعة، وقد التزمنا إمامته، ورضينا بها تاجا للفخر وعمامته، على الوفاء بما ألزمتنا الله من طاعة إمام البرية، وما ألزمه الله من حقوقنا فى جملة الرعية.

اللهم اجعلها بيعة مستمدة بكرمك من بيعة الرضوان، وأتح لنا من نعمك بها ما لا يخطر ببال فى كل حين من الأحيان، وبارك لنا فى إمامته بركة تشمل النفس والأهل والأموال والأولاد، وتحفظ بها المهج والسفار والتجار والبلاد، ويسر له آمال الراغبين، وحطه وحط به فإنك ملجأ الطالبين.

اللهم وآله بولائك، وكن له نصيرا غامرا بآلائك، وألهمنا وإياه شكرا يقتضى الآلاء، ويقتضى بانقضاء اللأواء، إنك سميع الدعاء، بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام آمين.

شهد على نفسه وعلى جميع من حضر هذا العقد السعيد بعقده والتزامه، وعرفهم وهم بآتم حال وأكملة فى وقت الضحى والشمس على ارتفاع ٢٨ ثمان وعشرين درجة من يوم الخميس التاسع عشر من ربيع الثانى عام ثمانية وثلاثين

ومائتين وألف، عبد ربه تعالى، أحمد بن محمد الرفاعى الحسنى لطف الله به آمين».

وبعده واحد وعشرون توقيعاً وشكلاً منها: محمد بن أبى العباس الرفاعى، ومحمد بن محمد الأوسى الأندلسى، ومحمد بن العربى عاشور، وعبد القادر بن المهدي مرين، وصالح بن أحمد الحكمى، ومحمد بن محمد البوعزوى، ومحمد بن محمد السلاسى، ومحمد الطيب بسير، ومحمد بن المكى البنانى، ومحمد بن على الزعيمى، ومحمد بن محمد فرج.

وقد رفع على خط الكاتب المذكور بما نصه:

«الحمد لله، الخط والشكل الأول عقبه بصك بيعة أهل هذه الحضرة الرباطية لأئمة المؤمنين أبى زيد مولانا عبد الرحمن العلوى، روح الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، أعلاه كلاهما للفقيه العلامة الأوحد أبى العباس سيدى أحمد بن الفقيه الأسمى سيدى محمد الرفاعى الحسنى، قاله عارفهما معرفاً بهما من غير شك يلحقه فى ذلك فى ثامن عشر محرم الحرام عام اثنين وخمسين وثلاثمائة وألف، عبيد الله تعالى محمد بن العباس الرفاعى لطف الله به».

ونص الأداء عند قاضى الرباط الحالى:

«الحمد لله وحده أدى المعرف أعلاه فقبل وأعلم به عبد السلام بن إبراهيم لطف الله به».

هذا ولم تزل البلاد على عهده فى هدوء وراحة وإقبال، وسعادة وثروة وزيادة نوال، والحدود قائمة، والفتن نائمة، والمظلوم يتتصف من الظالم، والبرىء لا يخشى سطوة الحاكم، رغماً عما وجده أمامه من الأهوال، والفتن البربرية التى أصبحت بها الدولة فى انحلال كاد أن يتول إلى الاضمحلال.

فقابل تلك الخطوب بلا مال ولا معين ولا ناصح، فرد الملك المحمدي إلى عنفوان شبابه، وجدد سياسته على المهيع العتيق الوثيق، ونظم التراتيب الداخلية، على نحو ما أراد، ورتب أمور الرعية وأصلح ما أفسده الزمان منها.

وولى وعزل، ونكل من استحق التنكيل، وأقر من يستحق الإقرار مع التكريم والتبجيل، وأصدر في هذه السنة الأولى من ولايته الملك ظهيرا شريفا بتوقير واحترام حفدة الأستاذ سيدي عبد الرحمن بن القاضي وإبقائهم على عاداتهم.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن هشام بن محمد» وبدائريته «محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي» ﴿... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]:

«جددنا بحول الله وقوته حكم ما بأيدي المرابطين حفدة الفقيه الأستاذ سيدي عبد الرحمن بن القاضي، من ظواهر عمنا المرحوم المتضمنة التوقير والاحترام، والرعى الجميل والإعظام، وما بأيديهم من الظواهر السلطانية والمكاتب الملوكية، لأجل انتسابهم، وأبقيناهم على عاداتهم المألوفة في ضريح الولي سيدي المليلى من الاختصاص بما يوضع فيه من الصدقة والنظر في مصالحه، بحيث لا ينازعهم فيها أحد، والله يوفقنا وإياهم والسلام في ١١ جمادى الثانية عام ١٢٣٨».

ولما فرغ من التراتيب الداخلية خرج من فاس لتفقد الأحوال، ومراقبة ما عليه العمال، واستخلف على فاس ابن عمه أبا عبد الله محمد بن الطيب^(١) فنزل

(١) في هامش المطبوع: «قد أوصى المترجم على سيدي محمد بن الطيب هذا الشيخ المختار الكنتي في رسالته المشار لها ونوه به قائلا: «واختر لجيوشك من القواد أكملهم عقيدة وأتمهم ديانة وأقواهم نصيحة وأشداهم على أعداء الدين شكيمة كسيدي محمد بن الطيب ابن سيدي محمد وأشباهه».

بقصر كتامة، وبه اجتمعت عليه الجيوش من أعمال مراکش، فرحل إلى الرباط وبه أقام مناسك عيد الأضحى، ورجع إلى فاس أوائل رجب سنة ١٢٣٩ تسع وثلاثين ومائتين وألف، فأمر بشراء الأملاك التي بين قبة المولى إدريس وسوق البزازين، فهدمت وزادها في سعة مسجد الشرفاء.

ثم أمر بسنة الختان لأولاد الغرباء والضعفاء والأيتام من الحواضر والبوادي، وكان اختتان من ذكر بضريح الشيخ أبي الحسن على بن أبي غالب، وأمر أمناء بإعطاء جميع من ختن، قميصا من كتان ودرهم، ثم وصل ضعفاء فاس بمال جزيل وكان توزيعه على يد مقدمى الحومات، فخان أولئك المقدمون، واستبدوا بنحو النصف لأنفسهم. قاله فى عقد الجمان.

وفى هذه الأثناء خرج للعاصمة المكناسية وكانت تعجبه، فرأى من تلاشى الجيش البخارى بها ما أهمه، ولم يزل يعالج أمره حتى أنعشه وأمده بالخيـل والسلاح، ورتب له الرواتب الشهرية ثلاثون أوقية للفارس ونصفها للراجل وثلثها للشوirdات - أبناء الجيش الذين لم يبلغوا الحلم - وربعها للمسنين الذين تقاعدوا عن الخدمة، وثنمها للصبيان.

وقرر أن يسقط راتب من مات ممن ذكر، فإن وجد من يخلف الهالك يعين فى محله، وإلا فيبقى المرتب بيد ورثة الهالك إلى أن يوجد من يخلفه.

أما إذا مات فرس فيجمع المرتب المعين له إلى أن يجتمع ما يعوض به فيشتري فرس آخر بدله، ولا بد من الإشهاد بالعدول على عين الفرس الذى مات ووصفه وصفا مدققا، ويكتب ذلك فى كـناش ليـقابل بـكـناش إحصاء الخيل بأوصافها الخاصة.

ينبئك عن كبير الاعتناء والتدقيق الذى كان جاريا فى أمور الخيل وأنسابها وأسمائها وأوصافها فى دولتنا العلوية، ما كتب به ولد صاحب الترجمة سيدى

محمد زمن خلافته عن أبيه للقائد الجيلاني بن بوعزة في هذا الشأن ونصه بعد الحمدة والصلاة:

«وصيف سيدنا الأرضي القائد الجيلاني بن بوعزة، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فقد وجدنا في نفولة من نفائل أنساب الجذعان الفطام الذين وجهت جذعة زرقاء بالدينار بنت الحيمر فرس ابن العامري، مع أن الحيمر أصله من الصحراء لا من بني حسن، والآن أعلمنا هل الكاتب الذي كان يقيد أنسابهم أراد أن يجعل الحيمري فغلط وجعل الحيمر، أو كائن لابن العامري فرس يقال له الحيمر لتكون على بصيرة، أصلحك الله والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٢٦٣».

واتخذ الجيش من خمس قبائل: الأودايا، والشراردة سكان أزغار، وأهل سوس سكان مراکش، وشراكة وأولاد جامع، وأهل فاس، وعبيد البخاري، ورتب لهذا الجيش الكسوة في كل ستة أشهر، والصلة شهرا دون شهر مقدار المرتب الشهري المذكور، ويكون توزيع تلك الصلات طبق توزيع الراتب هـ.

وكان له مزيد اعتناء بالجيش المذكور، يتفقد أموره، وينظر في إصلاحه يدل لذلك هذا المقال الذي كتب به للقائد الجيلاني بن بوعزة يأمره بوجوب متابعة قوانين الجيش، والتمشي على سننها، ويذكر الإنعام الصادر لوفد عيادة الجيش، ويأمره باستعراضهم ودفع رواتبهم والنظر في خيل فرسانهم.

ونص أولها بعد الحمدة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرضي القائد الجيلاني بن بوعزة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا ما فيه، ووصل عيادة الجيش السعيد

وفرهم الله مخازنية، وقواد المائة ومقدمين وقائد المسخرين، وقواد الأرحى والعلاف، ووقفنا على زمامهم مبينا فيه عدد الخيل وما معهم من الرماة ٢٥.

وقد حضروا عيد المولد النبوى على مشرفه أفضل الصلاة والسلام، واغتنموا بركته، وقاموا بواجب الخدمة والطاعة أصلحهم الله ورضى عنهم، وقد وجهناهم بعد أن أبقينا الإدالة ومن يعجز عن القيام بفرسه، وأنعمنا عليهم بثلاثين أوقية للفارس ونصفها للراجل وخمسا وأربعين أوقية للمقدم، وستين أوقية لقائد المائة، وثلاثين مثقالا لقائد الرحى ومن جملةهم المدنى، وخمسة عشر مثقالا للعلاف بناصر، وقدر ما يجب لهم بحسب ما ذكر تسع وعشرون مائة مثقال، وخمسة وعشرون مثقالا.

وزمامهم على التفصيل يرد عليك طى هذا، وبوصول كتابنا هذا إليك اشرع فى تسريد الجيش، وعند كماله ادفع له الراتب الوارد صحبة الطاهر الرغاي، وقدره ثلاثة عشر ألف مثقال وخمسمائة مثقال واثنان وتسعون مثقالا وسبع أواقى ونصف الأوقية، كما ترد عليك عشرون ألف مثقال اجعلها بيت المال عمره الله من جملة ما سبق، وقد أمرنا المدنى يحضر معكم عند التسراد ليحصى الخيل الضعيفة بقصد أن يتوجه صحبتها للعذير، فإذا أحصيتم عددها وجهوه لحضرتنا الشريفة لنوجه الكتاب الذى يصحب معه المدنى لقائد الغرب، ونوجه الخيل الراكة التى هنا تلحق به أيضا وإذا وصلت الإدالة ادفع لها ما أنعمنا عليه بها المذكور صدره إلا من تخلف عن العلامات فلا تدفع له شيئا والسلام فى ٧ ربيع الثانى عام ١٢٦٧هـ.

ونص ثانيها:

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد نقم على ابن العواد مسائل كان يرتكبها ليس للجيش فيها سلف ولا فى ارتكابها خير، منها ما قدمنا لك النهى عنه من التخليف كل شهر، ومنها أنه بلغنا أن المائة تسرد جملة ولا تسرد كل رباعة وحدها كما هو القانون المعروف والجيش البخارى به يقتدى المخزن فى كل الجهات، ومنه يأخذون القوانين حتى إن اختلفوا فى أمر يرجعون إليه، وهذا التسراد الذى تقف فيه المائة كلها لا يعرف زائدها من ناقصها ولا غائبها من حاضرها، والمعروف المعمول به قديما وحديثا هو تسراد كل رباعة وحدها، حتى إن خص لعددتها شىء يبينه واحدا واحدا ويذكر وجهته ومحلها، وإذا كان المقدم لا يسأل نسى وقائد المائة من باب أولى وأحرى، فقد ضاع الحزم والضبط الذى يقتبس من عبيد سيدى البخارى، فبوصول كتابنا هذا إليك رد القوانين لأصولها.

وتنبه لما لا تحمد عاقبته، واجعل تسراد كل رباعة وحدها كما هو القانون المألوف، لتعرف الزائد من الناقص، وتطلع على ما خفى عنك من التلبس.

وقد كان الجيش فيما سلف يعادل القبائل كلها قوة ونجدة، ويفوقهم عددا وعددا، وانظر إلى القبائل الدائرة بكم اليوم كل قبيلة تعادل الجيش أو تقاربه، فينبغى أن لا يحسب فى الجيش إلا أهل النجدة والحزم والشجاعة، الذين يقاوم واحد منهم العدد الكثير، والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عتّا، والله يعينك ونسأله سبحانه وتعالى أن يبلغ قصدنا فيكم، حتى ترجعوا لأصلكم الأصيل من العدد الكثير، والمدد الغزير بمنه، والسلام فى ٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٥٨هـ.

ونص ثالثها:

«وصيفنا الأنجد القائد الجيلانى بن بو عزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله وبركاته.

وبعد: فخيّل مسخرى الجيش السعيد الذين كانوا فى الخدمة مع ولدنا سيدى محمد أصلحه الله ووجههم لصلة رحمهم وذكر أن فيهم عزابا، ومن لا اعتناء له بفرسه فارتبط منها ما هو للعزاب ومن لا اعتناء له بفرسه بمحل العسكر وفى وقت علفها يحضر قائدهم الطالب إدريس بن المكى، والعلافة الطالب بوعزة الفشار، والطالب أحمد الخضر حتى تعلف الخيل المذكورة على أعينهم مدة مقام أربابها هناك للاستراحة، فإن هؤلاء العزاب بنفس ما يستريحون نوجههم لولد سيدى محمد أصلحه الله يقابلون خدمتهم.

وبوصول كتابنا هذا إليك خلف الهرب منهم والموتى والعاجزين عن الخدمة وعددهم عند قائدهم إدريس بن المكى، وزد على عددهم المذكور من لا شغل له من الجيش إلا الدوران فى الأزقة على حسب ما يشير به إدريس بن المكى، والحاضر بصيرة، والسلام فى ١٤ ربيع الأول عام ١٢٦٩هـ.

وكان له ولوع زائد بعثاق الخيل لا يركب غيرها، لم يحفظ قط أنه ركب بغلة فى حضر ولا سفر، ومن عادته أنه يجلس لملاقة الناس، وسماع المظالم بكرة وبعد صلاة العصر من كل يوم، وترفع إليه المظالم فى الوقتين المذكورين، وإذا كان بمراكش يركب صباحا لترويح النفس بجنان أجدال، يتطوف أقسامه، يدخل من باب ويخرج من باب آخر، ولا ينزل غالبا عن فرسه إلى أن يرجع لاقتبال الناس وسماع المظالم.

ولم يزل عمله جاريا على ما ذكر منذ جلس على كرسى ملك آبائه الأكرمين إلى أن لقي ربه.

وفى أيامه استكشفت معادن نحاسية فى سواحل طنجة وتطوان ومعدن حديدى بنواحي رباط الفتح، واختبرت كلها فوجدت صالحة، واكتشف بمقربة من فاس معدن الكبريت، ولكنه لم يتم عمله.

وفى أيامه حدث الاتجار فى بيع العلق لأروبا، يصطاده الناس من المروج ويحتفظون على إبقائه حيا، ثم يوسق للخارج بالأثمان ذات البال.

وفيهما جرى العمل بالاتجار أيضا فى بيع قشور الدباغ ووسقها للديار الأروبية، كذا قال بعض حذاق كتابه فى مؤلف له تعرض فيه لبعض أخلاق المترجم وعوائده وبعض ما كان فى أيامه من الأحداث والوقائع.

وفى عام ١٢٤٠ أربعين وصل ضعفاء أهل فاس وما أضيف إليها بمال جزيل أيضا، وأسند توزيعه عليهم للفقهاء أبي عبد الله محمد بن الطاهر وأبى زيد عبد الرحمن بن مخلوف، فلم يحرموا أحدا ممن يستحق، وتوليا دفع ذلك لأربابه بأنفسهما يدا بيد.

وفيه أصدر ظهيرا بإبقاء الأشراف الكتانيين على ما عهد لهم به.

ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأنفذ فى البسيطة أمره، وجعل فى الصالحات طيه ونشره، أننا أبقينا السادات الأشراف الكتانيين على ما عهد لهم من توليتهم ضريح الولى الشهير، الغوث الكبير، سيدى دراس بن إسماعيل دفين خارج باب الفتوح واستبدادهم بجميع ما يهدى للضريح المذكور من غير منازع لهم فى ذلك ولا معارض، ولا مزاحم ولا مداحض، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما فيه، ولا يحيد عن كريم مذهبه والسلام فى ١٧ ربيع الأول عام ١٢٤٠».

وفى شوال من العام تحرك لحسم مادة الزيغ والعناد من متمردة الأعراب ذوى منيع، وأولاد نصير، ودخيسة، فمزق جموعهم الشيطانية كل ممزق، وألقى القبض على رءوس الفتنة منهم وقيدهم بالأغلال والسلاسل وأودعهم بطون السجون،

وكانوا نحو المائة، وألزمهم بإعطاء العسكر، ووظف عليهم غرامة مالية فلم يسعهم غير السمع والطاعة وتنفيذ الجميع، وأراح الله البلاد والعباد من عيثهم.

وفى عام ١٢٤١ واحد وأربعين أنف بنو زروال من ولاية ابن يشو عليهم لظلمه وتعديه، وفروا وتحصنوا بالجبال، فحشد العامل المذكور جنودا مجندة واقتفى أثرهم، فلم ينل منهم شيئا، فتوجه إليهم المترجم لإرضاخهم للطاعة خوفا من انتشار الفساد واقتداء العامة بهم فى خلع ربة الطاعة من أعناقهم من غير أن يرفعوا أمرهم للسلطان، فيتسع الخرق، ولما نزل بساحتهم وعلموا أن لات حين مناص أتوا خاضعين طائعين، فقبلوا بالعفو، وولى عليهم الودينى وكان ظلوما غشوما.

وفى عام ١٢٤٢ اثنين وأربعين ومائتين وألف توجه المترجم للصويرة ونواحيها من حاحة وغيرهم، فطاف على تلك القبائل وأصلح خللها، وأقام الحدود ورتب الأمور، ثم رجع لمراكش، ثم نهض لزموال الشلح ونزل بساحتهم وحكم بالسيف فيهم حتى كسر شوكة تمردهم ووجه أسراهم فى الأغلال والقيود للسجون.

وفى آخر عام ١٢٤٣ ثلاثة وأربعين، اتصل بالمترجم ما عليه هشتوكة والشياطنة من العيث فى الطرقات وأنهم نهبوا الحجاج، وأن زارة والشبانات خرجوا عن الجادة واتبعوا أهواء حامل راية ضلالهم الضال المدعو المهدي بن محمد ابن العباس الشراذى، فاستعمل الحركة وأخذ فى تجهيز عساكره فقومها وجمع آيت يمول، فخرجوا معه من مكناسة الزيتون بحللهم، وسار إلى أن بلغ ثغر تطاوين، فتفقد أحوالها وأصلح أبراجها وركب مدافعها ورتب حاميتها، ثم توجه على طريق آزموال مولاي بوشعيب لهشتوكة والشياطنة النازلين أحواز آزموال، فأوقع بهم شر وقعة انجلت عن تعمير السجون المغربية بهم، حملوا إليها أربعة على جمل،

ووقع الاستيلاء على محصولاتهم، ومن انفلت منهم من السجن بقي عالة يتكفف.

وفى أوائل عام ١٢٤٤ أربعة وأربعين، توجه نحو الزاوية الشراعية على طريق آسفى فى جنود جراحة متلاطمة الأمواج، وأحدق بها من جهاتها الأربع، ودخل الزاوية عنوة بعد معارك عظيمة، واستولى على جميع ذخائرها من مال ومتمول، وفرقت بغاة صناديدهم على سجون المغرب زجرا لأمثالهم، ووجه بعيال الفتان وأولاده لمكناسة الزيتون، فأنزلوا بدار القائد محمد بن الشاهد البخارى، وصير تلك الزاوية بلاقع، وقلع أشجارها، ونقل ما كان بها من الزيتون والفواكه للجنان الكبير الذى اتخذه بمراكش وسماه الزهراء والزاهرة.

قال أبو العلاء إدريس أحد كتبه الديوان الرحمانى فى الابتسام: إن الزاوية بقيت خالية لم تسكن إلى سنة تسع وأربعين، فعمرها المترجم بالأوداية حين أجلاهم عن فاس هـ.

والذى للزيانى فى عقد الجمال: أنه أنزل بمحلها آيت يَمور الذين كانوا معه هـ.

ويمكن أنه أنزل بها أولاً آيت يَمور، ثم نقلهم بعد وأنزل الودايا. والله أعلم.

أما زعيمهم موقد نيران الفتن الضال المدعو المهدي، فإنه نجا بنفسه للفيافى وسار إلى أن انتهى به المسير إلى آيت باعمران من ولتية، وبقي هنالك ثلاثة أعوام، ولما ضاقت عليه الأرض بما رحبت اتخذ الشفعاء والوسائط لصاحب الترجمة فأمنه وجاء تائباً، فوجهه لأولاده بمكناس، ثم ولاه على إخوانه فأذاهم ومكر بهم، فشكوه إلى المترجم فعزله عنهم.

ثم استعطف السلطان فى الإذن له فى أداء فريضة الحج فأذن له ، ولما قضى مناسكه ورجع استأنف له صاحب الترجمة الولاية على إخوانه فلم يقبلوه ، ثم سجن ثم سرح ، وتقلبت به الأحوال وتأخرت وفاته إلى أوائل شوال من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف ، وقد كان ذا قساوة وشكاسة غليظ الحجاب ، طويل النقاب ، لا يبالى بما وراء الباب .

وفى وقعة الزاوية الشراذية المشار لها يقول الفقيه الأديب السيد محمد بن الحسن أقصبي :

مبين الفتح بالتيشير لاحا	وبالنصر العزيز غدا وراحا
وسار فى البلاد كسير شمس	وفاق المسك نشرا حيث فاحا
فحق لنا الهناء ولا كيوم	من الشراذى الغرب استراحا
وكيف وفى اسمه الشر ابتداء	وحيث الشر ينفى لا جناحا
فما المهدي بمهدي لرشد	ولكن سبه شرعا أباحا
أضل فريقه عن نهج حق	فراموا من أميرهم الكفاحا
غرورا بالمضل فاحتواهم	خمس منهم ساءوا صباحا
فحكم فيهم الآلات ضربا	ورميا والد ما منهم أباحا
وصار منهم أسرى وقتلى	وأعمل فى رءوسهم الرماحا
وجاد بالجسوم على وحوش	يعودها بما منه السماحا
وخرب دورهم وهو ارتداع	لكل مفسد يأبى الصلاحا
فلا جمع الإله لهم شتاتا	ولا نالوا بفسقهم رباحا
فمن لم يشكر النعماء يجزى	بمنع غيره نال الفلاحا

فلو أموا الأمير لنالوا عفوا	وأتخفهم نجاة بل نجاحا
همام شأنه حلم وصفح	لأهل الدين قد خفض الجناحا
إضافته إلى الرحمن أومت	بأن له إلى الرحما ارتياحا
مآثره الكريمة ليس تخفى	وليس تقاوم الشمس اتضاحا
فلم تزل الأنام به بخير	لسان ثنائهم بالشكر باحا
فزدت يا أبا زيد سرورا	وبسطا وابتهاجا وانشراحا
وأبقاك الإله لنا بخير	وزاد ملكك الأسمى صلاحا
بجاء من عليه الله صلى	أتى في ذكره قولا صراحا
عليه ألف ألف صلاة تهدي	مسا ومهبها بهدى صباحا
كذا لآل ما أذنت ببشرى	مبين الفتح بالتبشير لاحا

وفى عام ١٢٤٦ ستة وأربعين ومائتين وألف، عزل الوزير ابن إدريس إرضاء للودايا كما نشرحه بعد.

وفيه كانت ثورة الودايا على صاحب الترجمة، وذلك أنه لما كان ورد على صاحب الترجمة من علماء أهل تلمسان وأعيانهم مبايعين له عمن خلفوه وراءهم وراغبين فى الدخول تحت طاعته وملحين فى توجيه مدد من قبله وخليفة عنه ينزل ببلادهم ويكون ردء لهم، والتزموا بإعطاء جميع ما يلزم فى ذلك من مصاريف وعدة وأسعف رغبتهم، فوجه معهم ابن عمه المولى على بن سليمان خليفة عنه، وعددا من فرسان الودايا، وعين القاضى والمحتسب وكان فى معيتهم السيد الحاج العربى بن على الوزانى، وخط لهم الخطة التى يجب تمشيهم عليها، وساروا إلى أن حلوا دار الإمارة بتلمسان وضيعوا الحزم ونبذوا الخطة التى رسمت لهم، وكان

ما كان مما لست أذكره، واتصل تفصيل ذلك بالمرجم فاشتد غضبه، وحقد على الرؤساء المستبدين كالطاهر بن مسعود، ومحمد بن فرحون وغيرهما.

وكان الحاج الطالب ابن جلول الفاسى قائما على ساق فى الشيطنة والوسوسة، يدس الدسائس لإيقاد نيران الفتن بين المترجم والودايا، إذا كانوا ذوى قوة وبأس شديد، فاعتنم هذه الفرصة وجسم الأمر وطير الإعلام للودايا بنوايا المترجم نحوهم، وهول لهم غاية التهويل، فتمكنت منهم شيطنته وصمموا على الخروج عن الطاعة ونقض البيعة، وخرجوا من تلمسان قاصدين فاسا، وساروا إلى أن بلغوا قنطرة سبو، فوجه المترجم على أعيانهم وهو يومئذ بفاس، فوفدوا عليه لمشور الدكاكين من دار الإمارة بعد أن تحالفوا مع إخوانهم على أنهم لا يسلمونهم للسجن، وأنهم يقومون فى وجه الأمير والمأمور لنصرتهم، ولو أدى الحال إلى إتلاف نفوسهم وأموالهم.

ولما مثلوا بين يدى صاحب الترجمة أظهروا غاية الغلظة والجراءة، فأمر بالقبض عليهم وإيداعهم السجن، فلما كانوا بباب المشور قام الصعاليك إخوانهم وانتزعوهم من أعوان المترجم قهرا، وكان الذى تولى كبر ذلك الطاهر ابن مسعود الأودى، وذلك فى تاسع عشر شوال العام، ثم لما بلغ هذا النبأ لصاحب الترجمة خرج لقصبة الشراردة فى خاصته يريد التوجه لمكناس، ولما علم بذلك الودايا ضجوا، وأذنوا بالقتال، وشقوا عصا الطاعة، وأحدقوا بالقصبة، ففر عن السلطان جميع الناس ونفرت منه قلوب العامة، ولم يتجاهر بمؤازرته غير ابن عمه القاضى مولاى عبد الهادى، ووزيره أبى عبد الله محمد بن إدريس العمراوى، ثم اغتنم المترجم فرصة أمكنه فيها الخروج بما خف وعز من الذخائر النفيسة فخرج ناجيا بنفسه يريد مكناسة، فاقتفى أثره الودايا فردوه مسلوبا للقصبة، وجعلوا يعدون عليه

ما نقوموا من الأمور وأزالوا جلباب الحياء وتجردوا فى أثواب الوقاحة وهو ساكت لا يجيب .

ولما كان الصباح احتال إلى أن ركب فرسه ورجع لدار الإمارة بفاس العليا، فاجتمعوا للمشورة فيما يفعلون به، فمن قائل نوجه به لبلده سجلماسة، ومن قائل نقتله لأنه لا يفلتنا إذا تمكّن من نواصينا، ولا نأمن غوائله ما دام حيا، وتعددت اجتماعاتهم على ما ذكر أياما وهو يبعث العيون لترقب حركاتهم وسكناتهم حتى لا تغيب عنه من نتائج تلك الاجتماعات شاذة ولا فاذة، ويستعمل النظر فى وجهه يمكنه به الخلاص منهم، فأسرّ فى يوم من الأيام لبعض خاصته أنه يريد التنقل لترويح النفس مع بعض حرمه لجنان أبى الجنود المكتنف بين فاس الجديد وفاس القديم، ومراده بذلك الاحتراس على نفسه والأخذ بالأحوط لها، فركب صبيحة بعض الأيام فرسه كأنه يريد استنشاق الهواء وتنسم النسيم على عادته من قبل، وغلقت الأبواب بينه وبينهم، وأمر بالعيال فلحقوا به للجنان المذكور، ولما علم بذلك بغاة الودايا تعاقدوا مع أهل فاس على الإعلان بخلع ربقة الطاعة، وانضم إليهم أهل الفساد من أولاد جامع .

ثم إن صاحب الترجمة لما حل بعياله بالجنان المذكور اطمأنت نفسه وأمن من تسور أولئك البغاة عليه، ووجه للجيش البخارى الذى بالعاصمة المكناسية يأمرهم بالقدوم عليه لفاس فى ألفى فارس من أهل النجدة والبأس، يرأسهم أبو سلهام بن العريف البخارى، وبمجرد وصول الأمر العالى للجيش المكناسى لحق بالسلطان لفاس، فاعترضهم الودايا على مقربة من وادى النجا، وحميت الحرب بين الفريقين نحو ساعتين، وساروا إلى أن اقتحموا فاسا عنوة رغم أنف الودايا .

وبعد أيام عزم المترجم على التوجه لمكناسة ولكن رأى أنه لا يمكنه المسير على طريق سايس لتجول خيل شياطين الودايا به مع البربر حلفائهم، ثم عين

اليوم الذى يسافر فيه وقسم محله على قسمين الأثقال مع قسم، وهو مع قسم، وقد أخذ كل غير طريق الآخر.

وذلك يوم الاثنين ثالث عشرى حجة الحرام منصرم العام، ولما علم بذلك الودايا اقتفوا أثره وصمموا على قتله وتبديد الجنود البخارية التى معه، ولما وصل لعقبة المساجين من ناحية وادى سبو، لحقوا به وركضت خيولهم على كل ذروة وغارب، واقتحموا الحملة عليه وهو يذودهم ويدافعهم ذات اليمين وذات الشمال، وفر الناس ونهبت الأثقال وتلفت أنفس، ورجعوا العيال لدار الإمارة بفاس الجديد، والمترجم يكرّ ويفر إلى أن انفلت منهم ونجا بنفسه لمكناس على طريق زرهون، وأثناء ما ذكر كتب للقائد بوسلهام ابن يشو يستنجد ويستدعيه لمقابلة البغاة الخارجين، ومنزلتهم، بما نصه بعد الحملة والصلاة والطابع الكبير بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه ١٢٤٣):

«خالنا الأرضى الأنجد القائد بوسلهام بن يشو، أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلما ما أنت عليه من الحزم واليقظ والسعى فى الصلاح، الله يرضى عنك ويصلحك، وأتم أقرب الناس إلينا، وأحظاهم لدينا، وأولاهم بنصرتنا وحمایتنا، وأن الله تعالى استرعانا إياكم، وجعل بيعتنا فى أعناقكم، وهو سبحانه سائلكم عنها إن لم تقوموا بحقها.

وهؤلاء الأوداية طغوا وتجبروا، وعتوا فى الأرض واستكبروا، وقالوا بزعمهم: من أشد منا قوة؟ فنقضوا البيعة، وشقوا عصا المسلمين، وفتحوا عليهم بابا من الفتنة عظيما، وقد قال ﷺ: الفتنة نائمة ومن أيقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وقال عليه السلام: من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية، وقد أوجب الله عليكم قتالهم بالكتاب والسنة، فشمروا عن ساعد الجد

إيماننا واحتسابنا، وجاهدوا في الله حق جهاده فسيأخذهم الله على أيديكم وينفلكم أموالهم ويورثكم أرضهم وديارهم، وهذا أمر شرعى أوجبه الله عليكم وعلى غيركم من المسلمين، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

فانهض إليهم مع الأعراب نهوض أمثالك، ونشطهم واقتف سيرة أخيك، فلو كان موجودا ما فعلوا هذا، ولكان رابطا عليهم بمكس، وهذه أول كلفة كلفناك بها، وفيها تظهر نجاتك وحزمك، والسلام فى ٢١ ذى الحجة عام ١٢٤٦هـ.

وكان حلوله بمكناس عاشر محرم فاتح عام سبعة وأربعين ومائتين وألف، وفى يوم السبت الرابع عشر من الشهر المذكور نهض من مكناس لقمع مردة جروان الذين سعوا فى الأرض الفساد، فأوقع بهم ومزق أحزابهم كل ممزق، ورجع للعاصمة من يومه، ولم يزل ثاويا بها وأهل الأهواء فى طغيانهم يعمهون، والمترجم يكتب لعماله بالمراسى يأمرهم ببعث الأخبية والميرة وما يحتاج إليه، فبعث إليه القائد محمد عشعاش عامل تطاوين كل ما دعت الحاجة إليه من أخبية وكساوى وميرة إلى أن كان العيد النبوى، فأتت لتهنئة جنابه وفود القبائل تترى، وفرح الناس واستبشروا.

قال فى إعراب الترجمان: ثم فرق - يعنى صاحب الترجمة - بعد العيد تلك الجموع، وانقلب كل واحد لبلده يود الرجوع، لأجل ما شاهد من بشائر التمكين، وعلامات النصر المكين، فعند ذلك قال الذين يريدون العتو فى الأرض والفساد: لو كانت له قدرة ما استقر به الوساد، حيث فرق ما كان بيده، فكيف يعود من وصل إلى بلده.

ثم أعلن المترجم بقتال الفرقة الباغية، وشرذمة الودايا الطاغية، حتى تفىء إلى أمر الله.

وذلك يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع النبوى المذكور، فكتب للقبائل الحوزية يستنهضهم فأتوه مسرعين، ووردت عليه القبائل الغربية وقائدهم ابن يشو، وخيم ذلك الجند العرمرم بضواحي مكناس، وعقد لقائد المسخرين القائد بوسلهام المذكور على ذلك الجيش، ونهض به لفاس لقطع جرثومة فساد شرار الودايا ومن شايعهم، ولما وصل لوادى ويسلين وجد نساء الودايا وصبيانهم أمامه بالألواح متشفعين، فرق حالهم فتقدم إليه بوسلهام المذكور وقال له: يا سيدى نصرى الله، إن الودايا لم يتركوا للصالح محلا وليس العفو عنهم فى هذه الحالة مما ينبغى، ولما كان بسايس أجلب بخيله على عتاة بنى مطير واستولى على ما لديهم من مال ومتمول، ولما اتصل الخبر بالودايا اجتمعوا مع أهل العدو من فاس وأجمعوا أمرهم على الإصرار على التمرد والعدوان.

وفى رابع عشرى ربيع الثانى من العام، وجه كتابا لأهل فاس ليقرأ على المنابر، قال صاحب إعراب الترجمان. فقرئ وحضر جميع الناس ولا خصوصية للأكابر، فألقى منهلا يروى ويمير، بفصاحة يكل عنها منطق بنى نير، ولقد نثر الدر فيه من فيه، وازدادت فيه الطائفة الصالحة ما كانت تنويه من التنويه، بألفاظ رائقة، ومعانى فائقة، وأحاديث نبوية، وآيات من محكم القرآن، وهو فى غاية الضبط والإتقان، ولعمري إنه لباب الأدب وفصه، وعنوان الفصاحة ونصه هـ.

وقد تركت جلب نص ذلك الظهير هنا اختصارا، ومضمنه الإخبار بحال تلك الفرقة الفاسدة، ذات التجارة الكاسدة، وما تسببت فيه للإسلام والمسلمين من الفتن والأهوال، وأنه لما لم ينفع فيها تحذير ولا إنذار، ولم تزد المقابلة بالحلم واللين إلا طغيانا ونفورا، وانهماكا فى هتك الحرم، تعين أن يقابلوا بالحرب والتضييق بعزائم قوية.

وقد أصدر إليهم ذلك الرقيم من المحل المعروف بالسوير حيث كان مخيمه،

وأعلمهم فيه أنه سينهض منه إلى وادى النجا أو العيون الزرق، ومنه إلى وادى فاس، ولما بلغوا وادى النجا أمر المترجم الديارة وابن يشو بالتوجه على باب الجيسة، والجيش البخارى على باب الساكمة، وتحالفوا على أن من لم يدخل من الباب المعين له لا تتزوج له بنت.

وخيم السلطان بجبل تغاة، وضرب به فسطاطه وخيمت الجيوش السلطانية من دار الأضياف إلى أعلى عين قادوس إلى وادى الملاح، وكان عدد تلك الجنود يناهز الخمسين ألفاً، واشتعلت نيران الحرب وحمى الوطيس إلى أن صار الكور ينزل أمام المترجم، وذلك ثلاثة أيام قتل فيها بوسلهمام المذكور.

ثم وقع الصلح بواسطة السيد الحاج العربى الوزانى، والطالب ابن جللول موقد نيران هذه الفتن بشروط شرطها الودايا، منها: عزل المولى عبد الهادى عن خطة القضاء، ومنها عزل الوزير ابن إدريس عن الوزارة، فلم يكن للمترجم بدل من قبول ذلك فعزل القاضى وولى مكانه السيد العربى الزرهونى، وولى مكان ابن إدريس المختار الجامعى، وتم الصلح وتفرقت أحزاب الضلال.

ثم بعد هذا كله لم يزل عرق فساد الودايا ينبض، فتصدى لهم المترجم ولم يقلع عنهم حتى أذعنوا قهراً، ولم يسعهم ومن شايعهم غير التوبة والإنابة فأقبلوا بصبيانهم وشيوخهم بالمصاحف والألواح متشفعين وبالنصر معلنين، وذلك فى ثامن عشرى ربيع الثانى من العام.

ولم يزل صاحب الترجمة مخيماً بجنوده خارج فاس إلى جمادى الثانية، فنهض لمكناسة، وكان حلوله به يوم السبت ثامن عشرى الشهر، وولى على فاس القائد الأحمر، وعزل الزرهونى عن القضاء، وولى مكانه أبا حسن على التسولى، ووجه الطاهر بن فرحون ومحمد بن مسعود والعكادى لسجن جزيرة الصويرة،

وأمر بصلبهم، واستعمل الأحمر العروى على فاس، واستخلف بها ولده أبا عبد الله سيدى محمد.

وقد ألّف الناس فى هذه القضية وذهب الكتاب فى شرحها كل مذهب، ووقع لبعضهم تخليط واشتباه وعلى ما سقناه وأوضحناه تشديد الضنين.

هذا وفى السنة نفسها سافر صاحب الترجمة لمراكش، وأخذ معه جماعة من أعيان الودايا، ولما استقر بها قبض عليهم وثقلهم بالحديد وتركهم بسجن مراكش نحو العامين، ثم قطع رأس اثنين منهم كما قطع أربعة من خلاف شاركوا فى البغى والشقاق، ثم كتب لعامله على فاس بالقبض على رؤساء الفتنة من أهل فاس والتوجه بهم لسجن مراكش ففعل.

وفى عام ١٢٤٨ وفد عليه أبو الربيع سليمان بن محمد الشيبى القرشى المكى أحد سدة بيت الله الحرام، فبالغ فى إكرامه ورده ردا جميلا، ولما بلغ فى أوبته لطنجة اخترمته المنية بها رحمه الله.

وفى عام ١٢٤٩ تسعة وأربعين، أصدر أوامره بترحيل الودايا من فاس وتفريقهم على فرق ثلاث: فرقة عين لنزولها ثغر العرائش، وفرقة أنزلها برباط الفتح، وفرقة بوادى نفيس حول الزاوية الشراذية.

وفى عام خمسين ومائتين وألف، كتب ظهيرا شريفا يحض فيه على الاتحاد وجمع الكلمة أمام الخطر الدايم، والجيش المهاجم، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله: «عبد الرحمن بن هشام الله وليه» وبدائرتة: «ومن تكن برسول الله نصرته، البيت»:

«خديمنا الأرضى القائد مصطفى بن إسماعيل وفقك الله وسددك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

[illegible][illegible]

ظهر رحمانى إلى مصطفى بن إسماعيل فى الندب للصالح بين الأمير

عبد القادر الجزائري وبين المتشاجرين معه

وبعد: وصلنا كتابك الأول والثاني مخبرا بما شجر بينكم وبين الحاج عبد القادر بن الحاج محيي الدين، فغير خاف على أحد ما يريد العدو الكافر لذلك القطر من تشيت كلمته، وموت مقاتلته وإهانتته، وسبى ذراريه ونسائه، أحال الله بينه وبين ما يريد بما شاء من قدرته، ودافع عن حوزة الإسلام، وأصلح أمر الخاص والعام، بجاء سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومهما ظهر بينكم خلاف وعدم ائتلاف إلا ونشط له عدو الدين، واعتقد أن حيلته ومكره تمكنا من المسلمين.

فعلیکم أيها المسلمون بالتمسك بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف صالح هذه الأمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى، والصبر على ما أذى، فإن في طلبكم عدوا ماكرا، لم يزل فكره لأخذكم والحيل التي يتوصل بها لإهانتكم حائرا، ففتنونا واستيقظوا من سنة الغفلة، واعملوا فيما يدرأ عنكم هذه الثلثة، وتضرعوا لمولانا جلت قدرته في كشف الرجز عنكم، وأزيلوا حظ النفس الأمارة، واسعوا فيما يجلب لكم الألفة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ [الحجرات: ١٠] وقال عز من قائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح: ٢٩].

وأنت في ذلك القطر من العقلا، والرؤساء النبلا، فكان من حَقِّك والأنسب لمثلک أن تصلح ما أفسد الحاج عبد القادر، وتسعى في ألفة المسلمين، وتنظر في العواقب، وتقصد بذلك وجه الله وحيطة المسلمين.

وعليه فإن أردت رضا الله ثم رضانا، فاجتهد في صلح بين خدامنا الدواثر والزمالة، والشيخ ابن الغماري مع الحاج عبد القادر بن محيي الدين، لتجتمع كلمة المسلمين ويكونوا يدا واحدة على من سواهم، ونفسا متحدة على من عاداهم، وقذى في عين من ناوأهم، والله يتولى هداكم، واقصدوا بذلك وجه

الله والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ [النساء: ١١٤] وفضل الجهاد والترغيب فيه وما أعد الله للمجاهدين في سبيله كتابا وسنة وإجماعا مما يعلمه كل من يعقل بالضرورة، فلا حاجة لنصب البراهين عليه:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وها نحن وجهنا من خاصتنا وخيار جيش أحوالنا الأوداية، صاحبنا، حامله محمد بن العربي ليحضر الصلح المذكور، فأياك والتراخي، أصلحك الله والسلام في مهل المحرم الحرام فاتح عام ١٢٥٠هـ.

ومما يدل على أنه - مع تحمله أعباء الخلافة وقيامه بواجباتها قدر المستطاع - لم ينس نصيبه من الدنيا ما كتب به لابن عمه المولى الهاشمي ابن ملوك فيما يتعلق بجنان له ما نصه:

«ولد عمنا الأرضي، مولاي الهاشمي بن ملوك، سلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: فقد بلغنا أن سور الجنان كمل فاجعل له أساسا داخل السور حائطا به من كل الجهات عرضه ثمانية أشبار، واشتغل بجمع الحجر والجير ليكونا مهياين ميسرين، وحين نكون بالغرب نوجه لكم كيفية الفصالة بحول الله، وما بداخل الجنان المذكور من الكدا ومدد الدور يجعل في الحفر التي به وبالأساس المذكور، والسلام في ٢٤ من المحرم فاتح عام ١٢٤٩هـ» صح من أصله.

ومما يدل على ما كان من تبادل التجارة مع الخارج في عهده ما كتب به لأمناء العدوتين، وعامل الرباط، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه»:

«خدامنا أمناء العدوتين القائد محمد السويسى، والحاج بناصر غنام، والحاج العربى معنين أعانكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد سرحنا لخديمنا الحاج عبد الكريم الغسال وسق الصوف والزيت من مرسى العدوتين وما أُبيح وسقه من مراسينا، وأذناه أن ينوب عنه من شاء ويعزله متى شاء، فاستوصوا به خيرا، وسرحوا له ذلك والكل بالصاكة المتعارفة التى عليها العمل بجميع ثغورنا المحروسة بالله، والسلام وفى ١٨ من جمادى الثانية عام ١٣٤٩».

وبعده بخط من يجب: «استقل قابلها بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، المدرس الخطيب الأنبل، قاضى الجماعة بفاس الإدريسية وما والاها وهو (فلان...) أعزه الله تعالى وحرسها باستقلال الرسم أعلاه عنده الاستقلال التام بواجبه، وهو حفظه الله تعالى وأكرمه بحيث يجب ذلك من حيث ذكر، وفى تاسع عشر جمادى الثانية عام تسعة وأربعين ومائتين وألف (فلان...) وعبد ربه (أحمد البكرى... الله برحمته).

وبعده: الحمد لله أديا فقبلا واعلم به عبد ربه تعالى (فلان...).

وهذا الرجل المصرح له بوسق ما ذكر كان من الأمناء ذوى المروءة والصدق، حسبما يدل على ذلك ظهيران شريفان نص أولهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سماء المعالى شمسهِ المنيرة وبدره، بيد حامله المتمسك بالله تعالى ثم به خديمنا الحاج عبد الكريم بن محمد الغسال الطنجاوى، يتعرف منه بحول الله التام، وشامل يمينه العام، أننا أسدلنا عليه أودية العناية منا والتوقير، من ولادة أمرنا وحملناه على كاهل المبرة والإكرام،

والرعى الجميل المستدام، فلا يكلف بتكليف، ولا يوظف عليه وظيف، لما ثبت لدينا من مروءته ودينه وصدقه فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما فيه ولا يحيد عن كريم مذهبه، صدر به الأمر المعتز بالله فى ٢١ من ذى القعدة عام ١٢٤٣».

ونص ثانيهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره، يعلم منه سدلنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، على ما سكه خديمنا الأمين الأراضى الحاج عبد الكريم الغسال أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، والرعى الجميل المستدام، لما هو عليه من الدين والمروءة والعفاف إذ ينبغى لمن كان كذلك أن يميز ويوقر ويحترم، فنأمر من يقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، وقد أخرجناه من زمرة العوام فلا يسام معهم بتكليف، ولا يوظف عليه وظيف، صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٣ ذى الحجة الحرام عام ١٢٤٩».

وفى ثانى محرم من سنة ١٢٥٠ المذكورة أصدر ظهيراً للشرفاء العلويين فى شأن توزيع صلتهم عليهم نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره، أننا جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لأبناء عمنا الشرفاء العلويين أهل الدار الكبيرة وسكان المدينة حكم ظهير عمنا رحمه الله الذى بأيديهم وأقرناهم على ما جعل لهم فيه، من تفريق ما يوصلون به من بيت المال على الصغير منهم والكبير، وعدم إنفاق الوالد على ولده المطلقة أمه من واجبه فى الصلة، بل من متاع الوالد لوجوب إنفاقه عليه شرعاً، وإنفاق واجبه فى الصلة على ولده إن امتنع من الإنفاق عليه، لينكفوا بهذا عن الطلاق، فالواقف عليه

يعمل به ولا يحد عن كريم مذهبه، والسلام فى ثانى المحرم الحرام فاتح عام ١٢٥٠هـ.

وفى جمادى الأولى من العام أذن لقاسم حصار والذمى الياهو الزاكورى بضرب فلوس النحاس بالرباط ونص الإذن بذلك:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأنفذ فى البسيطة أمره، وجعل فيما يرضى الله طيه ونشره، أننا أذننا حامله الحاج قاسم حصار والذمى الياهو ابن إبراهيم الزاكورى فى ضرب سكة الفلوس برباط الفتح قطع ثمانية عشر موزونات فى الرطل، وأن لا يضيفا للنحاس أكثر مما يستوجه من خفيف وروح التوتية، وكل ما يضربانه ينظره الأمانة، فما ألفوه على الكيفية الموصوفة أجازوه، ويروج بأيدي الناس، وما لا كسروه ولا يروج بأيدي الناس، وإن أخفيا منه شيئاً ووجد يعاقبان، وقصرنا عليهما شراء شظاية النحاس بالعدوتين سلاً، ورباط الفتح على أن يؤديا لبيت المال وفره الله سبعمائة مثقال عن كل سنة.

ونأمر خديمنا القائد محمد السويسى أن يشد عضدهما على ذلك ويعينهما فيما احتاجا إليه فيه، ألحق عليهما وأصلح، ونأمر خديمنا القائد والسلام فى ٣ جمادى الأولى عام ١٢٥٠هـ.

وفى رجب منه كتب له عامله القائد العربى السعيدى بما نصه من أصله بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية بساط مولانا الشريف، ولثم الثرى تحت قدمه المنيف، سيدنا أمير المؤمنين وناصر الدين، ناشر لواء العدل على جماعة المسلمين، سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام أدام الله نصره، وكبت عدوه وخلد فى الصالحات ذكره، آمين.



إذن رحمانى للحاج قاسم حصار والذى الزاكورى بضرب سكة الفلوس

بالرباط

أما بعد الإعلام لمولانا أيده الله ونصره: أنه ورد على العبد من عند خديم سيدنا القونص يهودى ابن عليل أقجار قزدير مطبوع عليه، وداخله مكاتب لمولانا ورسوم كنطراة الصلح مع جنس نابليطان بذكره فيها هو يصل حضرة مولانا العالية بالله صحة فارسين مع إخواننا التباعة خدام سيدنا، كانوا هنا على الخدمة وتوجهوا لخدمتهم مع مولانا، ثم الإعلام به لمولانا أيده الله أنه ورد علينا كتاب نجل مولانا سيدى محمد بارك الله لنا فيه يأمرنا فيه بتوجيه خمسين فارسا ادالة للريف لعند خديم سيدنا القائد محمد بن عبد الصادق بقصد الخدمة والانتفاع معه، وتمكنهم من راتبهم خمسين أوقية لكل فارس منهم، ومقدمين خمسة وسبعين أوقية، وقائد المائة عشرة مثاقيل، وذلك من صائر سيدنا من عند خديم سيدنا الأمين القائد عبد الخالق اشعاش، فامثلنا أمر سيدنا ومكانهم بما قال ووجهناهم للخدمة فالله يقضى بهم غرض مولانا ويبارك لنا فى عمره أمين.

ثم الإعلام به لسيدنا أن الذمى زنكوط من آل ذمة طنجة الذى هو فى علم سيدنا كان يطلب من مولانا يوسق البقر من طنجة ولم يساعده مولانا لذلك، وكان بمدينة مكناس وهرب منها إلى وهران، ومعه اثنان من اليهود لعنهم الله، فلما خرج عن تلمسان اتصلوا به القطاع وقتلوه هو ومن معه، وكانت عليه بذمته لمولانا من صاكة المرسى نحو أربعة مثقال ومائتين مثقالا وخمسين أوقية، تخلدت بذمته الآن، ولم يكن له ما يوفى ما بذمته سوى دار سكناه إن كان بيعها للمسلمين تساوى ستمائة مثقال إلى سبعمائة، وإن أمر سيدنا ببيعها لليهود تزيد على تلك القيمة والله أعلم.

وهذا دون ما كان بذمته أيضا من صاكة سيدنا كان أعطى فيه ضامنا للأمين، وعليه ديون للمسعودى وغيره ما ينيف عن ألفين مثقالا، بهذا وجب الإعلام لمولانا بارك الله لنا فى عمره وأبقاه لدى الأنام، وهذه النواحي سالمة والحمد لله

ولا ما يخطر فى البال من فضل الله ووجود مولانا، والعبد يطلب مولاه صالح الأدعية لنا ولعقبنا والسلام فى رجب الفرد الحرام عام ١٢٥٠.

خديم المقام العالى بالله العربى بن على السعيدى» صح من أصله بلفظه.

وفى هذا العام ولى ابن عمه وصهره على بنته المصونة المولاة خديجة المولى عبد الهادى خطة القضاء بفاس.

وفى شوال عام ١٢٥١ كتب لخليفته ولده بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا البار الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا دخول العدو الكافر دمره الله لتلمسان جبرها الله، وتحققنا أن ذلك من خيانة المسلمين ومولاتهم للنصارى والعياذ بالله، فإننا لله وإننا إليه راجعون على غربة الإسلام وأهله، وقد طلب (. . . كذا) خديمنا القائد العربى الرحمانى شدة احتياج المسلمين للإعانة والمدد بالبارود والخفيف والعدة، فبوصول كتابنا هذا إليك وجه له ثلاثين قنطارا من البارود وما يكفيها من الخفيف يجعل ذلك تحت يديه احتياطا إن احتاجوا إليه يجدونه موجودا، وانظر إن كان تحت يدك من المكاحل نحو المائة والخمسين اجتمعت بالخزين من دفع أو غيره، وجهها له مع ذلك.

وإن لم تتيسر ففى البارود والخفيف كفاية وهو العمدة التى تدعو إليها الضرورة، وقد كتبنا للشيخ أبى زيان بالانتجاع بحلته والنزول بطرف الإيالة فى الحدود التى حدها الأسلاف قدسهم الله مع الترك ولا يتعدهاها، وأمرنا أن يستكشر من الخيل، ويأمر بالاستظهار بالعدة والعدد، ويحشد ما قدر عليه من خيل إيالته،

ويقيم هناك بجلته أياما كأنه متبع الكلاء لرعى المواشى على عاداتهم فى الانتجاع، حتى يشيع خبره فى الآفاق، ويسمع العدو الكافر دمره الله قوة الإسلام واستعداده، فلا بد كاتبه بذلك وأكد عليه وحرّضه أتم التحريض، ويوافق كتاب إليه فوجهه على يدك عزمًا، والسلام فى ١٥ من شوال عام ١٢٥١» صح من أصله.

وفى عام ١٢٥٣ أصدر ظهير للحاج قاسم حصار السلوى المتقدم الذكر بالتوقير والاحترام، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه».

«كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وخلد فى الصالحات طيه ونشره، بيد المتمسك بالله تعالى ثم به خديمنا الأرضى الحاج قاسم حصار السلوى يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، أنا أسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل المبرة والإكرام، على ممر الليالى والأيام، لمحبتته فى جانبنا العالى بالله تعالى، وحسن خدمته فالواقف عليه يعمل بمقتضاه، ويقف عند حده ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعترز بالله فى ثالث ربيع الأول النبوى الأنور عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف».

وفى عام ١٢٥٥ كتب له خديمه محمد عشعاش بما نصه من أصله بعد الحمدلة والصلاة:

«مولانا السلطان الماجد الهمام، الرافل فى حلل الإجلال والإعظام، قرة الأعيان، أمير المؤمنين سيدنا مولانا عبد الرحمن، بارك الله فى عمر سيدى وزاده شرفا وتعظيما، وسلام الله ورحماته وبركاته على الحضرة المحروسة المحفوظة بالله تعالى».

وبعد: لثم حاشية البساط الكريم، وأداء ما يجب للمقام الرفيع من

التعظيم، فقد ورد كتاب سيدى المعظم المبجل فى شأن تفصيل الألفى كسوة من الكارية كما وصف، فبوصوله فصل مما حضر من الكارية عد ١٢٠٠ وبعثت لجبل طارق على ما يكون به الكمال، وأما الملف الموفر من الأعشار فبوصول إذن سيدنا فى بيعه ببيع بعشرة فى المائة فائدة، فإن كان لا زال مراد سيدى فى كساوى الملف فليأمر بما يريد منه عددا ووصفا يبعث عليه وتصنع بحزم وعزم، وكساوى الكتان نطلب من سيدى أيده الله الإذن فيما يكون بها، هل توجه بوجدانها أم حتى يأمر سيدى متى شاء؟ وما ذكر سيدى أيده الله على شأن قفاطين النساء يجعل بدل السفيفة كمخة فذلك العمل فيما يوجه من قفاطين النساء، نعم إن كان سيدى يريد ذلك فى قفاطين الرجال فليأمر بذلك، يكون فى التالى للقابل والعمل على ما يأمر به سيدى أدام الله نصره وتأييده وعلى الخدمة والسلام فى يوم الثلاثاء ٤ رمضان المعظم عام ١٢٥٥.

الخديم محمد أشعاش وفقه الله آمين» صح من أصله مباشرة بلفظه.

وفى عام ١٢٥٦ كتب خليفته بما نصه:

«ولدنا الأبر الأراضى، سيدى محمد، أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كتبنا لك هذا بعد حلولنا الصخرة وإقامتنا بها الاثنين أول شعبان، ونقيم بها يوما آخر للاستراحة، وننهض إن شاء الله إلى ماز^(١) ومنها إلى بين الصاع وعين البل، فبوصول كتابنا هذا إليك عين للنهوض معك جميع خيل الجيش الفاسى ولا يبقى هناك إلا ما لا بد منه، وادفع لهم راتبنا من عند أمناء فاس خمسين أوقية للمخزنى، وسبعة مثاقيل ونصف للمقدم، وعشرة مثاقيل لقائد

(١) فى هامش المطبوع: «محل بين تادلا وزعير والشاوية».



ظهیر رحمانی للحاج أحمد عواد بوصول جزية أهل الذمة بسلا

المائة، وانهض على بركة الله لحضرتنا العالية بالله قاصدا لمكناسة على مهل، ويكون مبيتك بوادي النجا، ومنه لمكناسة إن شاء الله.

وقد أمرنا ابن العواد أن يهيئ للتوجه صحبتك ثلاثمائة من خيل عبيد سيدي البخاري، تنتظرك بمكناسة، وقبض الراتب مثل الجيش الفاسي، وأمرنا البهلول الشراي أن يعين من الشراردة مائتي فارس بالتشنية ويأمرها بملاقاتك حيث تعين لهم، فإذا وصلت مكناسة تقص في الخبر عن أمر زمور زيادة على ما عندك من خبرهم، فإن تحقق عندك صلاحهم فمر حراك الشراردة يلحقون بك لمكناسة، وادفع لهم ثلاثين أوقية للمخزني، وأربعين أوقية للمقدم، وخمسين أوقية لقائد المائة.

وانهض على بلاد زمور قاصدا لرباط الفتح، وإن كانوا على غير استقامة تامة فأظهر عذرا موجبا لانحرافك عن بلادهم، واقدم على طريق جروان وقدم لحراك الشراردة الأمر بملاقاتك حيث تعين، ويكون راتبهم معك لتدفعه لهم عند الملاقاة لتوافينا بالرباط إن شاء الله عند حلولنا به، فيتوجه حراك الحوز معك، فإنهم راغبون في توجيهك صحبتهم.

وما كان من أمور تافيلالت على يد الحاج الطالب مره بالقيام به وقضائه، وما كان على يد السيد علال الشامي كذلك، وأمر وصيفنا فرج بأن يصير إلينا كتب تافيلالت مهما وردت، والسلام في فاتح شعبان المبارك عام ١٢٥٦» صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وفيه كتب بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خدمنا الأرضي الحاج أحمد عواد، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل لحضرتنا العلية بالله كتابك وصحبته ألف مثقال جزية أهل
ذمة سلا، حسبما بينت، وذلك على يد خديمنا الطالب محمد السويسى، وذلك
جزية ثلاث سنين مضت عن تاريخه والسلام فى ٢٤ محرم الحرام عام ١٢٥٦هـ.
وبعده: «الحمد لله أعلم بأعمال الكتاب الشريف أعلاه عبد الله تعالى
فلان...».

وفيه كتب لقاضى سلا بما يكون عليه العمل فى أمر الأملاك بعد حيازتها
عشر سنين بما نصه:

«الفقيه القاضى السيد محمد زنيير أرشدك الله، وسلام عليك ورحمة الله
تعالى، وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا أن ما حكم به علماء الرباط فى قضية
بوعمر بن الحسن الشاكى مع الحاج محمد أمغار السلوى موافق لما حكمت به فيها
قبلهم، فالحمد لله على موافقة الحق، وعلمنا أن الشاكى لا حق له، وإنما هو ملد
ونحن نسمع ممن ورد لبابنا السعيد شاكيا ونرد قضيته لمن يبحث فيها من الأحكام
تفصيا من العهدة، لأننا لا نعلم المحق من المبطل، وحيث تحقق أن الشاكى ملد
فبوصول كتابنا هذا إليك اجلده ثمانين جلدة أدبا له وزجرا لأمثاله، والعمل فى
أمر الأملاك على ما فى كتاب عمنا رحمه الله الذى وجهت النسخة منه من أن من
ملك ملكا مدة من عشرة أعوام لا ينزع من يده ولا يسمع ممن ادعى فيه بدعوى إن
كان حاضرا ساكتا والسلام فى ١٤ ذى الحجة الحرام متم عام ١٢٥٦هـ».

وعلى هذا الظهير ذهب ولده السلطان سيدى محمد، فقد كتب لقاضى تلك
المدينة فى عهده بما نصه:

«الفقيه القاضى السيد العربى بن منصور السلوى، سددك الله، وسلام
عليك ورحمة الله تعالى وبركاته».

وبعد: فإن الناس فى هذا الوقت اعتادوا القيام فى الأملاك المبيعة بل قديما لارتفاع ثمنها ويلتمسون لذلك أسبابا يفتحون بها باب القيام والخصام بعد سكوتهم عنها وهى فى يد مشتريها وتصرفه المدة الطويلة، وذلك مؤد إلى الشغب، وكثرة الخصام المطلوب تقليله ما أمكن، ومن جملة ذلك المعلم أحمد أحسيسو السلاوى الحصار، اشترى داراً من بعض ورثة عمر عواد ما يزيد على الثلاث عشرة سنة صفقة، وأمضى له الباكون، وأفتى له من يعتبر من الفقهاء بامضاء البيع وصحته كما رسمه بيده، وقد كان مولانا المقدس بالله كتب للقاضى السيد محمد زبير بأن العمل فى أمر الأملاك على ما فى كتاب عمنا مولانا سليمان رحمهم الله، من أن من ملك ملكا عشرة أعوام لا ينزع من يده، ولا يسمع ممن ادعى فيه بدعوى إن كان حاضرا ساكتا، ونحن على أثرهما فى ذلك، فنأمرك أن تنتهج نهجه، وحيث أفتى من يعتبر من الفقهاء بصحة شراء أحسيسو المذكور، وطال أمره زيادة على المدة المذكورة، فلا تسمع للقائم عليه فيه كلاما والسلام فى ٢٠ شوال الأبرك ١٢٨٢هـ.

وبعده بخط من يجب حفظه الله استقل، وبعد:

انتهت قوبلت بأصلها فمائلته ووافقته وأشهده الفقيه الأجل، العلامة الأفاضل، قاضى محروسة سلا ونواحيها حينه وهو (محمد العربى بن أحمد بن منصور لطف الله به) أعزه الله تعالى بعز طاعته وحرسها بثبوت المنتسخ أعلاه الثبوت التام، لصحته عنده وثبوت له بواجبه، وهو حفظه الله ورعاه وسدده وكلاه، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر دامت كرامته، وتوالت بحمد الله سعادته ومجاداته.

وفى ثامن عشرى جمادى الثانية عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف فوقه والاستقلال عقبهما بخط من يجب رعاه الله، بطرته: وبعد بخط من يجب حفظه

الله استقل، بين أسطره ونص خطابه، أصلح نسخة، لحصاء، له، ضرب بين تعالى ووصلنا صح به عبيد ربه محمد إدريس بن محمد الجعائدى الحسنى لطف الله به فى الدارين آمين بين ففته، وأشهده صح به محمد وعبيد الله محمد العربى ابن محمد بن سعيد لطف الله به فى الدارين.

ونص الثبوت عقبه:

الحمد لله أديا لدى أصلا وإلحاقا، فقبل وأعلم به أسير نفسه محمد العربى بن أحمد بن منصور لطف الله به، ونص الأعمال أسفله بخط من يجب رعاه الله: أعملته. وبعده ثبوت ثان نصه:

انتهت فقبولت بأصلها فمائلته وواففته وأشهده الفقيه الأجل العالم العلامة الأمل، الدراكة الأنبل، المحدث الحجة الأكمل، قاضى سلا ونواحيها وخطيب أعظمها حينه ووقته وهو أبو الحسن (فلان...) أعزه الله تعالى بعز طاعته، وحرسها بثبوت المنتسخ أعلاه الثبوت التام لصحته عنده، وثبوته لديه بواجبه، وهو حفظه الله ورعاه وسدده وكلاه، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، دامت كرامته وتوالت بحمد الله سعادته ومجاداته، وفى ثالث عشرى ربيع الثانى عام عشرة وثلاثمائة وألف بين أسطره من من لطف بين مولانا والمقدس صح به عبيد ربه تعالى (فلان...) بشر محل وفى ثالث عشرى ربيع الثانى عام عشرة وثلاثمائة صح به (فلان...).

وفى عام ١٢٥٧ ورد على صاحب الترجمة العلامة الأديب الشيخ يوسف المدنى فأكرم وفادته وأحسن إليه.

وفى عام ١٢٥٨ كتب لولده الخليفة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرمى، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فتصلك كتب فيها أخبار المسلمين مع العدو الكافر، قصمه الله بناحية الشرق وغيره، وجهناها لك لتطلع على ما فيها وتعلم حقيقته، فإن الأعداء أهلكم الله حسبوا كل بيضاء شحمة، وقويت أطماعهم ومنتهم أنفسهم وهموا بما لم ينالوا، ولما استولوا على تلمسان ورأوا ما عليه أهل حوزها من التواكل والتخاذل والفشل والرعب منه والفرار أمامه، ظنوا أن هذه الناحية مثل تلك، وأرادوا تعدى الحدود ومد اليد إلى الإيالة، وأعملوا الوجهة لها بعد الوجهة الأولى التي لم يحضر هناك أحد من الجيش، فلما دنوا وجدوا المخازنية أمامهم فى شرذمة فثبتوا وناوشهم خيل المتنصرة القتال فردوهم على أعقابهم، فخشى العدو على نفسه وفر ليلاً.

ولما عاين من نجاتهم وثباتهم ما لا قبل له به وتخلف ظنه، كتب لطاغيته بذلك، وأرادوا أعمال الترمويه والتلبيس ونصب المكائد بالتخيلات والأوهام، فظهرت بعض قراصينهم بنواحي طنجة والعرائش، فأمرنا جميع القبائل بإظهار القوة والاستظهار بالعدة والعدد ليرى من ذلك ما يسوءه ويبلغ الشاهد الغائب، ولا ينبغى إلا ذلك، فإنه دمره الله صاحب غدر ونكر وتلبيس، لا تؤمن غوائله، ولا تنقضى حيله ومكائده.

فلتكتب لعمال الثغور وعمال القبائل الموالية لها بإظهار القوة والاستظهار بالعدة وكثرة العدد، فإن ذلك مما يقوى سواد المسلمين، ويفت فى أعضاد الكافرين فقد قال الله تعالى: ﴿... لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...﴾ [٢٩: ٢٩] مثل أن تأمر خديمنا عبد الله أبه^(١)، وسليمان بن الطاهر بحشد عديد قبائلهما، خيلاً ورماتاً للصويرة، وعمارة ساحتها بلعب البارود وغيره، مما يغىظ العدو، ويقيمون يومين

(١) فى هامش المطبوع: «بضم الهمزة وكسر الموحدة تحت والهاء، أحد كبار عمال سوس وصناديدهم».

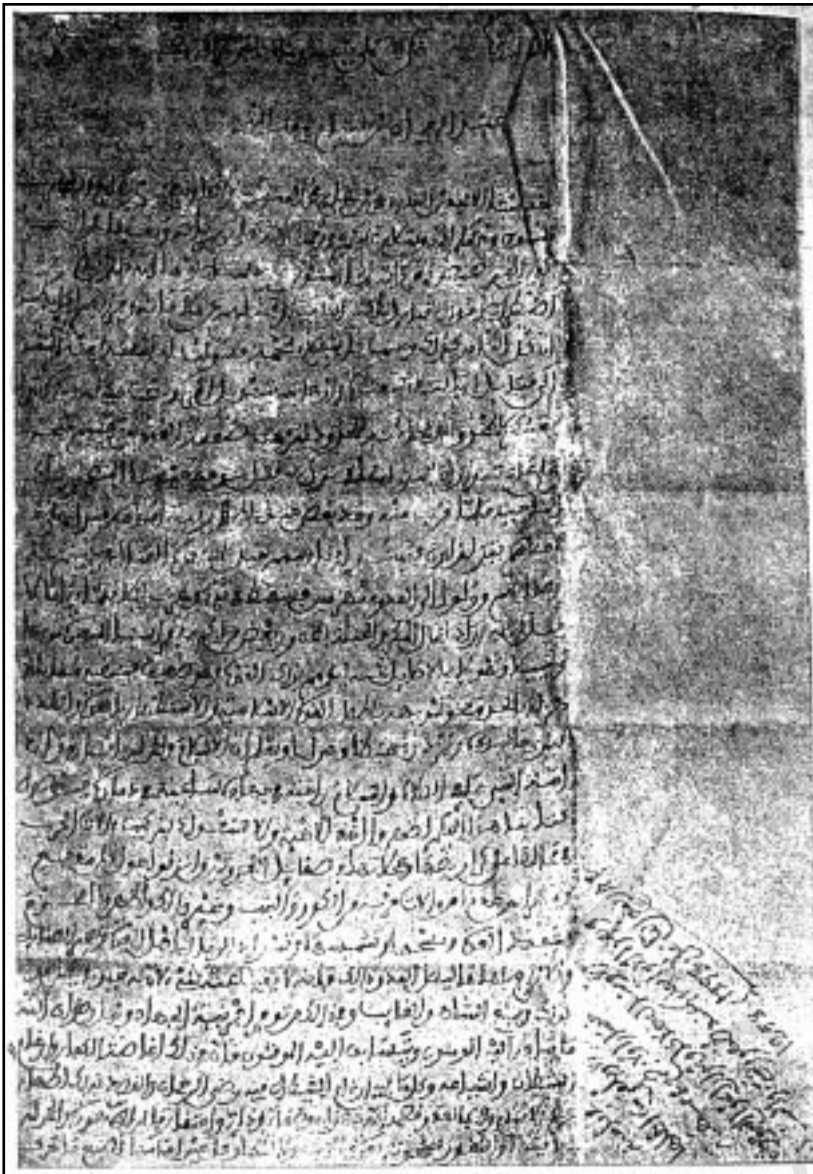
أو ثلاثة، وبعد ذلك ينصرف الجبل ويبقى البعض، ويجعلون عمارة ذلك الشجر مناوبة، إذا توجهت طائفة وردت أخرى، وأمر ابن الغنيمي يفعل مثل ذلك بأسفى، وابن إبراهيم يفعل مثل ذلك فى فحص المجاهدين، والحاج موسى كذلك، فإن ذلك مما يغيظ الكفار ويفت فى أعضادهم ويرهب المشركين ويرعبهم، وفيه مغفرة الله ورضوانه، فإن كل ما فيه إغابة عبدة الأوثان، وإرغام أشياع الشيطان فيه رضا الرحمن والفوز بالثواب والأمان، قال الله سبحانه: ﴿... وَلَا يَطُوتُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ...﴾ [التوبة: ١٢٠] الآيات.

ولتأمر عمال الثغور الصورة وأسفى والجديدة وأزمور بمباشرة آلة الحرب ونصبها على كراريطها فى مواضعها، ووضع الإقامة حذوها، وإصلاح ما احتاج إلى الإصلاح من ذلك وتهيئته ليبلغ العدو من ذلك ما يغيظه ويسوءه، فإنه أهلكه الله عين وأذن على ما يتجدد من ذلك ولا يغيب عنه شىء منه، والله يرفع راية الإسلام، ويخذل عبدة الأصنام بجاه النبى عليه الصلاة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٥٨هـ، صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وبنفس التاريخ كتب لعاملى العدوتين ظهيرا فى شأن المناوشات الواقعة على الحدود، يأمرهما بأخذ الأهبة والاستعداد وتهيىء الأبراج والمدافع، واستعراض رجالها.

ونصه بعد الحملة والصلاة والتوقيع السلطانى صدر الكتاب «عبد الرحمن ابن هشام وفقه الله» بخطه كما كان يفعل أحيانا فى بعض رسائله:

خديمينا الأنجدين القائد محمد بن الحاج محمد السويسى، والقائد بو عمران ابن الحاج الطاهر فنيش السلوى، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



ظهیر رحمانی لعاملی العدوتین الرباط وسلا بالاستعداد للطوارئ
المنتظرة من جانب فرنسا ویرى خط السلطان صدر الظهیر

وبعد: فاعلموا أن عدو الدين الفرنضيص دمره الله لما استولى على تلمسان ردها الله دار إسلام، ورأى اضطراب أحوال قبائل تلك الناحية وفشلهم عن ملاقاته وفرارهم أمامه، ظن أن كل الناس كذلك، وحسب كل بيضاء شحمة، فسولت له نفسه لعنه الله التشوف إلى قبائل إيالتنا السعيدة وإرهابهم بتهويل أمره ونصب حيله ومكره بدورانه بعسكره المخذول، ومحاكته للحدود ليرهب ضعفة العقول ويرعبهم، فتحرك على عادته وأراد النزول بمحل نزل به قبل توجه جيشنا المنصور لتلك الناحية، فلما قرب منه وجد بعض خيل المخزنية أمامه فنزل على بعد، لعلهم يتزلزلون فثبتوا، وناوشهم خيل المنتصرة القتال فردوهم أعقابهم وولوا إلى العدو منهزمين، فسقط في يده وهرب ليلاً، فلما رأى ما لا قبل له به أراد إعمال المكر والحيلة بظهور القوة الإسلامية، والاستظهار بالعدة والعدد، ليرى ما يسوءه ويزداد غيظاً وهواناً، ويعلم أن الإسلام والحمد لله بأنصاره، وأن أمة النبي عليه الصلاة والسلام راغبة في جهاده ساعة في دماره.

فبوصول كتابنا هذا إليكم أظهروا أخذ الأهبة والاستعداد بتركيب آلات الحرب في محالها على كرايها وعجلاتها في صقائل العدو، وأنزلوا حول كل مدفع ومهراس عدداً من آلات حربه من الكور والبنب وغير ذلك، وأظهروا الحزم بتفقد العدة ومسحها وتشميسها وتسراد الرجال أهل العدة، وتعمير الصقائل والأبراج بأهلها، ليصل العدو ذلك، فإنه لا يغيب عنه شيء، لأن له عيوناً يطالعونه بذلك، ويبلغ الشاهد الغائب، وفي ذلك من توفر أجر نية الجهاد، ونيل رضوان الله ما يتبادر إليه المؤمنون ويتسابق إليه الموقنون، فإن في ذلك إغاظة الكفار، وإرغام الشيطان وأشياعه، وكل ما فيه إرغام الشيطان فيه رضا الرحمن.

والقصد بذلك إظهار عزة الإسلام، وإلا فالعدو قصمه الله في هوان وصغار، وذلة واحتقار، فالمراسى معمورة والحمد لله بحاميتها، والثغور مشحونة

بعده الحرب وألقتها، وكل عين أمامها إصبع ما تحرك في ناحية إلا ويلقى من أهلها خساراً، ولا يطمع في جهة إلا وينال هلاكاً وبواراً، بحول الله وقوته، وهذا الأمر افعلوه عند ظهور شيء، والسلام في ٤ ربيع الثاني عام ١٢٥٨هـ.

ثم كتب له بما نصه:

«ولدنا البار الأَرْضِي، سيدي محمد أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فاعلم أن المهدي الشراذى كنا حسنًا به الظن، حيث أظهر التنسك وأبدى النصيحة والتودد مع أخذ الحذر منه، وولينا على قبائل أهل سوس طلباً لجمع كلمتهم، حيث رأينا رغبتهم فيه وميلهم إليه، حتى طلب التوجه للمشرق فساعدناه وجعلنا خليفته البهلول كما في علمك، ولما سافر صرحنا له بالاستقرار، ونحن في خلال ذلك نلتمس انحرافهم عن المهدي وانقطاعهم عن محبته، ولما قدم أعرضنا عنه وأقررنا الوالى على عمله، فكان لا يبرم أمراً دون ولده في غييبته ودونه في حضوره حتى ألقى الله العدو والبغضاء بينهم وبين العامل، وسعى في فساد القبيلة عليه فلم يصلح الله له عملاً ولا بلغه من ذلك أملاً، بل رجع شؤم سعيه عليه، وعادت سهام فسادة إليه، فأصبح وقد كشف الله عواره، وأبلى أسواره، وأطلقت السنة خاصتهم وعامتهم في ثلبه، وإبداء العجر والبجر من عييه، ورموه عن قوس واحدة، وهتكوا حرمة وخرقوا عوائده، ولم يبق مصمماً على اتباعه غير البعض من زواره، أمرناهم بالانتقال لفاس فكان مبلغ شيعته مائة ونيفاً وخمسين فارساً وما يناهز الأربعمئة رام، بعد ادعائهم أن الكل له تابع وبعد انتقالهم جعلوا يتسللون فرادى وأزواجاً، ويرغبون في الرجوع أفواجا، وتطرفت إليه ألسنتهم بكشف ما كان يسر من قلة الدين، والتلبس بالانتساب للصالحين، حتى ذكرت شبانية كانت بداره قالوا على وجه الفساد فأخرجها عند توقع الشر به.

وحدث أنه يبول على المصحف الكريم وموضع خلوته وقبلة استجابة دعوته المستراح، وأنه تارك للصلاة، مشغل بالسحريات، وصدقتها في دعواها زوجته بنت عمه وشاع ذلك وذاع، وملاً الأفواه والأسماع، وحدث به العامة عن الخاصة وعمدوا إلى زريته فحرقوها، وإلى مخازنه فنهبوها وفرقوها، ومن سر سريرة ألبسه الله رداءها، وأصبحوا اليوم وقد خرجوا من الظلمات إلى النور، يتأسفون على ما فاتهم من الاغترار به وتقلبات الأمور، وقد اختفى بحيث لا يدرى محله، وعامله الله بما هو أهله، فكان طلب الانتقال إلى المشرق بأولاده، وإعراء الأرض من فساده، وسنجيه إلى ذلك إبعادا له عن هذه الأقطار وننشد:

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

وأيضا اعلم أن ابن العواد ظهر منه من الفساد ما لم يكن في حساب، واغتررنا ببيكائه وما كان يظهر من الدين والطهارة وكثرة إيمانه بنصيحته في هذا الجيش وشفقته، وكانت تصدر منه هنات، وتبلغنا عنه أمور يتحاشى أهل الدين عنها، فنعاتبه على ارتكابها فيجيب بالتفصى من عهدتها، ويبرهن برسوم زور، وكلام فجور، فنحمله على علاته، ونغض الطرف عن هناته، ثقة بما يظهر، واغترارا بما يموه ويزور، وهو ساع في تبذير هذا الجيش البخارى بخرق العوائد، وإفساد القوانين، وأحدث فيهم أموراً شنيعة من بيع المراتب والخطط وتولييتها غير أهلها، ومنع المستحق منها، وإيثار الدخلاء ومن لا خلاق له بذلك، وإلزامهم المغارم زيادة على خيانة الرواتب الشهرية، والغفلة عن تفقد الأسلحة والعدة والخيال التي نخصصهم بها حتى كادت أن تضيع المخزنية رأسا.

وفقد الحزم والضبط المعهود في المخازنية، وعدم الإقدام والشجاعة فيهم مع أنهم كان يضرب بهم المثل، فإن الرعية على رأسها، وتصدى لإرث كل من حانت منيته من المخازنية وحيازة متروكه وبيع أصله ومنع ورثته.

وأما أهل مكناسة فقد سار فيهم سيرة جور وعسف، وأذاقهم عذاب ظلم

وخسف، بجعل حيل ونصب حبالات وأساليب لاستخلاص الأموال، ومصادرة ذوى الأغراض، وأفضى به الحال إلى جعل ديار مخصصات للفساد، وتوظيف خراج على الفاسدات فى كل شهر، ولم يكفه ذلك كله حتى جعل من جهاته لإفساد القبائل ومداخلته أعيان الفساد، وتمالئهم عن الخروج على عمالهم، فكل من لم يمل إليه ولم يواصله أو تشانا معه، بث فى رعيته القيام عليه وواعدهم بالمعونة، ورتب لهم الطعام عند الزوقة، مع أنه أبخل من مادر، وإن نزل عليه ضيف واحد أضجره ونصب العداوة مع قواد البرابرة المجاورة لمكناسة، وألقى الشر بينهم وبين المخازنية، حتى لم يبق لهم وُدًّا فى قلب القريب والبعيد، ولم تبق له همة إلا فى هذا وشبهه.

وأما أهل الذمة فأبدأ فيهم وأعاد، حتى أخرجناهم من حكمه، ومع ذلك لم يتحاش عن فعله فيهم وفى غيرهم، ولما تفاحش أمره، وفشا فى الرعية شره، قبضنا عليه ووجهناه لفاس بكبله، وحق به سوء مكره، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

واستخرنا الله تعالى فيمن نوليه على الجيش ممن يسعى فى جبره، وينصح لله ولرسوله وللمؤمنين فى سره وجهره، فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد الجيلانى بن بوعزة لما بلوناه من نصحه ومحبته، وعلمناه من دينه ومروءته، نسأل الله تسديده وتوفيقه، وإلهامه الرشد وطريقه.

واعلم أن جل الحياينة وخصوصا أولاد أرياب منعوا الحقوق، وأظهروا العقوق، فطلب عاملهم خروج المحلة إليهم، فوقع منهم وعد وإخلاف، ومنع وإرجاف، فنهضت المحلة المنصورة إليهم وأحاطت بالمفسدين وأخذتهم أخذة رابية، ولاذوا بالفرار، وتركوا الأموال والأنعام، فامتألت أيدى المحلة منها، وقبضوا

وقتلوا وهو مشروح فى الكتب الواردة عليك صحبته، والسلام فى ٤ جمادى الأولى عام ١٢٥٨» صح من أصله الموجود بالمكتبة الكتانية.

وفى عام ١٢٦٠ ستين ومائتين وألف، كتب له الأمير عبد القادر بن محبى الدين الحسينى الجزائرى يسأله عن أبناء عمه المهاجرين للمغرب، وفى طى كلامه الإعلان بانحياشه وانحيازه إلى شريف حضرته، وطلبه صالح أدعيته، ونص كتابه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع بداخله «عبد القادر بن محبى الدين ١٢٥٨» وبزواياه الاثنتى عشرة: الله، محمد أبو بكر، عمر، عثمان، على، عبده، ناصر الدين، الواثق بالقوى المعين. وبدائثرته ومن تكن برسول الله نصرته البيت:

«ملاذنا وعمدتنا وقاطبة أهل الإسلام، الذى بلغ الله به قصد ومرام، ورفع به مقام أهل الإيمان على كل مقام، متعنا الله بنصرته على الدوام، وممر الليالى والأيام، ذلك الإمام الهمام، الذى اشتهر كنار على رءوس الأعلام، ولا تحصى مزاياه أو تحصرها الطروس والأقلام، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام على مولانا ما لا يتناهى حصره من السلام، مضمخا بطيب التحيات والإكرام والإعظام، وأسبغ عليكم أنواع الإنعام، ونصر بكم ملة النبى العدنان، وخذل بكم أهل الكفر والطغيان، ولا زائد بعد التماس صالح دعاء مولانا ورضاه الأراضى، عن أبناء صنو أبينا الذين حلوا بساحته، وخيموا بجوار حضرته، وهم السيد أحمد وإخوته أولاد المرحوم السيد أحمد بن أبى طالب، وأن لا يكونوا مطرحين بزواوية الإهمال، لأننا وإياهم منسوبون من جملة الخدمة والعيال، ومثل مولانا نصره الله، من قال فيهم تعالى جل جلاله: ﴿... يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ...﴾ [الحشر: ٩].

ونحن لك أينما كنا وحيثما حللنا واستقر المكان بنا، لأن من إلى الشرف الرفيع انحاز، فقد نال المطلوب وفاز، وأن لا ينسانا من دعواته، فى خلواته وجلواته، المرجوة القبول عند الله، ونحن من أهل الحسبة عليه بعد حسبتنا على



كتاب من الأمير عبد القادر الجزائري للسلطان المولى عبد الرحمن

الله خديم حضرتكم الباذل جهده فى مرضاة الله ورسوله ثم مرضاتكم، المتوكل فى كل أموره على الله وعليكم الموضوع اسمه بالخاتم، النائب عنكم بما قدر من جهاد العدو القائم، فى ١ ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ هـ من أصله الفتوغرافى الموجود بالمكتبة العمومية للحكومة بالرباط.

ولما دخلت هذه السنة التى هى سنة ستين، كان قد تم استيلاء فرنسا على سائر شمال المغرب الأوسط، اضطّر الأمير عبد القادر المذكور للدخول لحدود المغرب الأقصى، فنزل بعين القصب فاقتفت أثره ووقفت جنودها وراء نهر تافنة، وجعلت تبني قصبة فى الغزوات على شاطئ البحر لتقرب منها مراكبها وتنزل إليها عساكرها، وقصبة أخرى على وادى الحاجة مغنية، فكثرت العيث بأعمال وجدة وملحقاتها، وعمد بعض الحامية الفرنسية النازلين ببني واسين وكانوا تابعين لأعمال وجدة، وكانت تربة المرأة الصالحة مغنية، معتقدة من بني واسين، فأهانوا قبتها بما قام له بنو واسين، وقعدوا وصدر منهم ضد الحامية ما جسم المسألة، وكدر صفو السلم بين الإيالتين، وأوجب إلحاح سفير فرنسا بطنجة على المترجم فى طلب الترضية.

وفى أثناء المخابرة وجه المترجم جيشا فى نحو ثلاثة آلاف بين خيل ورماة تحت رئاسة كاتبه على بن الطيب الأجناوى، وأمره أن لا يفتح بقتال حتى يصدر إليه الأمر، ثم لما وصل الكاتب لوجدة فتح باب المخابرة مع رئيس الحملة الفرنسية، ولم يشعر حتى ابتداء المسلمون بقتال جيش الحملة، ولما رأى رئيسها ذلك أمر عسكره بالكمون للمسلمين بعريش الوادى، ثم أحدقوا بهم وقتلوا منهم نحو الثمانين، فرجع الجيش السلطانى لوجدة، ثم نهض لعيون سيدى ملوك، ودخلت الحملة الفرنسية لوجدة فوجدتها خالية فباتت بها ليلة واحدة أعدمت ما كان بها من بارود ورصاص، ثم بارحتها من غير أن تحدث بها أدنى حدث.

ولما اتصل هذا النبأ بالمرجم وهو يومئذ بمراكش، وجه لخليفته بفاس ولده أبا عبد الله محمد للنظر فى شأن الحدود ريثما تنفصل القضية بطريقة سلمية، فجهز جيشا من القبائل الغربية يبلغ ثلاثين ألف مقاتل، وسار به إلى أن بلغ وجدة، وألقى القبض على على بن الطيب رئيس المحلة السابقة المذكور.

وقد عثرت له على كتاب أرسله لوالده المترجم يخبره بحلوله بالعيون وما كان من اجتماع قبائل آنكاد والصحراء وحسن استعدادهم، ونصه بعد الحمدة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية البساط الشريف، وأداء ما يجب بين يد سيدنا أيده الله من التبجيل والتعظيم والتشريف، يكون فى علم مولانا أيده الله، أنا حللنا بعيون سيدى ملوك حلول عز ويمن وسعادة بوجود مولانا أدام الله وجوده، ونصر أعلامه وجنوده، وتلقنا بها قبائل آنكاد بعطائشهم، وأظهرت من الفرح والسرور بمحال سيدنا أيده الله ما لم يعهد منها، وسكنت أنفسهم واطمأنت وزال عنهم ما كانوا فيه من الخوف والجزع، والروع والفرع، بسبب فعل ابن الأكنأوى، وانحاشت إلى عاملها الطالب حميدة الشجعى، وانتظم شملها، وما بقى منها من تطمح عينه للعدو الكافر بوجه ولا بحال، كما تلقانا بتازا أخوال سيدنا الكرامة فى أحسن زى وأعجبه بعطائشهم أيضا، وقاموا بمؤنة المحلة أحسن قيام وصحبنا كافة فرسانهم ورجالاتهم وجميع أعرابهم، وما تخلى أحد عنا من هؤلاء القبائل المعتبرة، ولا أظهرت عجزا ولا تكاسلا.

وقد اجتمع من القبائل الصحراوية أيضا خلق كثير لله الحمد وله المنة، والمسلمون الآن فى غاية الظهور، والعدو من أجل ذلك ينادى بالويل والثبور.

هذا وقد بلغتني كتب سيدى أيده الله ونصره فى شأن العدو الكافر الذى جعل طنجة نصب عينيه، واستفدت منها ما حدث بطنجة من الهرج، فإننا لله وإنا

إليه راجعون، نسأل الله ببركة سيدنا أن يجبر صدع الإسلام، ويكسر شوكة عبدة الأصنام، والمحال التي هنا في غاية النشاط، والسرور الانبساط، وما لحقتها خصاصة ولا تلحقها بحول الله وبركة سيدي ووجوده أيده الله.

والسيد عبد القادر بن محي الدين تأخر بمن معه للملوية بالطف إشارة، وأوجز عبارة، من الطالب حميدة والشيخ حمدون بأمرنا وإشارتنا، فلم يبق للكافر الآن ما يعتذر به من جهته، والذي حققناه أن هذا العدو لا يقنع بتأخير السيد عبد القادر ولا بكل ما يفعل معه، إذ لا زال مصمما مع ضعفه الآن بالنسبة للمسلمين المجتمعين هنا على تعدى طوره إن وجد إليه سبيلا، وقد خوطب من قبل الطالب حميدة بنص ما في التقييدة الواصلة في طي هذا الكتاب فأجاب بالامتناع من الخروج من مغنية، والمتعين خروجه منها إذ ليس في بقاءه بها إلا الفساد، ورد هؤلاء القبائل للخوض والعناد، فيتعين اشتراط الخروج عليه منها عند عقد الصلح معه، وإلا فلا يتم كلامه ولا تحسم مادته ولا ينقطع تشوف من في قلبه مرض إليه، ولا يستقيم مع بقاءه بها أمر من أمور هذه النواحي.

وهذه القبائل عزمت على الزحف عليه وإخراجه منها وإعمال موجبات التضيق عليه من قطع الماء عنه، وأخذ من خرج منها، ومنع من يريد الدخول إليه حتى لا يقر له بها قرار، ويطلب النجاة بنفسه والفرار، وإن تمادى على البقاء بها مع توفر أسباب إخراجه منها الآن وذهبت هذه الجموع، وبقي بها مد يده بل ورجله وملك ما شاء من قرى وأمصار، وصدر منه ما لم يصدر منه في عصر من الأعصار، فلا ينفع معه إلا الجدد، ولا يخدع سيدنا بإبقاء عسته بها - أى بمغنية - فإنه يترك بها محلة لا عسة وحاصله مكائده لا يحدها حد، ولا تدخل تحت عد، وما رضى أحد من هؤلاء القبائل بإبقائه بها خوفا من غدره، وجسارته ومكره، إن تفرقت هذه الجموع وكذا الحراك قالوا: إن رجعنا وأبقينا هذا الكافر بمحله ذهب

عملنا، وظهر له فشلنا، والله يبارك في عمر سيدى آمين والسلام فى ٢٠ رجب عام ١٢٦٠.

محمد وفقه الله بمنه آمين».

ثم إن الخليفة المذكور خيم بجنوده على ضفة وادى يسلى حول وجدة، فى ذلك البسيط الممتد من غير تَرَوٍّ وَلَا نظر فى العواقب، وعندما نزلت المحلة على تلك الحالة، ورأى ذلك الأمير عبد القادر، قال لهم: إن هذه الفرش والأثاث والثقلة التى جئتم بها حتى وضعتموها بباب جيش هذا العدو، ليس من الحزم فى شىء، والرأى أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض، وإلا فإن العدو متى رأى الأخبية مضروبة وإلا وقصدها ولا يرجع دونها ولو أفنى عليها عساكره، فلو أبقيتهم هذه الأثقال بوادى زا، فإن كانت لكم فلا يبعد إتيانها، وإن كانت عليكم فتسلم من الأخذ وتجدون الراحة والمقام بها حتى تعودوا للقتال، ولكن لم يجد لنصحه أذنا واعية، فرجع من حيث أتى يتنفس الصعداء.

ثم إن بعض الأعراب لما رأى قائد تلمسان يريد أن يصبح الجيش السلطانى على حين غفلة، قدم على المحلة وأنذرهم بالهجوم عليه، وحقق لهم أنه ترك الجيش الفرنسى يستعد للنهوض إليهم حيناً، فلم يلتفتوا إليه، ولا رفعوا خبره رأساً اعتماداً على قوة عددهم وبسالة مقاتلتهم، ولما كان الصباح أعجلهم قائد الفرقة المذكورة الجنرال (لامور سيرا) الشهير عند العرب بأبى هراوة وعسكر بجيشه بمغنية، وقبل فتح المخابرة هجم على الجيش المغربى فى غلس يوم الخميس ليلة الخامس من شعبان السنة.

ولما أشرف على اسلى، نظم جيشه على هيئة قلعة مركزها مئونة الجيش وأركان الجيش، تحيط بالمركز عسكر المشاة ثم الخيالة ثم القبائل الدائنة بطاعته،

وتحيط بالدائرة بطريات المدافع الخفيفة من سائر جهاتها، وأمر القائد العام لأمور جيشه بالهجوم والسير على هذا النظام، ولما تراءى الجمعان ركبت محلة المخزن وكان أكثرها خيالة وأضعاف المحلة الفرنسية وتسابقت إلى اللقاء، والجيش الفرنسي محافظ على النظام المذكور لا يتحرك من مركزه حتى أحاطت به جيوش المغرب إحاطة السوار بالمعصم، صارت تصب رصاصها فيه.

فعند ذلك أمر القائد الفرنسي بإطلاق المدافع من سائر الجهات إطلاقا متواليا بلا إمهال دام العمل على ذلك ثلاث ساعات، والجيش الفرنسي لم يتزحزح عن موقفه، وما كانت الساعة العاشرة من اليوم المذكور حتى افترت محلة المغرب ومات أكثرها، وتمزقت أوصال حماتها - الذين جعلوا صدورهم هدفا لمدافع مقابلهم - كل ممزق، وتطايرت أشلاؤهم في الهواء وباقيهم طارت بهم خيولهم فلم ينزلوا إلا وراء نهر ملوية، وبقي الخليفة في نحو عشرة من خاصة فرسان غلمانه، ثم سار إلى أن لحق بتازا، ثم سار إلى أن بلغ فاسا، وتقدم الجنرال (لامور يسير) بجيشه إلى مضارب المعسكر وقد كانت بقيت به فرقة من جيش العبيد والطبجية، فأبلبوا بلاء حسنا، وقتلوا من المهاجرين عددا كبيرا إلى أن غلبوا عليهم، واستأصلوهم واستولى الجنرال المذكور على المعسكر بما فيه.

وعندما وصل خبر الواقعة للمترجم وهو بمراكش فخرج يطوى المراحل طيا كى يدرك رتق الفتق قبل اتساعه، ولما بلغ ثغر الرباط بلغه أن أسطولا فرنسيا يريد الهجوم على طنجة، فبعث ولده أبا الربيع سليمان في شردمة من الخيل لحراسة طنجة، وفي ذلك الأثناء بلغه أن الأسطول رمى طنجة بخمسة آلاف كورة في نحو ست ساعات ودمر منها أماكن كثيرة، ثم ارتحل عنها وتركها خاوية، ومن لطف الله أن كان أهلها أخلوها قبل هجوم الأسطول عليها فنقلوا أموالهم وأولادهم للفحص.

وقد عثرت على كتابين فى هذا الشأن: أحدهما من القائد محمد عشعاش،
والثانى من المولى سليمان يذكر فيه دخوله لطنجة وكيف وجدها بعد أن ضربها
الأسطول الفرنسى ونص أولهما:

«أدام الله العز والتأييد والتمكين، والنصر والظفر والفتح المبين، لمولانا
السلطان المعتصم بالله المعان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن، زاد الله سيدنا عزا
وشرفا ومكانة وتبجيلا وتعظيما، وسلام الله وتحياته ورحماته ورضوانه الطيبات
المباركة على الحضرة المنيفة الزكية، وبعد لثم حاشية البساط الكريم، وأداء الواجب
للمقام الرفيع المبجل من التعظيم، فلا ريب أن ما فعل مراكب الفرنصيص بطنجة
يوم الثلاثاء العشرين من شهر التاريخ من إطلاقهم عليها وتخريبهم بعضها لا
يعزب عن كريم علم سيدنا، ولا شك أن نجل سيدنا الأسعد أنهى ذلك لكريم
علم سيدنا وعليه اعتمدنا، والذي نعلم به سيدنا أن عشية يوم الخميس الثانى
والعشرين من شهر التاريخ خرجت تلك المراكب عن آخرها وغاصوا فى البحر
الكبير، والشائع أنهم قاصدون التخريج على العرائش والرباط والصويرة، ثم
يعودون لتطوان يفعلون بالجميع كفعالهم بطنجة.

ووجب أن نعلم سيدنا ليكون من أمرهم على بصيرة، ونجل سيدنا الأسعد
مولانا سليمان كتب لنا أن نوجه له الكمانية^(١) فنحن نوجه له كل يوم ما يستحق
له ولمحلته حفظه الله، وأقر عين سيدنا به وبإخوته، ولا حركة عند اللعين
الفرنصيص فى هذه الساعة للنزول فى البرّ على ما بلغنا، وإنما غايته الفساد فى
المراسى، اللهم إن حدث شئ فالله يجعل كيده فى نحره، والخفيف الذى أمر
سيدنا بتوجيهه لفراجى قد وجهنا منه نحو الثلاثمائة ونحن ننتظر الإبل لنوجه له
الكمال وعلى الخدمة والسلام فى ٢٣ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠.

الخديم محمد اشعاش وفقه الله آمين».

(١) فى هامش المطبوع: «ما يحتاج إليه من التموين».

ونص الثاني :

«سيدنا الإمام، المؤيد بالله الهمام، مولانا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، وبعد أداء ما يجب من الإجلال والإعظام. وإهداء رفيع السلام. لعل ذلك المقام، فقد وافانا الأمر الشريف، والخطاب العلى المنيف، فتلقيناه بالإعظام والإجلال، والمبادرة إلى أوامره بالامتثال. فإنا بحمد الله كما يحب سيدنا ويرضى من الوقوف والأخذ بالحزم فى المصادر والموارد، فالعسة داخل البلد وخارجها ليلا ونهارا على أكمل وجه من الضبط والترتيب، فالكل قائم أحسن قيام.

وقد دخلنا قبل تاريخه بيوم إلى المدينة وقصدنا النظر إلى أبراجها فظهر لنا أن إصلاحها يتيسر فى أقرب مدة، لأن رمى العدو لم يعم جميعها، وإنما كان يصيب شرفات البعض فتسقط إلا ما كان من البرج الجديد الذى طريقه مارة أسفل سور البلد الموالى للمرسى والبرج المتصل به من أعلى، فقد تهدم الكثير منهما، ودخلنا مسجدنا الجديد فرأينا بسوره الموالى للبحر أثرا كثيرا من رمى المدفع له، وبسقفه أيضا وأحصى ما نزل بالمسجد فألفى ستا وثلاثين كورة، والواقع خارج البلاد شىء كثير جدا.

وقد جمع الأمين الحاج أحمد الرزىنى مما وقع داخل البلد بالخصوص ثلاثة آلاف، وقد رأيناه مجموعا بالبرج الذى بإزاء باب المرسى، وأما ما وقع بالأجنة وأطراف البلد فإلى الآن لم يجمع منه شىء، وسمع أهل البلد من القنصوات بعد نزولهم ورجوعهم لمنازلهم أن ما رمى به قصمه الله ينيف على ستة آلاف بكثير، ومع هذا كله فالسلامة حاصلة بفضل الله وسعادة سيدنا.

وذكر لنا الأمين المذكور أن الكور الذى اجتمع عنده كله يصلح لوجود مثل تلك المدافع التى كان يرمى بها عندهم بالمرسى، وقرأنا كتاب سيدنا الشريف على

القائد محمد بن عبد الملك وكبراء البلد من القواد والطبجية وغيرهم، ففرحوا به أشد الفرح، وظهر عليهم من السرور والنشاط ما لا مزيد عليه، وحرصناهم وذكرناهم ومنيناهم وبيننا لهم بعض ما أعد الله للمجاهدين من الأجر والمثوبة، وما ادخره لهم من رفيع الدرجات فقاموا فرحين مستبشرين، ودفعنا لهم الكتاب الشريف بعد ليقرأوه على من لم يحضر منهم ليعم الفرح جميعهم.

والقائد محمد اشعاش قد بذل المجهود، وظهر منه ما هو المعهود، فمئذ وصلنا لطنجة ورسله تترادف علينا منه من الخبز والبشماط^(١) ما عم جميع المحلة، فالله يعينه على خدمة سيدنا الشريفة.

وورد علينا جسوس وكيل سيدنا بجبل طارق أمس تاريخه، فتلاقينا معه بالمحلة السعيدة، وذكر أنه راجع لمحله فورا والسيد بوسلهام ورد علينا منه كتاب يخبر فيه بأنه باحد الغربية، وأنه بنية الورود لطنجة يوم الكتب، وهذا ما وجب به إعلام سيدنا والسلام وفي ٢٧ رجب الفرد الحرام عام ١٢٦٠ سليمان وفقه الله بمنه» صح من الفتوكرافية المأخوذة من أصله الموجود بملف الفتوكرافيات بالمكتبة العامة للحكومة بأجدال من رباط الفتح.

ولما اتصل بالترجم ما حل بطنجة تضاعف همه وغمه، وتوقع الهجوم على الثغر الرباطي، فأخذ في الاحتياطات اللازمة، وكتب لعاملى العدوتين بالاستعداد، وصمم على المقام بالرباط، فبينما هو كذلك إذ حدث ما أوجب إسراعه بالنهوض لفاس، وما استقر به الشوى بفاس حتى بلغه هجوم الأسطول على ثغر الصويرة ومقاومة أهلها له بقدر إمكانهم، وأخيرا دخلها الأعراب النازلون حولها فنهبوا وعثوا وأفسدوا، فزاد ضجرا وضائق عليه الأرض بما رحبت، ولم

(١) فى هامش المطبوع: «قطع من الخبز صغيرة مشوية فى الفرن».

يكن له بد من الجنوح إلى السلم التى جنحت إليه فرنسا، لفساد الرعية وفزعها وعدم توفر الدواعى .

ثم التفت لمنهزمة الجيش الذى كان مع خليفته ولده أبى عبد الله المذكور بوجدة فقبض على جماعة منهم وأودعهم السجون مدة، وأهان كبراء، وحلق لحاهم وقطع خراجهم مدة ثم عفا عنهم .

ولما تمت المهادنة انعقد الصلح على تسوية الحدود بين وجدة ومغنية على ما هى عليه الآن، وعلى طرد الأمير عبد القادر من حدود المغرب .

ثم بعد ذلك نهض المترجم وسار إلى أن خيم برباط الفتح، وولى عليها عبد اللطيف فرج، وأقام به أربعة أشهر، ثم نهض وسار إلى أن عبر وادى أم الربيع على مشرع بولعوان، وهنالك التقى بنجله الخليفة أبى عبد الله المذكور، إذ كان مخيما على دكالة بثلاثاء سيدى أبى النور، وأمره بالتوجه لفاس وسار هو إلى أن بلغ مراكش، وما استقر به الثوى بها حتى بلغه أن الأمير ابن محبى الدين قام فى قبائل أنجاد وتبعته أعرابها وبرابرها، وقاتل طائفة من أهل قلعية، وقتل منهم نحو الثلاثمائة، وسار إلى أن وصل إلى قرب تازا عازما على التوغل فى البلاد المغربية، وأنه اتفق مع بنى عامر والحشم على الملاقاة معه بضفة وادى الحياينة ودخولهم جميعا بقصد التغلب، كذا قال بعضهم .

وعند هذا الحد أظلم الجو بين المترجم والأمير عبد القادر المذكور، وساءت الظنون واتسع للأوهام المجال، وشمرت على ساق شياطين الجن والإنس للمبالغة فى الإفساد، فبعث المترجم ولده الخليفة المذكور وأمره بنقل بنى عامر والحشم لداخل الإيالة، فعرض عليهم الخليفة ما لديه من الأوامر فأجابوا بالسمع والطاعة، واعتذروا بأنهم ليس عندهم ما يحملون عليه رحالهم، فالتزم لهم بإعطائهم جميع ما يحتاجون إليه، وبعث معهم خيلا توصلهم إلى الأرض التى عينت لنزولهم، ثم

لما وصلوا لخيامهم قالوا: لا نتقل من مكاننا هذا حتى نموت عن آخرنا، وضرب واحد منهم أحد الفرسان الذين وجهوا، ولما رأوا انكباب الناس عليهم انحازوا للغابة وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، ولم ينج من القتل إلا النزر القليل، فقيدوا وصفدوا وحشدوا مع النساء والصبيان لفاس، ثم أمروا بالنزول بضفة نهر سبو.

ولما اتصل خبر الواقعة بالأمير رجع لسلوان، وأشيع عنه التظاهر بالعداوة للمترجم والتأهب لمحاربته داخل إيالته والاستعداد عليه، فوجه المترجم إليه جيشا بقيادة شيخ بنى مالك ابن رباح القائد محمد بن سالم الأحمر المالكى، وكان من كبار الأبطال ووجوه الأعيان من العمال للنظر فى شأن الأمير ومطاردته أو القبض عليه، غير أن القائد الجسور لم يحسن التدبير، ولا حسب حسابا للمصير، فبوصوله لقصبة سلوان صمد جيشه الجرار للغارة على حلل المهاجرين أتباع الأمير، وكانوا منتشرين بكارث وقلوعها (قلعية) فتوقف الأمير عن مناجزته وكتب إليه يتبرأ مما نسب إليه من البهتان، وأقسم بصدق ولاية السلطان بكل أيمان، وبرهن على أنه مستظل بحمى أمير المؤمنين، مع بقية السيف من أبناء المسلمين، وأكثرهم شيوخ وأيامى، وعجزة ویتامى، فلم يصخ القائد المذكور لكلامه ولا التفت لاستعطافه، بل هجم على دائرة الأمير فوقفت بقية الأبطال دونها يدافعون عن الحريم والمال، عملا بقول من قال:

وإذا لم يكن من الموت بد فعلى الحر أن يموت كريما

وبعد حرب شديدة سقط القائد الأحمر قتيلا بين الصفوف، وافترقت جيوشه، وقد تركوا بين يدى الأمير معسكرهم بما فيه من حريم وأثقال وأثاث وأموال، فجمع الأمير ما تركوه، وعين وفدا من الأشراف والعلماء وأعيان رجاله برياسة شيخ الجماعة أبى عبد الله محمد سقاط بن الشيخ المشرفى، وكان ملحوظا عند المترجم لكثرة ترده سفيراً لحضرته فيما مضى، وقدموا ما تركته محلة الأحمر

من الأخبية والأثقال والحريم والمتاع وتبرءوا واعتذروا عن الأمير واستعطفوا المترجم، وأدوا السفارة كما ينبغي، فقبولوا بكل تجلة وإكرام، وتحقق السلطان براءة ساحة الأمير من أقوال المرجفين، وأحسن إلى بقية الحشم وبنى عامر وجمعهم وحملهم لمراكش، وأنزلهم بأخصب بلاد بالويدان من قبيلة الرحامنة من عرب حشم البلاليين إخوانهم، وانقلب الوفد إلى الأمير مغمورا بجود المترجم وكرمه.

ثم بعد هذا قضت الظروف على صاحب الترجمة بإبعاد الأمير عن حدود بلاده، ولم يكن له بد من ذلك بعد أن كانت بينهما محبة صادقة، ووصلة كاملة وإخاء، كم أمدته المترجم بآلات الحرب، وأعانه بالأموال والملابس والصفائف الجياد حسبما بتحفة الزائر والحلل البهية وغيرهما.

ولكن لما كان للأحوال مقتضيات وللضرورة أحكام لم يسعه إلا تنفيذ ما وقع عليه الاتفاق إثر قضية أسلى، وارتكاب أخف الضررين، فجهاز المترجم جيشا كثيفا بقيادة ولديه: المولى محمد، والمولى أحمد لإزعاج الأمير للخروج من إيالته أو الجنوح للصالح، وأمر جميع قبائل الناحية بمعاودة الجيش ضد الأمير عبد القادر إن أبى مما ذكر، ونزلت الجيوش السلطانية بتازا وأقامت بها أياما، وكانت تزيد على عشرة آلاف مقاتل.

ولما علم الأمير عبد القادر بذلك بعث خليفته البوحيمى للحضرة السلطانية يطلب الصفح والعفو عما مضى، فلحق بالمترجم لفاس فأكرم وفادته، واقتبله بجنان أبى الجنود الذى صار اليوم جنانا عموميا، ولما مثل بين يديه وبلغه ما أتى لأجله أجابه المترجم بقوله: إن أحب الحديث إلى الله أصدق، وإنى لا أقبل منكم إلا أحد أمرين: الدخول لداخل الإيالة والنزول لدينا نزول عز وإكرام، أو الخروج من الإيالة وحدودها، ولا يمكن قبول غير هذا بحال، فطلب البوحيمى الإمهال

إلى أن يخابر مرسله، فأمهله صاحب الترجمة وأمنه وأبقاه فى ضيافته، فبعث لمرسله الأمير بجواب المترجم له فأعرض عنه ولم يجبه.

ثم بعد ذلك نهض الخليفان بمن معهما من الجيوش من تازا وساروا إلى أن بلغوا سلوان، ثم وقعت مناوشة بين جيوش الأمير والجند السلطاني، ثم ارتحل الأمير وسار إلى أن عبر الوادى فاقتفت أثره الجنود وانضمت إليها جميع قبائل آنكاد، ووقف الجيش الفرنسى بالحدود له بالمرصاد، ولم يتركوا للأمير ملجأ ولا منجى مما قدره الله وقضاه.

وهذه نسخة بطاقة لأهل آنكاد وبني يزناسن فى ذلك نقلا عن مسودتها المحفوظة بمستودع الأوراق بالقصر السلطاني بالرباط:

«خدامنا أهل آنجاد وبني يزناسن كافة إلخ.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم مخبرين بما صدر من أعداء الدين من تعدى الحدود وما قابلتموهم به من الغلظة والقوة، وأبديتموه من الحمية والأنفة، وتوجيه جماعة منكم مع كتاب عاملكم ومخاطبته بالجد حتى رجع عن مراده واعترف بخطئه وتعديه، وأنصف للحق وصار ما دار بينكم وبينه منا على بال، ذلك هو الظن بكم، وهو المعهود من أهل الدين المتين، المتبعين لسبيل المهتدين، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، والله معكم، والحق يعلو ولا يعلى عليه، والمؤمنون أقوياء بيقينهم، موقنون بنصر دينهم، مصدقون بوعد ربهم، وكان حقا علينا نصر المؤمنين.

واعلموا أن نزول الحاج عبد القادر ودخوله بين أظهركم هو الذى جراً أعداء الدين عليكم، وجعل وجهتهم إليكم، ولولا هو ما طرق حماكم، ولا تعمد أذاكم، لأننا عقدنا معه الصلح الذى فيه مصلحة الإسلام، وسددنا بذلك باب الفتنة

عن الخاص والعام، فإن ذلك الفتان جر البلاء لأهل الوساطة حتى جرأ عدو الدين عليها حتى جاس خلالها، وكسر شوكة أهلها وزادهم انحياشا للكفر، وتوغلا في الشر، بإجلابه عليهم، ونهب ما أبقت لهم الفتنة من أموالهم، وحكم فيهم بحكم الطاغوت من استحلال الدماء والأموال، وانتشار الفساد إلى العيال، فإذا ظهرت له بارقة من الكفار لجأ إلى حوزكم، واحتمى بكم، وجعلكم حجابا بينه وبينهم ليجر لكم الفتنة والوبال، ويرميكم كما رمى من قبلكم بالمحنة والخبال.

وأنتم عن دسائسه ساهون، وعن مكره بكم لاهون، ولو عقلتكم رشدكم، وحفظتم عهدكم، لكان أعدى الأعدى إليكم، ولعاجلتموه بالقتال والدفاع عن حوزتكم، وأخرجتموه وأتباعه عن بلادكم. ليطيب لكم العيش، ولا يطرق الرومي حِمَاكم، بعسكر ولا جيش، وحتى لو ظهر من الرومي نقض لأمددناكم بجيوشنا المنصورة، وعاجلناكم بنصرتنا المشهورة، مع أنكم تجدون في العدو من الوفاء ما لا تجدون في تلك الشرذمة الفاسدة، والفئة الكاسدة.

فلا تظنوا بهم حمية ولا دفاعا، ولا تعتقدوا فيهم نصرة ولا انتفاعا، وانظروا ما تكرر على أسماعكم من وقائع غدره، وما رمى به المنحاشين إليه من ظلمه وضره، تعلمون ما يريد بكم ولكم، وما هو جار من سخط الله إليكم، فقد كاد أن يزلزل يقينكم، ولو ساعدتموه لبدل دينكم، فإنه حملكم على مخالفة من أوجب الله عليكم طاعته وبيعته في أعناقكم، وجراكم على عدم امتثال أمره مع اعترافكم بالسمع والطاعة في حال خلافتكم.

هذا من فعل الشيطان إنه عدو مضل مبين، فتيقظوا لدسائسه واستعينوا بالله من وساوسه، وأصرموا حباله ومن معه وأخرجوهم، وضيّقوا عليهم بمنع الأسواق وأخرجوهم، لتعودوا عليكم بركة الامتثال، وتفوزوا برضا الكبير المتعال» هـ.

وبعد مناوشات خفيفة ختم الأمير أعماله بالتسليم للفرنسيين على شروط، ورجعت أتباعه لأوطانها، وحمل إلى فرنسا بمن معه من العيال والأتباع في بابور وأنزل بـ (طولون) وذلك في صفر عام ١٢٦٤ أربع وستين، وقيل في متم عام ١٢٦٣ ثلاثة وستين ومائتين وألف، وبقي لديها في عقال ستة أعوام.

ثم سرحه نابليون الثالث وعين له مرتبا سنويا يدفع إليه من خزينة الدولة، وأباح له الذهاب حيث شاء، فاختر أخيراً سكنى دمشق بأهله، وبها كانت منيته في الساعة السابعة من ليلة يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة وألف ١٣٠٠ والرابع والعشرين من إيار سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ٨٨٣ كما بتحفة الزائر، ودفن بجانب الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي.

وكان هذا الأمير رحمه الله عالماً عاملاً كاملاً، راسخ القدم في الحقائق والرقائق، وكتابه المواقف أكبر دليل على تضلعه وسعة اطلاعه، ودقة مداركه.

أما الشجاعة والإقدام فهو ابن بجدهما، وقد عرفت له فرنسا ذلك، وقدرته قدره، وما زالت الأعظم تنزل الأعظم منزلتها، وقد بسط صاحباً الجيش والاستقصا وغيرهما نبأ وقائع الأمير الحاج عبد القادر وصاحب الترجمة في حالتي السلم والحرب، ووقعت الإشارة لبعض ذلك في تحفة الزائر تركنا جلبها اختصاراً.

وقد عثرت للأمير على رسالة بعثها وهو بفرنسا إلى صاحبه البوحميدى يصف فيها حالته في الاعتقال ومقامه بتلك الديار، ويدعو فيها للسلطان المترجم بالتوفيق والإعانة ويعذره عما صدر منه في حقه، ويستغفر الله مما كان ونصها:

«من عبد القادر بن محيي الدين، كان الله له ولإخوته آمين، إلى أخى سيدى محمد بن أحمد البوحميدى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإننا نسأل عن أحوالك ونرجو أن تكون في نعمة مثلنا، فإننا في نعم لا نحصوها، وخيرات لا نستقصوها، وحصل لنا من صفاء الوقت والبسط

وانشراح الصدر ما لا نقدر قدره، ولا نكيف أمره، نسأل الله أن تكون كذلك،
وحمد الله واجب علينا لا سيما حين جرت علينا المقادير باللطف والرأفة، وسبق
كل منا لما قدر له وعليه محفوفاً بالعناية، فإننا لو حاولنا غير ما نحن فيه واستظهرنا
بالجن والإنس والملائكة ما كان غير ما هو كائن، فلنطب نفساً ونعلم يقيناً أننا في
عافية، فإنها غير محصورة فيما صورته صورتها، والحق تعالى إنما أذن لعباده في
الأسباب وجعل لهم الكسب وصورة الاختيار قبل ظهور مراده.

أما بعد إبداء قضائه وقدره، فليس لهم إلا تلقف مواقع القدر شريعة
وحقيقة، وإرادتهم غير إرادة الله قريبة من الكفر، أو هي الكفر، ومراد الحق تعالى
أن يتعرف لنا في كل شيء حتى لا نجهله في شيء.

اللهم أشعرونا لطفك حيثما أقمتنا حتى نكون بك ولك.

وإنه تعالى أوجب ما أراده فينا مثل ما أوجبه فيما أراده منا، فكما يجب
علينا قبول هذا يجب قبول ذاك.

وأن عيالك وأولادك في خير، ويصلك كتابهم مع هذا الكتاب، وأنا وقت
التاريخ اطلب وزير الحرب يجمعهم معنا وأنه لا يخيب ظننا ولا يرد كلمتنا إن شاء
الله، فكن على هناء منهم في القراءة وغيرها مثل أنفسنا، وإذا تسرحنا إلى الشرق
إن شاء الله نطلب تسريحهم أو ذهابهم معنا إلى الشرق وأن تسريحنا قريب إن شاء
الله، فإن الجنرال ذو لا منسيار صار من عظماء الدولة وهو حبيبنا حارص على
تعجيل تسريحنا.

وما أقعدنا هذه الأيام إلا ما كتبه الله لنا من الماء والطعام، فإننا في أيام
الدولة السابقة حين وصلنا إلى طولون، واسترحنا من تعب البحر، وعزموا على
سفرنا، وأخذوا في أهبة السفر وقع ما وقع من التبديل، ولما جلس في دار الإمارة

من جاء بعدهم كاتبونى وقالوا لى: إنك عندنا فى ضيافة الإكرام، وقد وقع هذا التبديل فاقبل عذرنا فى تأخير سفرك حتى يستقيم أمر الدولة ونسرحك لبر الإسلام، وقد استقامت أمورهم وصلحت أحوالهم، فتسريحنا قريب بحول الله وقوته، وجميع ما قصدناه أو ظنناه فى الفرنضيص من الخير والإحسان والاحترام فعلوه معنا، وزادوا فوق ما ظنناه، فنحن اليوم ملوك على الحقيقة، فقد أنزلونا فى منزل سلطانهم فى قصر يحار فيه الطرف، ويقصر دونه الوصف، وفرش وطية، ومآكل شهية، وملابس بهية، مع التعظيم التام، من الكبير والصغير والخاص والعام، ورفقتنا ما بين تال وذاكر ومدرس ومتعلم صار الشهر عندهم كالיום وتيقنوا بحسن اختيار الله لهم، وقد بلغنا أن لك وجها عند السلطان وفقه الله للخير وأعانه عليه وأصلحه وعلى يديه، وهذا دعاؤنا له اليوم والأمس وغدا ونعذره فى حقنا، ونستغفر الله فى حقه، فإنى ما أبرئ نفسى وستبلى السرائر، وتحزى كل نفس بما تسعى.

فإن كان ما بلغنا حق فاسع فى تسريح ابننا الصادق، فإن والده قد احترق صدره، وعيل صبره، وسرى لنا ذلك جميعا، وما كان يخطر ببالنا أن السلطان يقيه لهذا الوقت، والأمر لله، وعليك السلام من الوالدة ومن محمد وأمه ومن السيد الحاج مصطفى بن التهامى، ومن السيد قدور بن محيى الدين، ومن قاره محمد، ومحمد بن البشير، وبعض من جاء معنا إلى فرنسا مفترقا معنا كمحمد ابن الخير وعن قريب يقع لهم التخيير بين المجيء عندنا وبين التسريح أينما أرادوا.

وقد خبرنا أنك شملت كافورة ومسكة فبالرفاء والبنين والكيس الكيس، ولا تكثرت بالحوادث، وسلم تسلم وتسترح وهو جنة الدنيا، وإنى أعلم أن أهم شىء عندك قراءة الأولاد فكن مستريح القلب منهم بعد جمعهم معنا إن شاء الله، ولا

تنسانا عند ضريح الدرياق المجرب، مولانا إدريس، وعند غيره من أهل الله أحياء وأمواتا، وفي عاشر ذى القعدة الحرام عام ١٢٦٤» من كناش موثوق بما فيه.

هذا وإن مولانا الجد السلطان ابن هشام كان للأمير عبد القادر عضدا معاضدا. وساعدا مساعدا. ومعينا ماديا وأديبا، أعان بالعين والسلاح وجياد الخيل وفاخر الملابس، سرا وعلنا ضد محاربيه.

قال فى الابتسام عن دولة ابن هشام:

إن الأمير ابن محبى الدين كان يخاطب السلطان ابن هشام بالوالد ورسائله لا تنقطع عنه، وخطب به وبعث له بالبيعة، وكان يقول إنما أنا نائب عن مولانا عبد الرحمن بن هشام، وإن السلطان ابن هشام كان يخاطبه بالولد البار وأورد كتاب أصدره المولى ابن هشام للأمير المذكور ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«محل الولد البار الأحظى، المجاهد الأرضى، السيد عبد القادر بن محبى الدين، أمدك الله بالعون واليقين، ونظمنا جميعا فى سلك عباد الله المتقين، وسلام الله الأتم، ورضوانه الشامل الأعم، يتوالى لديك فى المواقف، ويخصك بتواتر الأمداد الربانية والعوارف، ورحمة الله تعالى وبركاته تترى وتتوالى.

هذا وقد وصلنا كتابك الذى فاح نشرا، وأهدى بشارة وبشرى، مخبرا بما رزق الله المجاهدين من شحذ العزائم، وما توالى على الكفر وشيعته من النكبات والهزائم، فالحمد لله حمدا يليق بجلاله، ويؤذن بزيادة النصر واتصاله، فقد سعدتم والله وفزتم، وحزتم من الأجر الوافر ما حزتم، لقيامكم بفرض الجهاد المتعين، وسبقيتكم لهذا الفضل البين، فاحمدوا الله أن جعلكم رداء للإسلام وأهله، وخصكم بالجهاد فى هذا الزمان، وألبسكم رداء فضله، واشكروه على ما هياه لكم من السعادة، وكتب لكم من الحسنى والزيادة، فإن الجهاد مما شرف الله

به فى صدر الإسلام الصحابة، وتلاهم أهل الخير والإصابة، وجعلكم الله زهرة وعصابه، ألبسكم لبوس التقدم وأعطاكم نصابه، فنلتم شرفا ضخما وأجرا عميما، يا ليتنى كنت معكم فأفوز فوزا عظيما.

فإن الجهاد كما علمتم فضله، نغبط فيه أهله، لأنه كمي السعادة، ومفتاح الرحمة فى الغيب والشهادة، وحسبك ما أعد الله للمجاهدين فى الدنيا والآخرة، وما خصهم به من المراتب العلية والمنازل الفاخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ...﴾ [التوبة: ١١١] الآية. قال بعض المفسرين فى إيقاع اشتراؤه تعالى على أنفس المؤمنين وأموالهم غاية التشريف لهم، لأنهم قالوا: إن نفاسة السلعة تعرف بثلاثة أشياء: بعظم المشتري لأن العظيم القدر فى العادة لا يباشر إلا شراء الأشياء العظيمة، وبجلالة الواسطة يجعل قدر المتوسط فيه ويعظم الثمن، فإن من أعطى الجنة فى الثمن أعطى فوق الأمانة، فبان بهذا غاية شرف المجاهدين عند الله تعالى، ومن شرفهم الحياة الأبدية، والكرامة السرمدية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وفى الصحيح: أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى أشجار الجنة. وقال عليه السلام، وقد سئل عن أفضل الأعمال، فقال: الجهاد فى سبيل الله. وقال: من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية. وقال: لا هجرة بعد الفتحة ولكن جهاد ونية وقال: ما أحد يخرج من الدنيا له عند الله خير فيتمنى الرجوع إليها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ولوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل. وقال: والله لن تلج النار عين حرس فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله. وقال: والله لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف مسلم أبدا. وقال عليه السلام: يأتى الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك. وقال عليه السلام: رباط يوم خير

من الدنيا وما فيها. فهنيئاً لكم يا معشر المجاهدين وبشرى بما لكم عند الله من الخير العظيم، والأجر الجسيم، فإن أنفاسكم وخطواتكم حسنات. وسائر أفعالكم عند الله درجات. قال الله سبحانه: ﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ...﴾ [التوبة: ١٢٠] الآيات. فأيقنوا بنصر الله. وصمموا عزائمكم على إنجاز وعد الله. ولا يهولنكم ما يزخرف به العدو على ألسن شياطينه من كثرة الحشود والجموع. وما يظهره من قوة ويهدد من خنوع. فإنما ذلك ترهات باطلة وتمويهات كاذبة ﴿... لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾ [المجادلة: ١٠] مع أنه بلغنا على ألسن الثقات أنه يكثرى العسكر من صبانية وغيرهم ليهول بكثرة العدد والعدد، وذلك كله كسراب لا طائل تحته، وكيف يرد المزية أو يقف للموت من هذه صفته، مع أن المسلمين المجاهدين ثبتهم الله أعدادهم موفورة، وعزائمهم على قتال العدو مظفورة، وقلوبهم بما عند الله مسرورة، وهم يقاتلون على دينهم وبلادهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يقاتلون فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] فتأملوا قوله سبحانه: ﴿... كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ...﴾ [١٧٣] إلى قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ...﴾ [١٧٤] إلى (مؤمنين) [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]. وقد وهن الله كيد الكافرين فقال سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨] وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ...﴾ [٦٥] يا [الأنفال: ٦٥] الآية. فكان في صدر الإسلام لما بدا الواحد لا يفر من عشرة والعشرون لا تفر من مائتين والمائة لا تفر من الألف، فلما كثر المسلمون خفف

الله سبحانه فقال: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ...﴾ [٦٦] [الأنفال: ٦٦]. ويحرم على المسلم الفرار من كافرين والله مع الصابرين بالعون والتأييد ولعل هذه الخرجة آخر خرجاته لهذا البر فلا نشك أن الله يجعل تدميره في تدبيره فقد عول قبحه الله وأخزاه على الخروج من ثلاث طرق، من وهران ومن مستغانم ومن قسنطينة في يوم واحد وساعة واحدة على ما بلغنا وذلك بحول الله سبب خذلانه وتمزيقه، وتوهين كيده وتفريقه، فإن عادة الله في هذا العدو الأصفر مهما طغى وتمرد وتعجب في نفسه يوبقه الله سبحانه ببغيه. ويورده موارد شقائه وغيه. كما وقع له في مصر وغيرها وأذكرك غزوة وادى المخازن على عهد السعديين فإن أعداء الله خرجوا في مائة ألف فارس وخمسة وعشرين ألفا وكان إذ ذاك مولاي عبد المالك لمرض كان به حين حمى الوطيس وكان أخوه مولاي أحمد مدبر أمره فهزم الله الكافرين وقتلوا وسبوا وغرقوا ولم يفلت إلا النزر اليسير ومات محمد المسلوخ الذى أتى بهم وطاغيتهم بستيان وغنم المسلمون وكراعهم وفل حد البرطقيز من يومئذ حتى الآن ونسأل الله أن يجعل هذه الغزوة نظيرتها على هذا العدو الكافر، فالصبر ثم الصبر فإن الشجاعة، صبر ساعة، وفي الحديث: الصبر عند الصدمة الأولى، وليس للكفار كتبهم الله إلا الحملة الأولى ثم يفشل ريحهم وتضعف عزائمهم، والصبر والثبات، يكسران الوثبات، ولم يكن الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم يقاتلون بكثرة عدد ولا عدد وإنما كانوا يقاتلون باليقين لإعلاء كلمة الله ورجاء لما عند الله حتى انتشر الدين فى المشارق والمغارب فاصبروا وصابروا ورابطوا وأبشروا وبشروا، وأيقنوا أن الله متم نوره وناصر دينه إنجازا لوعده الصادق، وقضائه السابق، قال سبحانه: ﴿... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٨] [الصف: ٨] وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم

حتى تقوم الساعة وهم بالغرب» وفي رواية بالمغرب نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم منهم، فقد كان الدين عند ابتدائه غربيا فأظهره الله على الدين كله وأقسم سبحانه بنصر من ينصره فقال: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ...﴾ [الحج: ٤٠] فهو تعالى المتكفل بإعزازه وإعلائه، والممد بالظهور والنصر لأوليائه، فعلينا امثال أمره، وعليه سبحانه إمدادنا بنصره، فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون، والسلام.

قال صاحب الابتسام: انتهت هذه الرسالة من خط ابن إدريس وعلى هذا المساق الرسائل التي كان يبعث له منذ ظهر إلى أن غبر وانقطع منه الأثر هـ لفظه.

ومن تأمل بإنصاف تصريحات المرحوم المنعم الأمير أبي عبد الله محمد نجل الأمير عبد القادر المذكور في مؤلفه تحفة الزائر صحيفة ٢٠٦. وصحيفة ٢٠٧. وصحيفة ٣١٧: علم علما يقينا صدق ما ذكرناه، ولم يبق له أدنى ريب في حسن نوايا الجد ابن هشام وإخلاصه للأمير عبد القادر وموازرت له وطهارة سريرته نحوه، وإبدائه النصائح لسموه وسعيه في إزالة ما ينشأ من خلاف أو سوء فهم بينه وبين غيره من المجاهدين المدافعين، ولكن لما رأى استيلاء الأجنبي على بلدان المغرب الأوسط واحدة تلو الأخرى حتى اضطّر الأمير عبد القادر إلى الفرار من بلده والحلول بأطراف إيالة المغرب الأقصى ومد الأجنبي بسبب ذلك يد العداة والانتقام في بعض الثغور المغربية وأطراف الإيالة السلطانية، وألجأ ذلك الجد ابن هشام إلى مناشبة الحرب مع الجند الفرنسي، وكان له الظهور على الجند المغربي لعدم تكافؤ القوتين، وعدم اتحاد القلوب، وغير ذلك من الأسباب التي لا تكاد تعزب عن المطالع اللبيب.

وهجمت بوارج فرنسا على ثغرى طنجة والصويرة، وقذفت أفواه مدافعها الكور عليهما على حين غفلة، واحتلت وجدة وضيقّت على سلطنة المغرب برا وبحرا، وصمم الجيش الفرنسي على اقتفاء أثر الأمير عبد القادر حيث ما حل

وارتحل، والأمير عبد القادر إذ ذاك حال بتخوم الإيالة السلطانية على مقربة من فاس، وفرنسا تعلن استرعاءها على أمير البلاد مشددة في مطاردة الأمير أو الإيذان بالحرب.

وتحقق السلطان العجز، وأن لات حين مناص، وليس بعد العيان بيان طلب أولا من الأمير الجنوح إلى الصلح حسبما في تحفة الزائر، وأبدى له نصائح وإرشادات وتكفل له بكل ما يضمن راحته وراحة أتباعه، فأبى الأمير ذلك كل الإيابة، كما في تحفة الزائر.

ثم طلب منه بعد ذلك مبارحة إيالته التي أصبحت في خطر عظيم، تهددها القوة الأجنبية برا وبحرا وفي هذه الظروف الحرجة صدر من المهاجرين من بنى عامر - الذين كانوا ارتحلوا لبلاد السلطنة المغربية مغاضبين فأواهم السلطان وأكرم وفادتهم ونزلهم وأقطعهم أرضا للحرثة ذات أهمية كبرى وبسائط خصبة - ما صدر من مقابلتهم الإحسان بالإساءة، ووقع الهرج والمرج بسبب ذلك داخل الإيالة وفي أطرافها والقلوب مندملة، وفتنة الودايا ومن شاكلهم حديثة عهد، واتسع للمرجفين ومن في قلبه مرض المجال.

فلم يبق والحالة ما ذكر لأمير البلاد بد من القيام على ساق في أعمال اللازم في إطفاء ما تأجج من نيران الفتنة، ودفع الضرر المحقق لحوقه لقطره المغربي، ورعيته المسئول عنها قبل أن يحقق بهما ما حاق بجيرانها أهل تلمسان وغيرهم، وقد تحقق من نفسه ومن إيالته عدم القوة في ذلك الوقت على التسرع للحرب، وأن الإقدام على ذلك والحالة ما ذكر غير جائز سياسة وعقلا وشرعا.

قال ابن يونس في ديوانه الذى قيل فيه إنه مصحف المذهب.. التسرع في غير قوة يورث النكث، آخر الحرب ما استطعت، فإن النفقة فيها من النفوس هـ.

وقد اضطر سلطان المغرب لما ذكر، وشرح للمهادنة وعقد الصلح مع فرنسا وقبول شروطها فيه، إذ يتعين على المكلف بالنظر في مصالح المسلمين الاهتمام بدرء المفاسد أكثر من الاهتمام بجلب المصالح وسد أبواب الخرق الذى يتسع على الراقع، ولا خلاف فى جواز الصلح مع العدو وإن كان طالبا إذا دعت الضرورة لذلك إبقاء على المسلمين وبلادهم، وأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

وقد نقل الشيخ بنانى فى الفتح الربانى لدى قول خليل المبين لما به الفتوى: وللإمام المهادنة لمصلحة ما نصه ابن عرفة المازرى، لا يهادن الإمام العدو بإعطائه مالا لأنه عكس مصلحة شرع أخذ الجزية منهم إلا لضرورة التخلص منه خوف استيلائه على المسلمين، وقد شاور عليه السلام لما أحاط القبائل بالمدينة سعد بن معاذ وسعد بن عباد فى أن يبذل للمشركين ثلث الثمار، فلو لم يكن ذلك جائزا عند الضرورة ما شاور فيه هـ إلخ. ومقتضى الاستثناء فى قول ابن عرفة أن لا محذور فى المهادنة مع الضرورة، قاله سيدى عيسى السجستانى فى أجوبته هـ.

ومن قواعد مذهبنا المالكى الضرورات تبيح المحظورات، وما شرحناه هو حقيقة الواقع، والحق أبلج، وقد ذهب المغرضون فى نشر هذه الأحدثات التى هى من أعظم المواقف فى تاريخ المغربين كل مذهب، وعند الحق الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، تجتمع الخصوم وتنكشف الحقائق ويقتص من الظالم والمظلوم.

هذا وفى عام ١٢٦٠ كتب له بما نصه من أصله:

«المقام الذى أعلى الله قدره. وشرف فى العالمين ذكره، مولانا الإمام. خلاصة آل الرسول عليه الصلاة والسلام، جلى المناقب، وجميل العواقب، أمير المؤمنين. المجاهد فى سبيل رب العالمين، محل اليمن والأمان، ومعدن الخير

والإحسان. سيدنا ومولانا عبد الرحمن، لا زالت مواهب الله على قلبه هائمة الانسجام، وعوارف معارفه دائمة الازدحام، وسلام على تلك الحضرة العالية بالله ورحمة الله وبركاته وتحياته دائمة متوالية.

هذا وقد وصل كتاب مولانا الشريف. العلى القدر المنيف، فاستفدنا منه سلامة سيدنا التى محمد وتشكر، وتذكر ولا تنكر، أدام الله وجودكم للمسلمين، وأبقاكم رحمة للعالمين، وما ذكر سيدنا من قدومنا وانتداب المسلمين للجهاد فما قصرنا فى ذلك بوصولنا تلاقينا مع هؤلاء القبائل، وقرأنا عليهم أمر سيدنا وأجابوا بالسمع والطاعة، وشرعوا يتهيئون للحركة، وبعثنا أمر سيدنا لزيان، وكنا فى انتظارهم فنحن على ذاك، إذ سمعنا بخروج سيدنا من الرباط، فلم أدر ما السبب فى ذلك؟ والتبس علينا الأمر، وبلغنا خبر جيش وجدة، وكذلك خبر الصورة وما حل بأهلها، فتأسفنا على ذلك الغاية، والحمد لله على سلامة ولد سيدنا سيدى محمد ففى سلامته سلامة المسلمين، والعاقبة للمتقين.

ولما وصل كتاب سيدنا زال اللبس علينا وهانحن بصدد القدوم مع المجاهدين، وانتداب من طابت نفسه من المسلمين للمحل الذى أمر به سيدنا بإثره عاجلا إن شاء الله، مستعينا بالله وعلى محبتكم وودكم، سائلا دعاكم وملتمسا رضاكم حالا ومآلا، والسلام على سيدنا ورحمة الله، وفى ٩ رمضان المعظم عام ١٢٦٠.

محبتكم ابن داوود بن العربى لطف الله به».

ومما كتب به للبعض من إيالته فى الموضوع أصله بملف أوراق الحدود المغربية الموجود بمستودع الأوراق بالحضرة السلطانية، من الرباط، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خدامنا الطرفى الباقيين مع جماعة المسلمين، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا انحراف إخوانكم عن الإسلام ودخولهم فى حزب الكفر وشيعته، واختيارهم للكفر عن الإيمان، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى، وركوب ما يجلب سخط الله اليوم وغدا.

وقد كتبنا لكم هذا الكتاب غيرة على جانبكم وموعظة لكم ولإخوانكم، فإذا قرأتموه تقدموا لإخوانكم بالتذكرة والموعظة، وحذروهم سطوة الله وغضبه النازل على من والى الكفر وشيعته، وبالغوا فى تذكيرهم ووعظهم لعل الله أن ينفعهم بذلك فيستيقظوا من غفلتهم ويرجعوا من ضلالتهم، ففى الحديث: لأن يهدى الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس، وإياكم أن يستفزكم العدو الكافر بخداعه، فإنما ذلك كالسراب سيضمحل عن قريب، فعضوا على دينكم بالنواجذ، وأخلصوا النية فى جهاد عدوكم بحسن يقين بنصر الله وإعلاء دينه على الدين كله بوعده الصادق، وقوموا على ساق الجد فى مقاطعة الكافر، ومصارمة أهل شيعته، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ...﴾ [المائدة: ٥١] وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ونأمركم أن تكونوا يداً واحدة، ونفساً متحدة مع البركة السيد الشيخ بن الطيب البكرى، فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، وقد أمرناه أن يصلح بينكم وبين إخوانكم قبائل الصحراء، حتى تكونوا معهم يداً واحدة على أعدائكم كما كنتم من قبل، لتربحوا وتنجحوا، ولا تقصروا فى إرشاد إخوانكم حتى يرجعوا إليكم ويعمروا البلاد معكم، فإن الفرنجيين لا يأنفون من هذا ولا يكرهونه ولا يتعدون الحدود، ولا يطمعون فىمن هو من إيالتنا وإيالة أسلافنا قدسهم الله، وذلك لما جددنا معهم من الهدنة وعقدنا من المصالحة والسلام وفى ٣ رمضان المعظم عام ١٢٦١هـ.

وفى عام ١٢٦١ كتب لمجاط بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:
«خدامنا قبيلة مجاط كافة وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى
وبركاته.

وبعد: فقد كان أخبرنا خديمنا ابن حد الشعيوى، بأن الخارجين عليه من
إيالته رغبوا فى الرجوع إليه، والبعض من إيالة وصيفنا الجيلانى بن بوعز ذبحوا
عليه راغبين فى الدخول فى ولايته، فوجهنا كتابنا صحبة وصيفنا المعطى الزعرى
لاختبار صحة ذلك من عدمه، لأننا نريد لكم الصلاح والسكينة وما يعود عليكم
بانتظام الأمر وحسن الخدمة وصلاح الأحوال، ولو علمتم ما نحب لكم من الخير
ونؤمله لكم من الصلاح لبذلتم أنفسكم وأولادكم فى الطاعة والخدمة، وعليه فها
نحن أقررنا وصيفنا الباشا المذكور على من كان فى ولايته، ومن رغب فى
الانحياش لإيالته منكم، وأبقينا خديمنا القائد محمد بن حد الشعيوى على من
بقى معه حسبما بالرسم المشهود عليكم، ونأمر الكل بالسمع والطاعة وحسن
الخدمة والاستقامة، ومن حاد منكم عن الخدمة ورام نقض ما شهد به عليه فلا يُلْمُ
إلا نفسه، ولا يضر إلا رأسه، وفقكم الله والسلام وفى ٢٨ محرم الحرام فاتح عام
١٢٦١».

وكتب للفقيه القاضى سيدى محمد بن عبد الهادى فى شأن شراء الأصول
بتاfileالت بالطابع الصغير بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه» بما نصه:
«ابن عمنا الفقيه سيدى محمد بن عبد الهادى أعانك الله، وسلام عليك
ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغت موجبات بيع المواضع التى أراد مولاي اليمنى بلغشى
وحفيده بيعها وتقويمها بسوم الوقت صحبتهما، ولم نشتر شيئاً من ذلك، إذ لا

يشترى الأصل من لم يكن عنده من يقوم بصيانتة وحفظه وخدمته، فقد بلغنا ما يقع فى أصلنا هناك من تفريط الخدام والوصفان فيه وعدم خدمته وتعريضه للتلف وضياح غلته، وليس من الرشد أن نعهد إلى شراء أصل آخر ونعرضه للتلف أيضاً، فإنما يشترى الأصل ويغتب بزيادته من عنده من يقوم على حفظه وخدمته من ولد أو ابن عم أو خديم أو وصيف حازم، والله يعينك والسلام فى ٣ رمضان عام ١٢٦١هـ.

وفىها اخترع العسكر على الهيئة المنظمة وضمه إلى جيوشه وكلف بتنظيمه على نسق النظام التركى عامليه اشعاش وازطوط، ولكن لم يتم بذلك أمر لأنفة الناس مما لم يألّفوه، وما انتظم فى ذلك السلك غير من لا يؤبه من أخلاط الرعاع، فارتكبوا ما هو من شأنهم من كل شنيع، فاغتاز المترجم بذلك وأمر بتركه وإبطال العمل به.

وفىها وجه عامله على ثغر تطاوين سفيراً لفرنسا، وفى معيته جماعة من أعيان الثغر المذكور، ووجه معه وحوشا وخيلا وطرفا واحتفلوا لمقدمه بباريس احتفالا عظيما، وبالغوا فى إكرامه، وقاموا بضيافته أتم قيام، وأطلعوه على معامل السلاح والمقومات الحربية، ثم بعد قضاء المأمورية التى توجه من أجلها وأوبته للحضرة السلطانية ورد باشدور فرنسا لرد الزيارة والسلطان يومئذ بمراكش، وكان نزول الباشدور المذكور بثغر الجديدة فى مقدمه هذا سادس عشرى قعدة عام اثنين وستين، ووصله لعاصمة الجنوب فى الثانى عشر من ذى الحجة، وورد فى معيته من أهل طنجة والجزائر خمسة عشر رجلا، ومن الفرنسيين تسع وعشرون، ومن اليهود عشرة، فأكرم وفادته وأنزله بالبستان المعروف إلى اليوم بالمأمونية، ورتب له جراية وافية مياومة أربعة رءوس من الضأن، ونصف ثور، وماتتى خبزة، وخمسين

دجاجة، وثمانية أرطال من الشمع، وما يناسب ذلك من السمن والزيت والخضر والحليب والزبد.

وفى اليوم الثالث من أيام وصوله صدر إليه الإذن بلقى السلطان، وفيه كان اقتباله له أمام قبة الصويرة الشهيرة بعاصمة الجنوب، والمترجم ممتط ظهر جواده، والجيوش والوزراء وأعيان الدولة مصطفة عن اليمين والشمال، ثم تقدم السفير وقدم ما أتى به من الهدية ستة مدافع نحاسية من الطراز الجديد محمولة على كراريط مزخرفة، وما يحتاج إليه كل مدفع من الإقامة، وأربعة أفراس من إناث الخيل العتاق، ثم ناول الكتاب الذى أتى به للحضرة السلطانية فناوله السلطان لقائد مشوره ففتحه وناوله للترجمان فقرأه أمام صاحب الترجمة، ولما ختمه وأحاط المترجم علما بما حواه كان من جملة ما شافهه به أن قال له: سنكون معكم على ما كان عليه أسلافنا وأنتم جيراننا لكم علينا حفظ الجوار، وقد كنا قبل نسمع عنكم ما لا يليق، أما اليوم فقد تحققنا صدق محبتكم فى جانبنا.

وإننا مستعدون لقضاء شئونكم، ثم دخل جنانه، ورجع السفير لمحل نزوله، هذا ملخص ما أفاده بعض من شاهد ما ذكر من حذاق الكتاب فى مقيداته، وكان إبحار هذا السفير من ثغر السويرة، كذا قال بعض كتاب الدولة العبد الرحمانية فى بعض مقيداته.

وفى عام ١٢٦٢ كتب لأبناء عمه بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:
«أبناء عمنا الأشراف، أهل قصبة سيدى ملوك، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابكم، وعرفنا مضمونه وما ذكرتم من حطنا من قدركم، وأنا لم نحركم مجرى أسلافنا الكرام قدسهم الله من الاعتناء بكم، والدفاع عن

حوزتكم، فمعاذ الله أن يصدر ذلك منا، وحاشا الله أن نسلمكم أو نهملكم مع أنكم من خيار أبناء عمنا وأرضاهم وأحظاهم لدينا، وما طلبتم من أمرنا الشريف بتقويم بلادكم لتبيعوها لجانبنا العالى بالله، وتنتقلوا منها لسكنى مراكشة حيث تخيرتموها لشبهها بالصحراء، فاعلموا أن بلادكم لا تصلح إلا لكم، وعن قريب ينجلي هذا الغبار، ويأخذ الله أهل الفساد الفجار، ويرجع المخزن إلى نصابه، والصلاح إلى أحزابه، فإن مع العسر يسراً، إنَّ مع العسر يسراً، والسلام وفى ٢٤ ربيع الأول عام ١٢٦٢».

وفى عام ١٢٦٣ كتب لولده الخليفة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا الأبر الأَرْضَى، سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فيرد عليك كتابان لولد الشبلى فى شأن خديمتنا الحسين الجروانى، طالعهما لتكون على بصيرة فى أمره، فقد عجز الذين معه عن مقاومة بعض زمر ولم يقوموا به، فكيف بعداوة بنى مطير! والعاقل لا يرتكب ما لا يقدر عليه، ولا يسعى فيما يجر الغلبة إليه، فلا بدَّ اسعَ فى إطفاء نار الفتنة الشائرة بين القبيلتين، وباشر الصلح بينهما حتى تضع الحرب أوزارها، وتذهب الشحناء بين الفئتين.

وقد تواتر لدينا من كتب العمال ولد الشبلى وغيره، ارتكابه للخوض والسعى فى إثارة الغوغة على العمال ومواعدة فسدة القبائل بالولاية، حتى تشوف لذلك كل قاطع ومارق، وأن الواقع فى بنى حسن، إنما هو بسببه لسعيه فى ولاية العامرى بن إدريس وتسريحه، وقد كان حاول ذلك لما كان هنا وتكلم حتى فى هذا أخ عق أرح الذى وجهنا، ولم نساعد على شىء من ذلك، ولما قدم وجد فيك محل قبول لذلك ومساعدة، ونحن لم نكره ولاية العامرى، واستقامة بنى

حسن معه، لأنه ولد الدار وله، ولسلفه صالح خدمة ونصيحة وقدم صدق فى الحزم والنجدة، غير أنه خلط ولم يتبع سيرة سلفه وتخلق بأخلاق البربر وآثرهم على العربية، وأراد جعل قدمهم على رقاب بنى حسن، وسعى فى وطئهم بهم، وجعلهم مخزنا عليهم مع فسادهم، وخصهم بإعطاء جيد خيل بنى حسن وتفريق مال الله الذى جمع عليهم، وجعلهم وزره وحاميته، حتى أعلام المخزن التى كانت عنده أعطاها لزمور، ورضى بالدنية لهم التى لم يرضها أسلافه من قبل، حتى عقد حلف الطاظة معهم، الذى لا يرضى فعله ذو نفس أبيه، وهمة عربية، من ارتكاب عاداتهم الجاهلية فى ذلك من الاجتماع معهم على طعام مخصوص، والمشى إليهم حافيا عارى الرأس، ليكمل العقد ويطمثوا إليه، ويصير من جملتهم، وقد اقتدى به إخوانه وغيرهم، وتخلقوا بهذا الخلق السيئ الشيطاني، وقد كان بنى حسن أشداء على عداوة البربر، ساعين فى قمعهم، مثابرين على قتالهم، لا يرضون بجعل العافية معهم فضلا عن مؤاخاتهم ومحالفتهم، وبذلك صلاح زمور واستقامتهم، فانظر إلى ما رجعوا إليه اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، مع أنه من المعلوم المجرب أن ولايته عليهم لا تعقب إلا بالفتنة والاضطراب، كالواقع الآن وسعى الجروانى فى هذا وشبهه ليس فعل عمال النصيحة وولاية الصلاح.

وقد سرى ذلك حتى دخل فى الغرب، فقد لقيه الحباسى بمكناسة، وأهدى له بغلة ووعدته بالولاية، وصار يشنع ذلك ويشيعه فى آذان العامة مع سكون أهل الغرب ورضاهم بولاية عاملهم لما مسهم من الراحة وعمهم من العفة وحسن الملكة، وأعلمناك بهذا كله لتكون على بصيرة، وتنظر فيه بحسن النظر، وتتنبه لما وقع وصدر، وتكشف عن حقيقة ذلك وصحته من عدمها، ونحن الآن نراعى أمر الفتان الحاج عبد القادر، فقد بلغنا استفحال أمره، وانتشار ضره، ونريد من يسعى

فى أمر الألفة والجماعة ما أمكن، لىكون ذلك عوناً على ما يحاول من اجتثاث أصله، وحسم مادة إفساده، ولا شىء أعون على ذلك من إصلاح القبائل، واستقامة خدمتها، وهذا الحباسى لا يبعد وقوع هذا منه لخفته وطيشه.

فبوصول كتابنا هذا إليك، وجه عليه كأنك احتجته لغرض، ووجهه موكلات به من يحفظه من غير كبل ليد اشعاش لتطوان، ومرة بثقيفه كما كان عبد الله بن القرشى عنده وعند والده من قبل، وهذا الأمر لا تظهره للجروانى، ولا يشم له رائحة، إذ ربما يسوء ظنه لأن طبعه جاف يأبى قبول النصح ويشمئز منه، إنما أردنا بهذا كله تبصرتك وتنبهك لتتفطن وتكون على بال، والسلام فى فاتح جمادى الثانية عام ١٢٦٣هـ.

ثم كتب له بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بسلامة تلك النواحي وسكون قبائلها وانتفاء ما كان من الخوض والاضطراب فيها، فالحمد لله، فهذه النواحي كذلك، زاد الله المسلمين صلاحاً وألهمهم رشداً ونجاحاً آمين، وقد وصل كتاب ولد أب محمد مخبراً بما أعقب قتال فسدة غياثة من دخول الرعب فى قلوبهم وقلوب جيرانهم، حتى قدموا عليه راغبين فى معونة المحلة لظهور ثبات الجيش السعيد، وإقدامه وفتكه فى المتجاسرين عليه، وعلمنا من جوابه عتابك له على الواقع، ولعل ذلك خير، فإن غياثة لثام لا ينبغى إلا أن يقابلوا بالجد والقوة، وأن يهانوا ولا يكرموا، وليسوا أهل مكرمة، إن قوبلوا بالبشاشة واللين رجعوا وراعوا بل عند ذلك يزدادون جسارة وتعتنا:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وإنما اللائق هو مقابلتهم بالشدة، وأخذهم بالعنف، ليلزموا طورهم، ويعرفوا قدرهم، فقد جربناهم وخبرناهم، وتعرفنا ذلك من طباعهم أهلهم الله، ومع هذا النازل بهم ورغبتهم فى الصلح لا تركن لما أظهروا ولا تغتر بسكون الفتان، وخذ الأهبة والاستعداد بعمارة تازة وشحنها بالرماة النفاة، التى تكون حامية ومنعة، مثل رماة العرب دخيسة مائة، وأولاد نصير مائة، وذوى منبع خمسون، والشجع خمسون وثلاثمائة أو أربعمائة من رماة الجبل إيالة الصنهاجى وفرجى .

ورتب لهم الكفاية، فإن الرماة أكثر معونة وأقل ثبوتة، حتى إن كان الطول يملهم اجعل لهم الإدالة يتبدلون بعد الشهر أو الشهرين، ولا يلحقهم ملل ولا ضجر، وهذا العسكر النظامى حيث ظهر ثباته وإقدامه ونكايته فى العدو استكثر منه على قانونه وإعداد عدته، وقد أخبر ولد أب محمد أن سبب اضطراب تلك القبائل هو ما ألقاه الوزغ ولد بوزيان مما كنا منيناه به، حين كان بحضرتنا الشريفة، وذلك إنما كان منا على وجه المدافعة والوعد، حيث أكثر الإلحاح والرغبة، وإلا فأى فائدة ظهرت على يد الكرامة، وأى عائدة عادت على الدولة منهم حتى يجابوا لما طلبوا! وما أفسد قلوب تلك القبائل وكفرهم فى المخزن إلا ولايتهم لما يرتكبونه فيهم من العسف والظلم والبغى الخارق للعوائد حتى يختاروا الكفر عن عودهم لولايتهم، فكيف بالدخول فى حزب الفتان! فذلك أيسر عليهم من تحمل أعباء ولايتهم .

وانظر ما نتج منهم من كثرة الإرجاف وإلقاء الرعب فى القلوب مما سودوا به الصحائف، وطولوا وهولوا وخوفوا من أمر الفتان، وأنه قادم لتازة لا محالة، وطلبهم للمدد والخليل والعدة والمعونة بالعسكر وغيره .

وقولهم فى مكاتبتهم: إنه قال لهم إن أردتم الخير لأنفسكم تنحوا عن الطريق، وإلا فسيحل بهم ويحل، وذلك فتٌ فى عضد المخزن وشيعته وإرجاف، حتى كأنهم ينادونه هلم فليس هناك من يلقاك، أهلكهم الله وزادهم ذلاً وهواناً، فلا أضر على الدولة منهم، فإنهم الذين ربوا هذه الفتنة بإيواء الفتان ودائرتهم، وإظهار الإشفاق عليه والترغيب فى الإحسان إليه، وأن ليس مراده فى شىء إلا الحماية والمعيشة وهو يسر حسوا فى ارتغاء، حتى برز منه ما برز ولحقهم من شؤمه ونحسه ما صيرهم عالة ﴿... وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ...﴾ [الحج: ١٨].

وما ذكر على شأن الجيلانى بن العواد والشافعى وعدم نجاح سعيهما فى تلك الناحية، فالأمر كذلك، فالأول قائد فتنة لا زال لم يغسل عارها، وسبب محنة أصلاه ناراها مع خبث لسانه وعدم إحسانه، وأما الشافعى فلا يعرف صرف أهل تلك الناحية ولا الكلام معهم، لأن صرف الشاوية وكلامهم بخلاف هؤلاء، والموجه لهم ينبغى أن يكون به عارفاً.

واندب لكل مهم أهل بلواه.

وفى تكليف ولد أب محمد بذلك غنية فإننا نعرفه فى حال الخلافة خيراً دينا مع محبة وصدق لهجة، فهو أولى بالمباشرة وأحق بالتكليف، وقد مارس قبائل تلك الناحية وعرف أهلها وصرفها وحمد مسعاه وحنكته التجارب، والله ولى التوفيق والسلام فى ٦ رمضان المعظم عام ١٢٦٣هـ.

وفى سنة ١٢٦٦ كتب بعض أولاد سيدى الشيخ للقائد حميدة الشجعى يخبره بحالة قبائل الحدود بما نصه ومنه تعلم بعض الأسباب التى اضطرت المترجم إلى ارتكاب ما قدره الله وقضاه:

«محبنا الأرضى، الرئيس الأعز المرتضى، القائد السيد حميدة بن على، أعانك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه الأعم وتحياته.

وبعد: فإننا والحمد لله بتمامه لازلنا على عهدكم ومحبتكم، نسأل عنكم ونحبكم وندعو لكم، لكن بقى القلب متعلقا من أجلكم حيث لم يأتنا من لديكم كتاب ولا جواب مع قربكم منا ومحبتنا معك راسخة لا يفصمها عارض من العوارض... وأما خبر هذه الناحية فالسكوت عنه خير من الخوض فيه، فقد تراكمت أهوالها واشتدت أزمة الفتن حتى وصلت حدها، وخافت الناس سطوة العدو الكافر دمره الله، وهابوه لذلك لا سيما حيث أمنوا انتقام المخزن وعدم قيامه لديهم، فجدوا فى الفساد واتخذوه سبيلا، وامتألت بلاد الله بغيا وفسادا، وأكل القوى الضعيف، ولم يبق خوف ولا حياء إلا من الكافر لا غير، فلما ثار ذلك وشاع لديهم ذهب ميعاد المهابة بفرسهم وهديتهم للكافر يطلبون الأمان لأنفسهم، فتبعهم كثير من القبائل كبنى حمليل، وبنى بوحمدون وغيرهم، فأمنهم الكافر وأجابهم بما يقتضيه ظاهره، كما كانت عادته وباطنه على دغل يترقب الفرصة ويتهزها مهما وجدها، والناس فى وجل منه، والفساد بينهم لا حد له.

فأهل أنجاد يشنون الغارات على أطراف وجدة وبنى مطهر أكلوا مال بنى وكيل وبعض مال المزاوير معه بوترفاس بنفسه ولم يبق حسن ولا محسن، والجهة التى تلى الحدود كلها التجأت لإيالة الرومى ما عدا بنى يعلى مع أنهم بقوا فى حيرة من عدم الملتجأ، فهذا وجه ما عليه الناس فى نواحيننا كافة، نسأل الله السلامة لديننا ودياننا آمين، وحامله الطيب الطرشى منا وإلينا استوص به خيرا بارك الله فيك وأعانك، وعلى محبتك وعهدك والسلام فى ٢٨ ذى الحجة الحرام متم عام ١٢٦٦، ويسلم عليك أخونا كاتبه صح منه حمزة بن الطيب لطف الله به» من ملف أوراق الأمير عبد القادر المحفوظ بمستودع الأوراق بالقصر السلطانى بالرباط.

وفى عام ١٢٦٦ أحدث المترجم المكس أولا فى الجلود فقط بفاس وغيره من الأمصار، وذلك على يد المصطفى بن الجيلانى الدكالى، والمكى القباچ ثم أحدثه فى البهائم ثم تفاحش أمره من بعده.

وفى عام ١٢٦٧ أصدر ظهيرا نصه بعد الحمدة والصلاة والطابع الصغير: «يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره أننا أمضينا للتاجر الحاج قاسم حصار السلوى وشريكه ولد المسعودى بيع كنطردة الثيران التى يسقها جنس اللنجيز من طنجة وتطوان حرسهما الله تعالى مدة من عام واحد، يأتى من تاريخه على أن يؤدى لبیت المال عمره الله عشرة آلاف مثقال، الحق بالطرة وشريكه ولد المسعودى والسلام فى ١١ ربيع الأول عام ١٢٦٧».

وفىها كتب بعضهم للقائد فرجى باشا فاس الجديد واحد وصفان السلطان سليمان الممتازين كان بمثابة أحمد مولى إتاى، وكان له نفوذ شاسع ومكانة عالية فى الدولة العبد الرحمانية، ونص الكتاب بلفظه بعد الحمدة والصلاة:

«أدام الله سعادة الباشا الأمجد، الفارس الأنجد، الوجيه النزيه، الأفضل النبيه، الماجد الأكمل القائد فرجى أدام الله عزك بوجود مولانا المنصور بالله، وسلام تام شامل عام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأبد ملكه.

وبعد: فليكن فى كريم علم مولانا أدام الله عزه أننا لما توجهنا لهذه الناحية ما رأينا إلا الخير الكبير ببركة وجود مولانا أعزه الله، حتى وصلنا لعيون سيدى ملوك فالتقوا بنا كبار بنى يونس والنجع وهواره وفرحوا بنا كلهم فرحا كبيرا، ومانونا مئونة جيدة، وسرنا لوجدة فلما دخلنا والتقوا بنا أهلها سلموا علينا ومانونا مئونة ضعيفة ونفروا منا نفورا تاما خاصتهم وعامتهم، فغفلنا عنهم حتى ننظر مرادهم.

فلما كان بعد وصولنا بثلاثة أيام قدم^(١) كبار بنى يزناسن وشيخهم الحاج ميمون ليسمعوا أوامر مولانا المنصور بالله، فلما دخلوا عندنا اجتهد^(٢) أهل فى إقامة الفتنة وساروا يترددون فى الهجوم علينا وعليهم حتى لصبيحة غد خرج للسوق بعض من قدم معهم من أهل وجدة الفارين من البلد، فدفعوا عليه وهجموا على القصبة عن آخرهم بالعدة والسلام والبارود، وطلعوا على الأسوار واستولوا على القصبة، والتجار ينادون بالشرع ويستغيثون، ونحن نطفئ ذلك بأنفسنا، حتى قدم بعض من أشياخ العرب، فركبوا وركبنا، وخرجناهم سالمين، وحضر لطف الله فى الدماء والأموال والحمد لله، ولما وقع ذلك اجتمعوا بنى يزناسن وجميع عرب آنكاد وتعاهدوا على أن من حاد منهم عن خدمة المخزن يحرقوه أو يقتلوه واجتمعوا أيضا أهل وجدة وتعاهدوا على الفساد والعصيان، وساروا يكتبون الرومى دمره الله بما لا يليق، وهذا بإشهاد جميع التجار وغيرهم من أهل العدل والصلاح وهذا ما وجب به إعلام مولانا أدام الله عزه والسلام وفى ٣ شعبان الأبرك عام ١٢٦٧».

وفى عام ١٢٦٨ كتب بما نصه وهو يدل على اهتمامه بكل شىء بعد الحمدة والصلاة والطابع الصغير:

«وصيفنا الأفلاح بريك الحبشى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فيرد عليك صجة حامله اثنتان وثلاثون جلاسية^(٣) من الخليع البقرى، فيها ثلاث من البطون، فنأمرك أن تدفع لولدنا مولاي سليمان ثمان جلاسيات، ولمولاي عبد الله أربعة، ولمولاي الحسين أربعة، ولابنتنا زوجة سيدى

(١) فى المطبوع: «قدموا».

(٢) فى المطبوع: «اجتهدوا».

(٣) فى هامش المطبوع: «أوانى خزفية معروفة».

المهدى بن العربى ثلاثا، ولأختها زوجة مولاي الظاهر ثلاثا، والباقي وهو عشر جلاسيات ادفعهم لدارنا بآبار، واجعل ذوات البطون فى عددها لا فى عدد ما أمرنا بإعطائه، وحظ مولاي عبد الله ومولاي الحسين ادفعه لهما ولا يتصرفان فيه، بل أبقه تحت يدك حتى يدخل كل واحد لمحله، لأن مؤنثهما اليوم من دارنا، كما يرد عليك صحبة الحامل المذكور أربعة قناطير من الزيت، ادفعها للدار تكون بالخرزين أيضا، ومنه تكون عولة مولاي سليمان والسلام فى ٢٥ صفر عام ١٢٦٨».

وفيهما كتب القائد محمد بن عبد الصادق للمترجم بما نصه بعد الحمدة والصلاة:

«بعد تقبيل بساط سيدنا المنيف، ولثم قدمه الشريف، ثم الإعلام لمولانا أن الرومى دمره الله لما كتبت له قبل ورود الأمر الشريف، وطلبت منه أن لا يترك عساكره هناك، وأن ينهض من محل نزوله امتثل، لكن عدو الدين لا يؤمن بقى بمحله بعد بعث من حيز عليه من غير مضرتة لشيء وقوله لا ينهض حتى يتلاقى مع عبد مولانا، ويجعل معه العقدة التى يكون فيها الصلاح للدولتين، ثم بقى على حاله المذكور إلى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شعبان الأبرك ونهض لمرس قربه من قبيلة بنى يزناسن، إلى أن وصل ولم يجد الحال حيثئذ من أهل القبيلة المذكورة بالمرس المذكور إلا شرذمة قليلة من بنى خالد وبنى منقوش نحو المائتين، ومنعوه النهب من المرس المذكور وقاتلوه قتالا عظيما وردوه على عقبه، ومات من الجانبين من مات وانجرح من انجرح، ورجع لمحل نزوله.

ويوم الأربعاء من شهر الله رمضان وافانا نجل مولانا السعيد مولانا العباس بالمحلة السعيدة لتفرسيت، ولأقيناها بالفرح والسرور الواجب وكثرة المثونة، وساعة وصوله ورد علينا رقاصيص من وجدة وبنى يزناسن يطلبون التعجيل بقدمونا

لناحيثهم لما أصابهم من القلق ووفور الوجل ، ونحن ما ظهر لنا توجه لتلك الناحية بالمحلة السعيدة ما دام عدو الدين قربها، إلا أن أذهب بنفسى خاصة فى نحو مائة فارس وبعض أعيان قبائلنا الريفية بعد تركى المحلة السعيدة فى قبائلنا الريفية ناعمة بحمد الله بوفور المؤنة ونثوب عاجلا لقبض الواجب من القبائل الريفية التى هى أكد التقديم ، وفى ذلك مصلحتان : إحداهما لئلا ينسب الرومى لنا إعانة الرعية، الثانية التقديم منهم لأن النفع فيهم أكثر من غيرهم من القبائل الوجدانية ولراحة المحلة أيضا، ثم الإعلام أيضا لسيدنا أن بنى يزناسن آخذون فى خواطرهم ذاكرون أن مولانا سمع فيهم كلام غيرهم وقبض مساجنهم، وامتنع من تسريحهم، لأن الأشجاع إخوانهم وتحت كفالتهم، وكذلك من معهم من الثلاثة نفر لأنهم إخوانهم، ولم يكن بوجدة إلا سكانهم، وهم الآن مجموعون فى سجن فاس، وقد طلبوا منا الشفاعة فيهم المرة بعد المرة، وجوابى لهم أن الطاعة لا تكون بالشرط، وحتى الآن تعين علينا الكلام وظهر لنا أن الشفاعة فى شأنهم فيها مصلحة، حيث القبيلة المذكورة زرب الطرف قابضة على دينها وإيمانها أفضل من غيرها، فالمطلوب من سيدنا أن يجبر خواطرهم بتسريح المساجين المذكورين، وينفى عنهم الشك الواهى من أنهم فيهم غرض أهل وجدة، وهم الآن إخوان وذات واحدة وهم عمارة وجدة، ما عدا ابن زعيم، لا كلام لنا فيه .

والنظر فى هذا كله لمولانا والعبد على الخدمة طالبا من سيده صالح الأدعية والسلام وفى ٥ رمضان المعظم ١٢٦٨ ، مقبل الأرض بين يدى سيدنا، محمد بن عبد الصادق آمنه الله» صح من أصلها الموجود بمستودع الأوراق الرسمية بالقصر السلطانى من رباط الفتح .

ثم كتب أيضا بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير :

«خديمنا الأرضى القائد محمد بن عبد السلام بن عبد الصادق الريفى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة تعالى وبركاته .

وبعد: فقد وصلنا كتابك مراجعاً فيما أمرناك به من إسقاط الواجب هذه السنة عن فرقتى بنى منقوش وبنى خالد جبراً لحالهم، وإعانة على ما ضاع لهم، فذكرت أنك طالعت كبراء القبيلة كالخديم الأنصح الحاج ميمون وأشباهه، فنشطوا لذلك وفرحوا برد البال لهم، وكون الخاطر معهم، ثم ذكروا أن الذى تقتضيه المصلحة هو عدم الإسقاط عنهم وأحرى حيث ألفاك الحال قبضت منهم لا يناسب الرد لهم، لأن القبيلة تشوف لمثل ذلك لكون الجهاد وقع من الكل إلى آخر ما ذكرت.

أو أنك بعد ما أردت الشروع فيما أمرناك به من الكلام مع الرومى على الحقوق التى قبلهم ومحاججته ردك عن ذلك أعيان القبيلة مخبرين أن المصلحة فى عدم المراجعة الآن لليلة التى ذكروا، وأن مثل ما صدر هو كثير الوقوع من الجانبين من قديم، ثم يقع الصلح فى ذلك ووجهوا كتابهم بهذا، وأن ترحيل الشيخ سليمان العطاوى من المحل الذى هو به لا يناسب لما فى بقائه هناك من المصلحة، فاعلم أرشدك الله أن الذى يبلغنا ويظهر لنا نكتب لكم والعامل الناصح العاقل السديد الرأى يتأمل القضايا على مقتضى مصلحة الرعايا، ثم ما يرى المصلحة فى تنفيذه ينفذه، وما يرى المصلحة فى عدم تنفيذه يراجع فيه، ونحن لا نكره المراجعة.

والآن حيث اقتضى النظر عدم الإسقاط عن الفرقتين المذكورتين، وعدم الرد لهم فاترك ما قبضت منهم تحت يدك وأضفه إلى غيره، ولا ترد لهم شيئاً، فإنما ما أمرنا بذلك إلا جبراً لحالهم، وأما الجهاد فهو فريضة وفضيلة يتعين على كل أحد حيث يفجأ العدو، ثم حيث أشار أعيان خدامنا بنى يزناسن وفرهم الله بعدم الكلام الآن مع الرومى وأن الرأى تأخير ذلك، واستصوبت أنت إشارتهم فاترك الكلام معه، ولا تخاطبه فإن الحاضر بصيرة ويرى الشاهد ما لا يرى الغائب.

وكذا الشيخ سليمان البطباوى حيث كانت المصلحة فى بقاءه بمحله فاتركه فيه ولا تنقله منه، وأنت بصيرة ما يناسب فإننا نكتب على مقتضى ما يبلغنا، فما يكون صوابا وسداد نفذه، وما تأملته وكان الأمر على خلاف ما بلغنا فيه راجعنا، فإنك أصلحك الله من أهل العقل والتجربة والعراقة فى الخدمة، زادك الله توفيقا وإرشادا آمين، وما كان على خلاف الصواب ونفذته فالعهدة فيه عليك، والله يوفقك والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٢٦٨».

وفى عام ١٢٧٠ كتب بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرمى سىدى محمد أصلحك الله ورمى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فيصلك طى هذا كتاب وجهه الطالب عبد السلام بن عبد الكرىم جوابا عما قدمناه له من كتاب الزكاة، أخبر فيه عن حال القبيلة بما تراه فيه، ولا شك أن الزكاة فرع عما يزكى، وحيث كان حال القبيلة كما شرح، فمن كان عنده نصاب شرعى من زرع أو ماشية فليطالب بها على قدر ما عنده، ومن ليس عنده نصاب فلا يطالب بشىء.

وعلى هذا يكون العمل فى شأنهم لكن إن صرحنا لهم بذلك تشوف له غيرهم من جيرانهم، لأن تلك النواحي كلها هذا العام ضعيفة، والآن تأمره مشافهة حين يكون عندك فى العيد بأن يخاطبهم بأن من كان عنده شىء فليزك على ما عنده، ومن ليس عنده شىء يقول لهم: أنا أؤدى عنكم، ولا يطالب بعد بشىء من ذلك، وإنما يفرغه لهم فى هذا القالب للعلة المذكورة لأن أهل الغرب لا يقصرون إن كان عندهم ما يعطون، فينبغى الآن الرفق بهم والسعى فى جبر حالهم، لأن ذلك الظالم تركهم لحما على وضم كما يصلك بطيه أيضا كتاب وجهه عبد الكبير بن المدنى فى شأن ما كلفناه به من قبض ما تراه فيه من عند

رجلين ظننا أنهما معا بإيالته، فبوصوله إليك مُرَّ عبد السلام بن عبد الكريم بالقبض على ولد أخت الشافعى وأخيه المذكورين فيه وتوجيههما إليك، ثم وجههما لعاملها المذكور ليستخرج منهما متاع بيت المال، هذا وقد وصلنا كتابك وعلمنا ما فيه وتصفحنا ما أجاب به ابن عبد الصادق فى القضية المعهودة، وعلمنا من كتابه الذى وجهت سابقا ما أخبر به من رد الولد النصرانى لأهل ملته، وما ذكره فى شأن العداوة بين الريف والصنبول، وأن لا خير فى الهدنة بينهما، فذلك هو المقصود، لكن لو كانوا يقتصرون على مقابلة السيئة بمثلها مع الصنبول فقط.

وأما ما يفعلونه بالإنجليز وغيره من الأجناس البعيدة عنهم، فإنهم يجرون به كثرة الكلام والهرج.

وما ذكرت على الشريف الذى جاء يعرض بيع أملاك له باكحيك، فإن لنا هناك أصولا، فاكتب لوصيفنا الحبشى يقومها، ويوجه لك رسم التقويم ومواجب البيع، وادفع ثمنها للبائع أو لوكيله بعد تسليم الموجبات شرعا، وما طلبه مقدم الشيخ أبى يعزى من زليج البديع على المثل الذى كانت مزخرقة به القبة، فادفع له من الزليج الموجود فى الوقف لا غير، لأن الترقيع ليس كالبناء.

وما ذكرت فى شأن مجاط الذين قبضهم الطالب عبد السلام بن عبد الكريم الشعيوى ومن معه، فهؤلاء كانوا نازلين هنالك بالإذن قديما، فأمره بتسريحهم وإبقائهم هنالك، ونحن لما ألح علينا إخوانهم هؤلاء بالطلب فى جلب الفارين أجنبناهم لذلك، ومن كان له إذن كهؤلاء فليسوا منهم، وعلمنا ما ذكرت من توقف مولاى عبد الهادى فيما توجهه إليه من أمر الأصول على الإذن من قبلنا، فها نحن كتبنا له بذلك، وها كتابه يصلك طى هذا، فاختم عليه ووجهه له.

وأما الخطوشى فقد قدمنا لك أنه لا يوثق به، لأنه يقبض من البائع والمشتري ولا عليه.

وما ذكرت فى شأن الولد المقبوض فى جرح وصيف سمار من وصفاننا فانظر فى أمره، فإن كان من أهل الدعارة والفساد فألقه بالسجن ورتب له ما يقتات به، وإن كان لم يصدر منه إلا الجرح المذكور فهذا حق لنا قد سامحناه فيه فسرجه والسلام، ألحق بطرته مشافهة حين يكون عندك فى العيد، بعد تسليم الموجبات شرعا صح به فى ١ ذى الحجة عام ١٢٧٠ الحق بين أسطره شرعى صح به» صح من أصله.

وفى عام ١٢٧١ كتب أيضا بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«ولدنا الأبر الأرمى، سيدى محمد أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصل زمام أمناء فاس بصائر الشهر الفارط، وعلمنا ما ذكرت من صدق الحشم فيما ادعوه من ساقية الجديدة، كما علمنا كتبك لمولاي الصادق بما قدمناه لك وإعادتك الكتب له بعد ورود كتابه الذى وجهت بطيه، وقد تصفحناه وكتبنا له بما تراه طى هذا، فاختم عليه ووجهه له، والله يوفقه للقبول، ويصلك زمام رسوم ٤ وبطائق ٣ كانت تحت يد الأمناء تضمنت ما بذمم المذكورين فيها من صائرنا الموفر بالله، فأما ما بذمة دخيسة وأولاد نصير وذوى منيع فكلف عمالهم باقتضائه والإتيان به.

وأما ما بذمة بوزيان فعهدى أنى كنت أمرت بحياسة بلاده فى ذلك، فإن كانت حيزت فذاك، وإلا فأمر بحيازتها، وكان بذمته وبذمة إخوته أكثر من ذلك، فقد كنا سلفنا له لما كنا بحركة عين زورة أكثر من ألفين، فباحث الأمناء لعلهم أن يجدوا ذلك فى كناش الأمين الذى كان معنا وقتئذ.

وأما ما بذمة ابن المانع فإن كان ما يحاز منه فحزه، وأمر الأمناء أن يجعلوا لعبد الله العليج الذى بباب دارنا العالية بالله هنالك الوارد من المشرق كسوة تناسبه

من كساوى المخازنية، وأن يدفعوا له خمسة عشر مثقالاً، كما يصلك كتاب لابن عبد المالك الريفى، وآخر لقونصو الفرنصيص تطلع منهما على قضية وقعت بطنجة، وكنا كتبنا للخطيب لما ورد علينا كتاب ابن عبد المالك أن يحتج عليهم بأن هذا الرجل هم أتوا به من بلادهم بعد ما صدر منه معهم ما صدر، فهم يعرفونه ويعرفون حالته وأنزلوه عندهم وأجروا عليه مؤونتهم حتى صدرت منه هذه الواقعة، وكان من حقهم حيث أتوا به مع معرفتهم بحاله أن يسلموه لعامل البلد فى كبله فيعلمنا به، وننقله من هنالك ونعرف ما نسلك فى أمره حتى لا يصدر منه هذا ولا شبهه، فصاروا هم المتسبين فى قتل ذلك المسلم فهم المطالبون بدمه.

وأمرناه أن يسلك معهم فى القضية ما ينقطع به الكلام حتى إن رأى أنهم لا يريدون إلا القصاص، وأن لا محيد عنه، فليكتب لابن عبد المالك أن يقتص منه، لأنه قتل مسلماً عمداً، ثم بعد ختمه ورد كتابه فى القضية فاستدركنا له فى الكتاب المذكور، أن الذى يكون عليه العمل هو أن يحتج عليهم أولاً بما ذكر، فإن لم يفد فليسلك معهم مسلك الشرع، وما حكم به عليه العمل إن أذعنوا لذلك وإلا فليخبرنا، ولا شك أن الشرع لا يقتل مسلماً بكافر لكن هذا قتل مسلماً عمداً عدواناً ومصالحاً يجر بقتله ضرراً على المسلمين، فعلى كل حال استحق القصاص بقتل المسلم، وإذا كان كذلك فنخرج من باب واسع.

وقد ورد أخوك مولاي العباس أصلحه الله ومن معه، ووصلنا كتابك صحبتهم، وعلمنا تنفيذك لهم ما يحتاجونه لسفرهم وللطلبة ما أنعمنا به عليهم أصلحك الله ورضى عنك، ويصلك كتاب للطالب أحمد اللب وجهه له مع ظهير والسلام فى ٢٥ جمادى الأخيرة عام ١٢٧١» صح من أصله.

اهتمامه بأمور الدين

وصدور أوامره لولائه بجبر رعاياهم على إقامة رسومه

قال المشرفى فى شرحه للشمقمقية بعد ما نقلناه عنه صدر هذه الترجمة:

وكان - أى السلطان المولى عبد الرحمن - فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالمحل الذى لا ينكر، يأمر عماله بالرفق والسير الحسن فى الرعية والاستمساك بالسنة وعمارة المساجد واتخاذ الفقهاء يعلمون الصبيان بكل حلة ودوار، وينهاهم عن البدع والمحدثات التى أعظمها إشاعة الفاحشة والربا فى معاملاتهم، حتى ابتلاهم مولاهم بغلاء الأسعار والآيات التى نشأت عن أفعالهم.

وبذلك كتب لسائر عماله فى رابع جمادى الأولى عام سبعة وستين ومائتين وألف مكاتب فرقها جائلة فى الأقطار، تقرأ عليهم فى مساجدهم وأسواقهم وموضع اجتماعهم فى مواسمهم ما نصه فى النسخة التى بعثها لعامل الغرب المالكى القائد محمد بن الحاج الحباسى - فأقام ابن عمه الأستاذ الخير الفقيه ابن عبد السلام فى نفر من أصحابه وأهل شرطته، يدور فى المناهل ويطوف على كل حلة ويقرأ عليهم مكتوب السلطان، ولثقتهم وأمانته ومعرفة الناس له بأنه ابن عم الحاكم فيهم كى تأخذ بقوله وتنفذ ما أمر به السلطان - وفاتحة الكتاب:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، عاملنا فلان، سلام عليكم.

وبعد: فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ [النحل: ٩٠] وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَفْعَلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وكان النبى ﷺ يتخول أصحابه الكرام بالموعظة أحيانا مخافة السامة، ولنا فيه أسوة، لأن سنته لمن تمسك بها أوثق عروة، ولم يقبضه الله إليه حتى أكمل به الدين، وأزاح غياهب الشك باليقين، قال جل جلاله: ﴿... الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴿٣﴾ [المائدة: ٣] فتركنا ﷺ على المحجة البيضاء التي لا يحيد عنها إلا شقى، ولا ينحرف عن مناهجها القويم إلا غوى، فقد رغب وبشر وحذر وأنذر ولم يأل جهداً في نصيح أمته، وندب الناس للانخراط في سلك ملته، فجزاه الله عنهم أفضل ما جزى به نبيا عن قومه آمين، وأكد ما جاء به ﷺ قواعد الإسلام الخمس المشار إليها بقوله ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

«فالتوحيد أساسها وقطبها الذى عليه مدارها فالبداية به أهم، والعناية به أتم، ومعرفته على الوجه الأكمل الذى هو إقامة الدلائل والبراهين أولى، ليخرج المكلف به من ربة التقليد المختلف في إيمان صاحبه».

«والصلوات الخمس عمود الدين وذروة سنامه، فهي منه بمنزلة الرأس من الجسد، وقد وقع الحضر عليها في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كقوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وكقوله ﷺ: أول ما يحاسب عليه العبد صلاة الفريضة، فإن صلحت له صلح سائر عمله، وإن فسدت عليه فسد سائر عمله، وكفاها فضيلة وشرفاً أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله فيها، وتاركها يقتل حداً كما قال خليل في مختصره: ومن ترك فرضاً آخر لبقاء ركعة بسجديتها من الضرورى وقتل بالسيف حداً، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل هـ، ولها وسائل من طهارة حدث أصغر وأكبر وطهارة خبث وستر عورة واستقبال قبله، وغير ذلك مما لا بد من معرفته».

«الزكاة واجبة فى الحبوب والثمار والعين والأنعام على من حال عليه الحول، وكمل عنده النصاب، وهى أخت الصلاة قارنها الله بها فى غير ما آية من كتابه لكونها طهارة للأموال كما أن الصلاة طهارة للأبدان قال تعالى: ﴿... وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥] وقال عليه السلام حصنوا أموالكم بالزكاة والمال الذى أخرجت زكاته ليس بكنز فلا يدخل صاحبه فى الوعيد المشار إليه بآية (يوم يحمى) الآية».

وقال تعالى فى الحج: ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ...﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال عليه السلام: من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه، وفى حديث آخر: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).

«وقد تساهل الناس فى قواعد الإسلام المذكورة فتجد جل العوام لا يعرفون عقائد التوحيد ولو على سبيل التقليد المحض ولا يصلى، ومن صلى فإنما يعرف كيفية الصلاة بكثرة تكرارها ولا يعرف مسنونها ولا مفروضا ولا يحسن طهارة ولا غيرها من وسائلها، ويتثقل الكثير منهم عن إخراج الزكاة ويعدها من قبيل المغرم، ويتجاهر البعض بأكل رمضان من غير تكبير، وجل الصائمين يتهاونون بحقه، ولا يبحث عما يصح صومه أو يفسده، وبعضهم يصوم ولا يصلى، وفى الحديث: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه، لما يكثر فيهما من الرياء والسمعة ويتلبس فى سفره بمعاص كثيرة التى أعظمها ترك الصلاة فى وقتها، ولا يبالى مع كثرة الرفث والفسوق والله يقول: ﴿... فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

«وكما وقع التساهل الكثير فى أصول الدين المذكورة وقع التساهل فى فروعها بالأحرى كالجهاد فإنه وإن كان فرض كفاية يسقط الطلب عن البعض

بسبب قيام البعض به فرما يصير فرض عين إن فجأ العدو، وقال خليل فى مختصره: وتعين بفجأ العدو، وإن على امرأة، يحتاج الإنسان إلى نيته ومعرفة أحكامه وتعلم ما يقوى به عليه من رماية وفروسية وغير ذلك قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال عليه الصلاة والسلام: من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية.

«وقد أكثر العمال من التساهل فى أمر الزنى والسرقة والدماء واكتفوا فيمن ثبت عليه شئ منها بالسجن والذعيرة مع أنهما من الكبائر شدد الشارع فى أمرهما وعين فى كل واحد منهما مائة جلدة وأما المحصن فحده الرجم حتى يموت لأن السنة خصصت الآية وقال جل وعلا فى أمر السرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ [المائدة: ٣٨] وقال عليه السلام: لو أن سرقت لقطعت وذكر عضوا شريفا من ذات شريفة وحاشاها من ذلك وقال تعالى فى حق الدماء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى...﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ [٤٥] - إلى قوله (وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ) [المائدة: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [البقرة: ١٧٩] فهذه نصوص صريحة قاطعة لا تقبل التأويل، فالإعراض عنها إلى الحكم بالهوى والغرض الدنيوى إلحاد فى الدين، وخروج عن رتبة سيد المرسلين ﷺ وعلى آله قال تعالى: ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] وفى آية أخرى: ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] وفى آية أخرى: ﴿... فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

«ومن ذلك فساد المعاملات بيعا وغيره وتعاطى الربا بإسلاف الدراهم بزيادة أو كرائها بكذا لكل مثقال فى الشهر، مع أن الله شدد فيه لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...﴾ [٢٧٥] - إلى

قوله: (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) [البقرة: ٢٧٥] وقال ﷺ: لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده، وقال: من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به، وقال فى حديث: ولا فشا فى قوم الربا إلا أخذوا بالسنة».

«ومن ذلك تسلط الأسيخ فى نساء رعاياهم بالاحتيال بالقبض على من كانت عنده زوجة حسناء، حتى يتوصلوا للإفساد فيها، ومن ذلك فساد الأنكحة والتساهل فيها من خطبة الرجل على خطبة أخيه والدخول بالمطلقة قبل كمال العدة وغير ذلك من المنكرات، وأبشعها وأشنعها ما كان بلغنا عن فجرة الأسيخ والخلايف من بيع النساء، وصورة ذلك أن يرغب الرجل فى زوجة حسناء تحت آخر ويتوصل إليها بإغراء السيخ على زوجها بالقبض عليه، وتوظيف ذعيرة لا يفى بها ماله، فإن أدى ما قدر عليه تحمل عنه الراغب فى زوجته بالباقي ويتسلمها منه، ويجعلها فجرة عدول الوقت فى صورة خلع، وربما يدخل بها الراغب فيها قبل انقضاء عدتها».

«ومع شيوع هذه الحوادث الفظيعة، والبدع الشنيعة، فلا غرابة من حبس الأمطار، وارتفاع الأسعار واستيلاء العدو الكافر على كثير من الأقطار، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذه المسغبة التى امتحن الله بها عباده، وجعلها فيهم حكمه ومراده، أعظم الآيات التى قال الله فيها: ﴿... وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩] فليجهد الإنسان فى الإقلاع عن ذنبه، والرجوع لربه، حتى لا يكون ممن قال فيهم: ﴿... وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ [الإسراء: ٦٠].

«وقد غاضت حياض العلم وأقوت ربوعه، وضيعت من الدين أصوله وفروعه، وزهد الناس وخصوصا ذوى أمرهم فى الباقية، رغبة فى هذه الدنيا الفانية، مع أن مآلها إلى ذهاب، ومصيرها إلى عقاب، ولو استقام العمال

لاستقامت الرعية، لأن القوم على دين رئيسهم، فهم أولى الناس بالتفقه في الدين لتكون سيرتهم في الرعية على منهاج الشريعة، فإنه لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه كما في الحديث.

والعامل إن كانت بطانته صالحة، كانت أعماله جارية على الصلاح والسداد، وإن كانت بطانته على غير هداية، كانت أحكامه مخالفة للشرع فضلّ وأضلّ.

وقد كان العمال الأقدمون أهل الخير والدين ويقتدون بأفعالهم بالعلماء العاملين والأخيار الصالحين، ويعينون من ظهرت نجابته في قبائلهم على طلب العلم من محله، وأخذ من أهله.

واليوم تجد القبيلة الكبيرة من قبائل البادية ليس فيها عالم واحد يرجع الناس إليه في مسائل دينهم ونوازل أحكامهم، وما ذاك إلا للانهماك في زهرة الحياة الدنيا والإعراض عن الآخرة، وقد قال النبي ﷺ: خيركم من لم يدع آخرته لدنياء ولا دنياء لآخرته، فيجب على من ولاه الله أمراً أن ينصح لنفسه ولرعيته جهد الاستطاعة، فإن النبي ﷺ يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، ويحمل الناس على اتباع السنة والجماعة، ويزجر من قصر في دين الله وخالف أمره، ويبدأ بنفسه لينفع تعليمه ويقبل ما يقول ويسعى في إحياء العلم ما أمكنه فإن رفعه من أشراف الساعة، وتعظيم العلماء من تعظيم حرمة الله، والله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، ويلزم العامل كل دوار أو جماعة مشاركة طالب علم يرجعون إليه في أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس في أوقاتها، ومن لم يفعل زجره

وعاقبه، ويختار الأشياء من أهل الدين، ويرفع القضايا الشرعية لقضاة العدل الذين يتقون الله ويتحرون في أحكامهم.

ومن وجب عليه حد من حدود الله يرفع أمره إلينا لنأمر بإنفاذ حكم الله فيه، ولا يقال: فسد الزمان، وقل أهل الدين وفقد الناصر، فإن من قام لله وجد الله قال تعالى: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] فهذه تذكرة لمن تذكر، وتبصرة لمن تبصر، فاجعلوا ما اشتمل عليه هذا الكتاب نصب أعينكم، فإننا نصحناكم ولمناهج الشرع أرشدناكم، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، والله يوفقكم لما يحبه ويرضاه آمين».

قال المشرفي المذكور بعد جلبه لهذا الظهير: فلينظر العاقل إلى هذه الوصية الجامعة التي لم تصدر إلا من خليفة أو من ابن نبي ولى، جمع فيها بين علوم الشريعة والحقيقة، دلت على صفاء باطنه واتصافه بالعدل وإيثاره للدين على غيره، وإعراضه عن الأغراض المفسدة للطبع البشري، فيجب على كل خليفة وولى عهد من أمير ومأمور أن يحفظ فصولها، ويعمل بمقتضاها، ولذلك أدرجتها فى تأليفى هذا لناخذ قسطا من الثواب مع من عمل بها، فينبغى للحاكم أن يمشى على منهاجها فهى كرسالة مولانا على بن أبى طالب كرم الله وجهه للقضاة وأهل الفتوى، ولقد شاهدنا من لم يخالف أمره فنجح سعيه وصلحت أحواله ونتجت بخير قضاياها، ومن ادعى عليه أو خالف أمره واتبع هوى نفسه بدد الله شمله ومحا المولى سبحانه اسمه ورسمه.

وقضية الوداية، فيها الكفاية، فقد كانت لهم السطوة والجاه العريض الباع والخطوة، وحيث استخفوا بسلطان الله أهينوا، وكان عاقبة أمرهم خُسراً والذى قرأناه فى فنون الأدب أن ثمانية إذا أهينوا فلا يلومون إلا أنفسهم: من أتى مائدة

لم يدع إليها، والمتأمر على صاحب الدار، والداخل في حديث اثنين لم يدخله فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس في مجلس ليس له بأهل، والمقبل بحديث على من لا يسمعه منه، وطالب الرفق من أعدائه، وراجى الفضل من اللئام، وهى مجموعة نظما:

أحق بالصفع فى الدنيا ثمانية	لا لوم فى واحد منها إذا صفعا
المستخف بسلطان له خطر	وداخل فى حديث اثنين مندفعا
ومتحف بحديث غير سامعه	وداخل الدار تطفيفا بغير دعا
وطالب الخير ممن لا خلاق له	وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
وطالب الرفق من أعدائه وكذا	ضيف تأمر فاحفظها أخى لمعا

وقضيتهم مذكرة فى الحسام، وسببها أنهم كانوا هم الرؤساء على محلة مولاي على بن مولانا سليمان بتلمسان لكونه خليفة عن مولانا عبد الرحمن، فجاروا وعاثوا، وكرههم أهل تلك الإيالة لميلهم للطمع الدنيوى، ولا يمشون حكما على وجهه، فنفوههم وأعرضوا عن أحكامهم، وكم بلغوا أمرهم لمولاي على الخليفة بفسادهم وإشاعة الفاحشة منهم، فتارة يأمر بسجنهم ويسرحهم عند غيبة الشاكى، وتارة يوعدهم بالزجر، ولم يفعل، وحين تحققوا ذلك مدوا أيديهم فيهم، عند ذلك كرهوا البقاء هناك، ورجعوا عن غير إذن الإمام، وشهد عليهم الخليفة بذلك بين يدى السلطان فخلى سبيله لكونهم أكرهوه على الرجوع وعاقبهم بما هو معلوم ويستوجبونه، وذكرنا ذلك فى غير هذا، وكانت قبيلتهم مشئومة مهما وجدوا مندوحة لإثارة الفتنة أثاروها، فدعا عليهم العلامة السيد محمد بن أبى بكر بن عبد الكريم بن على اليازغى ثم الزهنى، فى قصيدة له حين أكلوا ملاح اليهود بفاس العليا وقت فتنة الفترة، التى كانت آخر ولاية مولانا سليمان مطلعها:

يا غارة الله عهد الله ينتظر
شنوا على ملة الإسلام غارتهم
سبوا نساءهم من بعد ما سلبوا
إلى أن قال:

يا أهل فاس سيروا بهم على مهل
تربصوا بهم بالسوء دائرة
تصبها راحة المنصور فوقهم
أه كلامه .

وقد وقفت على ظهائر شريفة للمترجم أصدر أحدها للقائد المهدي الشراذى، والثانى للقائد العربى السعيدى، كلاهما بتاريخ رمضان سنة ١٢٥٢، والثالث للقائد ابن عبد الصادق الريفى بتاريخ صفر عام ١٢٧٠ يأمر فيها العمال المذكورين بالاهتمام بإقامة قواعد الإسلام بمحل ولايتهم، وإرشاد الناس إليها، وتعليمهم أمور دينهم، وما يجب عليهم وجبرهم على العمل به، ويأذن بعقوبة من تهاون بذلك، ويستغرب سكوت العمال عن عقاب تارك الصلاة مع أنه أولى بالعقوبة .

وقد سبق تصريح المشرفى أنه كتب بتاريخ جمادى الأولى عام ١٢٦٧ لسائر عماله بهذا المعنى، كما عثرت فى بعض ظهائره الصادرة بتاريخ عام ١٤١ لرؤساء المراكب البحرية التجارية منها والحربية على الحض على التقوى، والصلاة لوقتها وقراءة القرآن^(١)، ويوصى بعدم حمل مثل الخمر والخنزير، ويوعده من فعل ذلك (١) فى هامش المطبوع: «هذا نظير ما أمر به السلطان المولى عبد العزيز بحرية «البشير» كما قدمناه» .

بالنكال، وتلك أدلة كلها تدل على مبلغ اهتمامه بالدين، وحمل الأمة على العمل بأوامره، وتجنب نواهيه.

وإليك نص ما وقفت عليه مما كتب به للقائد المهدي الشراذى الذى كان ادعى المهدوية وعتا وتمرد، مار الذكر آنفا، بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني:

«محبنا الم رابط الأرضى السيد المهدي الشراذى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الله سبحانه رضى لنا الإسلام ديناً، وجعلنا من أمة سيدنا محمد ﷺ الذى لم يخلق الله له فى الوجود قريناً، فمن اتبعه واقتفى ما جاء به فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن حاد عن سنته، فليس من أمته، وقد خسر خسراً مبيناً.

وقد بلغنا من غفلة الناس عن دين الله وتفريطهم فى جنب الله وإعراضهم عن أداء ما فرض الله عليهم ما حملنا على تنبيههم من سنة الغفلات، وإرشادهم لتدارك ما فات، بإصلاح ما هو آت ﴿... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ...﴾ [١١٤] [هود: ١١٤]، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾ [١٢٥] [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ...﴾ [٢٢] [الزمر: ٢٢] وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ...﴾ [الشورى: ١٣] وفى الصحيح عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا.

فاعلموا أن التوحيد أصل الإيمان، وبه يخرج الإنسان من ربقة الشرك وحزب الشيطان، وهو النطق بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ مع اعتقاد

معناها، والجزم بأن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] والسورة الجامعة للتوحيد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] وقد قال عليه الصلاة والسلام: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

فمن أخل بقاعدة من هذه القواعد الخمس فقد اختل إيمانه، ولا يخفى أن الصلاة هي عمود الدين وذروة سنامه، وقد ذكرها الله في مواضع من كتابه وأوصى عليها ومدح القائمين بها كما ذم من ضيعها قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ...﴾ [البقرة: ٣]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ...﴾ [مريم: ٥٩] الآية، ولا يكون القيام بها إلا بأدائها في وقتها بشروطها المعلومة شرعا، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [٣٦] رَجُلًا لَا تَلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [٣٧] لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

وقد قال عليه السلام أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله.

فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، ويجب حفظ أم القرآن، وسور منه للقراءة في الصلاة قال تعالى: ﴿... فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وآخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

وقد تواترت لدينا أن الناس أهملوا الصلاة رأساً، وتركوا ما كان عليه سلفهم من جعل المساجد في الحلل وترتيب الطلبة للأذان، وإقامة الصلوات وتعليم الصبيان، وهذه غفلة كبيرة عن الله، وتضييع لدين رسول الله ﷺ.

فإذا قرأت كتابنا هذا فمر كل أهل دوار من إيالتك بجعل مسجد فيه إمام راتب، وأجبرهم على إقامة رسوم دينهم، وإحياء سنة نبيهم ﷺ، بإقامة الصلوات في أوقاتها بشروطها المعتمدة شرعاً، فإنهم رعيتنا ينبغي لنا نصحهم وإرشادهم لما ينفعهم دنيا وأخرى.

قال عليه السلام: كلكم راع ومسئول عن رعيته، وقال: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. فمن قام بواجب ذلك وواظب عليه فقد استبرأ لدينه، وأدى ما عليه، ومن تراخى في ذلك وحاد عن سنن الدين فعاقبه بحول الله وقوته أشد العقوبة ولا يلم إلا نفسه.

وبث نسخاً من هذا الكتاب في إيالتك ليعم النفع به إن شاء الله وليعملوا بمقتضاه، والله يوفقهم لما فيه رضاه، وقد أذن لك في عقاب من لم يمثل بعد الإعلام، فأحق ما يعاقب عليه الإنسان دينه، وقد علمت أن سبب نزول المصائب غالباً من احتباس الأمطار وغيرها، التفريط في الدين، فلا بدَّ قُمْ على ساق الجد في هذا والسلام في ١٦ رمضان المعظم عام ١٢٥٢ هـ من أصله.

وبمثله ولفظه كتب للقائد العربي بن علي السعيدى بتاريخ ١٥ رمضان عام

١٢٥٢.



ظهير رحمانى للمقائد المهدي الشراذى بإقامة رسوم الدين وإحياء السنة
بكل دوار من إيلاته



ظهير رحمانى إلى القائد محمد بن عبد الصادق بإقامة رسوم الدين فى
البادية والزام كل دوار بمشارطة طالب علم يعلمهم وأولادهم الدين وقيم
الصلاة

ونص ما كتب به لابن عبد الصادق بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«خديمنا الأرضي، القائد محمد بن عبد الصادق الريفي، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمن أعظم من الله على هذه الأمة أن رضى لها الإسلام ديناً، وأتم عليها به النعمة قال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وأن الصلاة منه كما ورد بمنزلة الرأس من الجسد، فهي بعد التوحيد والإيمان بالله أعظم قواعده، وذروة سنامه ویتيمة عقد فرائده، حض عليها الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ...﴾ [طه: ١٣٢] وقال: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ [العنكبوت: ٤٥] وفي صحيح البخاري وغيره عن النبي ﷺ: بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً. وقال ﷺ: أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة إن صلحت له صلح سائر عمله، وإن فسدت عليه فسد سائر عمله، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وقد ذم الله قوماً بإضاعتها فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ...﴾ [مريم: ٥٩] وفي مختصر خليل وقتل بالسيف حداً، ولو قال أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل، ولا شك أن لها وسائل وشروطاً من طهارتى الحدث

والخبث، واستقبال القبلة مع الأمن إلى غير ذلك مما تتوقف معرفته على مخالطة العلماء الأخيار، وسؤالهم عنه كما يسأل غيرهم عن أمور الدنيا.

وقد بلغنا أن الناس تركوا الصلاة بالبادية وأضاعوها، حتى كأنها ليست من قواعد دينهم، وما ذاك إلا من غفلة العمال عن أمور الدين وصرفهم وجه عنايتهم للأغراض الدنيوية، وإعراضهم عن النظر فى الأمور الدينية الأخروية:

ما هكذا يا سعد تورد الإبل

إذا لم يكن دين فلا كانت الدنيا

إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فإن الله تعالى يقول فى معرض الثناء على العمال أهل الخير والدين، المقتفين منهاج سيد المرسلين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] وفى الحديث الشريف: خيركم من لم يدع آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته.

وما سمعنا أحدا من العمال سجن أحدا أو عاقبه على ترك الصلاة، مع أن تاركها أولى بالعقوبة وأحق، ولو أن العمال اعتنوا بأمور الدين لأعانهم الله على صلاح دنياهم قال تعالى: ﴿... وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ...﴾ [الحج: ٤٠] فيجب على كل عامل تحرى لدينه وأراد السلام لنفسه أن يتفقد أحوال إيلته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فيلزم كل دوار ومدشر مشاركة طالب علم يرجعون إليه فى أمر دينهم، وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس، ومن لم يفعل زجره وعاقبه فإن دين الله أولى ما يعاقب عليه العامل الرعية.

وقد ذكرناكم وأرشدناكم لأنكم مسئولون عن الرعية ونحن مسئولون عنكم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥] ألا هل بلغت، اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، وفقني الله وإياكم، وهداني والمسلمين إلى صراطه المستقيم وهداكم. آمين والسلام في ٨ صفر الخير عام ١٢٧٠هـ.

فهذه الظهائر الشريفة، والأوامر المنيفة، هي مرآة مكبرة لماضي صالح سلفنا الأكرمين، وأمرائنا العظام من الفتح الإسلامي إلى العصر الحاضر، لا يتقاعسون عن زجر وإنذار من حاد عن الطريقة المثلى والمحجة البيضاء، التي لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، تارة بالوعد، وأخرى بالوعيد، فلقد كان يهتمهم كثيرا تعظيم شعائر الدين ورعاية حرماته وإعلاء منار النظام الذي رتبته الله لخلقه، ورسمه بالشرعية، وأوجبه بالحكمة البالغة امتثالا لأوامر الخالق الرازق، ورضوخا لتعاليم الدين الحنيف، ولتحققهم أن الدين أكثر تأثيراً في بقاء الملك ورسوخ الدولة وجمع الكلمة في الدفاع عنها، وأن أهل الاعتقاد الواحد يعملون بقلب واحد ويد واحدة، ويعتقدون برابطة دائمة بينهم في الدنيا والآخرة، وأن أعظم واجب على السلطان القيام بحفظ الدين ووظائفه الشرعية حتى لا تزول عن أوضاعها، وأن وظيفة الملك قد علم بالضرورة أنها هي حراسة الدين لحماية الناموس.

والأوائل لا يسمون بالملك إلا من حرس الدين وقام بحفظ مراتبه وأوامره وزواجه، وأما من أعرض عن ذلك فيسمونه متغلبا ولا يؤهلونه لاسم الملك، وأن الدين هو وضع إلهي يسوق الناس باختيارهم إلى السعادة القصوى، والملك حارس هذا الوضع الإلهي حافظ على الناس ما أخذوا به، حتى إذا أغفل شيئا من حدوده دخل عليه من هنالك الخلل والوهن - وحيث تبدل أوضاع الدين ويجد الناس

رخصة فى شهواتهم، ويكثر من يساعدهم على ذلك، فتقلب هيئة السعادة إلى ضدها، ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض المؤديان إلى الشتات والتفرقة، وبطلان الغرض الشريف، وانتقاض النظام الذى طلب صاحب الشرع بالأوضاع الإلهية، فتحتاج الأمة إذ ذاك إلى تجديد الأمر واستئناف التدبير، قال حكيم الفرس وملكهم ازدشير: إن الدين والملك أخوان توأمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر، فالدين أس والملك حارس، وكل من لا أس له فمهذوم، وكل من لا حارس له فضائع.

إن الإسلام جاء بالحكمة والعزم هادما للتشريك بالكلية، ومحكما لقواعد الحرية السياسية المتوسطة بين الديمقراطية والأريستوقراطية، فأسس التوحيد وأظهر للوجود حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين التى لم يسمح الزمان بمثال لها بين البشر حتما ولم يخلفهم فيها بين المسلمين خلف، إلا بعض شواذ كعمر بن عبد العزيز، والمهتدى العباسى، ونور الدين الشهيد. فإن هؤلاء الخلفاء الراشدين فهموا معنى القرآن وما يدعو إليه وعملوا به واتخذوه إماما، فأنشأوا حكومة قضت بالتساوى حتى بينهم أنفسهم وبين فقراء الأمة فى نعيم الحياة وشظفها، وأحدثوا فى المسلمين عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعية، وحالات معيشية اشتراكية، لا تكاد توجد بين أشقاء يعيشون بإعالة أب واحد وفى حضانة أم واحدة، وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوى حتى فى القصص منه.

إن الحكومة الإسلامية مؤسسة على أصول إدارة الديمقراطية، أى العمومية والشورى الأريستوقراطية أى شورى الإشراف - وقد مضى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده على هذه الأصول بأنهم أكمل صورها، خصوصا وأنه لا يوجد فى الإسلام نفوذ دينى مطلقا فى غير مسائل إقامة

الدين . . . هذا الدين السهل السمع الذى رفع الإصر والأغلال وأباد الميزة والاستبداد.

ومما يدل على خضوع ملوكنا للشرع المطاع وتسوية أنفسهم مع أقل الرعية، أنه لما كان المولى عبد الرحمن صاحب الترجمة عاملاً وأميناً بالصويرة استقرض البعض منه مالا وبقي بدمته إلى أن نقل لخلافة فاس، ثم إلى أن تسلم عرش الملك، ومات المستقرضون، ولما طلب الأمير من الوراثة أداء ما على موروثهم من المال المستقرض طلبوا من السلطان إعمال الشرع معهم فى ذلك، فعين وكيلاً عنه لرفعهم لمجلس الشرع الحاج عبد القادر بنانى ناظر أحباس القرويين، والقاضى يومئذ مولاي عبد الهادى الشريف العلوى، وبعد تقييد المقال وإجراء المسطرة الشرعية وقع الحكم على الورثة بالأداء وعلى السلطان بيمين القضاء، ثم صالحهم الوكيل بحط قدر من الدين فى مقابلة اليمين فأجابوه لذلك، وتم الفصل وهذا يذكرنا بعدل الصدر الأول.

قال فى الترجمان العرب آخر ترجمة أبى الربيع فى حق السلطان أبى عبد الله محمد بن عبد الله ما لفظه: لما ولى خاله القائد قدور بن الخضر على قبائل الجبل وأمره بالخروج بالمحلة لقبض الزكاة والعشر فى إبان الخريف واقتضاها منهم ورجع، فكثرت شكاوى تلك القبائل بباب السلطان بأشيائهم فاستفهمهم السلطان عن العامل، فقالوا: ما رأينا منه إلا الجميل، وما تشكينا إلا بالأشياء، فوجه معهم رحمه الله أحد قواده بهذا الكتاب (من إملائه) ونصه:

«خالنا القائد قدور بن الخضر سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: بلغنى ما صار إليه حال المستضعفين من الرعايا الذين أسندناهم لنظرك، لتحفظهم بسمعك وبصرك، فتركهم فى حيز الإهمال، وليس هذا شأن من يتولى الأعمال، فنأمرك أن تخرج إليهم وقت قراءتك لهذا الكتاب، فى

خمسائة من الركاب، وأدرك هذه الغنم قبل أن تفترسها الذئاب والقبيلة التي تنزل عليها فأصل دعاويها، ورد مظالمها، وانتصف من ظالمها، ولا تكثر المقام وتطيله، واترك الطمع وسبيله، فإن ذلك مما يضر بالرعية ويجحف بالمال، والحظ عاقبة المآل.

والقبيلة التي تشتكى من شيخها لا تهمل أمرها، وابتحث عن حال الشيخ المشتكى منه، فإن كان ممن علم بالجور والتعدي فانتصف منه وأبدله بغيره، وإن كان الشيخ من أهل الخير ولم يعلم ظلمه فأقره على شيخوخته وافصل مسأله بوجه سديد.

وأصحاب الجنايات أحوالهم تختلف، فمنهم من يسجن ولا يطول سجنه ويمكث ثلاثة أيام أو أربعة تأديبا له ويسرح، ومنهم من يضرب ويسجن ويبقى الشهر والشهرين عقوبة له، وأما أهل الجرائم العظيمة مثل القاطع والسارق والهاجم والمتلصص وقاتل النفس، فالواجب أن تتصرف فيهم بالضرب والسجن، وقبض النصف، ويبقوا تحت يدك إلى أن تأتينا بهم وتخبرنا بجرائمهم، ولا تجعل فسحة في تسريحهم.

وأوصيك بتقوى الله والرفق بالمساكين، والضرب على أيدي الجبارة والمتمردين، فإن ذلك من القربة في الدين، وإياك أن تتعدى هذا الحد وتفرض على القبائل مالا أو تكلفهم لما لا يطاق من المئونة والسخرة، أو تظلمهم مظلمة، فما وجهتك في هذه الحركة إلا لرد المظالم وإقامة الحقوق لأربابها، ومن تجنب الظلم في هذا الحركة إلا لرد المظالم وإقامة الحقوق لأربابها، ومن تجنب الظلم في هذا فهو مأجور والسلام» وقد أسلفنا في ترجمة صاحب هذا الكتاب سيدى محمد بن عبد الله نصيحته للأمة كما قدمنا نصيحة السلطان المولى الحسن القرنية في ترجمته.

ومن هذا الباب ما كان من تحرى صاحب الترجمة المولى عبد الرحمن فى الأوقاف الدينية، فقد وقفت له على ظهير أصدره لناظر سلاً، أبى العباس أحمد عواد فى الموضوع، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع السلطانى بداخله «عبد الرحمن بن هشام الله وليه»:

«خديمنا الناظر الأرضى، الحاج أحمد عواد، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فدور الحبس المنفذة بأيدي الناس هناك أردنا التحرى منها، فإن كان من دور المخزن هناك ما يناسب فأعلمنا به لنكون ننفذ منها والسلام فى ٢٢ ذى الحجة متم عام ١٢٥٢».

ومن الباب ما كتب به وزير المترجم المختار الجامعى لعواد المذكور ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأود الأرضى، الخير الدين المرتضى، السيد الحاج أحمد عواد، سلك الله بنا وبك مناهج السداد، وبلغنا وإياك من رضاه غاية المراد، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فقد وصلنا كتابك واستوعبناه، وأطلعنا عليه مولانا فسر غاية، ودعا لك بخير، وحمد الله على وجود مثلك فى هذا الوقت، لأنه أيده الله لا يحب أن يتولى أمور المسلمين إلا من هو مثلك وهو ضالته المنشودة، وغايته المقصودة، فابق على عملك فإن الله يعينك ويسدك حيث لم تطلب هذا الأمر وما ذكرت فى شأن ما ضربه المتولى قبلك من المكوس وأحدثه من الأمور المذمومة شرعا وطبعاً، أسقطه واقطع مادته، فإن سيدنا لا يحبه ولا يرضى لولاة أمره أن يسمع عنهم ما يخالف الشرع والسلام فى ١٤ ربيع الثانى عام ١٢٤٧، وأسلم على الفقيه السيد

محمد عواد والحاج العربى معين والفقيه السيد التهامى مرسيل بآتمه وأزكاه
والسلام.

المختار خار الله له ولطف به»

ومن الباب أيضا ما وقفت عليه لولده السلطان سيدى محمد بن عبد
الرحمن ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الأمين، الحاج عبد الله حصار، وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود كتابنا الشريف عليك المتضمن
للجواب عما أعلمتم به جانبنا العالى بالله من الفصال مع الإنجليز فى فكاك دار
الأحباس بالعدد الذى قدره ثلاثة آلاف ريال، على أن يدفع خديمنا الطالب الطيب
ابن هيمة النصف الذى تطوع به، وأمرناكم بفكاكها من يد النصرانى، ولو أن يزداد
من بيت المال ضعف ما تطوع به الخديم المذكور حرصا على تطهير ذلك المحل،
وحتى إن توقفت فى خلاصه من يده على محل آخر غيره ويدفع له بالكراء
تفعلوا، وذكرتم أنكم أحضرت النصرانى المرة بعد المرة، واجتهدتم كل الاجتهاد فى
سل المحل من بين يديه أنت والأمين الذى معك، وذلك بمحضر القائد الطيب بن
هيمة وخوفتموه من جهة تسلطه على المسجد وغيره من مواضع البر، بطرق الشرع
والقوانين، وضيقتكم به غاية حتى أطاع بخروجه منه بمشقة، وطلب فيه ستة آلاف
ريال ومحلا يسكن فيه، فبالغتم فى الاجتهاد معه حتى أسقط ألفاً وتفاصلتم معه
بخمسة آلاف ريال، وعيتم له دارا مناسبة يسكن بها بالكراء من جهة كونها بين
دارين لتجار النصرى، وليس فى جوارها مسجد ولا زاوية ولا غيرهما من مواضع
التقرب، وأنها كانت فى القديم معدة للتجار، وكانت بيد نصرانى، ثم بيد ذمية
من أسفى، وتكنى بدار الأعشار حيث كانت تنزل بها المعشرات لما كانت تحاز

بجانب المخزن قيد ولاية ابن عزوز، وأنها الآن بيد الأمناء يضعون فيها إقامة البناء وغيرها، ويؤدون للأحباس ستين أوقية كراء فى كل شهر، وأسفلها صين وأعلىها متداع للسقوط، وأكرتتموها للنصرانى بمائة ريال فى السنة، وعملت مع تصلحوها له، وذكرتم إن اقتضى نظرنا بقاء الأحباس على حيازة الستين أوقية كراء، وأنتم تحوزون المائة ريال من النصرانى فى السنة فذاك وإن اقتضى نظرنا أن تناقل مع المسجد بملك يساوى ستين أوقية كراء فى الشهر فعلتم، وأخبرتم أن الخمسة آلاف ريال التى تفاصلتم بها مع النصرانى عملتم معه يقطع له نصفها الآن من خدمة إن كانت له خدمة، والنصف الآخر حين تصلح الدار ويخرج إليها ويدفع لكم مفاتيح المحل والمخازن التى كانت بيده يصير يقتطع له من خدمته، وصار كل ذلك بالبال، فقد أمضينا ما فعلتموه أصلحكم الله ورضى عنكم، وأمر المناقلة سهل، فما تقتضيه المصلحة فافعلوه فيها والسلام فى ٢٣ من شعبان عام ١٢٨٥هـ.

ومن ذلك أيضا ما وقفت عليه لحفيده المولى الحسن ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الحاج عبد الله حصار وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغنا أن بلاد السواحل الحوزية كلها أو جلها ملكها أهلها للنصارى واليهود الذين فى حمايتهم بالبيع أو الرهن، بأن يذهبوا إليهم برسومها ويطلبون منهم دينا أو بيع قوت أو شبه ذلك، فيعطونهم ما طلبوه ويحوزوا الرسوم، ولا يبقى لأهلها فيها إلا الاستغلال من تحت أهل حمايات، وهذا الأمر إن لم يتدارك بالقرب اتسع الخرق فيه على الراقع، ولا يكون هذا إلا مع تجار المراسى الحوزية لقربهم منه وعليه فاستفهم تجار بلدك عما دفعوه لأرباب هذه البلاد من دين أو شبهه، ما هو منه على وجه الشراء وما هو على وجه الرهينة، والقدر

الذى وقع به البيع أو الرهن، وأسماء الذين باعوه أو رهنوه لهم، وأعلمنا به على التفصيل، وإن أمكنك أن تتلطف فى حوز الرسوم منهم وتوجيهها إلينا فذلك المراد والسلام فى ١٩ ربيع النبوى عام ١٢٩٦ هـ.

ونص آخر له بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«أذا بحول الله وقوته للفقير القاضى السيد عبد الله ابن خضراء، فى النظر فى الوكلاء والشهود والعرفاء بمراكشة، وتميز البر منهم فيقر والفاجر فيقصى، كما أذا له فى النظر فى أمور الأحباس والموارث والغياب والكشف عن أولياء الأيتام والمحاجير بما تقتضيه الشريعة المطهرة فى كل ما يتعلق بحقوق الجميع، فيسلم ما سلمه الشرع من ذلك، ويرد ما رده، وأن يحاسب أولياء الأيتام والمحاجير على ما دخل بأيديهم من أموالهم.

وأما ما دخل بيد ناظر الأحباس الكبرى من مستفادها ونائب الموارث والغياب من أموال الموارث والمنقطعين، فالنظر فى محاسبتهم عليه أمر آخر موكل لجانبنا العالى بالله حين نريده والسلام فى ٥ ربيع النبوى عام ١٢٩٨ هـ.

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خدمنا الأرضى القائد محمد بن سعيد السلوى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف ما استفز به اللعين. رعاى المسلمين، واستهواهم بغوايته وضلاله المبين، وارتمى بهم الحال إلى أن صاروا يشربون الخمر جهارا، ويعربدون فى الشوارع وهم صرعى أطوارا، من غير مراقبة من حرمها فى صدر الإسلام، وأوعد من يقتحم شربها بأليم العقاب، وفوق إليهم السهام.

فعن مولانا رسول الله ﷺ مخبرا عن ذى الجلال، من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من طينة الخبال، وهى ما يسيل من جلود أهل النار.

فاعتبروا يا أولى الأبصار، على أن المخالفة باقتحام عقبات المحرمات، موجبة لسخط الله ومجلبة للآفات. ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ [الرعد: ١١] فيما يأتونه أو يذرونه، وقد ذم الله تعالى بنى إسرائيل بما جعله بيانا لما اقترفوه. فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ [٧٩] [المائدة: ٧٩]. وكيفيك فى الإيعاد كونها - أى الخمر - من الخمس عشرة خصلة التى إذا فعلتها هذه الأمة حل بها الخسف أو المسخ أو غيرهما من أنواع البلاء، واستأصلتهم يد الخلاء والجلاء، بنص قوله سبحانه فى كتابه المبين: ﴿... سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [١٤٥] [الأعراف: ١٤٥].

وعليه فنأمرك تزجر من عثرت عليه من المسلمين معريدا، أو وجدته صريعا واللعين عليه مستحوذا، بأن تجلده ثمانين، وتودعه السجن حتى تتحقق توبته ويخلص من شؤم سمة المجانين، ويتدرع شعار المسلمين: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] كما نأمرك أن تجعل عهدة من أخرج شيئا من الملاح على البوابين. وتتوعدهم عن ذلك إن غضوا الطرف عنه أو قبضوا عليه الرشا من المبتلين، وتزجر من المسلمين من عاد إلى مخالطة أهل الذمة فى شىء من ذلك فى الحين أو بعد حين، فإن ذلك مثلبة فى الدين:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

إلا ما يتعاطاه أهل الذمة فيما بينهم فلا يتعرض لهم، لكونه مستحلهم فى دينهم، وأعطوا العهد عليه، نعم يعزرون إن أظهروا السكر فى غير محلهم جريا



ظهير حسنى لعامل سلا فى التحذير من الخمر
واقامة الحد على شاربها وسجنه



ظهير حسنى إلى القائد حم بن الجيلانى فى الإذن للنظار بالزيادة فى
أكرية الأعباس تبعا لارتفاع السكة والزيادة لأصحاب الوظائف الدينية
والعلمية فى رواتبهم تبعا لذلك

على مقتضيات الشريعة المطهرة في ذلك، والله ولى التوفيق، والهادى إلى سواء الطريق، والسلام ٩ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٤هـ.

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«وصيفنا الأرضى القائد حم بن الجيلانى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغ لعلمنا الشريف ما استحال إليه أمر الرباع من الضياع وضعف الخراج، بالاستيلاء عليها بما كانت به من الأكرية قبل ارتفاع السكة وعلو الرواج، حتى أفضى ذلك إلى تعطيل جل الوظائف الدينية، والرواتب العلمية العملية، كالإمامة والأذان، والأحزاب والوعظ والتدريس كما شهد بذلك العيان، وعذر التعطيل مقبول، وليس لرده محصول، لما هو بين من أن خراج ذلك الوظيف بحساب ما كان به قديما، وقبضه بما تروج به السكة الآن صار تافها ذميما، لا يسمن ولا يغنى، ولا يقوم بصاحبه الذى نعى، كما أن الأصول والرباع، تدعى جلها للسقوط وآلت إلى الضياع.

ومن المعلوم أنه من مستفاد البعض يتلافى البعض ويتدارك الإصلاح، ويداوى عليها من عاهة الاجتياح، فالزيادة فى الأكرية طبق السكة متعين، والمصير إليه من الحق الواضح البين، إذ بذاك تبقى الأحباس محفوظة منتفعا بها على الدوام، وتصير المناصب الدينية مستمرة غير معطل بها القيام، وبه يتوفر ما يقع به الإصلاح فى المستقبل كما كان قبل ليصير فيما له وجه من المصالح وقبل.

وإبقاء ما كان على ما كان، سبب فى تعطيل الوظائف الدينية وخراب الإسكان، وفى محض حق الله تجب المبادرة بقدر الإمكان، وعليه فليزد سائر النظر فى أكرية الرباع والعقار بحسب ما يقتضيه الحال من جهة ارتفاع السكة

وحسن الاعتبار، وتمسكا بأسد الأنظار، مما ليس فيه ضرر ولا ضرار، وليعرف الزائد أنه أدى ما عليه من حق الله، واستبرأ لدينه قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله، وليعد ما زاده من قبيل التعاون على الدين، ليتنظم فى سلك الفائزين المهتدين، وليتخلص العمل بتحسين الطوية، فإنما الأعمال بالنية، وليزد ناظر الأحباس المذكور لأهل الوظائف بقدر ما زيد فى أكرية الرباع، لتنضبط الوظائف الدينية ولا يبقى عذر فى تعطيلها بمقتضى هذا الاصطناع، وقد أزلنا بذلك من عهدتنا ما استرعانا الله عليه، وجعلناه فى ربقة النظر والقضاة ومن الأحباس مسندة إليه، والله رقيب، وعلى كل شىء حسيب، والسلام فى .. جمادى الثانية عام ١٣٠٣» استقل الظهير الشريف.

إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وإن أى وقفة يقفها القارئ الكريم من هذه الفصول التى كان يصدر الأمر بها لعمال الجهات وقواد المناطق نأت أو قربت تملى عليه من آيات الاعتناء بكل ما يتعلق بأمر الدين، ومعالم التوحيد، وأركان الإسلام مما لم يكن يغفل أمره أحد من سلفنا الأكرمين، وملوكنا الأمثال مجتهدين، حاثين على التواصى بإقامة الدين، ونشر نفوذه وثقافته المؤثرة بين مختلف الطبقات وتنوع الأوساط.

وكيف لا يكون اعتناؤهم بالدين عظيما واهتمامهم بأمره يتجاوز أقصى مجهوداتهم ومتفوق حدود مقدرتهم، وهم يعلمون أن ذلك من أخص واجباتهم، وأول فروضهم المحتّم عليهم قبل غيرهم إنجازها وأداؤها، علاوة على ما فى رابطة الدين وثقافته، ومن لم الشعث وضم المتفرق وإحكام الوحدة التى ينتظم بها أمر الملك، ويصلح نظام السلطان.

وقلما أمكن صلاح حال أمة أو رعية من الرعايا ما لم تسق بسياسة الدين الكفيلة بصلاح عموم الأحوال، وتحقيق جميع الآمال، ولعل ذلك هو سر اتفاق

كلمة المؤرخين وعموم الباحثين والمحريين على سحب كلمة السلطان ونعت الملك عن كل قائم لا ينهض بأمر الدين، ولا يحفل بتعاليمه وأوضاعه المحببة إلى كل ذى فكر سليم ونفس شريف .

فمهما علا قدر الواحد واشتد ساعده يدعونه متغلبا ما لم يكن للدين من نظره نصيب، وللاهتمام به من رعايته قدر وافر، ولنرسل رائد النظر بعيدا منذ الفتح الإسلامى للآن على جميع الأصقاع النائية والدانية من مختلف أقطار المغرب وجهاته، فنرى كيف أن كل ناحية أو صقع مهما ضؤل شأنه وقل سكانه إلا وبه مسجد لإقامة الصلوات ومرجع عبادة وإنابة لأداء الفروض، وطلب غفران الخطايا، وتهذيب النفوس، وإصلاح الضمير .

ولم يخل قط عصر أو تاريخ لم تكن فيه كل قبيلة أو بادية تفرط فى شأن من أمور دينها وتعليم شرعها، وكان الفضل الأول والأكبر فى ذلك واستمراره لهداتها الأمراء الكرام والملوك الأعظم، ولا سيما ملوك دولتنا الحاضرة الذين نقرأ لهم فى هذا الباب صفحات بيضاء يبيض لها وجه التاريخ وتناثر بها طلعة وجوهم على ممر الأعصار وتوالى الأيام، وما هذه الفصول المنتشرة بأغلب مراجع هذا التاريخ كله - ومنها ظهيرنا الواقفة هذه اليراعة عنده - إلا غيض من فيض، وقُلَّ من كُثُر، من هذه العنايةات المختلفة والرعايات المتشعبة بين مختلف دقاتر التاريخ .

أما مولانا السلطان الحالى المفتخرة بعصره الدنيا على كل العصور، فلم ينهج إلا نهج أسلافه الأكرمين، وسلفه من عظماء ملوكنا العلويين فى الحث على إقامة أمر الدين وتنظيم معالم الإسلام فى كل ناحية وجهة، ففى كل مرجع وموضع من الأنحاء المغربية يعطى لأمر الدين المقام الأول والمكان الممتاز، وإذا كان قد انفراد عصره الزاهى بإقامة شعائر الدين فى مواطن جديدة وأماكن لم يكن تأسس بها مسجد من قبل لحدوثها بحدوث عمران إيالته المتسع، وانتشار نفوذ دولته الممتد فى

ذلك إلا من حظوظه المؤيدة، وسعوده الطالعة، ومجده المضاعف الناشر فخره على الأيام والليالي:

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

فكم من مسجد وجامع جمعة وخطبة أنشئ منذ جلوس جلالته على عرش أسلافه الكرام، وآبائه الهداة العظام، وإن أحجمنا عن عدها فلمعرفة الجمهور بها وانتصابها أمام جميع الأنظار، يشاهدها الخاص والعام، وحسبك منها المسجد الجامع المقام بأنحاء زمر الشلح بالمحل المعروف بـ (الخميسات) الذي أصبح عمراناه يتزايد بتزايد الإقبال عليه، ومضاعفة الحركة فيه، وناهيك إنه بمنزلة محطة من أكابر المحطات، وطريق من أوسع الطرق شأنا، وأبعدها مدى، يربط بين أقصى البلاد البربرية وشواهد جبالها الممتدة إلى أقصى حدود الأطلس البعيد، فهلا اعتبرنا ذلك من حسنات عصره الزاهر الذي أمكن أن نشاهد فيه ما لم يكن بالحسبان.

اعتناؤه بنشر العلم وتسهيل سبله:

وكما اهتم بأمور الدين وإظهار شعائره وإقامة مبانيه، كذلك اعتنى بمسألة العلم والعلماء والطلبة وانتقد أسلوب التدريس الذي كان جاريا على عهده من تطويل ممل، واقتصار مخل، واشتغال بالقشور عن اللباب حسبما ترى في هذا الظهير الشريف الذي أصدره لقاضى مدينة فاس يأمره بجمع المدرسين وتبنيهم على خطأ ما جرت به العادة، وإرشادهم لنظام كفيل بالتحصيل والإفادة، ونصه: «ولد عمنا الأرضى، الفقيه القاضى مولاى عبد الهادى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة، وجدهم فى الطلب، غير أنه قل التحصيل والإفادة، وذلك لمخالفة الفقهاء فى إقراءهم عادة الشيوخ، وإعراضهم عما ينتج التحصيل والرسوم، فإن الفقيه يبقى فى سلكة سيدى خليل نحو العشر

سنين، وفي الألفية العامين والثلاث أكثر ما يجلب من الأقوال الشاذة، والمعاني الغريبة الفاذة، وكثرة التشغيب بالاعتراضات ورددها، ومناقشة الألفاظ وعددها، ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم، ولا المنتج من العقيم، وفي ذلك تضييع الأعمار التي هي أنفس المتاجر بلا فائدة، وتعمير الأوقات التي يرتجى نفعها بلا عائدة، فتجد الطالب يرحل في طلب العلم من بلاده، ويتغرب عن أهله وأولاده، ويقيم المدة المتطاولة لا يحصل مع كثرة دءوبه على طائل، ولا يقف على محصول ولا حاصل، فترى الفقهاء يكثررون على المبتدئ من نقول الحواشى والاعتراضات، وينوعون الأقوال والعبارات، حتى لا يدري ما يمسك، ولا أى سبيل يسلك، ويقوم من مجلس الدرس أجهل مما كان، ولا يجد زيادة مع بلوغه في نفسه الإمكان.

وهذا يؤدي إلى ضياع العلم الذى هو ملاك الدين ويحمل على عموم الجهل فى العالمين، وما هكذا كان يفعل أهل الإفادة والتحرير، الذين يحرصون على نفع طلبة العلم رغبة فيما عند الله من الأجر الكبير، فقد كانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته، ويتنزلون لعقول الطلبة على قدر أفهامهم، ويحتالون على حصول الفهم والعلم للمتعلمين بلطيف عبارة كلامهم، حتى يحصل اللبيب على مراده فى أقرب أوان، ولا يضيع عمره سهلاً من غير تحصيل ولا عرفان.

إذ كان مقصودهم فى ذلك الله ونشر العلم للعمل، لا التفصح والتمشيد الذى يحصل معه الخلل والملل، ولا ينجح معه لذى أرب أمل.

وهذا من الأمر الذى يجب التنبيه عليه، ويتأكد فى جنب أرباب المناصب الجنوح إليه، إذ فى الحديث: الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين وعامتهم.

فبوصول كتابنا هذا إليك اجمع المدرسين وأرشدهم لما فيه المنفعة العامة، والإفادة التامة، وهو الاقتصار فى التقرير على حل كلام المؤلفين وإفهامه للسامعين المتعلمين، مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف من غير إكثار هدر، ولا تشغيب بترداد اعتراضات وطرر.

إذ المقصود هو حصول الفهم والإفادة، والمناقشة فى الألفاظ إنما هى لغو وزيادة، وليست لأهل التحرير بعادة، وما يقدم قراءة النحو والبيان والمعقول، إلا لتحصيل الملكة التى يتوصل بها إلى فهم المنقول، فلا ينبغى فى الفقه مناقشة الألفاظ، ولا نقل كل ما سوده الحفاظ، بل ينبغى الاقتصار على بسط المسائل وفصولها، وتقريبها للفهم بتقرير أصولها، فلا يجاوز الفقيه فى سلكة خليل، العام، وإن أطال ففى عامين، ولا يجاوز فى الألفية الشهر أو الشهرين كما كان يفعل ذلك جهابذة العلم ونقاده، بل كانوا يسردون خليل فى أربعين يوماً، والألفية فى أقل من ذلك، ويحصل الطلبة فى ذلك على علوم جمّة، ومسائل مهمّة، لا يحصلونها فى هذا التماطل والتطويل، وعمارة الأوقات بما ليس عليه تعويل.

ولينظروا فى سيرة من قبلهم فى التدريس والإلقاء، ويسلكون ما هو أقرب للتحصيل وأمس بتسهيل الفهم والإقراء، فبهدهم فليقتدوا، وبأنوارهم فليهتدوا، ليستفيدوا ويفيدوا، ويبدئوا فى نشر العلم ويعيدوا، ويحصل الطلبة الغرباء فى ذلك على مرادهم، ويدركوا ما يسره الله على قدر استعدادهم، والله ولى التوفيق.

ومن جملة الأمور الموجبة لقصور فهم المتعلمين وعدم نفعهم، تقصير مجلس الإلقاء وخفته، فلا يجاوز من أطال من الفقهاء الساعة، مع أن من رحل للطلب من بلده ونيته تحصيل العلم يستغرق الأوقات، ويعرض عن الراحة واللذات، ولا يكون له غرض إلا فى درس أو نظر، ليحصل مطلوبه على الوطر،



ظهیر رحمانی لقاضی فاس المولی عبد الهادی

فی إرشاد المدرسين لسلوك طريق تكون أقرب للتحصيل ونفع الطلبة



ظهیر رحمانی

للقائم بالزاوية الكرزاوية في الإنعام عليه بأعشار بني عباس وزكواتهم

ففى الحديث: منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب دنيا، فينبغى حمل الطلبة على الأليق بحالهم من الدءوب والإطالة. ومواصلة الطلب وترك البطالة والسلام فى ١٢ محرم الحرام ١٢٦١هـ.

وقد جاء فى كتاب شريف بعثه لولده الخليفة بتاريخ عام ١٢٥٢ مما يدل على اعتنائه بالعلم وأهله:

«وما ذكرت على شأن الطلبة الذين ظهرت نجابتهم، فمن كان مجتهدا فى القراءة وظهرت نجابته فرد له ما كان يقبضه قبل من الإعانة، ومن كان مجتهدا فى القراءة مثابرا عليها فاجعل له ما ينتعش به ويتقوت، وحين يزيد اجتهاده نزيده إعانة، فإن العلم كاد يندثر وفى مراكش أكثر، وقد كان الملوك ينقلون العلماء من البلدان لبث العلم ونشره كالسهلى وعايض، والطلبة، وإن كان غالبهم إنما يقرأ العلم لأجل الدنيا، فإن العلم يردده إلى الله ويدعوه لإخلاص العمل له، وقد قال سفيان الثورى رحمه الله: قرأنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله».

تبرعاته وأوقافه

من ذلك إنعامه على رئيس الزاوية الكزازية بجميع أعشار بنى عباس. ودونك لفظ الظهير الصادر بذلك بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع السلطانى بداخله «عبد الرحمن بن هشام بن محمد وفقه الله» وبعده:

«أنعمنا بحول الله وقوته على محبنا الم رابط البركة، سيدى محمد بن محمد القائم بأمور الزاوية الكرزازية بجميع أعشار بنى عباس وزكواتهم القاطنين بوادى الساوره وما والاها، ليستعين بذلك على مؤونة زاويتهم المباركة، فنأمرهم أن يدفعوا له ذلك، ولا يتراخوا فيه، وفقهم الله والسلام فى رابع عشرى ٢٤ محرم الحرام عام ١٢٣٦هـ».

وقد أصدر ظهيرا آخر بهذا التاريخ لمقدم الزاوية المذكورة بالتوقيع والاحترام،
نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع :

«مقدم الزاوية الكرزازية المباركة المحب محمد بن بوعزة، السلام عليك
ورحمة الله .

وبعد: فقد ورد على حضرتنا الشريفة المرباط البركة المحب الصالح سيدي
محمد بن محمد، وأثنى عليك خيرا، وذكر لنا محبتك في جانبنا العالى بالله
تعالى، وسعيك فيما يرضى الله ورسوله ويرضينا، فالله يرشدك، وهانحن وقرناك
لأنحياشك إليه، واحترمناك وأسدلنا عليك ذيل المبرة وأمنّاك فلا يحوم أحد حول
حماك، ولا يروم أذاك، والواقف على كتابنا هذا يعمل بذلك، ولا يسلك غيره
من المسالك، والسلام فى ٢٤ من محرم الحرام عام ١٢٣٩ هـ من أصلهما
المحفوظ بمكتبتنا، وصاحب الزاوية الكرزازية الذى إليه تنسب هو الشيخ عبد
الكريم كان من أكابر الأولياء كما فى التقاط الدرر للنسابة الضابط المحرر أبى عبد
الله محمد بن الطيب القادري، قال: وممن أخذ عنه من الأكابر سيدي محمد
العياشى دفين مصر. هـ.

ومن تبرعات صاحب الترجمة إنعامه بعشرة قناطير من معدن الحديد على
الزاوية الناصرية، ودونك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة
والطابع السلطاني :

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وجعل فى الصالحات طيه
ونشره، أننا جددنا لماسكه المكرم الأجل المرباط البركة السيد أبى بكر بن على حفيد
الولى الشهير، والشيخ العارف الكبير صاحب الأسرار والمفاخر سيدي محمد بن
ناصر أفاض الله علينا من بركاته، على ما بيده من ظهير جدنا سيدي الكبير قدس
الله روحه فى النعيم المتضمن إنعامه على الزاوية الناصرية بتمكروت عمرها الله

بدوام ذكره بخمسة قناطير من معدن الحديد من مرسى الصويرة، ومثلها من مرسى آسفى كل عام، إعانة لها، وقد جمعنا العشرة قناطير كلها بثغر الصويرة، فنأمر كل من يتولى بها أمرنا الشريف أن ينفذ للزاوية المذكورة القدر المذكور كل عام والابتداء من شهر تاريخه صدر به أمرنا المعتر بالله فى ١٠ محرم عام ١٢٧٣» وبعده: استقل.

ومن ذلك الساعات التى حبسها على جامع النجارين والجامع الأعظم من مكناس، ونص ما ورد فى ذلك حوالة الأحباس الكبرى بمكناس صحيفة ٤٠:

«حبس مولانا الإمام، المظفر الهمام، أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن ابن مولانا هشام الشريف العلوى مجانة على منار الجامع الأعظم بمكناسة الزيتون، وحازها الموقت بالمنار السيد محمد الفاسى بحضور ناظر الأحباس السيد الحاج الطيب غريط، وذلك بواسطة خديم سيدنا الطالب السيد محمد الأشخم الزرهونى، تقبل الله من مولانا المذكور وشهد على إشهدهم بذلك عارفين قدره وبأتمه، وعرفهم ثالث المحرم الحرام فاتح أربعة وسبعين بموحدة ومائتين وألف فلان بشكله ودعائه وفلان كذلك».

وبالصحيفة نفسها: «بعد تحبىس مولانا أیده الله مجانات خمس على جامعى النجارين، والأعظم بمكناسة الزيتون، وحازها بالأمر المولوى أعزه الله الناظر السيد الحاج الطيب المذكور أعلاه، يليه لجانب الحبسين المذكورين حضر الطالب السيد محمد بن الفقيه السيد عبد القادر الفلوسى الموقت بالجامع الأعظم، والشريف سيدى محمد بن سيدى محمد فتحا المنونى الموقت بالنجارين، وحاز الأول ثلاث مجانات، وحاز الثانى اثنتين، وعرفوا قدره وبأتمه، وعرفهم ثالث المحرم الحرام فاتح أربعة وسبعين بموحدة ومائتين وألف فلان بشكله ودعائه وفلان كذلك».

ومن ذلك ما سنه للمهاجرين إليه من وطن الجزائر كل سنة خمسمائة مد من القمح بالمد الفاسى لخصوص الأشراف منهم، مع خمسمائة مثقال كذلك، وكان بها خمسمائة ريال أو ما يقرب منها، وذلك زيادة على صلته لهم فى الأعياد وكذلك عوامهم من أهل الحرف والزراعة، وقد أصدر أوامره لعماله باحترامهم وتوقيهرهم وعدم تكليفهم بأى كلفة من الكلف المخزنية قلت أو جلّت، وأن لا يسامون بمغرم ولا هدية رعيًا لهجرتهم وتغربهم عن أوطانهم.

وقد وقفت له على ظهير كتبه لولده الخليفة يأمره بإسكان القاضى الذى كان مع الأمير عبد القادر دارا تناسبه بفاس وإعانتة على مئنته ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع :

«ولدنا الأبر الأرضى سيدى محمد أصلحك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فبوصوله إليك مر الطالب علال الشامى يدفع لحامله السيد عبد القادر بن محمد قاضى الحاج عبد القادر بن محيى الدين ثلاثين مدا من القمح إعانة له على مئنته، وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من المشاهرة، على أن يقوم على تدريس مختصر خليل، فقد بلغنا أنه يحسنه، وقد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد الهادى بذلك بأن يجعل له ما يستحقه، فإن قيمة كل أحد ما يحسنه والسلام فى ١١ رمضان المعظم عام ١٢٦٢».

ومن ذلك أنه لما انتشر القحط بالمغرب سنة أربعين ومائتين وألف بذل للضعفاء والأرامل والأيتام والمساكين، وأمدّ التجار بالأموال لجلب الأقوات من أوروبا وغيرها لإيالته، وحدد للمحتكرين الأرباح شفقة على ضعفاء الرعية، وعنف ولام من خالف ذلك، وكيفيك شاهدا على ذلك ما أصدره لأهل العدوتين سلا



ظهير رحمانى لأهل العدوتين ببعث تاجر لأوروبا يمتار الأقوات ويجلبها
لناس عند القحط



ظهیر رحمانی إلى الخليفة سيدي محمد في جواز اکتیال الجزائريين
القمح لأنفسهم من المغرب ومنعهم إن أرادوه لغيرهم

والرباط فى الموضوع، وإليك نص الظهير الصادر إليهم بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا أهل العدوتين سلاً، ورباط الفتح كافة السلام عليكم ورحمة الله تعالى.

وبعد: فكيف تجاركم يجلبون الأقوات ويحتكرونها ولا يقنعون بالربح الذى جعلناه لهم، وقدره درهمان للمثقال، والناس فى غاية الاحتياج من غير نكير ﴿... أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨] قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] وقال عليه الصلاة والسلام: اتقوا النار ولو بشق تمرة.

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم عينوا رجلين تاجرين مالىين سلاوى ورباطى، كالحاج العربى معينو، والحاج محمد والزهراء لندفع لهما عشرة آلاف ريال، ويتفاوضان فيمن يسافر منهما لبر النصارى يتسوق، ومن يجلس بالبلاد يقبل ما وجهه الآخر، ويبيع الزرع بالبلدتين بما يأتى به وزيادة درهم لكل مثقال ربها، وهذا الربح يستبد به التاجران اللذان تعينونهما، وحظنا من ذلك الدعاء وإغاثة الملهوف، ويبيع الزرع للخاص والعام، ولا يحجر على أحد، وإذا تهيأ التاجران للعمل أخبرونا مع رسول، لأوجه للذى يسافر منهما أمرنا لطنجة ليدفع له المال المذكور هناك، ويتخير المسافر المذكور هل نكتب لابن عليل بجبل طارق يعينه أو لمودنة بجنوة، والعزم له بركة، وإياكم ثم إياكم والتراخى والسلام فى سادس ذى القعدة عام أربعين واثنى عشر مائة» من أصله.

ومن ذلك ما كتب به لولده خليفته سيدى محمد فى شأن أهل الجزائر الذين يدخلون أرض المغرب لاكتيال القمح من قبائله، يأمره بالبحث فى أمرهم، فإن وجدهم يشترون القمح لأنفسهم وإخوانهم تركهم، وإن وجدهم يشترونه لمن احتل بلادهم منع بيعه إليهم.

ونص الكتاب من أصله الموجود بمستودع المحفوظات بالقصر السلطانى بالرباط بعد الحمدلة والطابع:

ولدنا البار الأرضى ، سيدى محمد أصلحك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد: فقد بلغنا أن عرب الصحراء من الواسطة وغيرهم يدخلون أفواجا بعدد كثير لكيل الزرع من قبائل الإيالة كعام أول ، وأنهم كانوا فى العام الفارط يقيمون على الأندر حتى يأخذوا ما يخرج منها جملة وذلك بقصد التوجه لبيعه للنصارى دمرهم الله ، فلا بد ابحت عن ذلك عامل وجدة وغيره حتى تقف على حقيقته ، فإن كانوا يتوجهون به للنصارى كما بلغ عنهم فقد أذناك فى منع القبائل من بيعه لهم ، ومن ظهر عليه ذلك يعاقب ويزجر ، وإن كانوا يأخذون ذلك لأنفسهم ويحملونه لإقامة بنيتهم فاترك سبيلهم ، فإنهم إخواننا ولا سبيل لمنعهم ، وأعلمنا بما ثبت عندك لتنظر فيه والسلام وفى ١٤ جمادى الثانية عام ١٢٦٣» .

فأين هذا مما تقوله المتقولون عليه من أنه كان يعين النصارى على المسلمين ويمددهم ويساعدهم عليهم .

ومن ذلك ما وصل به علماء الأزهر العامر من مصر المحروسة على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم بواسطة شيخ مجلسه الحديثى قاضيه بالعاصمة المكناسية أبى عيسى المهدي بن سودة المرى مار الترجمة ، والأمين الحاج محمد الرزىنى ، والحاج بوجنان البارودى ، وذلك فى شهر شوال عام أربعة وسبعين لكل واحد من أهل الطبقات الأولى ثمانية وأربعون ريالاً (فرنك ٢٤٠) ، ولكل فرد من الثانية خمسة وأربعون ريالاً (فرنك ٢٢٥) ، وللثالثة كذلك اثنان وأربعون ريالاً (فرنك ٢١٠) ، وقد قدمنا أسماء أولئك الشيوخ فى ترجمة أبى عيسى المذكور .

ومن ذلك شراؤه لدار بمكة المشرفة وتحبسه لها على مؤذنى المسجد الحرام بمكة زادها الله عزاء وشرفاً ، وكان ذلك سنة ١٢٧٤ ، ودونك نص عقد الشراء

والوقف وما جرى فى ذلك بعد افتتاحه وطابع قاضى مكة المشرفة بداخله السيد أحمد عزت :

«الحمد لله عز شأننا، هذه حجة صحيحة شرعية، ووثيقة محررة مرعية، صدرت بمحكمة مكة المكرمة البهية، دامت آمنة محروسة محمية، بين يدى نائب مولانا فخر قضاة الإسلام، كمال ولاية الأنام، قاموس البلاغة ونبراس الأفهام، محرر القضايا والأحكام يومئذ ببلد الله الحرام الراجى لطف ربه الخفى، الحاكم الشرعى الخفى، الواضع خطه وخاتمه الكريمين أعلاه، دام فضله ومجده وعلاه، مضمونها حضر إلى المجلس الشريف الشرعى، ومحفل الدين المنيف المرعى، المكرم الحاج محمد بن الحاج أحمد الرزنى المغربى فى شراء المبيع الآتى ذكره فيه بطريق وكالته عن الجنا ب الشريف المحترم السيد السلطان الأمجد مولاى الشريف السلطان عبد الرحمن بن المرحوم السلطان هشام سلطان المغرب، الثابتة وكالته عنه فى شراء الدار الآتية، وأن يوقفها عنه فى الوكالة عنه المفوضة المطلقة وقفا صحيحا شرعيا يصرف ريعه على الآتى ذكرهم أدناه بشروطه الآتية، وذلك بين يدى نائب مولانا الحاكم الشرعى الموما إليه أعلاه ثبوتا شرعيا، بطريقه الشرعى المطابق للوجه الشرعى بشهادة المكرمين الحاج سعيد جسوس بن أحمد المغربى، والحاج على بن حسن المغربى، وحضر لحضوره فى البيع المكرم صالح بن الشيخ عبد الغنى بن الشيخ أحمد عبد الغنى غب حضورهما وثبوت الوكالة المذكورة فيما ذكر الثبوت الشرعى».

«اشتري المكرم الحاج محمد بن أحمد الرزنى الوكيل المذكور بطريق وكالته المفوضة المذكور عن موكله مولاى الشريف السلطان عبد الرحمن المشار إليه بمال موكله لموكله، دون مال غيره من بائعه الحاضر معه صالح عبد الغنى المزبور، فباعه ما ذكر أنه له وفى ملكه وحوزه، وباق تحت تصرفه إلى حين صدور هذا البيع منه

فيه الأثل إليه بالشراء الشرعى، بموجب حجة شرعية بيده، أعنى ما باعه كامل الدار الكائنة بمكة المشرفة بحارة الشامية المشتملة على مساكن علوية وسفلية، ومرافق ومنافع، وحقوق شرعية، وحوش وذلك بسفح جبل الهندى، ويحد كامل هذه الدار ويحيط بها بجميع ما اشتملت عليه حدود أربعة شرقا السكة النافذة المصعدة إلى علو جبل الهندى، وفيها باب الدار، وغربا جبل الهندى المذكور، وشاما ملك ورثة الشيخ محمد سعيد بن العطار، ويمينا وقف المرحوم الشيخ إبراهيم بن ياسين الجناعى، وتمام الحد السكة المصعدة إلى علو الجبل المذكور، وفيها باب الحوش بما لهذه الدار المبيعة المذكورة من الحق والحقوق والسوح والفسوح والمرافق والمنافع والأرض والبنا ومجارى الماء والطرق والاستطراقات وكل ما يعد، ويحسب من جملتها، وينسب إليها شرعا المعلوم ذلك عند كل من المتبايعين المذكورين العلم الشرعى، النافى للجهالة شرعا، اشتراء صحيحا شرعيا، وبيعا صريحا مرعيا بيعا باتاتلات... . حازما جازما لازما ثابتا لا عدة فيه ولا منثوية، مستوفيا لجميع شرائطه الشرعية، ومسوغاته المحررة المرعية.

لا قول فيه يبطله، ولا شرط ولا خيار يفسده، بل وقع على أتم البيوعات الشرعية وأكملها، صدر بين المتبايعين المذكورين بصريحي الإيجاب والقبول الشرعيين، بثمن قدره وجملته من الريالات السنكو ألفان ريالاً سنكياً وسبعمائة ريال سنكى. وخمسون ريالاً سنكياً، ثمنا حالاً مسلماً جميعه من يد المشتري المذكور بيد البائع صالح عبد الغنى المزبور، حسب إقراره بقبض ذلك واعترافه بالإقرار والاعتراف الشرعيين، وأذن هذا البائع المذكور لهذا المشتري الوكيل المزبور فى قبض وتسلم كامل الدار المحدودة المبيعة المذكورة وقبضها وتسليمها منه لموكله مولانا السلطان عبد الرحمن المذكور، وحازها له حوز مثلها خالية عن الموانع المبطله، والشواغل المفسدة، لصحة هذا البيع، والقبض والتسليم والاستلام

فموجب ذلك صارت الدار المبيعة المحدودة المذكورة ملكا طلقا من أملاك المشتري له مولاي الشريف السلطان عبد الرحمن المذكور، وحقا صرفا من حقوقه يتصرف فى ذلك تصرف الملاك فى أملاكهم، وذوى الحقوق فى حقوقهم من غير معارض له فى ذلك ولا منازع، ولا رافع ليده ولا مدافع، وضمان الدرك له على البائع المذكور، حيث يجب له عليه شرعا، وقد صح وثبت جميع ما ذكر لدى نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه ثبوتا صحيحا شرعيا، وأجاز هذا البيع ونفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه، والله الهادى».

«ثم لما أن تم هذا البيع وانبرم، وصارت الدار المذكورة ملكا من أملاك مولانا السلطان عبد الرحمن المذكور، أقر بالمجلس الشرعى بين يدى نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه هذا الوكيل عنه الحاج محمد الرزنى المذكور بوكالته المفوضة المذكورة الثابتة شرعا، عن مولانا السلطان عبد الرحمن سلطان المغرب، إقرارا شرعيا وهو وموكله بحال الصحة ووفور العقل طائعين نافذين التصرف، بأنه أوقف عن موكله بحال السلطان المذكور كامل هذه الدار ملكه المحدودة المذكورة أعلاه، وذلك لأنه حيث كانت هذه الدنيا الدنية دار مرور وغرور، لا دار بقاء وسرور، ولأن الآخرة خير وأبقى ولا ينفع ابن آدم من هذه الدنيا إلا ما قدمه لنفسه من التصدقات المرضية، والأعمال الزكية، وقد ورد فى الخبر عن سيد البشر سيدنا محمد ﷺ فى فضل الصدقة أحاديث كثيرة شهيرة أشهر من شمس الظهيرة، منها قوله ﷺ: يحشر المرء تحت ظل صدقته، ومنها قوله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة، ومنها قوله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.

فلهذا رغب السلطان مولاي السلطان عبد الرحمن المذكور فى الوقفية لأنها صدقة جارية طامعا فى الجزاء والثواب، من الملك الوهاب.

فأوقف هذا الوكيل عنه الحاج محمد الرزینی المذكور بوكالته المفوضة عنه كامل الدار المحدودة المذكورة، وهی فی ملك موكله، وحبس وسبل وأبد وأكد، ووطد^(١) وسرمد وخلد، كامل الدار المحدودة المذكورة أعلاه بحقوقها وحقوقها وسوحها وفسوحها ومرافقها ومنافعها وأرضها وبنائها وطرقها واستطراقاتها وحوشها ومجارى مائها، وكل ما يعد ويحسب من جملتها وينسب إليها شرعا، المعلوم ذلك عند الواقف الوكيل وموكله العلم الشرعى النافى للجهالة شرعا وقفا صحيحا شرعيا، وحسبا صريحا مرعيا، لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يملك ولا يتملك، ولا يبدل ولا يستبدل، ولا يناقل به ولا بيعه، بل لا يزال قائما على أصوله وضوابطه مستمرا على شروطه وروابطه، أبد الأبدین، ودهر الداهرين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

يصرف ريعه بعد العمارة الضرورية اللازمة على المؤذنين بالمسجد الحرام بمكة المشرفة أهل الوظائف فى منابر المسجد الحرام دائما أبدا بالسوية بينهم، وإن تعذر إجراء ريع الوقف على المؤذنين أصحاب الوظائف المذكورين ولم يمكن إجراء ذلك مطلقا بوجه ما، فيصرف ريع الوقف على مطلق الفقراء القاطنين ببلد الله الأمين.

وشرط هذا الواقف الوكيل المفوض المذكور عن موكله، أن النظر على هذه الدار الوقف للحاضر معه بالمجلس الشرعى المكرم أحمد أفندى أماصيه لى ابن عمر مؤذن باشى شيخ المؤذنين حالا، فلا يعارضه فيه معارض، ولا ينازعه فيه منازع، ولا يشاركه مشارك، يؤجر ويعمر ويقسم ريع الغلة بالسوية على أصحاب الوظائف المؤذنين جماعته، ثم من بعده يكون النظر لكل شيخ يتولى مشيخة المؤذنين شيخا بعد شيخ دائما أبدا.

وإن آل الوقف لمطلق الفقراء بمكة فالنظر لمولانا الحاكم الشرعى يومئذ، ينظر عليه من أهل الديانة والأمانة من فيه صلاحية لذلك».

(١) فى المطبوع: «وأطد».

«ثم لما أن تم هذا الوقف وانبرم، وعلى هذا المنوال انحسم، وتسلم هذه الدار الوقف المذكورة الناظر عليها أحمد أفندى المذكور، ووضع يد نظارته عليها خالية عن الموانع والشواغل، حضر إلى المجلس الشرعى ثانيا هذا الوكيل الحاج محمد الرزینی المذكور الثابتة وكالته المفوضة عن مولانا السلطان عبد الرحمن المزبور، بين يدي نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه، وأحضر معه الناظر على الدار الوقف المذكورة أحمد أفندى المذكور شيخ المؤذنين، وادعى عليه بوكالته المذكورة بدعوى صحيحة شرعية مستكملة لشروطها ومسوغاتها الشرعية فى هذه الدار الوقف المذكورة، وحددها ورددها بحدودها المذكورة أعلاه، تتضمن دعواه أن موكله عن له الرجوع عن هذه الوقفية ويريد عود الدار المذكورة إلى ملكه ثانيا، زاعماً عدم صحة الوقفية حيث لم تسجل ولم يحكم بها حاكم شرعى متمسكا بقول الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه فى ذلك، وطلب رفع يد الناظر عليها المدعى عليه عنها، وعارضه الناظر فى ذلك أحمد أفندى المذكور بأن ليس لموكلك الرجوع عن هذه الوقفية، وأنها صحيحة ولو لم تسجل، متمسكا بقول الإمامين الهمامين أبى يوسف ومحمد، وأن العمل على قولهما فى الوقفية، فعند ذلك تأمل بينهما نائب مولانا الحاكم الشرعى المومى إليه أعلاه فى ذلك، تأملا شافيا كافيا ورأى برأيه السيد، ونظره الرشيد، أن بجانب صحة الوقفية رجحانا قويا، وطريقا سويا.

ثم استخار الله تعالى وحكم بينهما بصحة الوقفية ولزومها، فى خصوصها وعمومها، حكما صحيحا شرعيا عالما بالخلاف، الجارى بين الأئمة الأسلاف، ومنع هذا الوكيل المدعى المذكور عن إعادة دعوى الملكية، وامثل لذلك وبقي الناظر المذكور واضعا يد نظارته على الدار الوقف المذكورة، وصارت وقفا من أوقاف الله تعالى الأكيدة، مدفوعا عنها بحوله وقوته الشديدة.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُدْلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٨١)

[البقرة: ١٨١] جرى وحرر ٢٠ ذى الحجة الحرام ختام عام الرابع والسبعين والمائتين والألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، شهود الختم:

ترجمانه: محمد أفندى سعيد زاده. كاتبه: دروس أفندى معاص.

مسجله: الشيخ أحمد عزوز حباط. كاتبه: محمد بن المرحوم وسى الفغبي
غفر لهما» من أصله.

استعداده البحرى

كان المغرب على عهده لا تزال له مراكب بحرية تجارية وحرية تمخر العباب ويقتنص رؤسائها مراكب الدول التى ليس لها عقد مهادنة مع المغرب، ولا جواز مرورٍ يُبيحُ لها حرية التجول بمياهه وعبور شواطئه، وكان له بتلك المراكب ورؤسائها مزيد اعتناء، وقد اهتم كثيرا بإرجاع القوة البحرية - التى أغفلها بل أهملها عمه أبو الربيع آتى الترجمة - إلى سابق عزها، وردها إلى شبابها.

فتطوف على الثغور المغربية أواخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، وأمر بإنشاء الأساطيل وضمها إلى البقية الباقية من آثار جده أبى عبد الله محمد بن عبد الله، وأصدر أوامره لرؤساء البحر من العدوتين سَلا، والرباط، أن يخرجوا القراصين للتطوف بالسواحل المغربية وما جاورها، فخرج الرئيسان عبد الرحمن بركاش وعبد الرحمن بريطل، فصادوا بعض المراكب الأجنبية وليس بيدها ورقة الجواز التى تخولهم التجول بتلك السواحل طبق الاتفاق الواقع بين الدولة الشريفة والدول الأروبية، فغنموا تلك المراكب وأتوا بها إلى مرسى العدوتين والعرائش، وبأثر ذلك وقع الهجوم على مرسى العرائش أخذا بالثار، ووقع قتال عظيم بين



ظهیر رحمانی بحیازة (الیطغان) التي كانت عند الرئيس عبد السلام

أهل ذلك الثغر والمهاجم الأجنى دام طيلة النهار، وانجلى بالظهور على المهاجم، وذلك يوم الأربعاء ثالث ذى القعدة عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، وكانت هذه الواقعة وما نشأ عنها من فتح أبواب المشاكل بين الدولة الشريفة والدول الأجنبية من أعظم ما فت فى عضد صاحب الترجمة، وأكبر حائل بينه وبين الوصول لبغيته وغايته وضالته المنشودة.

وقد عثرت على عدة وثائق فى هذا الباب، فمنها ظهير يدل على استعمال تلك المراكب فى نقل الأمناء ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى، الحاج محمد بن التهامى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فالأمينان الواردان عليك فى المركب أنزلهما بمحل حذاء دارك وما معهما من الكمانية واستوص بهما خير إلى أن نقدم، فنحن فى إثره فنهوضنا من ثغر الرباط الفتح يوم الاثنين تاسع شهر تاريخه، وإياك والتراخى فى ذلك سدّدك الله، والسلام فى ٨ شوال الأبرك عام ١٢٣٩».

وكان السلطان ينعم على رؤساء المراكب بـ(اليطغان) تشريفا لهم، وهو سيف قصير محلى بالفضة له قبضة من عاج أو كركدان مرصع بالذهب والأحجار الكريمة، وله غمد كله من ذهب، وقد يكتب على نصله اسم صانعه واسم السلطان المنعم به، وكان هذا اليطغان سلاحا ملوكيا ينعم به السلطان على رؤسائه ما داموا أحياء، فإذا مات صاحبه حيز من ورثته ليدفع لمستحقه، يدل على ذلك هذا الظهير الذى أصدره المترجم ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«نأمر خديمنا الفقيه الحاج عبد الوهاب محبوبه، أن يحوز اليطغان التى كانت عند الرئيس عبد السلام رحمه الله، فإنها من آلة الحرب التى لا تورث،

وإنما ينتفع بها من كانت عنده قيد حياته، وتدفع لمن يستحق الانتفاع بها بعد مماته والسلام وفى ٩ من جمادى الأولى عام ١٢٤٣هـ.

وبعده إعمال بعض القضاة له، ونص كتاب من الوزير ابن إدريس فى الموضوع:

محبتنا الأود الأراضى، الحاج أحمد عواد، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن يطغانا كان عند الرئيس عبد السلام بن الفقيه، ولما توفى حازه منه محبوبة، وعليه فيأمرك مولانا أن تحوزه منه ووجهه إلينا ليصل محله إن شاء الله تعالى والسلام فى ١٧ شعبان الأبرك عام ١٢٥٦هـ.

محمد بن إدريس لطف الله به

وكان السلطان يصدر أوامره للرؤساء بما يكون عليه عملهم، وأين يتوجهون، وعمن يبحثون كما ترى فى هذا الظهير الذى أصدره المترجم ونصه بلفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله (عبد الرحمن بن هشام غفر الله له) وبدائرتة: ومن تكن برسول الله إلخ، وبزواياه: (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، على).

«الخديمان الرئيس عبد الرحمن بريتطل والرئيس الشريف عبد السلام، أصلحكم الله ووفقكم، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فليكن سفركم المبارك السعيد المصحوب بالسلامة والغنيمة إن شاء الله ما مداش واحد تقطعون للبحر الكبير على قان سينط، وتبحثون كل البحث على جنس إيريمل، وجنس لويك وجنس ابروصية وجنس هنبورك، وإذا احتجتم للماء

فادخلوا لجنوة، ولا تقيموا فيها أكثر من ثلاثة أيام ولا تحملون منها إلا الماء، وإياكم والفالطة وعليكم بتقوى الله والصلاة فى وقتها وقراءة حزب القرآن وحزب البحر صباحا ومساء، والله خليفتى عليكم، وإذا تم سفركم وكمل بالخير إن شاء الله فادخلوا مرسى العدوتين إن ساعدتكم للدخول إن شاء الله والسلام فى ٢٦ من قعدة الحرام عام ١٢٤١».

وقد اقتنص يوما الرئيس الحاج عبد الرحمن بركاش مركبا غنيمة، فتألفت لجنة لإحصاء ما احتوى عليه من السلع وتقويمها وبعد أن بيع منها ما بيع، ووجه للسلطان بعضها، كتب السلطان إبراء لأمناء العدوتين الذين تألفت تلك اللجنة منهم ومن أميين تطوانيين وذمى من يهود تطوان وإليك نص ما راج فى ذلك بلفظه:

«الحمد لله وحده بأمر مولانا الإمام، حامل راية الإسلام، سيدنا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين طالع السعد فى غرة عدنان، أبى زيد مولانا عبد الرحمن، نصره الله وأيده، وأيد عساكره وجنوده، آمين، أحصى أمنائه بمرساه من العدوتين حرسهما الله بوجود مولانا أعزه الله وهم خديمه الحاج محمد السويسى والحاج بناصر غنام والحاج عبد الله السدراتى والأمينان الواردان بأمره الشريف أسماه الله من تطوان حرسه الله الحاج عبد الرحمن مدينة الحاج أحمد صالح والذى شميل قرياط من يهود ملاح تطوان، ما احتوى عليه المركب المغنوم على يد رئيس سيدنا المجاهد عبد الرحمن بركاش من السلع على اختلاف أنواعها وتعرفوا وزن ما يوزن منها، وعد ما يعد منها حسبما يذكر ذلك مبينا بتقويم الذمى قرياط المذكور بحسب سعر الوقت فى أوائل ربيع الثانى عام ١٢٤٤:

٠٠٢٤٧٥	سـ٢٥	٠٠٠٠٩٩	زرم ٠٠٠٠٥٠	كناخند كتابي، فروغن
٠٧١٣٦٠	سـ١٦٠	١٤٤٦٠٠	كيله، بيمار الرباط تقريرا قناخين	بوحلات، زيت عددها
٠٠٧٤٢٠	سـ١١٠	٠٥٣٠٠	ميزان بالظارة ٦٣٨٤ صافي	برامل، قفل عدد
٠٠٥٣٧٥	سـ٦٥	٠٨٢٧٠	٩٥٩٢ صافي	صناديق من كبريت
٠٠١٦٤٠	سـ١٠٠	٠١٦٤٠	٢٠٠٦	برامل، حبة حلاوة
٠٠١٤٠٠	سـ٢٠٠	٠٠٥٦٠	٠٦٤٠	برامل، حصا البان
٠٠٧٥٠٠	سـ٧٥	٠٠٠٠٠	٣٥٨٨٠	صناديق من زاج، عدد
٠١٥١٦٥	سـ٩٠	١٦٨٥٦	٦٧٤	صناديق، صغار من شمع الشحم
٠١٩٠٠٠	سـ٢٠	٠٠٩٥٠	٠٠٠٣٥	صناديق، شليان
٠٠٢١٢٠	سـ١١٠	٠٠٠٠٠	٢١٢	صندوق، شمارو تبين
٠٠١٣٦٠	سـ٦٠٠	٠٠٣٤٠	٠٠٤٦٥	صناديق، فيها المنى
٠٠٠٥٠٠	سـ٠	٠٠٠٠٠	بيعت لفصادها	صناديق، منه لبرية
٠٠١٦٠٠	سـ٨٠	٠٢٠٠٠	٢١٧٠ صافي	برامل، شب عدد

٠٠٠٧٥٠	٣٠٠	٠٠٢٥٠	٠٢٨٠	٠٠٠٢	برميلان كريم طرصار
٠٠٠٥٦٢	٧٥	٠٠٧٥٠	٠٩٤٥	٠٠٠٢	برميلان من نافع
٠٠١٨٠٠	٣٠٠	٠٠٠٦٠	٠٠٣٥	٠٠٠١	صندوق كافور
٠٠٠٧٥٠	٥٠٠	٠٠١٥٠	٠١٩٠	٠٠٠١	صندوق تنكار
٠٠١٨٤٥	١٢٠	٠١٢٣٠	١٣٨٩	٠٠٠٨	برامل رهج بيض
٠٠٣٦٠٠	٣٠٠	٠١٢٠٠	١٣٧٠	٠٠١١	برامل ملح التتقية
٠٠٠٥٢٥	٧٠/٢	٠٠٠٧٠	٠٠٩٠	٠٠٠١	برميل ستاحرم
٠٠٠١١٢	٨٠	٠٠١٤٠	٠١٦٥	٠٠٠١	برميل علك الطالح
٠١٠٧٥٨	١٢٠	٠٨٩٦٥	٩٥٠٥	٠٠٣٦	برامل بياض الوجه
٠٠٠٣٩٠	١٢٠	٠٠٧٨٠	٠٨١٧	٠٠٢٤	عرق سوس قطع
٠٠٠٦٠٠	١٠٠	٠٠٠٦٠	٠٠٧٣	٠٠٠١	برميل جلانة
٠٠٠٥٢	٣٠٠	٠٠١٧٥	٠٢٠٠	٠٠٠١	برميل عود عنبر
٠٠٠٢٤٦	١٠٠	٠٠٢٣٥	٠٧٤٥	٠٠٠١	قرص الخزامه

٠٠٨٥٧٥	٣٥	٠٠٣٤٣	٠٠٠٥	صنادق عددها
٠٠١٣٢٥	٠٠٠٤٣	٠٠٠٠١	٠٠٠٠١	صندوق واحد فيه
٠٠٢٥٤٠	٠٠٠٧١	٠٠٠٠١	٠٠٠٠١	صندوق آخر فيه
٠٢٥٠٠٠	٠٠١٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	صندوق آخر
٠٠٢٨٢٨ ١/٥	٠٠١٦	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	خكاك عددها
٠٠٠٦٨٧ ١/٣	٠٠٠٠١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	صندوق واحد
٠٠٣٦٨٥	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	صنادق البحرية فية فية من حوائجهم وقش لاسهم وشمار ووجن قوم الجميع عد ابيهم اجمع هذا
٨٦٩٣٨ ١/٣	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	يختصم فية سطر اعلاه دراهم هذا
١٦٣٣٠٦ ١/٣	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	يزاد علي ذلك المجموع حوله هذا
٢٥٠٢٤٥ ١/١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	يختصم فية قوم اعلاه وحوله دراهم هذا
				وبقي مما لم يقوم مكائات الضرب عددها خمسة عشر هي تحت ابدينا
				صندوقان داخل كل واحد زنايل ما ٨٠ واحد ما ٨٠ خزامة والثاني ما ٨٠ ازيد

صندوق آخر فيه قطع قزدير فيها ماء ٥٠ غير معروف ما فيها

صندوق عددها ١٨ في كل واحد قطعان ماء ٦٠ لم يعرف ما فيها

صندوق صغير فيه قطيمان معموران بقضبان مختلطة مع زريعة وقطيم قزدير فيه ماء

صندوق فيه حجر اكمل وآخر فيه حقان لم يعرف ما فيهما

فرخان فيهما نبات يكون بشاطئي البحر وخشنة فيها عروق ربيع

يوميال فيه نشة عظيم بيضا غير معروف

فراش كبيرة فيها قزازات ٨ ماء وقطع ٨ قزدير فيها شبه برهام

يوطات الشراب كبار ٤٥ صغار ١٠

بيسات قلاع جديد ١٠ واعواد ١٧ تصلح للمركب الجديد لانتطيات وغيرها

٣ =

الحمد لله بالامر المولي أسماه الله وأعز امره * وجعل في الصالحات طيبة ونشره * دفع أمناء المقام العلمي بالله وخدامه

القائد الحاج محمد السورسي والحاج بناصر غنام والحاج العربي معنين برساه من العدو وتبين حرسهما الله بوجودهم ولانا المنظر الغالب

بالله للتاجر الحاج عبد الحيدو هلال مايدكر من نصف سلح الغنيمة من غير المستثنى في العشرين من رمضان المعظم عام ١٢٤٤

کافیکد کتابی رزم عدد					
برامل فلفل عدد	۱۳۳۷ ۲/۲	غیب دراهم	۲۵	۰۰۴۹ ۱/۲	
صنادق کبریت	۳۷۱۰	۱۰۰	۲۶۵۰	۰۰۳۰	میزان صافی
برامل حبه حلالة	۳۶۸۷ ۲/۲	۶۵	۴۱۳۵	۰۰۱۶ ۱/۲	
صنادق زاج	۳۸۲۰	۱۰۰	۰۸۲۰	۰۰۰۶	
شمار تبن عدد	۳۷۵۰	۷۵	۱۷۹۴۰	۰۰۵۰	عدد ما فیها زاجا
برامل شب	۱۰۶۰	۱۰۰	۰۰۱۰۶		
برمیل کریم طرطار	۰۸۰۰	۵۰		۰۰۰۴	
برمیل نافع	۰۳۸۵	۳۰۰	۰۰۱۲۵	۰۰۰۱	
نصف صندوق کافور	۰۲۸۱ ۱/۲	۵۰	۰۰۳۷۵	۰۰۰۱	
تنکار	۰۹۰۰	۳۰۰	۰۰۰۳۰	۱/۲	
برامل و هیچ	۰۳۷۵	۵۰۰	۰۰۰۷۵	۰۰۷۵	
برامل ملح تنقیة	۰۹۲۲ ۱/۲	۱۵۰	۰۰۶۱۵	۰۰۰۴	
	۱۴۰۴	۳۰۰	۰۰۴۶۸	۰۰۰۴ ۱/۲	

٩٦٩٢ ١/٣	٠٠٠٦	٨٠	٠٠٠٧٠	١/٢	علك الطلح نصف برميل
٥٣٧٩	٠٣٧٩	١٢	٠٤٤٨٢ ١/٢	٠٠١٨	برامل بياض الوجه
٠١٩٩	٠١٩٩	٥٠	٠٠٣٩٠	٠٠١٢	قطع مرق سوس
٠٠٢٦ ١/٤	٠٠٢٦ ١/٤	٣٠	٠٠٠٨٧ ١/٢	١/٢	عبر نصف برميل
٠٢٨٥	٠٢٨٥	٣٠٠	٠٠٠٩٥		خط منطقية
٠٦٣٧ ١/٢	٠٦٣٧ ١/٢	١٥	٠٠٠٤٢ ١/٢	عدد ٠٠٠١	صندوق تصاویر من زاج
٠٢١٠	٠٢١٠	٠	٠٠٠٤٢		شمارو عدد
٠٢٠٠	٠٢٠٠			٠٠٠٢ ١/٢	کواغد خواتم
٠٣٣٧ ١/٢	٠٣٣٧ ١/٢			٠٠٠١ ١/٢	کاغید ونصف
٢٤٤٥	٢٤٤٥	٣٠	٠٠٠٨١ ١/٢	٠٠٠٧ ١/٢	فروض عدد
١٥٤٥	١٥٤٥	١٥	٠٠١٠٣	٠٠١٠ ١/٢	فروض عدد

برامل عقیق ابیض	۰۰۱۳	میزان	۰۰۶۰۷ ۱/۲	۱۰۰	۰۶۰۷ ۱/۲
برامل عقیق ملجہ	۰۰۰۵ ۱/۲		۰۱۹۷۲ ۱/۲	۱۰۰	۱۹۷۲ ۱/۲
برامل عقیق وردی	۰۰۰۴ ۱/۲		۰۰۰۸۰	۱۰۰	۰۰۰۸۰
برامل عقیق فروزی	۰۰۰۵		۰۱۶۷۷ ۱/۲	۱۰۰	۱۶۷۷ ۱/۲
برامل عقیق ذہبی	۰۰۰۲ ۱/۲		۰۰۰۹۹۰	۱۰۰	۰۰۰۹۹۰
برمیل عقیق شبیہ	۰۰۰۱		۰۰۳۲۷ ۱/۲	۱۰۰	۰۰۳۲۷ ۱/۲
برمیلان من عقیق اصفر	۰۰۰۲		۰۰۷۲۳ ۱/۲	۲۰۰	۱۴۴۷
برامل عقیق اخضر	۰۰۰۲ ۱/۲		۰۰۹۵۶ ۱/۲	۲۰۰	۱۹۱۳
برامل عقیق زریجہ	۰۰۰۱ ۱/۲	کواغذ	۰۰۰۲۵ ۱/۲	۱۰۰	۰۰۲۵
صندوق مبدوع	۰۰۱۰	کواغذ	۰۰۴۱۸ ۱/۲	۲۲ ۱/۲	۹۴۱۶ ۱/۴
صندوق عقیق بزیدی الوان	۰۰۰۱	کواغذ	۰۰۰۲۴	۳۰	۰۰۷۲۰
نصف صندوق عقیق	۰۰۰۰	کواغذ	۰۰۰۲۳ ۱/۲	۳۰	۰۰۷۰۵
					۱۴۴۵۶ ۱/۲

٤٢٨٧	١/٢	مستوم ^{٧٥}	٠٠١٧١	١/٢	٠٠٠٠٢	١/٢	صنادق عقيق خناق اللون
٠٦١٢	١/٢	بهذا	٠٠٠٢١	١/٢	٠٠٠٠٠	١/٢	نصف صندوق ميدوع وغيره
١٠٢٠			٠٠٠٣٥	١/٢	٠٠٠٠٠	١/٢	نصف آخر انواع عقيق
٠١٧٢٨			٠٠٠٥٠		٠٠٠٠٠	١/٢	نصف آخر عقيق حب الرمان
٢٥٠٠		مستوم			٠٠٠٠٣		حقاق مبال وعقيق اذرق
٠٦٢٥	١/٢	بهذا	٠٠١٩٩	١/٢	خيوط		نصف صنادق البحرية وحو نجهم وقش لباسهم وشمار ربع اسقاط مرآة ١٩ توجهت وغن الجبن
١٦٨٢	١/٢						
٠٦٧٤٧٨	١/٢						
١٥١٦٥		مستوم بحب ^{٩٠}			١٦٨٥٠		يزاد على ذلك الشمع بنامه صنادق ٠٠٦٧٤ ميزان صافي
٠٧٠٢٢٠					٠٠٥٠٥		أخذ الحاج عبد الجيد اعلاه من سوم اثني عشر مثقالا للتقطار فزاد ثمنه على ما قوم به هذا
					٠٨٧٦٩٨	١/٢	اجتمع ثمانية آلاف مثقال وسبع مائة مثقال وتسمه وستون مثقال وغان اوانق ونصف اوقية هكذا

المدفوع جميع ما رسم اعلاه من الاثمان هو بذمة الحاج عبد الجيد المذكور حيث اشير للجانب المالي بالله الى الايراد منه وقيدته شاهدا به عليه وعلى الامناء المذكورين معه بالشار اليه بعد اشهادهم به بآتمه بتاريخ اعلاه ٤

= ٣ =

١٤٠٠	٢٥٠	٥٦٠	٠٣	ميزان صافي	برامل حصليان
١٣٦٥	٥٠٠	٣٤٠	١٥	صافي	صندوق التي
١٥٧٠٠	٢٠	٧٨٥	٥٥	صافي	صندوق شايان
٣٣٠٠	٢٠	١٦٥	٠١		وتوجد للاخير بنعيس لفاس
٥٠٧٩٢	٣٠٠	٢٦٤	٠٢		برامل ملح تنقية
٥٠٥٢٥	٧١/٢	٥٧٠	٠١		برميل تنمنا حرم
٥٠٦٠٠	١٥	٥٦٠	٠١		برميل جلانية
٥٠٣٢٤	٦	٥٥٤	٠٠		شيلان بلوري عدد
٥٠٢٢٥	٧١/٢	٥٣٠	٠٠		صندوق داخله حفاق ٣ رند صيني ميزان
٥٠٧٠٠	١٠٠	٥٠٧	٠٠		فرض واحد داخله شقق كرية

مستوم ٠٠٠٨

كاغيد كتابي رزم

جميع ذلك هذا

= { =

الجد لله توجه للحضرة الشريفة الاعلى بالله قبل بمراكنة مع المبطرة :

حق فيه عقيق منتظم مدجات

مستوم ٧١/٢

٠٣٩٠

آخرفيه مدجات منه

مستوم ٧١/٢

٠٠٦٠

آخرفيه مرجات مثله

٠٠٨

٠٠٦٠

آخر ماضر مبدوع ٢ مستوم وعقيق مدجات

٠٠٤

٠١٣٠

آخر فيه عقيق منظوم محائر

مستوم ٧١/٢

٠١٢٠

آخر فيه مدجات

٠٠٦

٠٠٤٥

آخر فيه مدجات

٠٠٨

٠٠٤٥

آخر فيه عقيق شبكات

١١

مستوم

٠١٦٥	$\frac{٧-١٢}{٧١/٢}$	٢٢	مع مدجات
٠٠٦٠	$\frac{٧١/٢}{٧١/٢}$	٠٨	آخر فيه عمار
٠٠٤٠	$\frac{١٠}{٧١/٢}$	٠٤	آخر فيه عزوم رخام
$\frac{٠٢٠٢١/٢}{٧١/٢}$	$\frac{٣٧/٢}{٧١/٢}$	٥٤	كوسيات من عقيق
٠٠٣٣	$\frac{٣}{٧١/٢}$	١١	مدجات
٠٠٢٤	$\frac{٢}{٧١/٢}$	١٢	سفایف سود
٠٠٩٣	بهذا	٥٠	خیوط عقیق مبال
٠٠٩٥	$\frac{٩}{٧١/٢}$	١٩	ومن حوائج البعيرية مرآة
٠١٢٠	$\frac{٣٠}{٧١/٢}$	٠٤	كاغید رزم كتابی
$\frac{٠٠٦٨٢١/٢}{٧١/٢}$			صندوق حكاك ٧ خواتم وحكاك ٣٧ قرط وقفاث نافضة

٥ = الحمد لله وحده (ثم طالع سلطاني)
 توصلنا بحمد الله وقوته بالسائل الرسومة اعلاه من سلع الانبيمة وأمرنا امانا المدونين من ذلك ابواه تاما صدوره امرنا
 المتز بالله ٩ شوال المبارك عام ١٢٤٤ هـ

ومن أدلة أعتناء المترجم بالمراكب الحربية ما كان يوفده من البعثات الفنية لتفقد أحوالها والكشف عنها واختبارها، كما يستفاد من هذا الكتاب الذى وجهه لحضرته بعض ولاته فى أواخر عهده، ونصه من أصله المحفوظ بمستودع الأوراق الرسمية بالحضرة الشريفة من رباط الفتح بعد الحملة والصلاة:

«بعد أداء ما يجب على الخديم، من التبجيل والتعظيم، لمقام مولانا العلى بالله العظيم، أطال الله بقاءه، وأدام فى معارج الفخر علاه وارتقاءه، ينهى لشريف علم مولانا المعتصم بالله أنه ورد عن أمر مولانا الشريف لهذا الثغر السعيد بوجود مولانا المعلم الغازى السلوى النجار حرفة^(١)، والرايس الحاج عبد الرحمن بريطل الرباطى، واليكافجى الحاج أحمد بن سعيد النسب بقصد النظر إلى مراكب مولانا الجهادية واختبار أجفانها، وتوجهوا إليها مع معلم نجار من هذا الثغر السعيد وقائد مرساه ونظروها نظرا عاما، واختبروها اختبارا تاما، فألفوا المركب الذى صنع عن أمر مولانا ثبت الله أجره برباط الفتح راشى متلاشى لا يرجى نفعه لا فى الحال ولا فى المستقبل، ولا يصلح لصالحة وسلامته من الغرق فى البحر محال والمركب الثانى والثالث حسبما أشير إليهما فى الرسم الوارد بالعدول للحضرة

(١) فى هامش المطبوع: «كان هذا المعلم مكلفا بالخدمة فى مرسى العدوتين، وقد جاء فى ظهير لخليفة المترجم ولده سيدى محمد أصدره فى عدم التعرض لمن يختاره للخدمة معه ما نصه: «يعلم من هذا أننا بحول الله، ثم وجود مولانا أدام الله تأييده ونصره وعلاه، جددنا لماسكه الأشيب المعلم الغازى السلوى النجار حرفة حكم ما تضمنه ظهير سيدنا الذى بيده من جعله فى مقابلة الخدمة بمنجرة مرسى العدوتين وتخصيصه بالقيام بالكلف التى بها وعدم تعرض أحد على من يعينه للخدمة معه من النجارين والنشارين والمزبرية الذين بالمرسى المشار إليها فنأمر الواقف عليه من عمال أمرنا وولاته أن يعمل بمقتضاه، ولا يتعدها إلى ما سواه، والسلام فى فاتح جمادى الثانية عام ١٢٧١» ثم الطابع من أسفله: محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله».

الشريفة، يرجى إصلاحهما، لكن بعد ما تشنى قيمتهما المشتران بها، وهذا ما ذكر من ذكر فى الرسم حسبما يطالع عليه مولانا ونظره أوسع، ورأيه الشريف السديد أنفع، وبما يأمرنا مولانا المعتز بالله عليه عملنا والسلام بأتمه معاد على الحضرة الشريفة.

وفى ثانى عشر ربيع الأول النبوى الأتور عام ١٢٦٨ م قبل العتبة الشريفة محمد بن عبد السلام وفقه الله «صح من أصلها المشار له صدره وقوبلت عليه فمائلته حرفا حرفا من غير إصلاح ولا زيادة ولا نقص.

ومن ذلك ما أفاده أبو القاسم الزيانى فى كتابه المعنون بتاريخ الولاية، المحموده البدء والنهاية - وهو من نفائس محتويات مكتبتنا - من شرائه مركبين حربيين وتعميرهما بالعساكر والمدافع، واختار لذلك من له رسوخ وثبات فى الدين، وصارا يتجولان فى البحر إلى أن انقض أحدهما على مركب إنجليزى وجده غير متأبط لورقة الجواز، وسار به إلى مرسى الرباط أسيرا، ثم لما اتصل الخبر بقنصل الإنجليز القاطن بطنجة، طلب من صاحب الترجمة أن يرد عليه مركبهم لأنهم مسالمون للسلطان قبله، واعتذر على عدم حمل المركب لورقة الترخيص فى الجواز بأنه خرج من بلد ليس به قنصل يعطيه الورقة، وأن السنجق (العلم) يغنى عنها فلا تسمح القوانين والحالة هذه بأخذ ذلك المركب أسيرا.

ثم اجتمع قناصل الدول للنظر فى القضية فسلموا عذر القنصل الإنجليزى وعضدوا ما احتج به، فسلمه المترجم لهم، وأسر المركب المغربى الآخر مركبا نامسويا، ولم يكن لهم عقد صلح مع الدولة المغربية، ولما اتصل بهم الخبر أنهضوا سفيراً لطنجة يطلب رد مركبهم عليهم ويزعم أن باشدورهم متأهب للقدوم على الحضرة السلطانية متأبط لهدية من سلطانهم للمترجم لطلب عقد الصلح، واتخاذ قنصل لهم بطنجة، فأبى المترجم من رد المركب، واحتج بأنه أخذ فى وقت الحرب، فرجع ذلك السفير خائبا.

ولما أخبر بذلك عظيم النامسة اشتد غيظه، ووجه مراكب قرصانية للاحتيال على قنص مركب من المراكب المغربية، فصار ذلك المركب القرصانى يتطوف بنواحي مياه المراسى المغربية، إلى أن رأى مراكب منها بمرسى العرائش فحدثه أطماعه بالقبض عليها، ولما قابلوا المرسى أنزلوا عددا من الجند بالبر وقصدوا المراكب السلطانية، لإخراجها من المرسى، فحال بينهم وبين ذلك أهل البلد والمجاورون لها، وأحاطوا بهم قبل وصولهم للمراكب واستأصلوهم قتلا، وقطعوا رؤوسهم ووجهوا بها للحضرة السلطانية بفاس هـ.

وقد كان العمل جاريا بحمل المراكب المغربية التجارية للجوازات البحرية المشتملة على اسم الرئيس والمركب وعدد بحريته، وإليك مثالين أصدرهما المترجم لمركبين مغربيين اسم أحدهما أصيلة، والآخر ميمونة.

نص الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بلفظه:

«كتابتنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وأحلى فى المألأ الأعلى ذكره، بيد خديمتنا الرئيس عبد السلام بن محمد بن محمد بن الفقيه الشريف السلوى، يعلم منه بحول الله وقوته، وشامل يمينه ومنتته، أننا أذنناه بالسفر بقصد التجارة فى مركبنا السعيدة البازركان المشتملة على صارى واحد المسماة ازيلة عدد بحريتها عشرة بالرئيس المذكور، ويخض إن شاء الله فى البحر الصغير والكبير مشترطا عليه أن يشتغل فى جميع أموره كلها بما يعنيه متحريرا للأمور المذمومة المخلة بالدين، وأن لا يتعدى القانون المتعارف بيننا وبين أجناس النصارى، وأن لا يحمل فى مركبه مثل الخمر والخنزير، فإن حملها^(١) فقد تعرض لغضب الله ونكالنا بحول الله، وبعد قضاء أربه من المحل الذى حل به يئوب إلى أى مرسى من مراسينا السعيدة بالله تيسرت، كما نؤكد على من يقف عليه من حكام المدن من مدائن النصارى والقراسين... وخدامينا، ولما نضاطس مراكب الحرب وحراسين المصالحين معنا أن

(١) عبارة المطبوع هنا مضطربة، والمثبت يستقيم به المعنى وهو المناسب للسياق.

يوقره ويحترمه، وأن لا يحدوا عما أبرمه أمرنا الشريف ولا يتعداه، وعلى الرئيس وبحريته بتقوى الله سرا وعلانية، والصلاة فى أوقاتها، وربنا الفتاح، إنه على ما يشاء قدير، والسلام بهذا صدر أمرنا المعتز بالله فى ١٤ ربيع النبوى الأنور عام ١٢٤١».

ونص الثانى :

«كتابنا هذا السامى بفضل الله وقدره، النافذ بإذن الله سبحانه نهيه وأمره، يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، أنا أذنا فى سفر المركب البازرقان الذى صورته سكوته فى البحر بينديرتنا السعيدة، وحمل ما يحمل من السلع وأنواع المتاجر البرية والبحرية، واسم المركب ميمونة، ورئيسه الحاج أحمد، وبحريته ستة، فالواقف عليه من رؤساء مراكب الأجناس المصالحين مع جنابنا العالى بالله يعظم قدره، ويرفع جانبه وخطره، ويجرى معه طرقة البحر على القوانين المقررة، والشروط المعروفة المحررة، من غير تعرض له بأذى ولا مكروه، فى مذهب من المذاهب ولا وجه من الوجوه، وقوفا عند ما سطرناه، وعملا بما ذكرناه، صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٠ ذى القعدة عام ١٢٦٢».

ونص جواز آخر صدر للرئيس الحاج بناصر مرسيل الرباطى بالمرور بجنوة من إيطاليا بعد طابع المترجم الكبير من أعلى :

«إلى الولاة الذين فى خدمة سردينيا وولاة الدول الأجنبية أن يسرحوا سبيل ماسكه لما بيده عند الحاجة وهو السيد الحاج بناصر مارسيل، الذى مسقط رأسه رباط سلا، الساكن هناك، الذهاب إلى مادرا، المصحوب بـ هذه المأذونية مطلقة مدة رحلته أعطيت إياه، نيابة عن سيادة جناب المفوض القنصل العام نائب القنصل بجنوة.

عمره ٣٥، القامة متوسط شعره أسود حاجباه أسودان، عيناه أسودان، الجبهة مرتفعة، الأنف متوسط، الفم مستدير، اللحية سوداء، الوجه مستدير، وعلى جبهته جرح برئ وكتب بجنوه فى ٥ يوليو ١٨٢٩».

وكان المترجم قد أذن لسفراء الدول بطنجة فى النيابة عنه فى شأن الحجر الصحى على المراكب البحرية الواردة على مراسى المغرب وتسريحها على مقتضى القانون الدولى العام الجارى فى ذلك، وقد أقر هذا العمل من بعده حفيده السلطان المولى الحسن ونص ظهير الإقرار:

«يعلم من هذا الكتاب الكريم، المقابل أمره السامى بالله بالإجلال والتعظيم، أننا بحول الله وقوته أقررنا جماعة نواب الأجناس المحبة الذين بثغر طنجة المحروس بالله تعالى على ما كان أقرهم عليه سيدنا الجد المقدس بالله من الإذن لهم فى التصرف نيابة عن الجناب العالى بالله، فى أمور السداد الذى هو التصرف فى قبول المراكب التى ترد على المراسى ودفعها وجعلها فى الكرنيتلة، وتسريحها على مقتضى قوانينها، وذلك فى البحر فقط دون البر، لكونهم أعرف بتلك القوانين، وتكليف أسلافنا الكرام لهم بذلك دليل على محبتهم لجانبنا العالى بالله، وحرصهم على نفع الرعايا وضبط مصالحهم إقراراً تاماً نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتر بالله فى ٧ ربيع النبوى الأنور عام ١٢٩٦».

وحدثنى من وثقت بخبره أنه لما بويع المولى عبد الرحمن علق بعض الأجناس المجاورين للإيالة المغربية الاعتراف بسلطنته على إبطال القوة البحرية

فامتنع، وبعد مراجعات وقع الاتفاق على بناء الأبراج بشجر الرباط، فأمر ببناء برج السراط، وبرج السقالة، وبرج الدار، وبرج القصبة والسقالة، ثم إن المترجم هو الذى أمر على وجه السر بتغريق الأسطول البحرى المغربى لأمر أوجه.

علائقه السياسية

كان للسلطان المولى عبد الرحمن علائق ودية مع ملوك عصره وأمرائه المسلمين وغيرهم من الأوربيين، فقد راسل السلطان عبد المجيد الأول العثمانى، وخطبه مهنتا ومعزبا، كما هادى عباس باشا الأول صاحب مصر، ولما توفى باى تونس وتولى مكانه المشير محمد باشا، راسل السلطان سنة ١٢٧١ معلنا تبوأه عرش الإمارة ومجددا عهد السلف، فأجابه المترجم بكتاب من إنشاء العلامة الأديب اكنسوس.

ولما توجه ولديه سليمان والرشيد للحج سنة ١٢٦٥ ركبوا فى سفينة إنجليزية ذهابا وإيابا، وأصحبهما هدية سنية إلى عباس باشا أمير مصر، قال صاحب الابتسام: إنها كانت تشتمل على خيل وسرج مذهبة وبغال فارهة، وتحف من طرائف المغرب، فكانا فى ضيافته من يوم حلولهما فى ثغر الإسكندرية إلى أن رجعا إليه مغربين، وقام بكل ما يحتاجان إليه من زاد ومركوب حتى وصلا لمكة، ومن مكة إلى الإسكندرية، وبعث معهما أبوهما صدقة للحرمين، وكان مدة السفر ذهابا وإيابا خمسة أشهر لخ.

وقد وقفت فى مستودع الأوراق الرسمية بالدار العلية من رباط الفتح على رسالة كتبت للسلطان المترجم تدل على نوع من العلائق والاتصال مع على باشا والى مصر، جد عباس باشا المذكور، ونصها بلفظها بعد الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل البساط بين يدى أمير المؤمنين نصره الله، ودام لنا وللمسلمين

وجوده.

وبعد: يكون في كريم علم مولانا أن الحاج عبد السلام اقلع الذى كنا وجهنا بالغنم للباش محمد على، فقد وصل مصر وتلاقى بالباشه ودفع له الغنم وفرح بها الباشه غاية حتى قبل واحد (كذا) من أولادها، وسأله عن مولانا وعن أمر المغرب، وقال له هل عند مولانا نضام (كذا) قال له نعم قال له المعلمين مسلمون قال للكاتب أعطيه كتوب النضام و فأعطاه كتب ٣٥ ومنهم واحد طيب جيد غاية وهذا الحاج عبد السلام يفهم فى أمر النضام، نطلب من مولانا يعرفنا هل نبعث الكتوب أو نبعث معهما الحاج عبد السلام والباشه أعط للحاج عبد السلام سيف جيد وكسوة ملف ومات ريال .

وأما أمر الفرنضيص ما تحقق عندنا، لأن فرنصه لا زالت قائما وسلطانهم هرب هو وزوجته، ولم يتحاقق أين هو وزوج من أولاده وصل للنضره، وأولاده إلى كان فى الجزاير هرب، ووصل إلى سبنيه ومنها ذهب للنضره وصل للنضره بأولاده وفى فرنصه التفق أن لا يعمل سلطان، وإنما يعمل مثل المركان يحكمون أربعون، وقد نهب دار السلطان والوزير، والله يقوى شرهم ويصل مولانا موسطرت كرية جيده عددها ٢٠٠ نطلب من مولانا يأخذها منا مثل الذى قبلها سوم ١٥٠ للماه وثمانها يقطع مما بدمه شريكنا بهلال فى سوير وربنا يدوم لنا وللمسلمين وجود مولانا نصره الله والسلام ١٠ من ربيع الثانى عام ١٢٦٤ عبد ربه الخديم محمد الرزىنى»، صح من أصلها وقوبلت عليه فمائلته حرفا حرفا ولحنًا وتحريفًا وركاكة .

وقال فى الابتسام لما ذكر ورود يوسف المدنى المتقدم الذكر: هو رجل أديب ورد من المشرق على حضرة الأمير سنة سبع وخمسين فأكرمه وبالع فى إكرامه، ولما أراد الرجوع للقسطنطينية رواده السلطان على أن يبلغ كتابا من حضرته إلى

حضرة عبد المجيد خان والكتاب فيه التعزية والتهنئة، لأن ذلك كان عقب موت السلطان محمود خان وولاية ولده عبد المجيد خان، فلما صادف وروده وقوع الأمرين، رأى سلطاننا أبو زيد، أن من المناسب أن يبعث كتابا فيه التعزية والتهنئة رعاية للود، وحفظا لما تقادم من العهد، وكان يوسف قبل ذلك مقيما بدار الخلافة عارفا باصطلاحهم وما يناسب في حقهم ويعرف أعيان دولتهم، ويعرف الباب التي يدخل منها مع ما كان عليه من الأدب والذكاء وحدة الذهن ومعرفة القوانين الجارية عندهم، فيؤدى بسبب ما ذكر أحسن أداء، ويوفى البلاغ بأكمل وفاء، فلما دفع له الكتاب أخذه ومشى مكرما ثم رجع مرة ثانية بجواب الكتاب فى سنة ثمان وخمسين فأنزله السلطان على الفقيه ابن إدريس فبالغ الفقيه فى إكرامه، وإتحافه وعظم جانبه، وكان يلتمس فى كل الأمور خاطره، ويكرم لأجله وارده وصادره، حتى سافر ثم رجع مرة ثانية بعد سنة فأكرمه السلطان بمثل إكرامه فى المرتين السابقتين هـ.

وأما أوروبا فقد كان له مع دولهما علائق ودادية سياسية تجارية ومخاطبات مع ملوكها ورؤسائها، وقد أقر معاهدات أسلافه معها وعدل معها ما عدل وأنشأ ما أنشأ:

فالدولة الفرنسية أقر سنة ١٢٣٩ اتفاق جده سيدى محمد بن عبد الله المعقود معها، وفى نفس السنة أذن بإصدار أربعة آلاف رأس من الثيران وثلاثمائة ألف قنطار من الشعير لتموين الجيش الفرنسى الموجود حينئذ بإسبانيا على سبيل الامتياز، ونص الاتفاق المنعقد فى ذلك بين نائبي الطرفين بحضور القائد محمد أيمون الكروانى عامل طنجة:

«الحمد لله نسخة من الشروط فى شأن وسق الثيران بين سيدنا نصره الله والنصرانى ويقطور وكذلك فى شأن الشعير، وهذه هى: الحمد لله، عقدة شروط

انعقدت بحضرة خديم المقام العلى بالله الأمجد الأسعد القائد محمد أميمون بين خديم سيدنا نصره الله، التاجر مير ابن مغنين فى أمور التجارة مما هو مذكور فى الأوامر الشريفة المقروءة على كافة قنصوات جميع أجناس النصارى حسبما بأيديهم نسخ منها بالعدول، وبين الرومى ويقطور وكيل ونائب العلاف الكبير على العساكر الفراضية وجيوشها، الذى هو الآن فى بلاد إصبينول تحت سنجق الفراضية بواسطة فونصو الفراضية وهو الرومى صرد المقيم فى الوقت تحت إيالة مولانا المنصور بالله اتفقا عليها على ما سيذكر:

الشرط الأول:

سرح مير ابن مغنى المذكور بأمر سيدنا نصره الله الذى هو فى يده للرومى المذكور أربعة آلاف رأس من الثيران وثلاثمائة ألف قنطار من الشعير بميزان الغرب على شروط المبينة بعد.

الشرط الثانى:

التزم الرومى المذكور بأن يدفع هو إن كان حاضراً أو يترك نائبه إن كان غائبا بعد وسق الثيران المذكورين اثنى عشر ريالاً صاكة، لكل رأس منها لمن يأذن مولانا نصره الله، وبعد وسق الشعير المذكور نصف ريال لكل قنطار من القناطير المذكورة صاكة لمن يأذن أيضاً مولانا نصره الله.

الشرط الثالث:

إن وسق ما ذكر يكون بالمراسى المبينة بعد وهى مرسى تطوان والعرائش وطنجة على رضا الرومى المذكور أو نوابه.

الشرط الرابع:

إن الرومى المذكور يدفع فى الشهر الذى يقدم فيه أمر سيدنا نصره الله باستحسانه لجميع ما سطر صدره عشرين ألف ريال من حساب وسق الثيران

والشعير، حسبما فى الشروط الأول، ويقتطع عند وسق ما ذكر من العدد المذكور قدر ما يلزم فى الوسوق قل أو جل، على حسب التوالى حتى يفرغ المال المدفوع.

الشرط الخامس:

إذا خرجت جيوش الفرنضيص من بلاد الأندلس فقط قبل تمام وسق ما ذكر فالرومى ويقطور المذكور له الخيار بين أن يكمل الوسق المذكور بجميع شروطه المذكورة أو يتركه، وإذا كان قد بقى شىء من العدد المدفوع فإما أن يسبق فيه الثيران والشعير أو يسبق برضا سيدنا نصره الله. الشمع بتسع ريالات للقنطار صاكة أو الجلد بثلاث ريالات صاكة، وإذا لم يرض سيدنا أيده الله بذلك فيأخذ دراهمه الباقية ووسق الثيران والشعير من الباقي المدفوع كما ذكر يكون بالصاكة المذكورة قبل.

الشرط السادس:

التزم على نفسه خديم مولانا المنصور بالله مير بن مغنين المذكور بأن ييسر لرومى المذكور جميع ما يحتاج إليه من المواجه التى يسبق فى سائر المراسى المذكورة، على حسب ما بيده من إذن سيدنا ومولانا نصره الله، ويبدل جهده فى ذلك حتى لا يتعسر عليه شىء فى الوسق المذكور، ويكون العمل على الشروط المذكورة من غير أن يتعرض له أحد، ويشرع الرومى المذكور فى عمل الشروط من يوم تاريخه.

الشرط السابع:

إن هذه الشروط المذكورة المجعولة مع الرومى المذكور فى الوسق المذكور إنما هو للفرانضيص الذين ببلاد إصبانيا لا لغيرها من بلاد الأجناس الآخرين، على هذا انعقدت هذه الشروط المذكورة بين الرومى وبين مير المذكورين، فمن حضر



اتفاق مير بين مغنين و(فكتور)... بواسطة قنصل فرنسا على وسق الثيران
والشعير من المغرب

العقد المذكور قيده شاهدا به عليهما فى الثانى والعشرين من ربيع النبوى الأنور عام ١٢٣٩» عبد ربه تعالى أحمد بن محمد الرفاعى لطف الله به أمين، وبعده طابع خديم مقام العالى بالله محمد بن ميمون الله وليه وبعده خطوط اليد النصرانى المذكور وقنصو الفرانصيص وخليفته، وكذلك خط اليد خديم المقام العالى بالله مير بن مغنين المذكور بالكتابة بالرومى» وبعد ذلك ختم باللّك الأحمر وخط إفرنجى .

وقد أرسل إليه الملك لويس سفارة برياسة الكونت (دومرنى) لتجديد روابط الوداد واستتباب الأمن بين الدولتين فوصلت فى ١٥ مارس سنة ١٨٣٢م لمكناس، وكان استقبال السلطان للسفير فى ٢٢ من الشهر وهو يومئذ بمكناس، وكانت مطالب الملك المذكور محصورة فى رسالة منه، وهى التخلّى عن تلمسان واسترجاع ابن العامرى والتزام الحياد التام فى مسائل داخلية الجزائر وإرجاع الوفد الجزائرى الذى كان إذ ذاك بمكناس، وأداء قيمة السلع التى كانت بسفينة (نيبتون) التى حرثت أمام وادى نول سنة ١٨٢٠، وحصر واجبات المعشرات بالديوانات ما بين الدولتين، وبقيت المفاوضة جارية بين السفارة والملك بواسطة الوزير المختار الجامعى، والطالب ابن جلّول إلى رابع إبريل، وكانت النتيجة عدم اعتراف السلطان بمسئولية ما ضاع فى تلك السفينة، حيث كان ذلك فى دولة السلطان قبله، كما أنه لم يساعد على الاتفاق الجمركى، وكتب رسالة رسمية إلى لويس فليب التزم فيها استرجاع محمد بن العامرى بعد ما أنكر أعماله السيئة، وأن لا يوجه رسلا إلى الجزائر ما دامت تحت حكم الاحتلال الفرنسى، وأن لا يكلف أوريبا بشئون المغرب فى الجزائر وتخلّى عن تلمسان، ورد الوفد الجزائرى الذى كان بمكناس بدون نتيجة .

ثم إن الملك لويس المذكور استدعى قنصله بالمغرب وأقام (ميش) قنصلا مكانه وكتب للمترجم بذلك فأجابه بما نصه بعد الحمدلة والحوقة:

«من عبد ربه الراجى عفوه ولطفه ومعونته ورفده، اللاجئ إلى حوله وقدرته فى كل الأحيان، المتمسك بحبل قدرته العظيمة الشأن، وهو (الطابع الكبير بداخله عبد الرحمن بن هشام الله وليه): أبد الله سعوته، وأصبح النصر والظفر والتأييد أعلامه وبنوده، إلى المحب الذى بان صدق وداده، وتوفرت دواعى مواصلته ومعاونته وإنجاده، عظيم جنس الفرانصيص لوى فيليب.

أما بعد: فقد وافانا كتابكم الآخذ من البلاغة أوفر نصيب، وعلى كمال عقلكم شاهد غير مريب، فقد أحيا رسوم الوداد، وأكد جميل الاعتقاد، فاعلم بأن الوداد لا زال بمحله طالبين من تعاطى أسبابه المزيده عليه، وقد وصل القونص الذى وجهتم ميش ليكون مكان القونص قبله فتلقيناه بالقبول، وألبسناه رداء عنايتنا المسدول، وخصصناه بين القونصوات بمزيد الحظوة والشفوف، لثنائكم عليه بما هو به لديكم موصوف، ووجهنا ذى لبرط بيش قونص القديم المكث بإيالتنا مكروم الجناح لأجلكم، وهذا هو شأن الأحباب، والسلام فى ٦ ذى القعدة الحرام عام ١٢٤٨» من أصله المحفوظ بقسم المغرب من وزارة الخارجية الفرنسية.

وفى ٢٧ يوليو عام ١٨٣٦ ورد على المولى عبد الرحمن الكرونيلى (دولارو) سفيراً والسلطان يومئذ بمكناس مذكرا فى معاهدة مرنى السالفة ومحذرا ومنذرا فى موالاة الأمير عبد القادر، وطالبا كف رعاياه عن الانضمام للمذكور وإلزامهم الحياد، وإلا يُعدّ ناقضا للعهد فيؤذن بحرب.

وطلب الإمضاء على شروط سبعة، منها: الاعتراف باستيلاء فرنسا على الجزائر، وملازمة الحياد، وأن يمنع الجزائريين من الالتجاء للمغرب، وأن تطلق حالا سراح الأسارى الفرنسيين الذين بالمغرب، وإلا فإن فرنسا تجاهر بعداوتها، وتهجم على مراسى إيالته.



كتاب رحمانى إلى لويس فيليب ملك فرنسا بوصول القنصل (ميش)

وقبوله

وكانت مقابلة السلطان لهذا السفير واستلامه منه أوراق مأمورية سفارته في ٣٠ يوليو.

وكان جواب السلطان أن له الرغبة في مسألة فرنسا، وعين له محمد الطيب البياز للمفاوضة، وبعد انتهاء المفاوضة وفق ما أمل السفير بارح الحضرة المكناسية موليا وجهه للمحل الذي جاء منه في غشت.

ثم استدعى القنصل المذكور وحل محله اسمه (دينون) وكتب الملك للسلطان باعتماده وكيلا فأجابه بما نصه بعد البسملة والحوقة:

«من عبد الله المتوكل على الله، المعتصم بالله أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى الشريف العلوي الحسني وهو الطابع بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه): أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعلامه حيثما توجهت وبنوده، إلى وحيد عصره، وفريد مصره، المتميز بخصوصية نفسه، على أبناء جنسه، المحب الودود، المحافظ على العهود، لويز فيلب عظيم جنس الفرنضيص.

أما بعد: فقد وافى حضرتنا العلية بالله كتابك، وعرفنا ما تضمنه خطابك، وعلمنا ما أنتم عليه من رسوخ المودة وجميل الاعتقاد، والجرى على سنن الوفاء في الإصدار والإيراد، فنحن بحول الله وقوته في حسن الوفاء بالعهود والمحافظة على الشروط فوق ما تظنون، وفي الوقوف على الحدود، واتباع السبيل المعهود، أكثر مما تؤملون، إذ نحن أولى برعى الذمام، وأحق بالمحافظة على الألفة والالتمام.

وما أنهى إليكم الخديم ميشن من الاعتناء به فكل من ورد لإيالتنا، واستظل بظل رعايتنا، لا يرى إلا ذلك وزيادة عموما، وخصوصا جنسكم فإنه أثر الأجناس لدينا لقديم عهده ووصلته، وتحببه لجانبا العالی بالله تعالى ومودته، والخديم دينون الذي وجهتم للخدمة بإيالتنا السعيدة واخترقوه للوساطة بين الدولتين بعد

التجربة والاختبار قد أمرنا بمقابلته بالمعروف، وإجرائه على المنهج المألوف، وهو عندنا فى محل الثقة فيما ينهى لحضرتنا الشريفة من أمور دولتكم إن شاء الله تعالى، ونسأل الله أن يكون مثل الذى قبله أو أفضل، ومن عنايتكم بجانبنا واهتمامكم بإيالتنا لا توجهون لخدمتنا من حاشيتكم إلا أهل العقل والرزانة وذوى الجد والحدق، ليسعوا فى الألفة بين الإيالتين ويحسنوا الوساطة بين الدولتين، والعاقل لا يوجه إلا عاقلا مثله، ولا يرشح للمهمات إلا شكله، انتهى، وكتب فى حمراء مراكشة صانها الله فى تاسع عشر ذى القعدة الحرام عام ١٢٥٥» من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية.

وبعد وقائع الحدود الجزائرية المعروفة وما تلاها من ضرب الثغور وعظائم الأمور، فوض السلطان عامله أبا سلهم بن على ازطوط العرائشى فى عقد المهادنة والرجوع إلى الصلح، وكتب السلطان لباشا مكناس القائد الجيلانى بن بوعزة يقول: وبعد فقد كلفنا خديمنا الطالب بوسلهم بن على بعقد الصلح والمهادنة مع جنس الفرنضيص، لرغبته فى ذلك وحرصه عليه، فكتب لنا أنه تم عقد الصلح معه وطلع قونصهم لداره بطنجة، وأطلع سنجق جنسه، ومن جملة ما شرط عليهم الخروج من الجزيرة ورد الأسارى للصويرة، وأعلمناك لتكون على بصيرة والسلام فى ٢٨ شعبان الأبرك عام ١٢٦٠».

ونص معاهدة ازطوط المشتملة على فصول ثمانية بلفظها بعد الحمدلة والحوقة:

«هذا تقييد الشروط الذى ينعقد عليها أمر الصلح والمهادنة بين سلطان مراكش وسوس وفاس، وبين سلطان الفرنضيص أن خاطر الجانبين لا يكون فى هذه الشروط المذكورة تحت، إلا بانفصال ما وقع بين الدولتين أن يتجدد بينهما

الصلح والمهادنة حسبما هو مقتضى الشروط المنعقدة بين أسلافهم وقطعتهم ساعة الحرب، وسلاطين الجانبين أمروا نياهم المكلفين بأمرهم:

فمن جهة سلطان المغرب وهو الفقيه سيدى أبو سلهامة بن على المفوض إليه من جانب سلطانه الموقع بينهما الفصال:

وحق جهة سلطان الفرنضيص هو المسمى انطوان مارى واويل دورى دنيون اوفسيال نيشان افتخار كابليو من نيشان السبيل من دولة الصبنيول وغيره نائب قونصو خلنار، ونائب سلطانه بإيالة المغرب مع المسمى لويز شاول أى دكاز كونت، وكازد كرنى دكلو كبسرت كباليرنيشان افتخار أمير نيشان دانبرك من سلطان دينمارك ومن نيشان كارلوس الثالث من دولة الاصبنيول وغيره نائب سلطانه بإيالة سلطان مراکش:

الشرط الأول:

فعساكر سلطان مراکش المجتمعين لغير عادة فى الحدود أو قريب منها يأمر عليه بالتفريق فى الحين سلطان مراکش، ويأمر الآن أن يقطع اجتماعها فى ذلك النواحي ولا يبقى بها أكثر من عدد ألفين من الرجال الذى يلزموا فى تقدير الصلح وحفظ المحادة، وإذا كان لزم لسلطان مراکش المغرب زيادة عدد من الجيش بذلك النواحي فيعرف به سلطان افرنصة حتى يتفق أمرهم على ذلك ويفعل.

الشرط الثانى منها:

هو أن يأمر سلطان المغرب بالمعاقبة لقواده الذى حاربونا أو تركوا من يحاربونا فى إيلتنا فى وقت الصلح، وتعدوا على جيش الفرنضيص، وأن يخبر لفقائهم سلطان مراکش لسلطان الفرنضيص.

الشرط الثالث :

هو أن سلطان مراكش يتضمن بأنه لا يأمر بإعانة أحد من رعيته الذى يقوم علينا، وكذلك لا يعين أحدا ممن هو من أعدائنا فى بلدنا ولا بموطن، ولا يترك من يعطى من آل رعيته لعدونا سلاحا ولا شيئا من آلات الحرب .

الشرط الرابع :

فالحاج عبد القادر بن محبى الدين هو خارج عن حكم الشريعة فى إيالة المغرب وإيالة الجزائر، فعلى ذلك يضربون عليه فى بلادهم، وكذلك إذا هو فى إيالة سلطان مراكش، فرعيته يضربون عليه بالبارود حتى يطردونه ويخرجونه من بلادهم، وإذا تقبض به واحد من الجانبين، فإذا كان من تحت يدى الفرنسيص فيتضمن سلطان افرانصة بأنه يتكرم عليه ولا يضره، وإذا كان تحت يدى جيش سلطان المغرب فيأمر بإرساله إلى مدينة من مدائن السواحل من نواحي المغرب حتى يصير بين الدولتين الاتفاق فى شأنه، لئلا يتجدد من جهة الحرب مرة أخرى معنا، وكذلك لئلا يقطع الصلح مع المهادنة المقيمين بين الدولتين .

الشرط الخامس :

أما الحدود التى بين المغرب وإيالة الجزائر فيبقوا ولا بد مثلما كانوا معلومين ومعروفين من المغرب فى عهد تولية التى لك على أرض الجزائر، وعلى أن يجرى الأمر فى هذا الشرط فيسموا أمر الجانبين نوابا، ويأمرونهم بالمسير إلى هذه الحدود ويحصرونهم هناك، ويتفاصلوا بينهم فى ذلك، ويجعلوا شرطا مخصوصا على هذه الحدود، ولازم سلطان المغرب أن يرضى فى هذا ويخبر لسلطان افرانسيص بما فعل فى هذه النازلة .

الشرط السادس :

وفى الحين الذين يصنعون النواب المكلفين بأوامر سلطانهم طوابعهم على هذه القوانين فتقطع العداوة بين الدولتين، ولا يبقى بينهما قتال، وكذلك فى الوقت الذى يجرى فيه سلطان مراكش الأمر بالوفاء هذه القوانين ونعائنا الوفاء ويرضى سلطان الفرنصيص فى الحين ذلك يخرجون الفرنصيص من جزيرة الصويرة، وكذلك من وجدة وعزما يردون الأسارى الذين بين الدولتين.

الشرط السابع :

والمراد هو أن النواب من الدولتين يصير الاتفاق بينهم على عقد شروط جديدة على وجه جميل وفى وقت قريب، وإن تأسس على الشروط السابقة المقررة بينهم وأسباب تجديد عقدة الشروط هو لزيادة التقوية والتكميل، وذلك على مقتضى الخير من الجانبين والنفع فى التجارة، ومن الآن إلى أن يتجددوا هذه الشروط فتبقى هذه الشروط المتقدمة موقرة محترمة فى كل شىء، وجنس الفرنصيص فى كل شىء وفى كل حالة يكون مقبول بالأنعام والمحبة كما هو الجنس العزيز من سائر الأجناس.

الشرط الثامن :

هو أن سلاطين الجانبين يرضوا ويكون منهم الوفاء فى هذه القوانين المذكورين، وفى نسخة منهم بطابع سلطان المغرب يأخذها سلطان الفرنصيص ونسخة أخرى بطابع سلطان أفرانصة يأخذها سلطان المغرب، ولا بد ولا بد فى كون هذه مدة من شهرين أو أقل إذا يمكن، والنواب المذكورين يصنعون من الآن تحتها طوابعهم وأسماءهم وهذا فى تاريخ ١٠ من شهر شتنبروا فى سنة المسيح ١٨٤٢ الموافق فى دى ٢ من شعبان الأبرك من سنة الهجرة عام ١٢٦٠» صح من أصله المحتفظ به بالمكتبة الزيدانية على ما به من تحريف وركاكة.

ثم تلا هذه المعاهدة اتفاق آخر بشأن تحديد الحدود حسبما أشير إليه في الشرط الخامس مما تقدم، وقد ناب عن الفريقين في عقده القائد حميدة الشجعي .

«الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه، هذا تقييد اتفق عليه نائب سلطان مراكش وفاس وسوس الأقصى، ونائب سلطان الفرنضيص وسائر مملكة الجزائر، فمراد السلطانين هو تصحيح عقد المحبة السابقة وثبوتها، ولذلك ترى كل واحد منهما يطلب من الآخر الوفا بالشرط الخامس في مكتوب الصلح المنبرم ١٠ شتنبر ١٨٤٤ عام من تاريخ المسيح ومصادقا لتاريخ ٢٥ من شعبان ١٢٦٠ سنة من الهجرة، وعين كلا السلطانين نائبه على تحديد الحدود بين الإيالتين وتصحيحها نيابة تفويض، فنائب سلطان المغرب هو الفقيه السيد حميدة الشجعي عامل بعض مملكة المغرب، ونائب سلطان الفرنضيص وهو الجنرال اريسطيد يزيديور كنت دلاروا وصاحب نيشان الافتخار دولة الفرنضيص، ودولة صبانية، فبعد الملاقاة بينهما وإتيان كلاهما برسمى التفويض من سلطانه، اتفقا على ما فيه مصلحة الفريقين، وجلب المحبة بين الجانبين وها هو مذكور أسفله :

الشرط الأول:

اتفق الوكيلان على إبقاء الحدود بين إيالتى المغرب والجزائر كما كانت سابقا بين ملوك الترك وملوك العرب السابقين، بحيث لا يتعدى أحد حدود الآخر، ولا يحدث بنا فى الحدود فى المستقبل، ولا تمييزا بالحجارة بل تبقى كما كانت قبل استيلا الفرنضيص على مملكة الجزائر .

الشرط الثانى :

عين الوكيلان الحدود بالأماكن التى فى ممر الحدادة وتراضيا عليها، بحيث إنها صارت واضحة معلومة كالخيط، فما كان غربى الخط يعنى الحد فلايالة مملكة المغرب، وما كان شرقى الحد فلايالة مملكة المشرق .

الشرط الثالث :

ذكر مبدأ الحدود والأماكن التي تمر عليها الحدادة، فمبدؤها ملتقى وادى عجرود مع البحر واصعد مع الوادى إلى أن تبلغ المشرع المسمى كيس، وسر كذلك مع الوادى إلى أن تبلغ رأس العيون الكائنة بحجر الكديات الثلاثة المسماة مناصب كيس، وهذه الكديات الثلاثة داخلية فى الحد الشرقى، وسر من رأس العيون من الحمار إلى أن تبلغ ذراع الدوم واهبط إلى الوطا المسمى الأعوج، وسر كذلك وحوشى سيدى عياد كالمقابل لك غير أن الحوشى بنفسه يبقى داخل الجهة الشرقية نحو الخمسمائة ذراع، وسر كذلك إلى جوف لبارود الكائن بوادى بونعيم، ومنه إلى كركور سيدى حمزة، ومنه إلى زوج البغال، وسر منه مياسر البلد الطلح إلى سيدى الزهار المعلوم للأعملة الشرقية، ومنه سر مع الطريق الجادة إلى عين تقبالت التى هى بين الواردة والربوجتين المسماتين بالتوميات المعروفتين لإيالة المملكة المغربية، واصعد من عين تقبالت مع واد روبان إلى رأس العصفور، وسر كذلك مع الكاف واترك شرقا قبة سيدى عبد الله بن محمد الحليللى وغرب مع ثنية المشاميش، وسر كذلك غير مشرق وغير مغرب إلى أن تبلغ قبة سيدى عيسى الكائنة بمنتهى طرفى مسيون والقبة وحرمتها داخلان فى إيالة المملكة الشرقية، وسر مستقبلا من القبة المذكورة إلى أن تبلغ كدية الدباغ وهى تمام حد التل، ومنها سر مستقبلا إلى أن تبلغ خنيف اللحداء، ومنه إلى ثنية الساسى المعلومة لإيالة المملكتين والحدادة المذكورة من البحر إلى الصحرا من تمامها.

ذكر الأرض الملاصقة للحدود شرقا، وذكر القبائل النازلة بها، فأول الأرض والقبائل أرض بنى منقوس التحاته واعطيه الذين هم لإيالة المغرب، ومنزلهم أرض إيالة مملكة المشرق، وسبب نزولهم واقعة وقعت بينهم وبين إخوانهم الغرابة فانهمزوا فالتجأوا إلى المنازل التى هى سكنهم الآن، ولا زالوا يتصرفون فى المنازل

المذكورة بالكرّاء، من من مالك إيالة المملكة الشرقية إلى الآن وحتى الآن، لكن تكرم وتبرع النائب عن سلطان الفرانصيب على نائب سلطان المغرب بالوظيفة التي تؤديها هاتان القبيلتان المذكورتان لسلطان العملة الشرقية، فلا يطالبون بقليل ولا كثير ولا جليل ولا خطير، رغبة في الاستيلاف وإبقاء للمحبة، وجلبا للمودة بين الفريقين مدة الخير والصلح والمهادنة وضيافة من النائب المتبرع المذكور على السيد النائب عن سلطان المغرب المسطور، ثم يجاور تراب الفرقتين المذكورتين تراب مسيردة والأعشاش وأولا ملوك وبنى بوسعيد وبنى سنوس وأولاد أنهار، فهذه القبائل الستة من جملة عملة الجزائر.

وكذلك ذكر الأرض الملاصقة الحدود غربا، وذكر القبائل النازلة فيها، فأول الأرض والقبائل، أرض أولاد منصور، أهل تزيقة، وبنى يزناسن، والمزاوير، وأولاد أحمد بن إبراهيم، وأولاد العباس، وأولاد على بن طالحه، وأولاد عزور وبنى بوحمدون وبنى حمليل وبنى مطهر بوحمدون وبنى حمليل وبنى مطهر أهل رأس العين وهو لا القبائل بمنزلهم لعملة المغرب.

الشرط الرابع:

أن أهل الصحرا لا حد فيها بين الجانبين لكونها لا تحرث، وإنما هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتتفع بخصبها وماها، ولكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شا، وكيف شا، من غير معارض إن امتازت، وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطها برعية غيره فليكيف عن غير رعيته ويحدث في رعيته ما يشا.

فالأعراب الغربية هما المهايه وبنى قيل أولاد سيدى الشيخ الغرابة وعمور الصحرا وحميان الجنبه.

والأعراب الشرقية هم أولاد سيدى الشيخ الشرافة وكافة حميان من غير حميان الجنبه.

الشرط الخامس:

فى تعيين قصور إيالة المملكتين فى الصحرا فعلى الملكين اتباع الطريق السابقة وتوقير أهل هذه القصور رعيا لجانب المقامين، أما قصور فجج وقصر بيش فلعمالة المغرب، وأما العين الصفرا وسفيسفة وعلة وتيوت وشلالة والأبيض وبوسمغون فللعملة الشرقية.

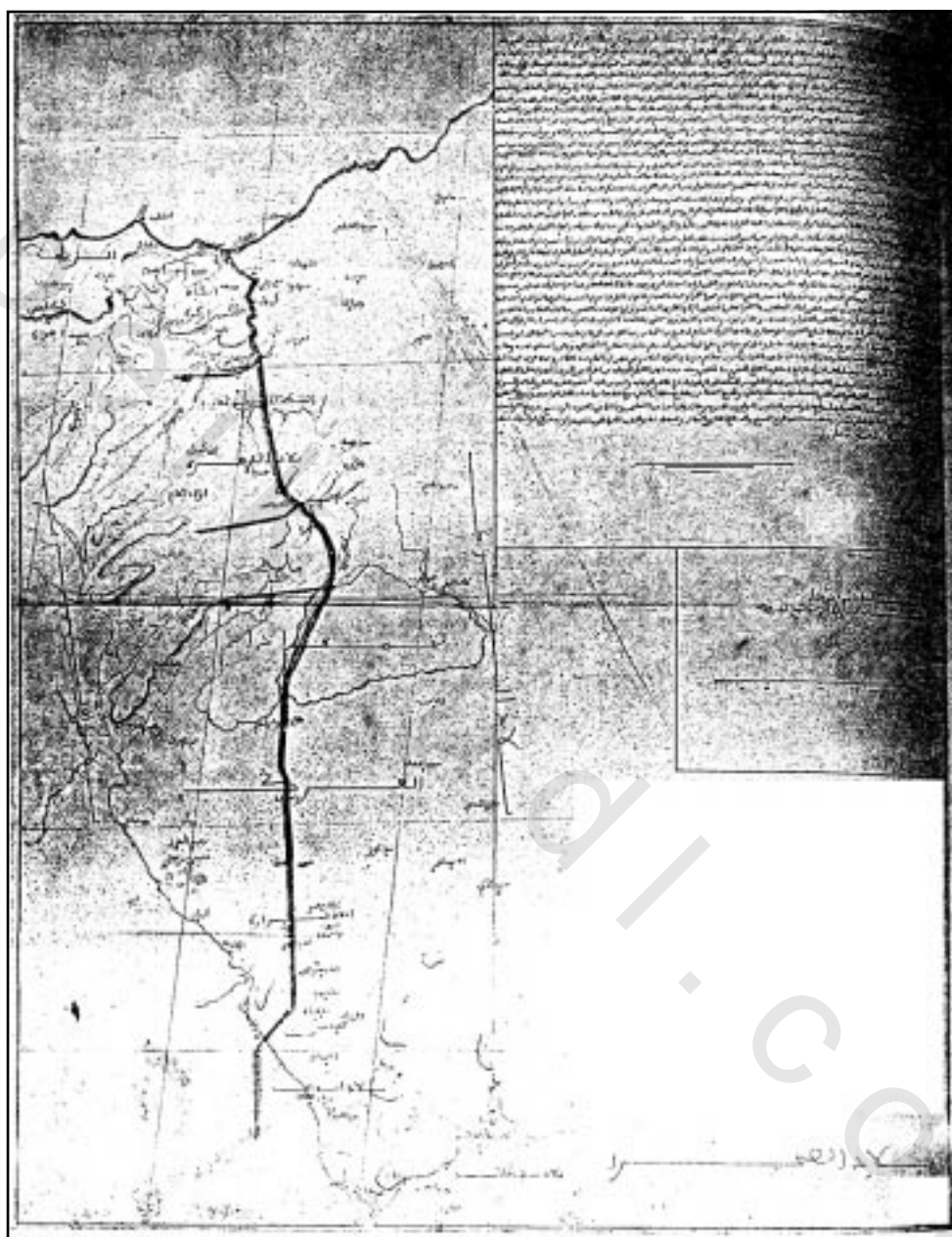
الشرط السادس:

أن الأرض التى هى قبلة قصور الفريقين فى الصحرا لاما فيها فلا تحتاج للتحديد لكونها أرض فلاة.

الشرط السابع:

أن جميع من التجأ من رعية الفريقين إلى الآخر فلا يرده من التجأ إليه لموضعه، حيث أراد البقاء بملتجئه، وإلا فمن أراد الرجوع لموضعه فلا يتعرض له عامل ولا غيره، وحيث عزم على البقا فيبقى تحت حكم عامل المكان الملتجأ إليه، ويكون آمنا فى نفسه وماله احتراماً من السلطانين بعضها بعضاً.

وهذا الشرط لا تدخل فيه القبائل الذين عملتهم مبينة فى الشرط أعلاه، وغير خفى أن الحاج عبد القادر ومن فى حزبه غير داخل فى هذا الشرط، لأن دخوله فيه موجب لبطلان الشرط الرابع فى مكتوب الصلح المنبرم ١٠ شتنبرو سنة ١٨٤٤، فإن العمل والوفا به من أهم الأمور الموجبة لتنفيذ كلمة السلطانين، وتصحيح المحبة، وإبقا المودة بين الدولتين، والألفة بين الجانبين، فبعد المطلوب من السلطانين الرضا بما ذكر أعلاه والوفا به، ولا بد من كتب نسختين لتقييد الشروط المذكورة، فتطبع نسخة منهما بطابع سلطان الفرائصيص، ويأخذها سيادة



معاهدة الحدود الجزائرية المغربية المنعقدة بين القائد حميدة الشجعي

نائب المغرب والكونت دولارو نائب فرنسا



كتاب الجنرال دولارو إلى المولى عبد الرحمن

سلطان المغرب، وتطبع نسخة أخرى بطابع سلطان المغرب ويأخذها سيادة سلطان
الفرانصيص، وتبديل النسختين إنما يكون في طائفة عن قريب إن شاء الله، بعد أن
يضع كل واحد من النائبين المذكورين خط يديه وخاتمه في كل نسخة من
النسختين، وذلك بقرب الحدود بتاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١٢٦١ الموافق اليوم
الثامن عشر من مرس سنة ١٨٤٥ من تاريخ المسيح، والله يصلح الحال والمال،
وأسفله خط يد النائب الفرنصوى الجليار كونت دولاروا، وأسفله خط يد النائب
المغربى السيد حميدة بن على» صح من أصله الموجود بالمكتبة الزيدانية، وقد
ألحقت به خريطة جغرافية لبيان تلك المواقع.

وقد عثرت على رسالتين للمندوب الفرنسى المذكور فى مسائل من هذا
الباب تتعلق بالدولتين، وقد كتب إحدهما للسلطان مباشرة، والثانية لوزيره ابن
إدريس ونص الأولى بلفظها العربى:

«الحمد لله وحده، ولله ملك السموات والأرض، إلى سعادة سلطان المغرب
الأعظم فخر ملوك الإسلام، مولاي عبد الرحمن بن هشام أيده الله، وبلغه من
الخير ما أراد، وأطال عمره آمين.

من عبد ربه سبحانه الفارس الكونت دولار وصاحب نيشان الافتخار الدولة
الفرنصوية وجنيرال بعض عساكر سعادة سلطان فرانصة نصره الله، ونائبا عن
حضرته، أعزه الله على تحديد بلد مملكة المغرب، وبلد مملكة الجزائر، ومفوضا
التفويض التام بالحل والربط، وأن يحل ويعقد ويلتزم على كل ما يجب لترسخ
المحبة الخالصة بين الدولتين.

بعد السلام اللائق بالمقامين، فالمعروض على مسامعكم الشريفة هو أن سعادة
سلطاننا لما عيننى مرسولا إلى ناحيتكم لأجل التحديد المذكور أعلاه، ظن أن
سعادتكم تسر بذلك لأنكم كنتم تفضلتم علىّ بالقبول والرضا، وشرفت

بمقابلتكم، وإنا نفتخر بذلك الافتخار التام، ونرجو أن تقبلوا كلامي الذي هو كلام سلطاننا المفوض إلى الأمر.

فسعادته أول ما وصاني به خصوصاً هو أن نمتن ونصح عقد الصلح الذي تم حديثاً بين مالكي المغرب والفرانصيص، ولأجل تسهيل الأمر الذي أرسلت لأجله نستأذن منكم بأن نخلى العوائد المعلومة على جهة، لما كنتم أنعمتم علىّ سابقاً حين كنت أرسلت إلى سعادتكم، ونطلب منكم أن تقبلوا كتابي هذا، لأن مقصودي تعجيل الأوبة وإنا نعلمكم بأن قدومي هذا ليس هو مقصوراً على تحديد البلاد فقط، بل لبيان أمر مهم آخر، وهو أن سلطاننا تحقق عنده ما فعلتم قبل من الخير، وأن نيتكم دوامه، كما تحقق عندكم أن نيته ثبات الخير وهو أفضل من كل فائدة، وسبب الفساد الواقع بين الدولتين إنما نشأ عن حلول الحاج عبد القادر بقرب الحدود، ولا يخفاكم أنه أصل كل فساد، وعنه ينشأ، وبفساده تنتقض المحبة المعقودة بين الدولتين، وهو الآن نازل في بلد قلعية وتروهم في ضيافته وإعائته هو وسائر دائرته وما ذلك إلا من كذبه على القبائل بالتمريط والجهاد يختلهم به بلا طاقة، وفعله هذا كذب محض، يزعم أن ليس غيره آمراً بالدين والجهاد.

ونيته بذلك أن يقيم رعية، ويختلس لنفسه القوة، ويضرم نار الفتنة بين الجانبين، لما علمتم أن مقصوده الأهم، إنما هو سعيه في إفساد رعية المغرب وهذا الحال لا يخفى على سعادتكم، وفيه خطر كبير للدولتين، ولأجل مصالح الفريقين، وجب علينا إزالة هذا المرض خوفاً من زيادته، لأن الذي يحب حفظ الصحة الواجب عليه اتقاء ما فيه زوالها، فعليكم مسامحتنا، فإننا نذكركم أنى حين جئت عندكم سابقاً منذ ثمان سنين، وبذلت جهدي عند سعادتكم وعند وزيركم الطيب البياز، وبينت لكم كل الفساد الذي سيصدر من الحاج عبد القادر، وكنت

حذرتكم من بيع السلاح وآلة الحرب له لما علمت أنه لا بد يطرد عن مملكته، لأنه لا يستطيع المقاومة.

ومن المعلوم أنه لا يلجأ إلا إليكم، وربما جر لنواحيكم البلاء المحيط به، وكل ذلك وقع بإذن الله، فنرجو من سعادتكم العمل بكلامى، وتبذل مجهودك فى إزالة الحاج عبد القادر، لأنك ألزمت نفسك بذلك بواسطة الشرط الرابع من شروط الصلح الذى انعقد، ووافقت عليه بطابعكم.

فالتحريض الذى حرضنى سلطاننا عليه لأجل وفاء بهذا الشرط، وهو يبين لكم أن نيته دوام الخير وأمر محقق ظاهر ما يثبت الخير بوجود الحاج عبد القادر بمجاورة الحدود، واليوم إن حصل لكم مانع سرى لأجل ذلك، فالطريقة الموافقة أكثر من كل شىء، هو أن ترسل أحد عمالكم من خواص حضرتكم وكنز سركم وتكلفوه بكامل أسراركم عند سلطاننا، وهو يتكلم عند سعادته بجميع أموركم، وما يلزم أن نبين لكم أنه يكون مقبول بالفرح والسرور كما هى عادة الملوك، كما فعل جدكم المعظم المبجل المفتخر مولاي إسماعيل حين أرسل إلى جد سلطاننا لويز الرابع عشر، فلا نقدر نحن ولا أنتم ننسوا الخير الذى صدر من هذه المراسلة بين النصارى والمسلمين.

فبتجديد هذه المراسلة تحصيل فوائد شتى، من جملتها: تجديد عقد الشروط التى وقعت بين الأسلاف السابقين على التجارة وغير ذلك، وامتنال أمر سلطاننا الذى بفعله نسى جميع ما مضى من الفتنة التى اشتعلت بواسطة الشيطان من غير نية من الجانبين، والحاصل بهذه المراسلة تظهر المحبة على عيون الجنوس كلهم، والآن أنا قادم إلى الحدود لأجل تحديد البلاد مع نائبكم إن شاء الله، وحين نكمل ذلك يأتينى مكتوبكم برضاكم موافقا لحين التمام، أو بإرسال نائب من سعادتكم

وبموجب مرسومكم الشريف متضمننا الانتظار بتلمسان، أو نقدم إلى طنجة ونركب فى مركب سلطاني، ونذهبوا سوية لباريز، وتكون له حرمة ورفعة كما يليق بمرسول سعادة الأعظم، سلطان الإسلام الذى صار الآن محبا للدولة الفرائصوية، وفى هذا كفاية والسلام بتاريخ أواسط صفر عام ١٢٦١، وبأمر المعظم الجنيرال المذكور الواضع طابعه فيه.

وأعلمكم أيضا أن خليفة سلطاننا المعظم الماريشال بيع الضامن العافية فى الوطن، قد أخبر السلطان أنه كاتبكم وكاتب ابنكم بما فيه مصلحة الفريقين، وأن سبب الفتنة هو وجود الحاج عبد القادر فى الحدود، وأخبره أنه حذركم فلا تظنوا أنه غير عالم بذلك، فقد علم كل الواقع فى الوطن، وقد كتبنا لك كتابين أحدهما برا، والآخر بحرا مضمينهما واحد: وقد خط خط يده أسفل» هـ من أصله.

ونص الثانية بعد الحملة والحوقة والطابع الإفرنجى والتوقيع بالخط.

«من المكتوب عن إذنه الجنيرال الكونت دولارو وكيل سلطان الفرائصيص وواليه فى بعض جنوده، إلى الفقيه الرئيس السيد محمد بن إدريس، السلام التام اللائق بالمقامين، فإنه قد وصلنا مكتوبك، وعلمنا ما فيه إجمالا وتفصيلا، أما ما ذكرت أن السلطان قائم على ساق الجد فى التضييق عن الحاج عبد القادر وحسم مادته، وأنه كلف بعض عماله بذلك، وأنه ساع فى الخير حريص على ثبوته، فكل ذلك علمناه وفرحنا به غاية، وحمدنا الله تعالى الذى أظهر صدقنا فى تحذير السلطان سابقا من فساد، وأنه سيلتجئ إليكم فقد وقع كل ذلك.

وأما ما ذكرت فى شأن الفرائصيصى عمر أنه كاتب الحاج عبد القادر وحذره من الثقة بجانب السلطان، فاعلم أن هذا الرجل اسمه عندنا ليون بن الروش، وهو الآن ترجمان خليفة سلطاننا وكاتبه، وأحد خواصه، وما علمنا عليه إلا خيرا لا يسعى إلا فى مصالح العباد، وأنه لم يكاتب الحاج عبد القادر من تلقاء نفسه، بل

بأمر الخليفة المارشال بيج، وذلك أنه قبل وقعة يسلى بأكثر من نصف سنة كتب الحاج عبد القادر إلى خليفة سلطاننا يلتمس منه الصلح، وهو فى إيالتنا، فأمر حينئذ عمر المذكور بإجابته أنه إن التمس الصلح ليعود للملك فذلك لا سبيل إليه، وإن التمس الصلح عن نفسه فقط وبعض دائرته فليقطع الفساد.

ورغبة فى الانتقال بمن معه لمكة على يد السلطان مولاي عبد الرحمن ومثونة السفر على سلطاننا، كما أنه تحمل له بعاء جزيل كل سنة إن فعل ما ذكر، ولما لم يمثل لأمره حتى قدر الله بالفتنة الواقعة بيننا، ودخل لإيالتكم أمر الخليفة المذكور أيضا عمر المسطور بمكاتبته، وحذره من الثقة بجانب سلطانكم ومن غدره بعد وقعة يسلى بيومين، وبعث المکتوب صحبة أحد أصحابه كان قبض عندنا، وأخبره أن الباب الذى فتح له لا زال كذلك، وهذا إنما وقع حالة الفتنة كما ذكرنا.

وما ذكرته لنا من أن موجب تعاصيه إنما هو هذا الكلام فهذا غير مناسب، لأنه لا يخفى عليكم لفظاتكم وذكاء فهمكم أن هذا العذر لا ينفعه، ومع ذلك لا يستطيع دفاعا عن نفسه، فهو يتعلل بهذه العلة، وقد كاتبنا السلطان بالملاقاة والموافقة على ما فيه سد الخلة بين الجانبين مع النائب الطالب السيد حميدة ورسول السلطان السيد أحمد بن الخضر، وبيننا له كيفية الملاقاة، وقد أتحفناهما بهدية نفيسة تليق بالوفود كما ستعاین جميع ذلك فى مکتوب السلطان.

وذكرت لنا أن بعث أحد الخواص لحضرة سلطاننا هو ببال من سلطانكم، فالمطلوب منك بذل الجهد فى تعيينه ليكون على أهبة واستعداد بطنجة، فإننا قادمون إليها لا محالة لتبديل النسخ، ويذهب معنا وعلينا حفظه ومواصلته بما يليق مكافأة لبر ملككم حال وفودنا عليه مرتين، وفى بعثه وإتمام هذا الخبر والصلح مصلحة الجانبين، وجريا على عادة الملوك، ويحیی هذا الرسول شروط التجارة السابقة بين الأولين، وليراه سائر الأجناس ويحصل لهم اليقين بثبوت الخير.

وكيف بك نحن عظمتنا سلطانك بما يليق به، وأنت تقابلنا بخلاف ذلك، مع أن توقيير الملوك وتعظيمهم من الأمور المهمة، لا سيما وقد اتفق السيد بوسلهام مع وكيلنا بطنجة على التعظيم، وأنه لا بد من ذكر السلطان ولقبه بلفظ التعظيم، ولا يكفى ذكر عظيم الجنس، ووصلت مكاتبه لسلطاننا فى البحر بما يناسب قصدنا، ووقعت المخالفة برا، والظن أنه على وجه النسيان منك.

ولا يخفأك أن ملكنا مؤسس على العدل منذ ١٨٥٥، مع أن كل جنس له ملك والمالك يختاره الله من خلقه، فإذا كان كذلك فالواجب على المخلوق تعظيمه، وهما هي نسخة مكتوب السيدة حميدة تصلك مضمونها ما قاله به عمر المذكور، والسلام بتاريخ يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول عام ١٢٦١» صح من أصله المحفوظ بالمكتبة الزيدانية.

ثم أصدر السلطان ظهيرا ضمنه كيفية معاملة الفرنسيين توكيدا للعهود السالفة بعد الحمدة والحوقة:

«كتابتنا هذا أسماء الله المتلقى بالإجمال والتعظيم والتبجيل والتكريم، يعلم الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا بثغورنا علم يقين، ونأمره أمراً حتماً أن يعمل بما فيه ولا يحيد على كريم مذهبه، وذلك أن حاصله القونصوا الفرانصيص خديمتنا لورشنيد جعلنا له فيما أنعمنا عليه وعلى جنسه الفرنصيص حسبما تضمنه عقد الصلح الذى بأيديهم، وأن كل ما يوسقونه سفن تجارهم بقصد ما يأكلون بحرية السفينة مدة إقامتهم فى المرسى وزاد سفرهم لا يعطون عليه شيئاً فى الخارج من لوازم المرسى، وكذلك القراصين إذا وسقت ما تحتاج إليه فى المأكّل والمشرب وما تصلح به مراكبها، لا يلزمهم على ذلك فى الخارج شىء.

وكل ما يأتى لهم من بلادهم من المأكّل والمشرب واللباس لا يلزمهم عليه شىء فى الداخل، وإذا اطرّد محاربهم سفينة من سفنهم حتى بلغت رماية المدفع

المعدة للدفاع من مراسينا السعيدة، فلحاكم البلد أن يدفع عنها، وإن جاء عدوهم بالأسارى من الفرانضيص المرسى ما دام مقيما بهم على وجه الماء لم ينزل بهم للبر فلا كلام معه، وإن نزل بهم للبر فلولى تلك المرسى انتزاعهم منه وردهم على الفرانضيص.

وأذا لقونصو الفرانضيص وجمع تجارهم الانسياح فى إيالتنا يذهبون حيث شاء، فلا يتعرض لهم عارض، ولا يمنعهم مانع، وكذلك جميع أصحابهم وخدامهم، وهم محررون فى الوظائف كلها لا يلزمهم شىء.

ولهم أن يعملوا ما شاءوا فى دورهم من أمور دينهم مع الفرائلية، ومن أراد ذلك من أجناس النصارى معهم فلا يمنعون من ذلك ولا يحال بينهم وبين دينهم، وإذا صدرت مخاصمة بين مسلم وافرانضيصى فليحكم بينهم والى البلد، أو يرفعهما لعلى مقامنا إذا عجز عن فصالهما.

وإذا ساء الفرانضيص الأدب مع المسلم فلا يحكم عليه والى البلد إلا بمحضر القونصو المذكور، وله أن يدفع عنه بما أمكنه من البيئات التى تقبل شرعا.

وإذا هرب الجانى فلا يؤاخذ به القونصوا، ولا غيره من جنس الفرانضيص، إلا إذا ضمنه، وكذلك إذا هرب الفرانضيص بمال مسلم ترتب عليه من سلف أو معالة، فلا يؤاخذ به القونصوا المذكور إلا إذا أذن للمسلم المذكور وأعطاه خط يده.

وإذا هلك أحد من جنس الفرانضيص ومات على دينهم، فله أن يتصرف فى ماله القونصوا بما شاء لا يتعرض له عليه، وإذا جاءت سلعة لتاجر من تجارهم وأنزلها بقصد البيع فعشرت ثم إنها لم تبع كلها وإن ردها لبر النصارى فلا يلزمه شىء عليها فى الخارج، حيث أدى واجبها فى الداخل.

وإذا صدرت مخاصمة بين افرنصيصى فيما بينهم سواء كان تاجرا مع بحرى أو تجار بينهم بما شاء وظهر له، فلا يمنع من ذلك ولا يطاف بدائره بما يكره، وإنما تبقى لمزة عن دور غيره من أهل ملته.

وإذا^(١) انتقض الصلح بينه وبين البعض من غير إيالتنا مثل تونس والجزائر وأطرابلس وطردت سفينتهم سفينة الفرانصيصى، حتى أدخلتها مرسى من مراسينا، أو وجد بها أو وجدها الحال كانت بالمرسى قبل، ثم أرادت الخروج من المرسى إلى بلادها فأراد محاربها اللحوق بها بنفس خروجها، فلا سبيل له إلى ذلك إنما يمنعه والى البلد جهدها تبعد عنه، وذلك أن يمكث مدة معلومة بين أهل البحر، ثم إن شاء اللحوق بها إذا بعدت فعل، وكذلك العكس، بهذا صدر الأمر العالى فكتبه فى الخامس من المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦١٢ من أصله المحفوظ بالمكتبة الزيدانية.

ثم إن السلطان بعث عامله على تطوان الحاج عبد القادر أشعاش سفيراً لفرنسا برهانا على تمام المودة وتسوية الخلاف وإجابة لاقتراح الكونت دولارى المتقدم فى كلامه وأصحب السفير كتابا للملك لويس فيلب هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المعتصم بالله المتوكل على الله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى الشريف العلوى الحسنى وهو (الطابع بداخله عبد الرحمن ابن هشام الله وليه) أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعلامه حيثما توجهت وبنوده، أمين، إلى المحب الودود، الذى هو فى عظماء الملوك معدود، حامل راية الرياسة، والسابق المحلى فى مضمار السياسة، الفرد الذى فاق أبناء جنسه، بما حاز من خصائص نفسه، السلطان لويز فلب ملك جنس فرانسى والحاكم على ممالكها الدانية والقاصية وفقه الله وسدده، وإلى سبيل الهدى أرشده.

(١) فى المطبوع: «وإنما».



ظهير رحمانى إلى لوييس فيليب ملك فرنسا

مع السفير الحاج عبد القادر أشعاش

أما بعده: فإن المراسلة بين الدول، والمواصلة بين الملوك الأول، تفتح للمودة أبوابا، وتيسر للمواصلة أسبابا، وتزيد الود تأكيدا، والعناية تجديدا، وتزرع حب الحب فى القلوب، وتقرب البعيد وتيسر المطلوب، ولما رأينا ما برز به القدر من هذا الكدر، الذى لم يكن فى ورد عندنا ولا صدر، أردنا الوقوف فى ذلك على عين الحقيقة، وسلوك السبيل إلى العلم بسببه والطريقة، طلبا للإنصاف ورغبة فى العدل الذى هو أحسن الأوصاف واختبارا للمحبة التى قدم عهدا، وكان على يد الأسلاف عقدها، فاخترنا من بيوتات الخدمة والرياسة سفيرا، ورشحنا لحضرتكم من خاصتنا باشدورا، وهو وإن كان صغير السن فهو كبير الهمة والعقل، وهو الخديم الأنجب، والشاب الأنجد الحاج عبد القادر بن الخديم المرحوم الأرشد القائد محمد أشعاش وأصبحناه هذا الكتاب الشريف، والأمر الرفيع المنيف، ليكون للعهد مجددا، وللصلح المنعقد مؤكدا، وهو النائب عنا فى إنهاء مسائل عرضت تكسب الود صفاء، وتزيد العهد ثباتا ووفاء، فتأملوها بعين الإنصاف والعناية، وقابلوها مقابلة من شأنه الملاحظة والرعاية، فإن بصفتها تجرى الأمور على مقتضاها، وبحسم مادتها تبلغ النفوس من هذه المهادة منها، والله أسأل أن ييسر أسباب التوفيق، والهداية إلى أحسن روض مرعاها، فى سابع عشر شوال الأبرك عام واحد وستين ومائتين وألف» من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية.

وقد قدمنا الكلام على هذه السفارة فى وقائع سنة ١٢٦١، كما ذكرنا السفارة التى وردت فى السنة بعدها، ونزيد هنا كتابا بعثه السفير الحاج عبد القادر للسلطان يتضمن الإخبار بما لقى من المبرة والإكرام ونصه على بتر فيه:

«وبعد فمما يجب إنهاؤه لكرم علمكم، أنا دخلنا مدينة باريس يوم الأحد ثامن عشرين من الحجة الحرام، بعد أن مكثنا فى الطريق سبعة أيام، من يوم خروجنا من مرسيليه، فأنزلونا منزلا رفيعا، ونظرنا فيها منظرا حسنا بديعا، وهى

من أعظم مدن الدنيا، وأبهجها، فأول من لقينا الوزير الذى كان بعث لنا صاحبه لمرسيلية، واسمه اليسكيزوا، فرحب بنا وألطف ملاقتنا، وأثنى خيراً وأبدى سرورا وبشرى، ثم جاءنا قائد المشور من عند السلطان يستدعينا لملاقاته هـ.

أرسله بذلك سيده فلقينا يوم الثلاثاء ثالث قدومنا فبالغ فى إلفاننا والمبرة بنا، وكان أشار علينا بعض من له خبرة بعوايدهم أن لا بد من إنشاء خطبة تتضمن تعظيما لجانب سيدنا ولسلطانهم وجنسهم، وأنا لازلنا على المودة وتأكيد المحبة إلى غير ذلك من الزخاريف، ونسردها بحضرته، ففعلنا ذلك من غير تفریط... ولا يخل بواحدة من الملتين فلما لقينا... ما كنا زورناه ثم فسرنا الترجمان فبعد فراغ... خطبته من جيبه وسردها بلسانه ثم فسرنا الترجمان... أنه يحمد الله ويشكره على ما حصل من تجديد المحبة... بينهم وبين سيدنا نصره الله وأنه لا زال على المحبة... والميثاق، وأن ما حدث من المجاورة بيننا وبينهم يوجب كثير الوداد إلى غير ذلك مما كان جوابا لكلامنا، ثم مكناه من كتاب سيدنا فقبضه بيده، ووضعته على كرس رأسه، ونزل درجة عن كرسيه عند قبضه تعظيما، ثم دفعه لوزيره فرجعنا من عنده، ثم بعث لنا يعرضنا للعشاء معه، فصرنا إليه فى وقت العشاء فألفيناه قد أحضر عظماء دولته، وخواص مملكته ونساء وأولاده وجلس معنا بنفسه، فى صالة لا يسع هذا الكتاب وصف ما فيها، فأكلنا ما يباح من الأطعمة، وبعد فراغنا أخذ يتحدث معنا ويأسطنا بطيب الكلام ويتصفح من كان معنا من أصحابنا ويقف مع كل واحد منهم على حديثه، ويسأل عنه وعن أحواله، ومن هو، وما يعمل، وكذلك أولاده وأقاربه حتى أعطوا لكل واحد حقه من ذلك.

ومما تشكر به هو ووزيره وامراته وخواصه ما فعله المسلمون بناحية الجديدة من إخراجهم ما قدروا على إخراجهم من نصاراهم الذين انكسر مركبهم فى شهر

ذى الحجة من سنة إحدى وستين هنالك، وطلب منى أن أبلغ سيدنا عنه فى ذلك أحسن ثناء، فبقينا معه هنيئة بعد العشاء، وأذن لنا فى الذهاب، فرجعنا لمحلنا وذلك كله يوم الثلاثاء المذكور هـ.

ثم استدعى القنصل (دينون) الذى تولى وظيفته سنة ١٢٥٥ كما تقدم وأقيم مكانه آخر يسمى (دوشاطو) وكتب الملك لويس للسلطان يعلنه بذلك فأجابه بما نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المعتمد بالله المجاهد فى سبيل الله وهو أيد الله أوامره، ونصر أعلامه حيثما توجهت وعساكره (الطابع) إلى المحب الودود، المحافظ على العهود، الذى قدمه عقله وجده، وأورثه الرئاسة أبوه وجده السلطان لويز فلب سلطان دولة فرانسة والحاكم على ممالكها، أرشدك الله وهداك، وألهمك هداك.

أما بعد: فقد وافى حضرتنا العلية بالله كتابكم الأوجز، صعبة الخديم الحازم، ذو شاطوا قونص جنسكم بإيالتنا السعيدة الذى أقمتموه مقام القونص دينون الذى كان قبله ورشحتموه للنيابة عنكم، والوساطة بيننا وبينكم لما عرفتم من عقله وحسن أدبه لتبقى الأمور جارية بين الدولتين على مقتضاها، ويبلغ كل من الجانبين الخطة التى يرضاها، فقد قبلناه قنصوا جلناراً، وقابلناه بما يليق بأمثاله إكراماً ووقاراً، وله لدينا مزيد احتفاء واحتفال، وموالة عناية واهتبال، من معونته على ما يعرض له من مصالح الدولتين، وتأمين تجار المملكتين، فأما أولى الناس بحفظ الجار ومراعاة النزول، ومعاملة الخدام النصحاء بالجميل، وعلمنا ما أكدتم به عليه من حفظ أسباب المودة، والسعى فيما يزيدها قوة وشدة، فذلك هو المعهود من وسائط الدول، المقتفين سبيل الخدام الأول، وهذا دليل المحبة التى شرح الخديم المذكور فصولها، ومهد بالنيابة عنكم أصولها، فقد أدى كتابكم، وأنهى

إلينا نصيحتكم وخطابكم، ووثقنا بما أنهى إلينا من صفاء مودتكم، وصدق محبتكم، وجدد ما كان بين السلف من ذلك، وسلك فى ذلك كله أوضح المسالك، فقد رجعت المواصلات بين الدولتين لنصابها، واستحكمت المودة بالانتفاع بين المملكتين باتصال أسبابها، وحصل من الصفاء ما اتسعت به الأمور، وانشرحت له الصدور، إن شاء الله تعالى والتمام، وكتب بالخضرة العلية بالله تعالى من حمراء مراكشة صانها الله بمنه وحاطها فى ٣ المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦٣» من الأصل المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية.

ولما نودى نابليون الثالث سلطانا على فرنسا كتب للمولى عبد الرحمن كتابا يعلمه بتبوءه عرش فرنسا، ويؤكد له استمرار سياسة الوداد بين الدولتين، ويقدم إليه مثله الجديد فى بلاد المغرب (ياجير شמיד) ونص ترجمة الكتاب من أصله المحفوظ بوزارة الخارجية الفرنسية:

«من نابليون أمبرطور الفرنسيين بفضل الله وبإرادة الأمة، إلى الأمير الأسمى الأفخم الأعظم مولاي عبد الرحمن أمبرطور المغرب وملك فاس وسوس صديقنا الأعز الأفاضل:

أيها الإمبرطور الأسمى الأفخم الأعظم:

لما ارتقينا عرش الإمبرطورية بفضل الله وبرغبة الفرنسيين أجمعين، بادرنا إلى مخاطبة الأمراء الذين برهنوا لنا على صدق مودتهم، مبلغين إياهم خبر توليتنا، ولأجل ذلك نوجه لكم هذا الكتاب ليعبر لكم عن عواطفنا ويشهد الله الذى يعلم ما انطوت عليه الصدور، أننا لا رغبة لنا إلا فى توثيق الروابط الودية التى بين فرنسا وممالككم، وتمتين العلاقات التى تدل على ما بيننا من حسن المفاهمة، وأول ما سنوجه إليه اهتمامنا هو المحافظة على تطبيق العهود التى تربط أمبرطورتنا منذ قرون، ولا شك عندنا أن جلالتكم أيضا ستسهر على تنفيذ جميع



ظهیر رحمانی للویس فلیب باعتماد (دوشاطو) وقبوله قنصلا



ظهر المولى عبد الرحمن إلى نابليون الثالث

بقبول (دى كاستيليو) قنصلا

الشروط، وأنها ما تفتأ تجود بحمايتها للفرنسيين الذين يجولون بالمغرب، أو يقيمون به، أو يتعاطون فيه التجارة.

وبناء على الثقة التى عندنا بجلالتكم فى هذا الباب فها نحن نؤكد بأنفسنا لكم ما لنا نحوكم من عظيم الاعتبار، ومن صادق المحبة، هذا وننتهز هذه الفرصة لنخص لديكم بالوصية خديمتنا الأرضى المسيو (ياجر شמיד) وقد كلفناه بالقيام بشئون سفارتنا وبالقنصلية العامة بطنجة، ولنا اليقين بأن جلالتكم ستتنزل لمساعدته على القيام بالمهمة التى نيّطت به، وذلك بأن تطمئنوا كل الاطمئنان إلى كل ما قد يتشرف بتقديمه لكم باسمنا.

وختاماً نتضرع إلى المولى أن يحفظكم بعنايته الكريمة أيها الإمبراطور الأسمى الأفخم الأعظم صديقنا الأعز الأفضل، وكتب فى قصرنا الملكى المعروف بتويلرى فى ١٤ يناير من سنة الرحمة ١٨٥٣».

وبطرقته (من الإمبراطور إلى إمبراطور المغرب ١٤ يناير ١٨٥٣).

ثم وقع استدعاء ذلك القنصل وأقيم آخر مكانه وكتب نابليون الثالث للسلطان بقبوله نائباً عن دولته فأجابه بما نصه.

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وهو (الطابع بداخله اسم السلطان) أيد الله عساكره وجنوده، ونصر أعلامه وبنوده، إلى المحب الأود صاحب التدبير والسياسة، والتجلى فى ميدان الرياسة، عظيم قومه، وزعيم جنسه، من له المحبة التامة فى جانبنا العالى بالله السلطان نابليون سلطان الفرنضيص.

أما بعد: فقد وصلنا كتابك، وفهمنا خطابك، وعلمنا أن مرادكم أن لا تتوقف أبداً المعاشرة بين الدولة الفرنضيصة والدولة المغربية، فاخترتم لذلك المكرم

دى كاستليون الذى هو أحد أصحاب نيشان الافتخار، ووجهتموه لإيالتنا المحمية بالله متوليا لأموركم، مفوضا فى جميعها، قونصوا جنرال فى إيالتنا السعيدة، فقد قبلناه وأسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام، وأوصينا عليه بالحظوة والمبرة والاهتمام، رعاية لما بيننا وبينكم من المحبة الأكيدة والمودة القديمة، حسبما كان عليه أسلافكم مع أسلافنا رحمهم الله، وخير الخلف، من انتهج نهج السلف.

ومن دليل محبتكم واعتنائكم بجانبنا العالى بالله اختياركم هذا الرجل الذى وجهتموه من أعيان قومكم ومن يشار إليه فى جنسكم، حتى تبقى المحبة متصلة، والمودة مستمرة، ولا يكون إلا ما يسر الجانبين، إذ لا شك فى إثبات المحبة بين بلادنا وبلادكم والختام فى ١٧ محرم الحرام عام ١٢٧٢» من الأصل المحفوظ بوزارة الخارجية.

وأما دولة البرتغال فقد كتب لنائبها العام (جرج كلاص) أول دولته جوابا يعلنه باستمرار السياسة التى كانت جارية بين الدولتين على عهد عمه المولى سليمان، ونص ذلك بعد الحمدلة والحوقة:

«من له بخدمتنا كمال الاعتناء وغاية الوقوف، والخادم الذى تمام عقله ظاهر معروف، وملاك أمره على مرضاتنا مصروف، قونصوا جلنار البرطقيز جرج كلاص.

أما بعد: حمدا لله الذى بيده الأمر والإنشاء، ويحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، فقد وصلنا كتابكم، وأنهى إلينا خطابكم، وعرفنا ما أتم عليه من صدق الخدمة، ورعى الحرمة، عملا على شاكلة جنسكم مع أسلافنا قدس الله ثراهم، وطيب أخراهم، وخصوصا أنت بمكانتك من الخدمة لا تجهل، فكن لنا كما كنت مع مولانا العم رحمه الله، وخاطبنا بما يظهر من المصالح ونحن اليوم معكم على ما كنتم عليه قيد حياة عمنا السلطان المرحوم من عهد وهدنة وغير ذلك، ونراعى

لكم أكثر مما كان إن شاء الله، حقق الله أملنا ووفق لما يرضاه أعملنا آمين . . .
انتهى بتاريخ ١٧ ربيع الثانى عام ١٢٣٨هـ .

وأما دولة الإنجليز فقد أقر المعاهدة التى عقدها عمه معها بعد أن غير منها
الفصل السابع والثامن حسبما ترى فى نص الإقرار:

«الحمد لله وحده ولا إله إلا الله (ثم الطابع الشريف داخله عبد الرحمن بن هشام غفر الله له) هذا ولما قدم على الحضرة الإمامية، المولوية العلوية الهاشمية حضرة مولانا أمير المؤمنين، وسلطان المسلمين، السلطان الإمام، ابن السلاطين الكرام، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام بن مولانا محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أيد الله من قبل ملك الإنجليز السلطان جرج الرابع، وهو خديمه الباشدور جيس شولط دكلا القونص الآن بثمر طنجة، فى إقرار الصلح الواقع بين هاتين الدولتين سابقا، وإثباته على منهج ما بيده من هذه الشروط المبتدأ أولها فى الوجه حوله التى انعقد بها الصلح والمهادنة لهم مع سيدنا المقدس مولانا سليمان رحمه الله، وهى إحدى وأربعين شرطا.

أمر مولانا أمير المؤمنين أعزه الله أن تتصفح هذه الشروط المشار إليها وتعرض عليه، فلما تأملها مولانا أيد الله شرطا شرطا وظهر له أن، عقده عمه المرحوم بمنة الله سدا ووفقا، وفيه مصلحة للرعايا من الجانبين، أمر سده الله هذه الشروط المذكورة المشار إليها التى أولها: الشرط الأول أن لسلطان الإنجليز أن يجعل قونص واحداً أو أكثر بمراكشة، وآخرها الشرط الواحد والأربعون هذا العقد الذى انبرم به الصلح بين سلطان مراكش إلخ وأمضاها وأثبت ذلك ما عدا شرطين منها، وهما السابع والثامن بدلا بشرطين آخرين.

مضمن أحدهما وهو السابع، أن ما يحدث من الخصومات بين المسلم وبين رعية الإنجليز فإن الفصل بينهما فيما يكون بمحضر عامل البلد وقاضيه وقنصل

الإنجليز، فإن لم يرض أحد الخصمين بحكمهم، فإن قضيتهم ترفع حيثند إلى السلطان إلخ.

الثانى وهو الثامن، إذا وقع نزاع بين أحد من رعية سلطان الإنجليز أو من هو تحت حميته وبين مسلم، وكان ربما ينشأ عن ذلك النزاع مضرة أو مظلمة لأحد منهما، فإن لسلطان مراكشة هو الذى يتولى الفصل فيهما وحده، ولا يعاقب الظالم إن كان من رعية الإنجليز أو حمايته بأكثر مما يعاقب به المسلم إذا ظلم أحداً من الإنجليز، أو من غيره، فإذا انفلت هذا الظالم وهرب فلا يؤاخذ أحد به من جنسه، فإذا تحقق أن هروبه كان اتفاقاً من غير قصد أو كان لأجل الدفع به عن نفسه فيحكم عليه فى ذلك بمثل ما يحكم به على المسلم فى مثل تلك القضية.

وإذا وقع النزاع بين المسلمين وبين الإنجليز فى ناحية من إيالة سلطان الإنجليز وتعين الظلم فى ذلك على واحد منهما، فإن الفصل فى ذلك بينهما يكون بحكم الشرع وقانون الإنجليز، فإذا لم يرض أحدهما بذلك، فإن قضيتهما ترفع حيثند إلى السلطان انتهى الشرطان المستثنيان اللذان بدلا بما ذكر لما ظهر له أعزه الله فى إقرار هذه الشروط غير المستثنى منها وإثباتها من المصلحة العامة للجانيين فى هذه المهادنة والمصالحة، والأخذ بالمعروف للمسلمين والمناصفة، صدر أمره الشريف بهذا وهو أعزه الله على كرسى مملكته المعظم مكانه وفوق سرير سلطنته المؤسسة على سبيل الحق قواعده وأركانه، أبقى الله شمس معدلته لغياهب المعضلات ناسخة ومعاليه فى المجادة راسخة ونصره نصراً عزيزاً آمين فى الثامن عشر من جمادى الأولى عام ١٢٣٩هـ.

وسياتى نص المعاهدة السليمانية الجرجية فى ترجمة صاحبها إن شاء الله وفيها الفصلان المغيران بما ذكر هنا.

ونص كتاب رحمانى للملك جورج الرابع ملك الإنجليز جواب عن كتاب له
فى بعض الأغراض :

«الحمد لله وحده الملك الكبير، العليم الخبير، المنفرد بالملك الحقيقى
والتدبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من أمير المؤمنين المتوكل على
رب العالمين، عبد الرحمن بن أمير المؤمنين هشام بن أمير المؤمنين محمد بن أمير
المؤمنين عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الشريف الحسنى العلوى أمير المغرب أيد
الله أمره، وأطال فى عز الخلافة عمره، وأبد نصره، وأسعد زمانه وعصره، لعظيم
الروم وزعيم الدولة التى مبرتها شهيرة، وسيرتها فى الملة النصرانية أحسن سيرة،
ذات الشاه الكبير، والمحل الخطير، الملحوظ من جانب الإسلام، بمزيد الاهتمام،
ورعى الذمام، ومنجد ملة النصارى، سياسة واستبصارا، وكبيرهم الذى طلع فى
أفق التدبير نهارا، وقابل أغراض ملته بالشكر سرا وجهارا، فانشق من روض
سياسته أزهارا، والرئيس الذى هو الواسطة فى عقد قوم عيسى وعاقلمهم أميراً
ورئيسا، الأمير جورج الرابع القائم سلطانا بأمر الملك الحق، وخالق الخلق، على
مملكة بريطانيا.

أما بعد حمد الله الذى بيده الأمر كله، وليس للوجود إلا فعله، فإنه وصلنا
كتابكم، وأنهى لحضرتنا العلية بالله خطابكم، الذى أملى وكتب بديوان مدينة
لوندرة بتاريخ ٣١ من شهر مايو من عام ١٨٢٧ مسيحية الموافق ٥ من ذى القعدة
الحرام ١٢٤٢ من الهجرة النبوية المترجم على يد الوزير كوردتيش فقرأناه، وفهمنا
لفظه ومعناه، وعرفنا ما أنتم عليه من كمال العناية بعلى جنابنا، وجميل الرعاية
لعزة بابنا، حتى إن إشارتنا لديكم مقبولة، وأغراضنا على كاهل المبرة محمولة،
وأسباب رعاية من انضاف إلينا موصولة، كل ذلك طلبا لدوام العشرة والمبرة،
وحصول الألفة بين الدولتين والمسرة.

ومن قديم وجنسكم يجلب جانب الإسلام على بعد داره، ويبادر في خدمتنا غاية ابتداره، وغاية مقداره، حتى اجتذب القلوب، وأدرك لدينا غاية المطلوب.

وحاصل ما أشرتم إليه من قضية الذمي ابن كذا أنه أحد يهود ذمتنا، ومن المتوسلين بخدمتنا، وقد توسل إلينا في قدومه عليكم، وتخليه سبيله ليتوجه إليكم، فأجبنه من حيث إنه تردد لبلاككم غير ما مرة، وحصل لكم به طول الألفة والعشرة وحدث عنكم بنيل كامل المبرة.

ولم نتعرض فيما بيده من كتبنا لإبطال حق أو تحقيق باطل، ولا نرضى أن يكون فيما يجب بطريق الحق الملد المماطل، بل هو كغيره، في شأنه كله وأمره يأخذ ما إليه، ويؤدى ما عليه، لأن هذا أمر اجتمعت عليه الملل بأسرها، وعليه مدار كنه أمرها، لا يمتري فيه عاقل، ولا يقبل بخلافه نقل ناقل، والخروج عنه خرق للإجماع، وقيل تمجه الطباع والأسماع.

وأما ما استظهر به الذمي المذكور منا، وزعمه من كونه باشدورا أو قنصوا نائبا عنا، فهو إن صح أمر يتوقف على رضاكم، وحكم لا يتم إلا بقضاكم، فكما أنكم لا تستنيبون لدينا، ولا توجهون قنصوا إلينا، إلا من نرضيه وتتوفر فيه شروط للكمال تقتضيه، فكذلك أنتم لا تتم نيابة أحد من قبلنا لديكم إلا بقبول حاله، واستحسان انتحاله، وإلا، فلا.

بهذا تحصل الألفة بين القلوب، وتدوم المبرة التي هي ملاك الأمر المطلوب، بين الدولتين إن شاء الله تعالى، انتهى، وبه صدر أمرنا الشريف بالحضرة العلية، مكناسة الزيتون الإسماعيلية بتاريخ ٢٨ من ذى الحجة الحرام متم ١٢٤٢ من الهجرة النبوية القمرية، الموافق من الشمسية المسيحية ٧ يلىز سنة ١٨٢٧.

ونص ما كتب به (درماندهی) نائب إنجلترا للسلطان يخبره بوصول الفرس الذى أنعم به على حاكم جبل طارق على يده بعد الحملة والسلام من أصله العربى :

«أدام الله العز والتمكين، لسيدنا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، وبعد تقبيل اليد الشريفة أنهى لكريم علم سيدنا أدام الله نصره، وخلد فى الصالحات ملكه، أنه ورد علينا الكتاب الشريف الذى تاريخه فى ٣ جمادى الثانية سنة تاريخه، وصحبته الفرس، يأمرنى مولانا بتوجهه لحاكم جبل طارق، وعليه يعلم سيدنا أننا وجهنا الفرس المذكور لصاحبه عن أمر مولانا المنصور بالله هذه مدة من ٨ أيام سلفت، وأخبرنا بأن الفرس وصل بخير للحاكم المذكور، كما أمرنا وما نحن إلا على الخدمة الشريفة راجيا دعاء سيدنا الصالح والسلام، وفى ٢١ رجب الفرد الحرام سنة ١٢٤٩ عن إذن ادرمندهى قونص خلنار ونائب سلطان الإنجليز بإيالة سيدنا السعيدة».

وبعده كتابة إفرنجية ثم طابع ملصق من ورق مطبوع عليه كتابة كذلك .
وفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف أواخر الدولة الرحمانية عقد السيد محمد الخطيب مع قنصل الإنجليز معاهدة فى أمور التجارة نصها :
«الحمد لله مضمن الشروط التى تعاقد عليها السيد محمد الخطيب مع قنصوا النجليز فى أمر التجارة عام ١٢٧٣ :
الشرط الأول :

مضمونه أن تكون التجارة جارية متساوية بين الإيالتين ولتجار النجليز الإتيان والسكنى والبيع والشراء فى جميع مراسى سيدنا أيده الله دون أمد محدود فى كل محل يكون به غيرهم من الأجناس، ولهم الكراء والاجراء وأعمال الديار



كتاب (جان درمندهای) قنصل الإنجليز إلى المولى عبد الرحمن
فی شأن الجواد المهدي لحاكم جبل طارق

والمخازن، ولهم الأمان فى أنفسهم وأمتعتهم، ولهم البيع والشراء مع من شاءوا فى أنواع التجارة إلا ما هو مذكور فى الشرط الثانى من هذه الشروط، ويتجر فى كل ناحية من النواحي من غير تعرض ولا ضرر بكنطردات وشبهها، ودون تخصيص فى أنواع المتاجر إلا الأنواع المذكورة فى الشرط الثانى، ولهم من المنافع والتخصيص ما يكون لأحد من محبى الأجناس وغيرهم بعد هذا ورعية مولانا أيده الله عندهم كذلك.

الشرط الثانى:

مضمنه إسقاط الكنطردات والممنوعات فى المتاجر إلا طابغة والأفيون والكبريت والبارود وملحته والخفيف وآلة الحرب وسلاح الحرب، وإسقاط الكنطردات فيما يخرج إلا العلق والدباغ وطابغة والذى يشبهها من الربيع الذى يشرب فى الدواية (كذا).

الشرط الثالث:

لا يلزم مسكن ولا غرامة ولا أعشار ولا ما يشبه ذلك لأحد من رعيته فى شراء أنواع السلع الخارجة بأى وجه باشروا الشراء بأنفسهم أو بواسطة نوابهم إلا الصاكة المبينة فى الشرط السابع، وجميع أنواع السلع المشتراة تحمل من كل موضع وتوسق من المراسى دون مكس ولا غيره إلا الصاكة المعلومة، ولا يلزم إذن ولا شبهه لحمل السلع ووسقها، ولا يمنع إلا المسائل التى اقتضى نظر مولانا منعها كما هو مذكور فى الشرط الخامس لا يقبض شيئاً عليها، وإن فعل أحد من الخدام شيئاً يخالف هذا يزجره مولانا أعزه الله إن كان ظالماً، ويؤدى ما ناب من الخسارة بعد بيانها.

الشرط الرابع:

لرعيتههم الاستشغال بأنفسهم فى أمورهم أو تعيين من ينوب عنهم، ولا يلزمهم أداء شىء لأحد لم يعينوه لخدمتهم، نعم من كان من إيالة مولانا أيده الله منهم... (١) سائر رعيته دون تعرض ولا مدخل للولاية فى أمور تجارتهم، وإذا تعرض لهم أحد من الولاية فى أمر من أمور البيع والشراء ومنعهم من البيع والشراء، فإن مولانا أيده الله يزجره عن فعله.

الشرط الخامس:

إذا اقتضى نظر مولانا أيده الله منع شىء من الموسوقات قوتا أو سلعا، فإن رعيتههم يحملون ما هو بمخازنهم أو يشتري على أيديهم من ذلك الممنوع قبل ظهور المنع، وييقنون على عملهم فى ذلك ستة أشهر بعد ظهور المنع، نعم حين يأتى الأمر الشريف بذلك يجعل للتجار يومين أجلاً لبيان ما عندهم من ذلك النوع بمخازنهم، ويعطون رسوم ما عندهم يشتري بالبادية ولا تمنع رعيتهم من وسق ما هو مسرح لغيرهم من الأجناس.

الشرط السادس:

جميع أنواع المتاجر التى يرد بها تجار النجليز لا يلزمهم فى أعشارها أكثر مما يعطى غيرهم من تجار المسلمين والأجناس غيرهم، ولا يمنعون من وسق سلعة مسرحة لغيرهم، عدا الأنواع المذكورة فى الشرط الثانى.

الشرط السابع:

السلع التى ترد على يد التجار منهم لا يؤدوا عنها أكثر من عشرة فى المائة على تقويمها بالمال، ولا يؤخذ عشرها من عينها، كما أن السلع الخارجة من إيالة

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

مولانا أيده الله على يد رعيته لا يؤدون في صاكتها أكثر مما هو مسطر في الزمام: القمح ريال واحد للفنيكة، الشعير نصف ريال للفنيكة، التركية والذرة نصف ريال للفنيكة، جميع أنواع القطنى نصف ريال للفنيكة، الدقيق ثلاثون أوقية للقنطار، الأرز ستة عشر أوقية للقنطار، الزوان اثنتا عشرة أوقية للقنطار، التمر أربعون أوقية للقنطار، اللوز خمس وثلاثون أوقية للقنطار، اللتشين اثنتا عشرة أوقية للألف، الزيت خمسون أوقية للقنطار، السعتر مثقال للقنطار، الكرمة عشرون أوقية للقنطار، الحناء خمس عشرة أوقية للقنطار، الشمع اثنا عشر مثقالا للقنطار، الصوف المغسولة ثمانية مثاقيل للقنطار، وغير المغسولة خمس وخمسون أوقية للقنطار، الجلد بأنواعه بصوفه ستة وثلاثون أوقية للقنطار، الجلد الفلالى والزوانى والقشيني عشرة مثاقيل للقنطار، الأنصاب عشرون أوقية لكل ألف، الشحم خمسون أوقية للقنطار، البغال خمسة وعشرون ريال للرأس، الحمير خمسة ريال للرأس، الغنم ريال للرأس، المعز خمسة عشر أوقية للرأس، الدجاج اثنتان وعشرون أوقية للطزينة، البيض واحد وخمسون أوقية للألف، البلغة سبعون أوقية للمائة، شوك الدرب خمس أواقى للألف، الغاسول خمس عشرة أوقية للقنطار، القفاف ثمانية مثاقيل للمائة، الكروية مثقالان للقنطار، مشطة العود خمس أواقى للمائة، الشعر ثلاثون أوقية للقنطار، الزبيب مثقالان للقنطار، الكرازى مثقال للمائة، تكوت مثقالان للقنطار، العنب والكتان أربعون أوقية للقنطار، بطانة الغنم مدبوغة بصوفها ست وثلاثون أوقية للقنطار، العاج... (١) والنحاس... (١) ريش النعم أسود وأبيض.

ولسيدنا أيده الله النظر فى منع وسق ما يريد منعه على ما هو فى الشرط الخامس، وأما القمح والشعير إن اقتضى نظره منع وسقه وتسريح ما هو لجانب

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

المخزن فقط ، فله أن يبيعه بالثمن الذى يريد ، وإن أراد أن يزيد أو ينقص فيجعل له أجلا للمشتريين قبل كما هو فى الشرط الخامس ، وإن سرحه للرعية فصاakte ما هو فى الزمام فقط ، وإن اقتضى نظره التخفيف من هذه الصاakte فيكون لرعيته ما يكون لغيرهم من الرفق والتخفيف .

الشرط الثامن :

إن أراد أحد من تجارهم وسق سلعة من إحدى مراسينا لمرسى آخر من مراسينا ، وكان أدى صاakte وقت دخولها ، فلا يلزمه أداء صاakte أخرى ، نعم يكون بيده خط الأمانة بأنه أدى صاakte قبل .

الشرط التاسع :

جميع أنواع السلع التى أذن فى وسقها إذا اشتراها أحد من تجارهم وأرادوا وسقها ، فإنه يحملها ولا يؤدى عنها إلا الصاakte المذكورة فى الشرط السابع .

الشرط العاشر :

مضمونه تجديده ما يعطى على المخاطف ، وهو أن كل مركب يؤدى فى المخاطف ست موزونات عن كل طننض إلى مايتى طننض ، والمركب الذى فيه أكثر من مايتى طننض يؤدى موزونتين عن كل طننض ، وإن وقع شك للأمانة فى قدر الطننضات فإن القونص يظهر لهم كواغد المركب الذى فيه عدد الطننضات ، وهذا هو الذى يؤدى فى جميع مراسى الإيالة التى تدخل فى الأودية ، أعنى الرباط والعرايش فإنهم يؤدون للبلوط الذى يدخلهم فى الوادى أربع موزونات عن كل طننض ، وكذلك الذى يخرجهم يؤدى له أربع موزونات لكل طننض ، وعن مخاطف المراكب التى تدخل للوادى ثلاث موزونات لكل طننض ، والذى لم يدخل الوادى يؤدى مثل مراسى آخر ، ويؤدى للبلوط بالصورة أربع موزونات لكل طننض فى الدخول فقط ، وفى المخاطيف ست موزونات لكل طننض كما ذكر .

وفى مراسى آخر إذا احتاج رئيس المركب إلى بلوط يؤدي موزونتين عن كل طننض، وإلا فلا، وأما البابورات الواردة بقصد حمل السلع ووضعها فتؤدي ستة عشر ريالاً واجب المخاطف، وإذا دخل لمرسى أخرى من الإيالة المذكورة وحمل منها شيئاً أو وضع يؤدي مثل ما أدى فى المرسى الأولى، وإذا رجع للمرسى الذى أدى فيها أولاً فلا يلزمه أداء شىء ثانياً، نعم إذا تردد فى الخدمة بمراسى الإيالة بالحمل والوضع فيؤدي مخاطفه، وكذلك إذا سافر لإيالة غير إيالتنا ورجع، فإنه يؤدي إلا البابور الذى يكون من مائة وخمسين طننض فأقل، فيجرى عمله مركب مركب قلع فى واجب المخطاف.

وكل مركب يؤدي الزيادة على المخطاف لخدام المرسى على ما يذكر فقط، وكذلك كل مركب من خمسة وعشرين طننض فأقل يؤدي مثقالين، وكل مركب من خمسة وعشرين إلى خمسين يؤدي أربعين أوقية، ومن خمسين إلى مائة يؤدي ستين أوقية، ومن مائة إلى مائتين يؤدي ثمانين أوقية، ومن مائتين فأكثر يؤدي عشرة مثاقيل.

وفى مرسى تطوان يزداد على ما ذكر مثقال واحد لحمل كاغد المركب من مرتيل للمدينة، وللنفار خمس أواقى، وللبراح ثلاثة أواقى، والمركب الذى يدخل بقصد التستر مع مراكب الحوالة لا يؤديون شيئاً، ومراكب راعيتنا لا يلزمها أكثر من هذا فى مراسى النجليز.

الشرط الحادى عشر:

إذا أراد تجارهم أن يحملوا سلعة أو ينزلوها، ففلايك المخزن تخدم ذلك، ثم إذا مرت يومان من وصول المركب ولم توجد فلاك المخزن، فتستخدم فلاك الغير، ويعطون للمخزن النصف المعتاد عدا مرسى طنجة وتطوان لقيامها فى

مراسيها بفلايك المخزن، ومصروف الفلايك المعتاد فى هذا الوقت لا يزداد عليه فى المستقبل .

الشرط الثانى عشر:

إذا فتحت فى المستقبل مراسى أخرى مثل مهدية وأكدير وغيرها، فتكون هذه الشروط جارية فيها سواء شروط المتجر والمخاطف وغير ذلك .

الشرط الثالث عشر:

إذا اطلع على أحد من رعيتهم مشغولا لا بقطربضو فى إيالتنا فى نوع من أنواع السلع، فإن تلك السلعة تحاز لبيت المال، ومن ثبت عليه كطربضن أمام القنص فإنه يعاقب بغرامة لا تزيد على قدر ثلاث مرات من عشرها، وإذا كانت من السلع التى تقبل يؤدى قدر ثمنها ثلاث مرات، وإذا لم يؤد ذلك على الفور فإنه يسجن على يد القونصو فى المحل الذى يظهر له، ولا يطول سجنه أكثر من عام .

الشرط الرابع عشر:

بعد مضى خمس سنين من تاريخ هذه الشروط لكل من الجانبين أن يطلب من الآخر تفقد هذه الشروط ومراجعتها، ربما تكون فى مسألة منفعة الجانبين يتفقون عليها بعد، ولا يكون هذا إلا بخاطر الجانبين ورضاهم .

الشرط الخامس عشر:

هذه الشروط يطبع عليها سلطانا الإيالتين وبعد أربعة أشهر يتمسك كل جانب بنسخة منها، ويكون العمل جاريا عليها، وتنسخ حكم الشروط الأولى القديمة بين الجانبين .

وفى نفس السنة عقد الخطيب معهم معاهدة أخرى تتضمن المهادنة والأمن واحترام الرعية وتنسخ ما تقدمها من الاتفاقات فى موضوعها وإليك مضمونها:

«الحمد لله مضمن شروط ٣٨ عقدها الخطيب بطنجة عام ١٢٧٣ مع نائب النجليز زيادة على شروط التجارة المقيدة يمتته:

الشرط الأول:

مضمنه انعقاد الصلح والمهادنة دايمًا بين جانب مولانا المنصور بالله وبين رينة النجليز، ولمن يأتى بعدهما فى مقام الرتبة وبين إياهم ورعيتهم.

الشرط الثانى:

مضمنه أن رينة النجليز تعين قونصو متحدا ومتعددا بهذه الإيالة المغربية يسكن بمرسى من مراسيها أو مدينة بمدنها بحسب ما يختاره القونصوا أو دولته.

الشرط الثالث:

مضمنه توقيير واحترام نائب رينة النجليز ونوابه لجميع المراسى، ومن توجهه من قبلها لجانب مولانا أيده الله يكونون محفوظين فى أهلهم وديارهم لا ينالهم أحد بسوء، ومن عرض لهم بمكروه يؤدب، ويختار النائب المذكور من يترجم عنه ويخدمه من المسلمين أو غيرهم، ونوابه بالمراسى يختارون ترجمانا واحداً وبواباً واحداً ومتعلمين اثنين من المسلمين أو غيرهم للواحد، ولا يكلفون بجزية ولا غرامة، ولا يكون أحد من هذه الإيالة المغربية تحت حمايته إلا عياله فقط، ويؤذن لهم فى جعل السنجاق فى كل وقت، وفى اتخاذ محل صلاتهم والحوائج التى ترد عليهم لأنفسهم أو لأهل دورهم بهذه الإيالة لا صاكة فيها، وإنما يعطون خطوط أيديهم للأمناء بعدد ما يريدون جوازه، وهذا إنما هو للقونصوات الذين لا

يتجرون، وفيها أرادوا الخروج فلهم ذلك لا يمنعون، ولا يشقف عليهم شيء من حوائجهم، وإن زيد لقنصوات الأجناس شيء من ذلك يزداد لهم.

الشرط الرابع:

مضمنه أن لرعية النجليز أن يسافروا أو يسكنوا حيث شاءوا من إيالة سيدنا، لكنهم إن سكنوا يتبعون قانون حاكم البلد، ولهم أن يكتروا ويحوزوا^(١) الديار المخازن، وإن لم يجدوا ذلك وكان في المحل المعلوم لسكناهم محل يصلح لبناء ذلك فيه، فإن المخزن يعينهم عليه ويتكاتب معهم على مصروف ريتهم قدر ما يبقى بأيديهم من السنين، لا يخرجهم أحد منها إلى أن تتم المدة، ولا يلزمون بغرامة ولا بخدمة المخزن في بر أو بحر ولا بإسلاف شيء من مالهم، كرها وديارهم ومخازنهم محترمة ولا تفتيش كرها في ديار رعتهم وكنائش تجارهم وكاتبهم إلا بموافقة القونصو أو نوابه، وقد عهد سيدنا أيده الله أن رعية النجليز المستقرين بإيالاته السعيدة لهم الأمن والحق في أنفسهم وأمتعتهم مثل ما لرعية سيدنا بإيالة النجليز.

الشرط الخامس:

مضمنه أن الساكنين بإيالة سيدنا أو التاجرين بها من إيالة النجليز لهم الأمن التام على أنفسهم وأموالهم، ويتدنون بأمر دينهم من غير منع، وتعين لهم مقبرة لدفن موتاهم ويخرجون لدفنها آمنين في ذهابهم وإيابهم، ويوجهون لقضاء أغراضهم برا وبحرا من أرادوا، وإذا كان لتاجر منهم مركب في أحد المراسى أو خارجها فله أن يصعد إليه بنفسه أو بمن يريد من أصحابه من غير أن يعطوا شيئا على ذلك.

(١) في الأصل: «ولهم أن يكتروا ويجزوا (كذا)» وحاز الشيء: ضمه وملكه. يقال: حاز المالَ وحاز العقار.

الشرط السادس :

مضمّنه أن كل من بإيالة سيدنا من النجليز لا يكلف بيع ولا شراء إلا برضاه، ولا تسلط لأحد من المسلمين على ما بأيديهم إلا ما يعطونه عن طيب نفس، ومثل هذا يكون لإيالة سيدنا فى إيالة النجليز .

الشرط السابع :

أن من كان من إيالة النجليز لا يلزم بأداء دين ترتب على غيره من أهل جنسه إلا إن كان ضامنا له برسم أن بخط يد، ومثل ذلك الديون التى تكون لبعض إيالة النجليز على بعض إيالة سيدنا .

الشرط الثامن :

مضمّنه أن ما يحدث بين رعية النجليز بإيالة سيدنا من الدعاوى كيفما كانت إنما يحكم فيها القونصوا أو نوابه، ولا يدخل فيها قاض ولا قائد ولا غيرهما .

الشرط التاسع :

مضمّنه أن الدعاوى التى تكون بين رعية سيدنا وبين رعية يفصل فيها، فإن كان المشتكى من رعية النجليز والمشتكى من رعية سيدنا، فالمشتكى النجليزى يرفع شكواه لعامل البلد أو قاضيه بواسطة القونصو أو نوابه، ولهم الحضور فى محل الحكم على الدعاوى .

وإن كان المشتكى من رعية سيدنا والمشتكى به من رعية النجليز، فيرفع المشتكى شكواه لمحل الحكم والفصال للقونصو أو نوابه بواسطة عامل البلد أو قاضيه، ولهما أو لمن ناب عنهما الحضور وقت فصل الدعوى، وإن لم يرض النجليز بحكم الحاكم أو القاضى أو لم يرض المسلم بحكم القونصو ونوابه فله رفع دعواه لنائب جنسه المفوض من الإيالتين .

الشرط العاشر:

مضمونه كيفية النظر فى فصل الدعوى وما هو حجة فيها وما لا فيها إذا رضى أحد من رعية النجليز يرفع دعواه لولاية سيدنا على أحد من رعية سيدنا لسبب دين ترتب عليه بإيالة النجليز، مع بيان ما يكون عليه العمل إن فر مدين من المدينين، وهو من إيالة سيدنا لبلد داخل الإيالة وليس بها قونصو للنجليز ولا نائبه .

الشرط الحادى عشر:

مضمونه إعانة ولاية سيدنا لنواب جنس النجليز بالمخزانية والعسة وغير ذلك إن احتاجوا له وتكون السخرة مثل ما يعطيه رعية سيدنا .

الشرط الثانى عشر:

مضمونه إذا تبين الزور فى شهادة أحد من رعية سيدنا على أحد من رعية النجليز فيزجر، وكذا إن تبين الزور فى شهادة أحد من رعية النجليز على أحد من رعية سيدنا فإنه يزجر أيضا .

الشرط الثالث عشر:

مضمونه استواء كل من هو من رعية النجليز كانوا مسلمين أو يهود أو نصارى فى الحقوق والمنافع المتفق عليها فى هذه الشروط، وفى اتفاق شروط أمور التجارة والمراكب، وكذا فيما يسلم لجنس من خواص الأجناس فيما يستقبل .

الشرط الرابع عشر:

مضمونه إذا كانت دعوى كبيرة أو صغيرة بين أحد من رعية النجليز، وبين أحد من رعية جنس من الأجناس غير المسلمين فلا يدخل فيها ولاية سيدنا، والقونصوات هم الذين يتولون فصلها فى محل خدمتهم إلا إن ظلم أحد من رعية

سيدنا فى تلك الدعوى، فيحضر أحد ولاية المسلمين أو نائبه فى فصلها عند القونصوات .

الشرط الخامس عشر:

مضمنه أنه إذا كان أحد من الرعيتين فى خدمة، وفر منها للرعية الأخرى، فإنها لا تستعمله فى خدمتها، ولا يستقر بإيالتها، سواء كانت خدمته فى البحر والبر، وكذلك إن فر أحد من بحرية المراكب البرزكان من أحد الجانبين للجانب الآخر ووقع عليه الطلب، فإن لم يكن فيه كسب ولا هد من رعية الجانب المطلوب منه، فإن ولاية ذلك المحل يعينون القونصوات أو نوابهم على قبضه ولا يعينون الفار على فراره .

الشرط السادس عشر:

مضمنه أن جميع رعية النجليز على أى دين كانوا لهم الحق والمنع على مقتضى هذه الشروط، وإن كان أحدهم متدينا بدين الإسلام فلا تنقض له حماية ولا منفعة .

الشرط السابع عشر:

مضمنه أن كل من كان من رعية النجليز بإيالة سيدنا فى وقت الصلح أو فى وقت الحرب، فله الحرية الكاملة، وإن نشأ بالمغرب أو بمحل آخر من غير إيالة النجليز فيذهبون حيث شاءوا ويركبون فى أى مركب أرادوا، ويحملون معهم عيالهم وخدامهم، ويتصرفون بما شاءوا فى سلعهم وأموالهم من غير أن يتعرض لهم بمنع أو تثقيف، ويكون مثل ذلك لرعية سيدنا فى إيالة النجليز .

الشرط الثامن عشر:

مضمنه إذا مات أحد من رعية النجليز أو ممن فى حمايته بإيالة سيدنا،

فالنظر فى متروكه وجميع متخلفه لوصيه الذى سماه فى وصيته كورثته إن كانوا حاضرين، فإن غاب الورثة أو الوصى إن لم يكونوا، فالقونصوا أو نوابه يحوزون ذلك لورثة الميت أو أقاربه، ولا يدخل فى ذلك ولاية سيدنا بتثقيف ولا بحث.

وإذا ترك الميت المذكور ديناً على أناس، فإن عامل البلد يلزمهم أداءه للقونصو، وكذلك إن كان على الميت دين لأحد من رعية سيدنا فإن القونصو يقف له على متاعه حتى يقبضه.

الشرط التاسع عشر:

مضمونه أن ما انعقد عليه الشروط يعم جميع إيالة النجليز وجميع من سكن فى بلد من مملكتهما حتى الذين هم بجبل طارق وبالجزر التى تحت حمايتهم، ويعم جميع من يدخل فى طاعتها فى المستقبل.

الشرط الموفى عشرون:

مضمونه أن رعية النجليز ومن هو تحت حكمها يكون لهم ما انعقد بهذه الشروط من المنافع ووفور النعم، وجميع ما يسلم لجنس من الأجناس فى المستقبل يكون لهم مثله.

الشرط الحادى والعشرون:

مضمونه إذا غنم النجليز مركباً لجنس معه فى الحرب ووجد فى المركب أحد من رعية سيدنا، فإنه على حرمة ويخل سبيله ولا يتعرض له ولا لأمتعته المحمولة معه، وكذلك إن غنم قرصان من قراصين سيدنا مركباً لجنس معه فى الحرب ووجد فيه أحد من رعية النجليز، فإنه على حرمة كذلك يذهب حيث شاء، ولا يتعرض له ولا لأمتعته المحمولة معه.

الشرط الثاني والعشرون:

مضمّنه إذا كان مركب للنجليز عنده البطنة وغنم مركبا وأتى به لمرسى من مراسى سيدنا، فلاهل المركب النجليزى أن يبيعوا المركب المغنوم بتلك المرسى، وكذلك السلعة المغنومة من غير منع، ولهم أن يذهبوا بغنيمتهم إلى حيث شاءوا.

الشرط الثالث والعشرون:

أن مركب النجليز إذا ألجأه مركب لعدوه إلى الدخول تحت رمايته من سواحل سيدنا، فإن له الاحترام ويدافع عنه ولاة سيدنا ما أمكن، ومثل ذلك يكون لمراكب سيدنا فى جميع سواحل إيالة النجليز.

الشرط الرابع والعشرون:

مضمّنه إذا كان قرصان من القراصين ليس لسيدنا ولا للنجليز وعنده بطنة لجنس هو فى الحرب مع سيدنا أو مع النجليز، فلا يسامح فى الإقامة بمرسى من مراسى الجانيين، ولا يبيع بها الغنائم التى غنمها، ولا يبدل بها سلعة أو سقا لغيره، وكذلك لا يسامح أن يعان بشيء من الإقامة لمركب ولا بشيء من المأكولات إلا قدر ما يوصله لأقرب بلدة.

الشرط الخامس والعشرون:

مضمّنه أنه إذا كان بإحدى مراسى سيدنا أو بساحل من سواحله مركب لجنس هو فى الحرب مع النجليز، وكان هناك مركب للنجليز، فإنه لا يسامح لمركب عدو النجليز أن يقتحم على مركب النجليز، أو يتعرض له بسوء، كما لا يسامح لمركب ذلك العدو أن يخرج بإثر مركب النجليز، إنما يخرج بعد مضى أربعة وعشرين ساعة من خروجه، إذا كان لأهل المحل قدرة على منعه، وبمثل ذلك تعامل مراكب سيدنا فى مراسى النجليز.

الشرط السادس والعشرون:

مضمّنه أن مراكب تجار النجليز أو قراصينه إذا كانت بإحدى مراسى سيدنا أو بساحل من سواحله واحتاج أهلها للمأكولات أو الفريشك، فلهم أن يشتروا ما يحتاجون إليه بسعر الوقت من غير عشر، ولكن إنما يشترون ما يكفيهم مدة إقامتهم بالمرسى، وما يوصلهم للبلد الذى يسافرون إليه.

الشرط السابع والعشرون:

مضمّنه أن المراكب أو الفلايك الصغار التى يكتريها النجليز لحمل المكاتب، لها الاحترام والخصوصية كما ذلك للمراكب القراصين إذا لم يبع أهلها ولم يشتروا مع أهل بلد بإحدى مراسى سيدنا ولم يحملوا شيئاً من السلعة، فإن حملوا سلعة فحكمهم حكم البرزقان.

الشرط الثامن والعشرون:

مضمّنه أن مراكب رعية الجانبين وسكان إيالتنا إذا دخل أحد منهم لساحل من سواحل الجانبين، ولم يرد الدخول للمرسى، أو دخل ولم يرد أن يبين ما عنده ولا أن يبعه، لا يلزم ببيان ولا يبحث أحد فيما عنده، لكن لخدام المرسى الإذن فى جعل السلعة بالمركب مدة إرسائه بالمرسى على المخطاف لمنع الكطربض.

الشرط التاسع والعشرون:

مضمّنه أنه إذا ورد مركب للنجليز على إحدى مراسى سيدنا وكان فيه وسق، فإنما يطالب بصاكة ما أنزل من الوسق، وأما ما لم ينزله فيفعل فيه ما شاء، وله أن يسافر به وزمام وسق المركب يدفع بيد ولاية المرسى حالة الوصول إليها، ولولاية المرسى البحث فى المراكب ساعة الوصول وعند السفر، وأن يجعلوا الساعة فى المركب على شأن الكربض، وعلى هذا المنوال يكون العمل فى مراسى النجليز

مع مراكب سيدنا، ويلزم رؤساء المراكب أن يصحبوا زماما من قونصهم أو نائبه بما سافروا به من الوسق ويظهروه لأمناء المرسى ليبحثوا عن الكطربنض .

الشرط الموفى الثلاثين :

مضمنه أنه لا يلزم رؤساء مراكب الجانبين أن يحملوا فى مراكبهم سلعة ولا أحداً إلا برضاهم، ولا يلزمون أن يسافروا لمحل لا يريدونه ولا تثقف مراكبهم بوجه .

الشرط الحادى والثلاثون :

مضمنه أنه إذا اكترى أحد من رعية سيدنا مركبا للتجلىز على أن يحمل فيه سلعة أو أناسا إلى بلد آخر من إيالة سيدنا، فألجأت الريح أو البحر ذلك المركب فى حال سفره إلى الدخول لمرسى أخرى، فإن رئيس ذلك المركب لا يلزمه مخطاف ولا صاكة إلا إن أنزل شيئا أو حمل شيئا .

الشرط الثانى والثلاثون :

مضمنه أن مراكب التجلىز إذا حصل لها مضرة فى البحر ودخلت لأحد مراسى سيدنا بقصد إصلاح ما فسد، فإنهم يقبلونها ويعينوها بما تتوقف عليه من الإقامة والآلات إن كان ذلك موجودا فى المحل، ويشتره أهل المركب لأنفسهم كما يشتره غيرهم .

الشرط الثالث والثلاثون :

مضمنه أن مركبا إذا حرث أو تكسر فى ناحية من نواحي سيدنا فله الاحترام والإعانة بما يحتاج إليه، والمركب وما فيه والسلعة التى نجت من الغرق، والتى خرجت بعده لا يضيع شىء من جميع ذلك، ويدفع جميعه لأربابه أو للقونصوا ونوابه يدفعونه لأربابه .

وإن كان فى المركب الذى حرث سلعة فلأربابها بيعها لإيالة سيدنا أيده الله، ويؤدون الواجب فى عشرها ما لم تكن موسوقة من إحدى مراسى سيدنا، فإن الصاكة الأولى حينئذ كافية، ولربها الخيار فى البيع والوسق والبحرية مع الرئيس يتوجهون حيث شاءوا، رعية سيدنا مثل ذلك ببلاد النجليز، وإذا حرث مركب للنجليز بوادى نون أو بعض سواحله، فإن سيدنا يستعمل جهده فى تحصيل بحريته حتى يركبوا لبلادهم، وحتى القونصوا أو نوابه يؤذن لهم فى البحث والوقوف فى ذلك ويعينه ولاية سيدنا بما يوافق المحبة.

الشرط الرابع والثلاثون:

مضمنه اتفاق جانب سيدنا وجانب النجليز على بذل المجهود فى قطع الزمنطوط، وأن سيدنا التزم البحث بسواحله عن المشتغلين بذلك، وأن يعين النجليز فى ذلك بعقدية من يظهر منهم بإيالته.

الشرط الخامس والثلاثون:

مضمنه إذا وقع من أحد من رعية الجانبين أو فى مركب من مراكبها ما يخالف شرطاً من الشروط، فإن الصلح لا ينقض، ويبقى ثابتاً راسخاً إلى أن يكتب لسلطانه بفعله، فينكر عليه، وإذا رام بعض رعية الجانبين إفساد شرط من هذه الشروط، فإن سلطانه يؤدبه ويعاقبه.

الشرط السادس والثلاثون:

مضمنه أنه إذا وقع بين الجانبين نقض للصلح، نشأ عنه حرب بجميع من بإيالة سيدنا من رعية النجليز، أو من فى حمايتهم على حريتهم يذهبون لأى محل أرادوا، ويركبون فى موضع أحبوا من مراكب الأجناس، ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم وخدامهم، سواء خلقوا بإيالة النجليز أم لا، ويكون الأجل فى ذلك ستة

أشهر لمن طلبه لإصلاح أموره وبيع سلعته، ولا يتعرض لهم أحد بمكروه فى خلال
المدة فى أنفسهم وأموالهم، وللولاة إعانتهم فى قبض ديونهم من غير مماطلة،
ومثل ذلك يكون لرعية سيدنا فى إيالة النجليز.

الشرط السابع والثلاثون:

مضمنه وجوب شهرة هذه الشروط المنبرمة لرعية الجانبين، فتخرج منها نسخ
للقواد والأمناء الواقفين على الداخل والخارج فى جميع المراسى ولرؤساء القراصين
بحيث لا يبقى فيها جهل.

الشرط الثامن والثلاثون:

مضمنه أن هذه الشروط يطبع عليها سيدنا وسلطانة النجليز، ويتمسك بها
كل واحد من الجانبين فى مدة أربعة أشهر من تاريخها الذى هو عاشر ربيع الثانى
من عام ثلاثة وسبعين ومائتين وألف، وحين يتمسك بها مع شروط التجارة
والمراكب التى وقع الفصل عليها فى التاريخ المذكور، يصير العمل فى المستقبل
عليها، وتكون ناسخة للشروط المتقدمة بين الإيالتين بهذا تم فصل النائبين الخطيب
وقونصوا النجليز بمحروسة طنجة ووضع كل منهما طابع خاتمه على الشروط
المذكورة.

وأما إسبانيا فقد أقر معاهدة عمه التى عقدها معها وزيره ابن عثمان عام

١٢١٣.

ونص ما كتبه فى ذلك موافقا على إقامة نائب إسبانيا الجديد بعد البسملة

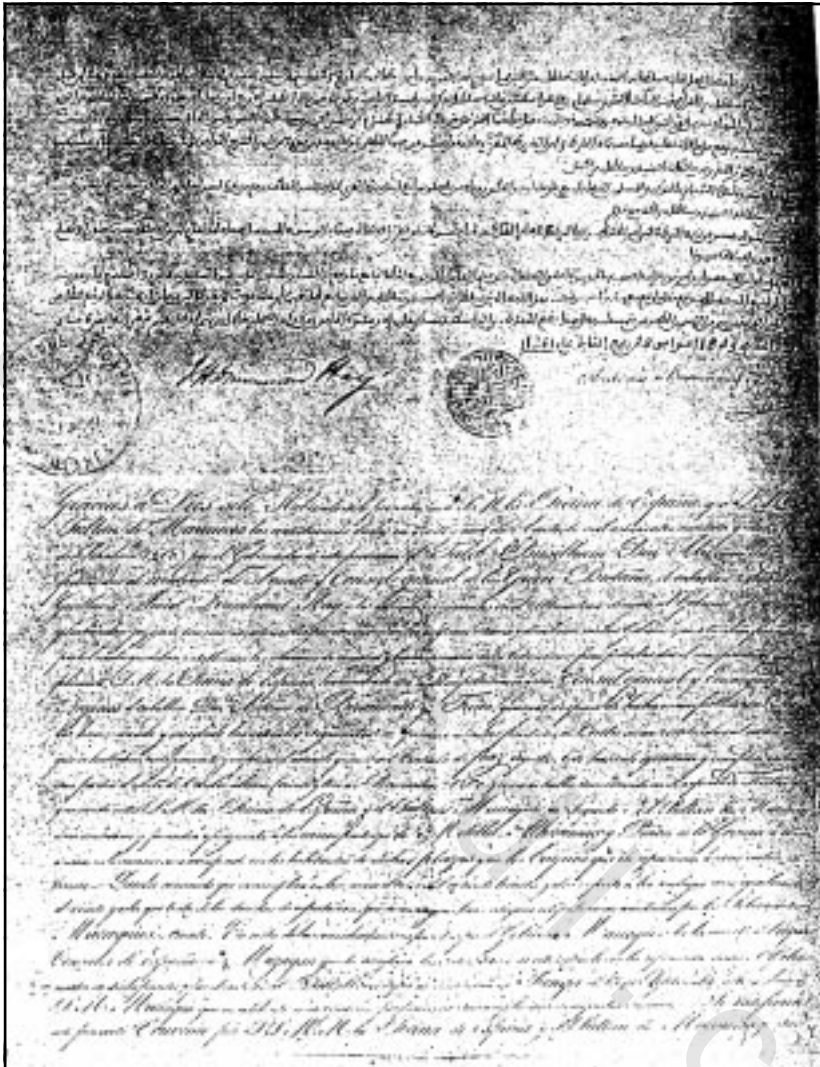
والحوقلة والطابع:

«أثبتنا بحول الله وقوته، وإفضاله وشامل يمنه ومنتته، ما صالح عليه أسلافنا

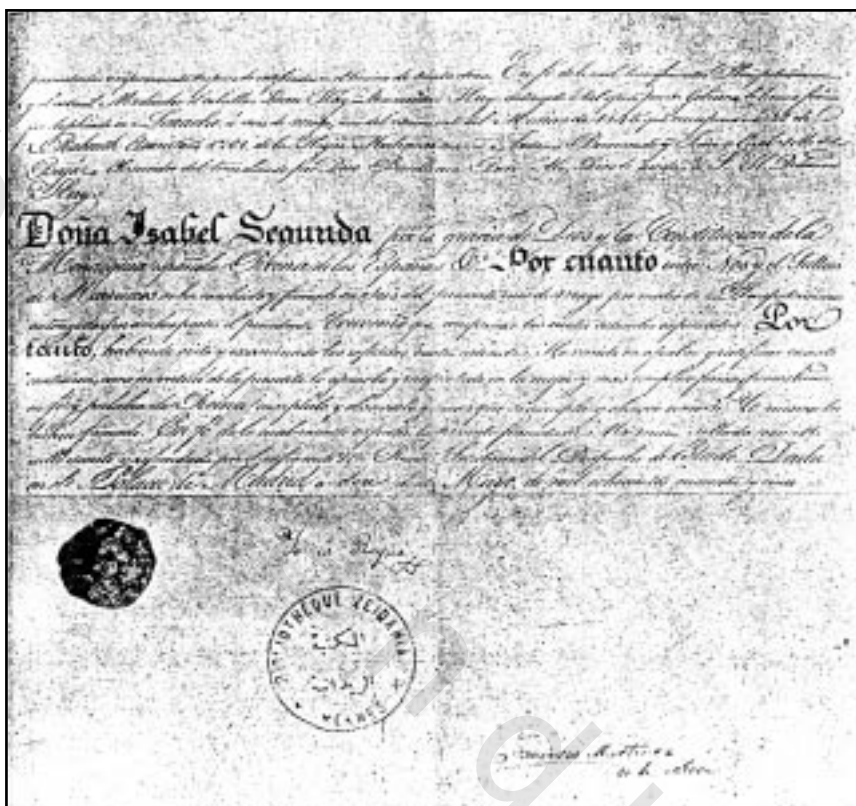
قدس الله ثراهم جنس الإصبنيل من الشروط المقررة المعهودة المتعارفة، التى



مطالب سبع طلبتها إسبانيا من المولى عبد الرحمن بواسطة قنصل
الإنجليز درمنادي الوارد على حضرة مراکش الحمراء، وبجانها أجوبة
السلطان عليها بواسطة وزيره ابن إدريس المنتدب لذلك



تسوية المسائل بين إسبانيا والمغرب نهائيا بمدينة العرائش بتاريخ ٢٨ ربيع
الثاني عام ١٢٦١، ٦ ماي ١٨٤٥ وعليه خط قنصلى إسبانيا وإنجلترا وطابع
بوسلهم عامل طنجة، وتحت الوثيقة العربية النص الإسباني



بقية النص الإسباني، ثم إمضاء ملكة إسبانيا بمدير يد عليها في ثانی
عشر ماى المذكور

بسببها تتم المهادنة والمساعدة والمساعدة، وتوجب الاعتناء بجانبنا الشريف العالى بالله والمودة، وارتضينا اليصاندرابريارى بدلا من الذى كان قبله، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا العمل بما قدرناه، وأن يقتفى أثر ما سطرناه، صدر بهذا الأمر المعتز بالله فى ٢٦ من جمادى الثانية عام ١٢٤٠.

وفى سنة أربعين المذكورة ورد عليه سفير (الصارود) من قبل ملكهم طالبا عقد صلح ومهادنة ورعاية من الجانبين، فأجابه السلطان لذلك، وكلف الوزير المختار الجامعى بمفاوضته، فعقد معه هذه المعاهدة التى أمضاها السلطان وأوجب العمل بها ونصها بعد الحمدة والصلاة والطابع الكبير:

«لما ورد على حضرتنا العلية بالله سفير جنس صارض (جرونم ارميرىوا) قونصو ونائبا عن الباشدور الموجه قبل جنسه لكبره وضعفه عن السفر (كوندى ديجنس) بكتاب سلطان جنسه المتضمن طلبه من على جانبنا المصالحة والمهادنة والانخراط فى سلك من له محبة فى جانبنا العالى بالله أجبناه لذلك على نحو ما اشتملت عليه الشروط التى وقع اختياره عليها ومراده العمل بمقتضاها إسعافا لرغبة سلطانه، وإكراما لوفادته، وأوجبنا العمل بمقتضاها مدة كون جنسه محافظا لمقتضيات رضانا، مراعىا لأشراط مودتنا، معتنيا بشأننا ماضيا على نفذ أمرنا هـ.

الشرط الأول:

أنا آلىنا على أنفسنا أن لا نقبل نيابة جنس عن جنس، فإننا أقررنا الصلح والمهادنة على الشروط التى ستذكر مدة كون قونصوا صارض فى إيالتنا رافعا لسنجاق جنسه مراعىا لأشراط المودة عاملا لمقتضاها هـ.

الشرط الثانى:

رعية مولانا أمير المؤمنين لهم التجارة فى البر والبحر آمينين، بحيث لا يتعرض لهم بسوء ولا مكروه وكذلك تجار جنس صارض هـ.

الشرط الثالث :

جميع تجار صارض وبحريته ورعيته تكون لهم المنافع بهذه الإيالة السعيدة، كما هي لرعية الأجناس المعتبرين الملاحظين عند سلطان مراكش، ويكون لرعية سلطان مراكش فى إيالة سلطان صارض مثل ذلك هـ.

الشرط الرابع :

رعية سلطان صارض لهم الخروج والسفر من إيالة سلطان مراكش كغيرهم من الأجناس النصرانية، من غير إذن ولا مشورة، إلا أذن قونصهم أو نائبه وربما تكون عليهم حقوق لغيرهم لا يلزمونهم ولا قنصهم ولا نائبه بأداء دين ترتب على غيرهم إلا ما كان ضامنا له من ذلك برسم أو بخط يد هـ.

الشرط الخامس :

لقونصوا صارض ونائبه وأصحابه ما لغيرهم من أصحاب قنصوات الأجناس من الاستغلال بظل عناية سلطان مراكش والتوقيع من ولالة أمره الشريف، وكذلك من اتصف بخدمة سلطان مراكش بأرض صارض هـ.

الشرط السادس :

رعية سلطان صارض لا يجبرون على الإتيان بالمدافع والبارود ولا بشيء من آلة الحرب هـ.

الشرط السابع :

مراكب سلطان صارض لا يثقفون مجانا بإيالة سلطان مراكش أكثر من المدة التى يريدون المقام بها، ولا يلزمون حمل شيء من مرساة إلى مرساة أخرى إلا برضاهم هـ.

الشرط الثامن:

سلطان صارض ألزم نفسه أنه لا يعطى باسبورطه لأحد من مراكب الأجناس إلا لمراكب رعيته، ويكون مطبوعا بطابع رئيس وزرائه وخليفته برا وبحرا، ويكون أيضا مطبوعا بطابع مرانطى المرانطس، ويكون أيضا فى بسبورط مراكبه البرزكانية تقطيع كنظر سينية المعروفة بهذا الاسم عند رؤساء مراكب المسلمين وغيرهم، فإذا لقيتهم مراكب سلطان مراكش فى البحر ورأوا عندها هذه الكنظر سينية فإن مطالعتها تغنيهم عن البحث فى البسبورط، وأما المراكب الصغار للجنيين مثل صيادين الحوت وغيرهم لا يحتاجون ولا يلجئون إلى إحضار هذه الكنظر سينية، ثم إذا ظهر لسلطان صارض تبديل هذه الكنظر سينية إلى حالة غير الحالة التى هى عليها الآن فإنه قبل تبديلها عن حالها يخبر بذلك سلطان مراكش على يد قونصوه هـ.

الشرط التاسع:

إذا قرصان من قراصين سلطان لقى فى البحر المراكب البرزكانية لسلطان صارض وبسجاقه، فإن قرصان سلطان مراكش لا يثقهم ولا يعطلهم عن سفرهم ولا يطلع إليهم للبحث فى وسقهم، بل يتركهم على حريتهم يتوجهون إلى سبيلهم، ولا يلزمهم بإظهار كاغيط آخر سوى الكونطر سينية، ولا يختلطون معهم بالمباشرة لئلا يلزمهم الكرنطينة فى دخولهم للمراسى، فإذا استعار أحدهم الآخر بشيء هو فى الحاجة إليه، فلا بأس أن يعين أحدهم الآخر على طريق الصحبة والمهادنة، ومثل ذلك تفعله قراصين سلطان صارض مع مراكب سلطان مراكش وقراصينه، ولا يلزمون مراكب صارض بإظهار كاغيط سوى ما أخذوه من عند قونصهم الذى هو بالمرسة التى خرجوا منها هـ.

الشرط العاشر:

إذا لقي قرصان من قراصين الجانبين مركبا بزرقانا للجانبين، فإن القرصان لا يلزم البزرقان بأن يأتى إليه بفلوكة لمطالعة كواغطه، بل القرصان ينزل فلوكته ويأتى إليه، فإذا وجد عنده ما أوجب له شكا أو ريبة فى الكواغط وألجأه ذلك إلى البحث لإزالة الشك والريبة، فإنه لا يطلع إلى المركب، ولا يسمح أن يبحث فى كواغطه ولا فى وسقه إلا لمن هو أمين، فإذا نشأ عن ذلك ضرر للمركب أو لما فيه فإن من جاء ذلك على يده يؤدب ويصلح ما فسد ويغرم ما ضاع هـ.

الشرط الحادى عشر:

إذا قرصان لسلطان مراكش غنم مركبا لمن هو فى الحرب مع سلطانه، ووجد فيه أحدا من رعية صارض، فإنه لا يتعرض له بمكرهه، بل هو وسلعه وأمتعته على سبيل حريته، فإذا دخل به إلى مرسى إيالة سلطانه فإنه يدفع هو وسلعته وأمتعته إلى قنصوه، وكذلك يدفعه لقنصوه إذا دخل به مرسى من مراسى الأجناس الذين هم فى المهادنة والصلح مع سلطانه، فإذا دخل مرسى بلد صارض فإنه يدفعه لحاكم ذلك البلد، ومثل ذلك يكون لقراصين سلطان صارض مع رعية سلطان مراكش.

الشرط الثانى عشر:

إذا مركب لسلطان صارض أقحمته مركب لعدوه ودخل تحت رماية من سواحل إيالة سلطان مراكش، فإن له الاحترام ويدافع عنه ما أمكن، ثم على الحاكم بذلك الساحل أن يلزم مركب العدو الخروج إلى البحر من حينه، أو يقيم بالمرسى بعد خروج مركب صارض المدة المعلومه لهم فى قانون البحر، ومثل ذلك يكون لمراكيب سلطان مراكش التى يقحمها عدوها ويلجئها إلى دخول سواحل إيالة سلطان صارض.

الشرط الثالث عشر:

جميع مراكب رعية سلطان مراكش الخارجة من مراسى سواحله إذا دخلت مراسى سواحل إيالة سلطان صارض، فلا بد أن يلزموا بأعمال الكرنطينة إن تعين موجبها فى المواضع المعلومة لأعمالها لكل من لزمه ذلك، أو فى موضع آخر يعين لهم، وبعد الخروج من الكرنطينة فإنه يسوغ لهم الدخول لأى مرسة شاءوا من إيالة سلطان صارض وحتى مراكب سلطان صارض الواردين لمرسى سلطان مراكش يلزمون لأعمال الكرنطينة فى الموضع الذى يعين لهم أعمالها فيه على الكيفية التى تكون لغيرهم من الأجناس.

الشرط الرابع عشر:

جميع مراكب الكرة لسلطان صارض إذا دخلوا مراسى إيالة سلطان مراكش يقابلون بمثل ما يقابل به غيرهم من قراصين الأجناس الذين فى المهادنة والصلح معه والعمل فيما يحملونه من العوين وما يصلحون به مركبهم على القانون الجارى المعمول به مع سائر الأجناس المعتبرين عند سلطان مراكش، ومثل ذلك يكون للقراصين الجهادية التى لسلطان مراكش فى مرسى سلطان صارض.

الشرط الخامس عشر:

إذا دخل قرصان صارض لمرسى من مراسى إيالة سلطان مراكش، فإن القونصوا أو خليفته بذلك المرسى يعلم عامل البلد لئلا يهرب إليه أسير من الأسارى التى تكون عنده، فإذا وقع ونزل وهرب إليه أسير فإنه لا يقدر أحد أن ينزله منه مراعاة لتوقيع سنجق صارض، وليس لأحد كلام فى ذلك مع قونصوا صارض ولا يلزم بشىء من ذلك، ومثل ذلك يكون لقراصين سلطان مراكش بمرسى إيالة سلطان صارض.

الشرط السادس عشر:

حتى قرصان من قراصين الجانبين لا يسامح له فى الترسية قريبا من مراسى الجانبين التى يكون داخلا تلك المرسى مركبا لعدوه ليأخذه إذا خرج، ولا يتعرض أحد لمركب عدوه التى تحت رماية مدافع، وكذلك المركب مرصا على قدرها فى الموضع الذى لا مدافع فيه كما هى العادة هـ.

الشرط السابع عشر:

إذا حث مركب لسلطان صارض بساحل من سواحل إيالة سلطان مراكش بسبب من أسباب فرائين البحر، أو ألقاه إلى ذلك قرصان لعدوه، فإن الواقفين بذلك الساحل وسكانه يعينونهم على إخراج مركبهم إلى البحر، فإذا لم يقدروا على إخراجهم يعينونهم على نزول وسقه وجميع ما فيه، وقونصوهم أو خليفته هو الذى له التصرف فى ذلك والنصر فيه، ولا يلزمهم فى ذلك مصروف إلا ما يلزم فى خدمة نزول الوسق منه، وكذلك لا يلزم شئ من العشر فى السلعة التى يلزم منه إلا ما بيع منها فى الموضع، فيعطى العشر الواجب فيه، وأما ما يحمل من ذلك فى مركبه أو فى مركب آخر فلا يلزم عليه شئ من الأعشار ولا غيرها هـ.

الشرط الثامن عشر:

لسلطان صارض أعمال قونصوه وخلائف قونصوه الذين يعينهم هو لذلك ليقفوا بحسب النيابة عنه مع تجاره ورؤساء مراكبه وبحريته، ويفاصلون الدعاوى التى تكون بينهم، ولا مدخل لحاكم البلد فى ذلك إلا أن يستعين به القونصوا على من امتنع من أداء ما وجب عليه فليعنه بما يطلبه منه.

الشرط التاسع عشر:

لقونص سلطان صارض تعليق سنجق جنسه فى داره وحتى فى القوارب

التي يركب فيها حين يريد الخروج لملاقاة مراكب جنسه، ويكون لداره الوقار والاحترام مثل ما هو لدور غيره من قونصوات الأجناس.

الشرط العشرون:

لا يمنع قونصوا جلنار سلطان صارض من أعمال كنيسية فى داره ليتعبد بها هو وأهل جنسه، وكذلك من أراد الدخول إليها لذلك من جنس آخر فلا يمنع، وكذلك رعية سلطان مراكش لهم إحداث موضع لصلواتهم وعبادتهم فى إيالة سلطان صارض.

الشرط الحادى والعشرون:

إذا مات أحد من رعية سلطان صارض فى إيالة سلطان مراكش فإن قونصوهم هو الذى يحوز جميع متروكه، وله التصرف فيه بما يظهر له بيعه أو دفعه لورثة الميت، ولا مدخل فى ذلك لشرع البلد ولا لعامله.

الشرط الثانى والعشرون:

إذا أحد من رعية سلطان صارض رفع يده تعديا على أحد من رعية سلطان مراكش، لا يكون أعمال الشريعة بينهما فى ذلك إلا إذا حضر معه قونصوه، فإذا هرب هذا الذى تعدى أو ظلم فإن قونصوه لا يطالب بإحضاره، وكذلك يكون لمن رفع يده تعديا على أحد من رعية صارض، فإنه العقوبة تلزمه على قدر فعله، فإذا هرب أو اخترم فإن العامل لا يطالب به.

الشرط الثالث والعشرون:

إذا وقع نقص من هذا الصلح والمهادنة التى بين الجانبين، وجاء من ذلك حرب نعوذ بالله منه، فإن لسلطين الجانبين أعمال الأجل فى ذلك لمن طلبه ستة أشهر لأجل أن يخرج من إيالة هذا بل هو من راعية هذا، ولرعية الجانبين فى

خلال تلك المدة الحرية الكاملة حتى يبيعون سلعتهم أو يحملونها إلى أى موضع شاءوا آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء أو منع بسبب ما ذكر من الحرب ولهم حمل أمتعتهم وعيالهم سواء نشأوا فى بر المسلمين أو لا، ثم إذا وقع الحرب بين الجانبين وغنم أحد مركبا لرعية الآخر فإنهم لا يكونون عندهم أسارى، ولا يفعل بهم ما يفعل بالأسارى بل يكونون مثقفين فقط حتى يقع الفداء، وإن لم يمكث أسيرا عند الجانبين أكثر من عام، وإن وجد فى المركب المغنوم لأحد من الجانبين نساء صبيان من نحو سنتين إلى اثنتى عشرة سنة وشيوخ مر عليهم أكثر من ستين سنة، فإن هؤلاء من أخذهم فى غنيمته فإنه يسرحهم من حينه ويتوجهون حيث شاءوا وعليهم كراء حملهم للموضع الذى قصدوا النزول به.

الشرط الرابع والعشرون:

حيث إنه (البرنسلداددمنك) تحت طاعة سلطان صارض، وله فيها جيشه وهى بلاد حرب فجميع سكانها داخلين تحت هذه الشروط لأنهم من جملة رعيته.

الشرط الخامس والعشرون:

إذا وقع فيما يستقبل نزاع فى كلمة من ألفاظ هذه الشروط من حيث إنها تقتضى أمرين ووقع نزاع فيما يتمشى عليه فيهما ويتبع فلا ينقض الصلح بذلك، بل يبقى محفوظا ثابتا مقيما دائما على رسخه وصفوه إلى أن يتبين ذلك ويتحقق معناه، فتتبع الحقيقة والبيان حيث ما كانا، ورعية الجانبين تبقى على حريتها فى عملها وتجاريتها، ولا يتعرض لهم أحد بسوء لأجل هذا، ولا تكون الكرة ولا الحرب بين الجانبين إلا إذا أحدهما امتنع من اتباع الحق والشرعية.

الشرط السادس والعشرين:

إذا أحدث فيما يستقبل وقد أغفل ذكره فى هذه الشروط^(١) فإن الفصل فيه والعمل يكون على ما فيه منفعة لرعية الجانيين .

يزاد فصل على الشروط المذكورة:

وهو إذا وقع خصام بين المسلمين وبين صارض المفاصلة تكون بينهما على وجه الشريعة والحق، ولا يكون ذلك إلا إذا حضر مع صارض قنصوه أو نائبه أو وكيله هو، حتى يتبين الحق له أو عليه، وعلى كل حال لابد من رجوع مشورة السلطان، وحتى من كان من رعية سلطان مراكش فى إيالة سلطان صارض إذا يكون له خصام مع أحد من رعيته، فإن المفاصلة بينهما تكون بمحضر قونصوا المسلمين أو نائبه أو وكيله هو، ثم إذا لم يقبل المسلم ذلك فله الرفع لشرع بلدة أخرى أو سلطان صارض .

ثم يزداد أيضا ما أمر مولانا نصره الله بزيادته حين قرئت عليه الشروط المذكورة ويلزم إياله سلطان مراكش إعانة أرباب المراكب التى تكسر أو تحرث من إيالة سلطان صارض وحفظها، وما احتوت عليه إذا وقع بها ذلك حوز ثغوره المحروسة بالله تطوان وطنجة والعرائش وآسفى والسويرة ورباط الفتح والسواحل المعمورة، وأما إن وقع ذلك بالمراكب المذكورة بالسواحل الخالية التى لا يصل إليها إلا الزمنوط فلا يلزم سلطان مراكش ولا رعيته حفظها وأداء ما نهب منها .

تم العقد وكمل، وأوجب مولانا نصره الله بمقتضاه العمل، فمن حضر العقد وإبرامه وناقش تفاصيله وإجماله قيده فى ١٢ ذى القعدة عام ١٢٤٠ المختار ابن عبد المالك الجامعى خار الله له ولطف به بمنه « انتهت بلفظها وبعدها مقابلتها بالأصل بعدلين وأداء القاضى بعدهما ونصه:

(١) فى هامش المطبوع: «كذا وفى نسخة بجعل مما مكان قد» .

«قوبلت بأصلها فمائلته حرفا حرفا فى سابع صفر الخير عام واحد وأربعين ومائتين وألف عبد ربه أحمد بن سليمان برناط وفقه الله أمين: وبعده بخط من يجب وقته: الحمد لله أديا بمضمونه أصلا وإلحاقا فثبت وأعلم به عبد ربه محمد بن يحيى وفقه الله فكتبه فى الخامس من المحرم الحرام فاتح عام ١٢٦٦».

وفى شعبان سنة خمس وأربعين انبرم الصلح بينه وبين دولة النابريال (استرياك) على اثنى عشر شرطاً مضمون جميعها تحسين العلائق وترويج البضائع واحترام كل رعية الآخر ونصها باللفظ:

«الحمد لله مضمن شروط عقدها من ناب عن سيدنا المقدس بالله مع جنس النابريال فى تاريخ ١٨٣٠:

الشرط الأول:

أن رعية السلطانين يتعاشرون على وجه المواصله والموافقه لا يكون بينهم اختلاف فى البحر والبر ومن احتاج إلى مواساة صاحبه يواسه مثل الأصحاب.

الشرط الثانى:

مضمونه إذا تلاقى مركب البرزكان مع القرصان واجب القرصان تفتيش الكاغد من البرزكان لا يرسل إلا اثنين فى فلوكة ينظران الباسبرط.

الشرط الثالث:

مضمونه إذا اجتمع قرصاننا مع برزكان (الانفلادر) يظهر له باسبورط فى المركب والناس فى الفلوكة ولا يطلع أحد للمركب لئلا تفسد له الكرنطينه.

الشرط الرابع:

مضمونه أنه لا يفتش باسبرط إلا القرصان حين يتلاقى مع البرزكان ويقابلون القطع على ما هو معلوم.

الشرط الخامس:

مضمّنه إذا القت الريح مركبا لنا إلى مرساهم أو ساحلهم يكون كل ما فيه محفوظا مأمونا ويقف معه أهل ذلك المحل ويعطونه كل ما يحتاج إليه، وإذا سلم الله ذلك المركب واحتاج إلى بعض الحوائج يقضونها له حتى يسافر مأمونا، وكذلك إذا حرث مركبهم بساحلنا وكانت لهم به سلعة لم يرد بيعها في بلدنا وأراد ردها لبلده لا يلزمه شيء من الأعشار.

الشرط السادس:

مضمّنه أن لا يأسر أحد الجانبين من رعية الآخر أحداً، وإن وجد أسيرا في مركب العدو لا يأخذه هو ولا سلعته بعد ما يثبت أنه من أحد رعية الجانبين، ولا يطالب أحد منهما صاحبه بقليل ولا كثير.

الشرط السابع:

مضمّنه أن تجار (الانبلادر) يدخلون لأي مرسى أرادوا من مراسينا، وتجارنا يدخلون لمراسيهم كذلك، وقائد المرسى يراعى التجار كما يراعى غيرهم، ويبيعون ويشتررون ولا يطالبون بزيادة على العادة القمرق.

الشرط الثامن:

مضمّنه أن سلعة النابريال الواردة في مركبهم أو مركب غيرهم لمراسى سيدنا يدفع عليها العشر كاملا مثل ما يدفع أجناس النصرى كلهم (كذا) كيرة مع المسلمين فالنابريال يبقى في الصلح المذكور، وإن كانت لسيدنا كيرة مع جنس آخر وللنابريال كيرة مع جنس آخر فلا يمنع أحد الجانبين الآخر من المسير والتجارة في بلاد عدوه.

الشرط الحادى عشر (١):

مضمينه إذا انحرف هذا الصلح وكان بيننا وبينه حرب فلا يترامى أحد الجانبين على الآخر إلا بعد ستة أشهر، وإذا كان أحدهم فى بلد الآخر يكون مأمونا فى نفسه وماله حتى يرجع لبلده بعد ما توفت ستة أشهر، ولا يضيع له شىء من ماله فى بلد الآخر بموجب شرعى .

الشرط الثانى عشر:

مضمينه الصلح الدائم على هذه الشروط يفسده أمر يحدث بعده ولا يقع فيه زيادة ولا نقصان» .

وقد دام الأمر على ذلك إلى أن حدثت فتنة وورد سفير الإنجليز مع سفير النابريال على السلطان لعاصمة سلفه مكناسة الزيتون فى ربيع الأول عام ستة وأربعين للنظر فيها وتعديل مشكلة ما غنمته القراصين المغربية من قراصين جنس النابريال التى كانت تتجول بالمياه بدون تأبط لورقة الجواز، وقد تكفل صاحب الاستقصا بشرح هذه الحادثة فلا داعى لجلبها هنا، وقد كانت من أعظم الأسباب فى إهمال المراكب البحرية المغربية والإعراض عن الاعتناء بشأنها .

وفى سنة خمسين عقد معاهدة مع (سيجيليا) المعروفة بالنابيطان مجددة لمعاهدة سلفت معها ومضيفة إليها زوائد ونصها بلفظها بعد الحمدلة والحوقة والطابع السلطانى:

«بسم الله القادر الصلح المتفق عليه فى ٤ رجب سنة ١١٩٦ من الهجرة النبوية فى مدينة نابل ما بين مملكة سيلجيتان ومملكة مراكش، وثبت ذلك فى كتاب من المعظم أمير المؤمنين سلطان مراكش وسلطان سجيلتان بتاريخ فاتح ذى القعدة سنة ١١٩٨ فلما صدر بينهما بعض الاختلاف حتى كادت المحبة أن تتفرق،

(١) فى هامش المطبوع: «كذا بالأصل بحذف التاسع والعاشر ولعل الناسخ مزجهما بالثامن على ما فيه» .

فبادر لتجديدها سلطان سجيلتان والمعظم أمير المؤمنين سلطان مراكش، وأنبتا شجرة الصديق فيما بينهما وتجديدها بكمالها ولمن يأتي إن شاء الله بعد وارثا لهما إلى الأبد، على شروط الصلح والتجارة المعقودة بالتاريخ المذكور، ويحددون شروطا بعدها تكميلاً للمحبة، فلأجل ذلك فوض الجانبان للمفوضين المذكورين بعده فجعل سلطان سجيلتان وفوض له (كمنضاطى جان بطسطسطين مرشال ويطر) أمير إلى كمنضاطى حاكم جميع مراكب البحر، وجعل أمير المؤمنين سلطان مراكش مفوضه (بشور دون يوزبن عليل) قونصوا خليئار المفوض له من قبل سلطانها أن شروط الصلح المتفق عليه سنة ١١٩٦ ما بين الدولتين تحفظ وتبقى على كمالها كما كانت إلى الأبد، ويزاد عليها شروط يأتي ذكرها إن شاء الله:

الشرط الأول:

جميع الإكرام والبرور والإحسان الذى يصدر من قبل أمير المؤمنين سلطان مراكش إلى رعية الأجناس وسائر دولتهم التجارية والبحرية كذلك، يحصل لرعية سلطان سجيلتان ولمراكبه التجارية والبحرية.

الشرط الثانى:

إذا كان مركب تجاره ببندرة سجيليا وصادف فى البحر مركب الحرب ببندرة مراكش وأراد مركب الحرب أن يطلع على قواعد مركب التجارة فليعين رائسه رجلين أن يطلعا الباسبور الذى عنده، ولا يقرب أحد منهم المركب لأجل الكرنطينة كفى بمراكب الحرب الاطلاع على قواعد مركب التجارة ولا يقربهم، وإذا كان بالمرسى لهم معه وكذلك مراكب الحرب سجيليا يعملون بمراكب رعية تجار مراكش على السواء.

الشرط الثالث:

إذا كان مركب أحد الجانبين رماه البحر وحرث بمرسى أو بادية أحد الجانبين فيحفظ وسقه وما فيه فى موضع آمن حتى يحملها أهلها، وعلى أهل المحل الذى

حرث فيه الإعانة على جميع الوسق وحفظ الرجال والأمتعة وعليه أجرة من استخدموه، ولا يمنعون ما هو لازم، وإذا خرج المركب مكسر البعض فيه واحتاج إلى الإصلاح أو إقامة فتعطاه بالثمن المعلوم الذى يساوى، وإذا وقع بمركب سجيلىا هذا العذر وأراد حمل سلعه إلى محل آخر فلا يعطى فى خروجها صاكة ولا فى دخولها.

الشرط الرابع:

سلطان سجيلىا يفعل كعادة سلاطين الأجناس وتوفية لكلامه السابق يجعل قونصوه خلينار بأرض سلطان مراكش ويستقر بطنجة، ويجعل نوابه فى جميع مراسى مراكش، ويكون محترما ونوابه كقونصوات الأجناس.

الشرط الخامس:

أن شروط هذا الصلح تكون محفوظة إلى الأبد من الجانبين، وتكون زيادة فى المحبة والمودة، وإذا وقع اختلاف بين الجانبين وقد يمحوه الله تعالى فيبذل مجهود الجانبين فى الاتفاق على الصلح وإبقائه على حاله من غير كرة بواسطة قونصوا طنجة، أو رجل يعينه سلطان سجيلىا لمراكش، وإذا لم يتفقا وأراد كل واحد حرب الآخر فليتوقفا عن الحرب مدة من ستة أشهر من بعد الإعلام لتأتى مراكب التجارة وأهلها آمنين.

الشرط السادس:

أن هذا الصلح الدائم والمحبة المستقيمة تكون إلى الأبد، وشروط التجارة التى اتفق عليها الجانبان فلا ينسخها بحول الله وقوته أمر من الأمور، ولا يزداد ولا ينقص فيها من الشروط المذكورة.

الشرط السابع :

سلطان سجيليتان يثبت محبة فى أمير المؤمنين سلطان مراكش ويرغبه فى ذلك ، ويوجه له فى دفعة واحدة مما يكرمه ويتحفه به الذى يرضاه سلطان سجيلتان ويواصل إلى طنجة .

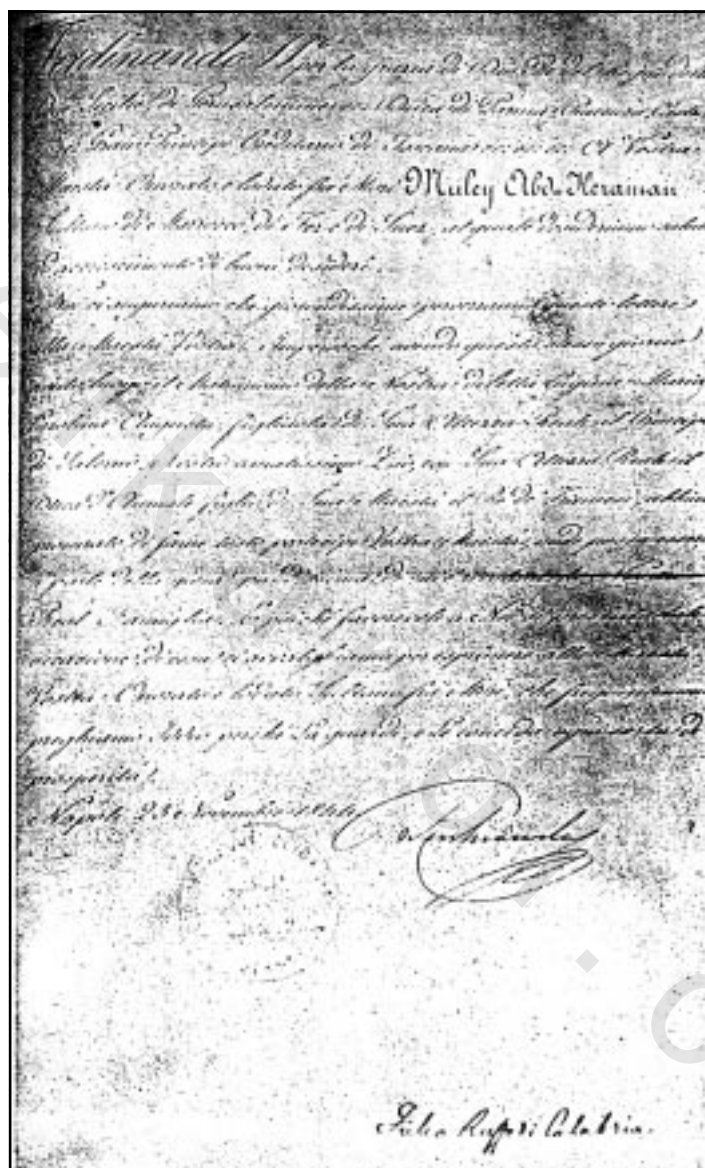
الشرط الثامن :

المكمل لشروط المهادنة والصلح الدائم المعقود بين الجانبين المفوضين فيحتاج الثبت لكمال الصحة ، يكون بطوابع السلطانين المذكورين بعد مدة تاريخه بأربعة أشهر ، ثم يعطى لمن يتراضى عليه الجانبان حتى يتوصل كل واحد بطابع الآخر ، وبهذا وقع طوابع المفوضين وخطوط أيديهما بجبل طارق بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٢٥٠ الموافق لعجمى المسيحى ٢٥ لنيه سنة ١٨٣٤ .

وإليك ترجمة كتاب بعثة للمترجم فرديناندو الحادى عشر ملك إيطاليا يعلمه بحفلات الأفراح المقامة لزواج بنت عمه بولد ملك فرنسا ، وهى تدل على مقامه بين أمراء أوروبا وسمو قدره عند ملوكهم ، ونصها من أصلها الإفرنجى المحفوظ بمكتبتنا الزيدانية :

«من فردينادو الحادى عشر المالك بحمد الله سيشليا الكبرى والصغرى وبيت المقدس والدوق بارماو بليزانس وكاستورى وغيرها والأمير الأكبر ولى عهد توسكاو إلى صاحب الجلالة الشريفة عظيم المسلمين مولاي عبد الرحمن سلطان المغرب وفاس وسوس ، الذى نرجو له دوام العافية وبلوغ المرام .

وبعد : فلما كنا نأمل أن رسائلنا هذه ستروق جلالتك الشريفة ، وكنا قد أقمنا فى نفس هذا اليوم حفلات زواج بنت عمنا المحبوبة مارى كارولين اكيستا كريمة عمنا المحبوب صاحب الفخامة الملكية أمير سليرق مع صاحب السمو الملكى



كتاب فرديناندو الحادى عشر ملك نابولى للمولى عبد الرحمن

الدوق او مال نجل جلالة ملك الفرنسيس، أردنا أن نرف سريعاً إلى سدّتك
المولوية نبأ هذا الزواج لتتمكن جلالتك من مشاطرة عائلتنا الملوكية في هذه
الأفراح التي غمرتها، وبهذه المناسبة نشعر جلالتك الشريفة أننا لا نبرح داعين الله
تعالى أن يحرسكم ويسبغ عليكم أخلاف النعمة والرفاهية (نابلس) ٢٥ نوفمبر
١٨٤٤ الإمضاء: (فردينادو).

وفي سنة اثنتين وخمسين أمضى مع أمريكا وضعت على يد نائبها
بطنجة (جيمس لا عيب) ونصها بعد البسلة والطابع السلطاني الكبير:
«الحمد لله هذه نسخة شروط الصلح التي جعلناها مع المار كانوس وأثبتناها
في هذا الدفتر، ووضعنا عليها طابعنا الشريف لتبقى مستمرة إن شاء الله، وكتبت
بحضرة مكناسة الزيتون في ثالث جمادى الأخير عام اثنين وخمسين ومائتين
وآلف.

الشرط الأول:

أن هذه الشروط المذكورة في هذا الدفتر وهي خمسة وعشرون شرطاً قد
قبلت من الجانبين وذلك على يد الواقف على أمورهم وكيلهم وقونصهم جيمس
لا عيب المقيم وقته بمحروسة طنجة.

الشرط الثاني:

أنه مهما كانت الكرة مع أي جنس كان فلا تخرج سفينة من إحدى الجانبين
وتعمل سنجق العدو، إما من جهتنا وإما من جهة المار كانوس.

الشرط الثالث:

أنه متى جعلت الكرة مع أي جنس كان وقبضت سفينة من أهل ذلك
الجنس، ووجد مسلماً أو نصرانياً ولهم سلعة، فإنهم يسرحون بسلعهم، وحتى إذا

كانوا حاملين سلعة لجنس وبيننا وبينه الكرة فلا تؤخذ من أيديهم ، ولا يكلفون بنزولها لما بيننا وبينهم من الصلح .

الشرط الرابع :

تكون بيننا علامة يعرف بها بعضنا بعضا فى البحر ، ومهما لقى أحدنا سفينة الكرة لا يبحث عنها ، وإنما يكفيه كلام الراس فى بيانها مع سفن أخرى .

الشرط الخامس :

أنه مهما تلاقت السفن فى البحر وكانت الكرة ، فإن كل واحد من الجهتين لا يبحث لاختبار السفينة التى أراد اختبارها إلا فلوكة واحدة فيها اثنان أو ثلاثة فقط ، ومهما خرجت عمارة وأفسدت شيئا من إحدى الجهتين من غير طريق ، فإن صاحب العمارة التى خرجت يصلح للآخر ما أفسدت له .

الشرط السادس :

أنه مهما قبض المسلمون أهل جنسنا أو سلعتهم وأتوابهم لسيدنا نصره الله ، فإنه يسرح ، وكذلك إذا قبضوهم مسلمون من غير إيالتنا ودخلوا بهم لإحدى مراسينا ، فإنهم يسرحون لأنهم تحت أماننا ومصالحين معنا .

الشرط السابع :

أنه متى وردت سفينة لإحدى مراسى الجانبين تقبض كمانيه أو غيرها ، فإنها تقبض ذلك من غير مشقة ولا حرج .

الشرط الثامن :

أنه متى وقع بإحدى السفن شىء ومالت إلى البر ووضعت وسقها حتى أصلحت ما فسد منها ، فإنها مهما أرادت تحمل ذلك الوسق الذى وضعت ، فإنها تحمله من غير صاكة ولا غيرها هـ .

الشرط التاسع :

أنه متى حرثت سفينة فى ناحية من نواحيننا، فإنها تبقى على حالها حتى تنظر ما يصلح بها، إما الخروج من موضع آخر أو نقل السلع أو غير ذلك من الوجوه التى تليق بها، ولا يقربها أحد لأنها فى أماننا، وكذلك إذا دخلت سفينة للمرسى أو ألقاها الريح حتى دخلت للمرسى، فلا تكلف بنزول سلعتها بل تبقى على الأمان حتى تخرج برضاها.

الشرط العاشر :

أنه متى وقع قتال من أحد الجانبين مع بعض أجناس النصارى وكان القتال قريبا من بعض مدن الجانبين، فإننا نعين بعضنا على ذلك الجنس حتى يغلب أو يذهب، أو حرثت سفينة فى واد نون أو غيره فإن النصارى الذين بها فى الأمان حتى يصلون بلادهم إن شاء الله.

الشرط الحادى عشر :

أنه متى كانت الكرة بيننا وبين جنس من أجناس النصارى وكنا بالمرسى وأرادت سفينتنا الخروج من المرسى وأرادت سفينة العدو تتبعها فلا تخرج تتبعها حتى تمضى من الزمان أربعة وعشرون ساعة، وكذلك سفن الماركانوس إذا كانت بالمرسى وقت زمان الكرة وأرادت الخروج فلا تتبعها سفينة حتى تمضى أربعة وعشرون ساعة، سواء كانت من سفن المسلمين أو من سفن النصارى.

الشرط الثانى عشر :

أنه متى وردت سفينة الكرة على إحدى مراسينا فإنها لا تفتش، بل تبقى على حالها، ومهما كان بها أسيرا هاربا، فإنه لا ينزل منه كرها، ولا يطلب عامل تلك البلاد الذى به السفينة من رب السفينة قيمة ذلك الأسير.

الشرط الثالث عشر:

أنه متى وردت سفينة الكرة على أى مراسى وردت وأخرجت المدافع، فإنها لا يخرج عليها من تلك المراسى إلا مثل ما أخرجت من غير زيادة ولا نقصان.

الشرط الرابع عشر:

أن تسبب التجار يكونون على عادة تجار إصنيول، ويكونون مميزين، ويكونون مثل الجنس العزيز عندنا فى الوقت ويذهبون فى المدن والمراسى حيث شاءوا فلا يتعرض لهم أحد.

الشرط الخامس عشر:

أن التجار يكونون مشغولين بالسباب، وإذا أرادوا يجعلون من يقف معهم أو ترجمان فلا بأس بذلك، ولا يقلب وسق سفينة إلى أخرى ولا تشقف سفينة فى المرسى، وإذا أرادوا يجعلون من يعاونهم على أمور الوسق أو غيرها فإنهم ما يعطون سوى القدر الذى يعطون الأجناس من قبلهم هـ.

الشرط السادس عشر:

أنه متى كانت الكرة من الجانبين، فإن الأسارى يكونون رأساً برأس، فالرايس بالرايس، وسوط رايس بسوط رايس، والبحرى بالبحرى وهكذا، وأن يكمل العدد بيننا فتعطى فى كل رأس من الجانبين مائة ريال بشرط أن لا يبقى الأسير من الجانبين أكثر من سنة، وحتى إذا أراد فداءه مكرانطى أو تاجر من الجانبين فيفديه بالمائة ريال المذكورة.

الشرط السابع عشر:

أن التجار لا تكلف عليهم السلع ولا يشترون إلا ما أرادوا عن طيب

أنفسهم، وكذلك البيع إلا إذا كانت هناك مسائل جارية فيها العادة مع من قبلهم من أجناس النصارى يحملونها فلا بأس بذلك.

الشرط الثامن عشر:

أن السلع التى توسق توزن وتقلب قبل وضعها فى السفينة لأجل أن لا تثقف السفينة من أجل إذا تحققوا أن بها كطربنط، وإذا كان كذلك فذاك الذى جعل الكربنط هو الذى يؤخذ بذلك وحده على العادة الجارية فيمن قبله، وأما السفينة والسلع وما معها فإنها بريئة من ذلك.

الشرط التاسع عشر:

أنه لا تثقف سفينة فى مرسى ولا تحمل شيئاً كرها إلا إذا كان عن طيب نفس من رئيسها فإنه يتهاود معه على حمل ما أراد حمله.

الشرط العشرون:

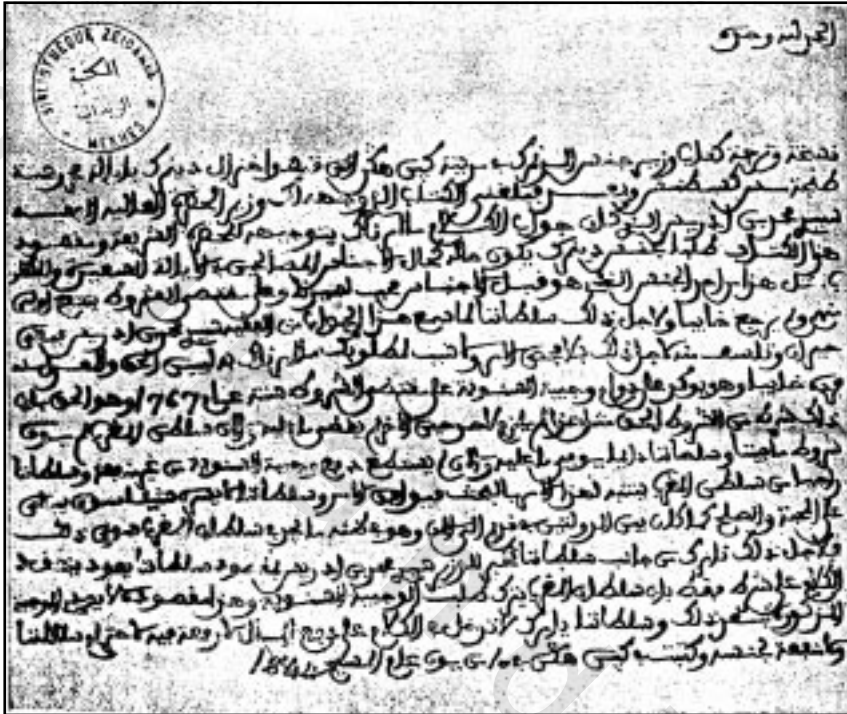
أنه مهما جنى أحد من أهل جنسنا جناية أو من هو داخل تحت سنجقنا، فإنه يحكم فيه قونصو جنسه، وإذا احتاج القونصو إلى أصحاب باشة البلاد فيعيّنه على ذلك.

الشرط الحادى والعشرون:

أنه إذا قتل منهم نصرانى أو العكس أو جرحه فإنه يحكم عليه بالقانون الشرعى من غير زيادة ولا نقصان، ويكون الحكم بمحضر القونصو، وإذا هرب قبل وقوع الحكم فلا يؤخذ به القونصو ولا بما جنى.

الشرط الثانى والعشرون:

أنه مهما مات أحد من جنس الماركانوس فى بلدنا ولم يوص فإن قونصهم هو الذى يقف على متروكه وسلعته، وإن لم يكن قونصو فتوضع عند أمين حتى



ترجمة أصلية لكتاب وزير الدنمرك نم عاصمة كوبنهاجن لقنصل دولته
بطنجة بإعادة المخابرة مع الوزير ابن إدريس ليسقط السلطان عن دولتهم
القدر المطالبة بدفعه للمغرب حسب المعاهدات السابقة



ترجمة أصلية لإمضاء كرسطيان الثامن ملك الدنمر بعاصمة كوبنهاجن في ١٧ ينيه
 ١٨٤٥، للاتفاق المنعقد بين قنصله بطنجة والباشا بوسلهم في شأن المال الذي تدفعه
 الدنمر للمغرب سنويا والموافقة على إلغائه ابتداء من تاريخ توقيعهما على ذلك في ٢٧
 ربيع الأول ١٢٦١ الموافق ٥ أفريل ١٨٤٥



إمضاء اسكار ملك السويد لاتفاق ممثليه مع الباشا بوسلهام على إلغاء القدر الذي تدفعه دولة السويد للمغرب بموجب اتفاق سابق وذلك بالعرائش في ٢٧ ربيع الأول ١٢٦١ الموافق ٥ افريل ١٨٤٥، وإمضاء الملك بعاصمتهم استكهلم في ١٣ نينه ١٨٤٥، ويرى خط قنصل السويد أورنهوف بالإفرنجية

يظهر من يستحقها، وإذا كان عنده من يرثه فتعطى لورثته من غير تعرض، أو أوصى بخط يده لمن يدفع ماله فالنظر فى ذلك لقونصه.

الشرط الثالث والعشرين:

أن القونصوات يكونون فى أى مرسية أرادوا، ويكونون موقرين مثل أجناس من قبلهم من النصارى، وإذا تعامل أحد من جنسهم مع مسلم بمال وأتلفه له فلا يؤاخذ به القونصو ولا يضمنه إلا إذا كان القونصو أعطى بذلك خط يده فيغرمه، وأما إذا لم يعط خط يده فلا كلام معه مثل جميع القونصوات.

الشرط الرابع والعشرون:

أنه مهما تنازع أحد فى شرط من شروط الصلح بأن ادعى أحد مسألة وادعى الآخر مسألة وقال إنها ليست فى الشرط، وطال النزاع بينهما، فإن الصلح يبقى على حاله ويبحث كل واحد منهما على ما ينفعه، حتى إذا لم يوافق أحدهم ما فى الصلح ومنع منه كل الامتناع، فإن الكرة تعمل حينئذ، وجميع التجار تضرب لهم تسعة أشهر أجلا إلى أن يرفعوا سلعهم، وإذا تفضل سيدنا على جنس من أجناس النصارى فنحن من جملتهم.

الشرط الخامس والعشرون:

أن هذا الصلح يبقى مستمرا إن شاء الله بحول الله وقوته مدة من خمسين سنة، ويبقى يجرى بين الدولتين على القانون الجارى حتى يخبر أحد الجانبين الآخر فى مدة من سنة، بأن مراده قطعه فحينئذ ينقطع بعد تمام تلك السنة» هـ بلفظه.

وقد كانت دولة الدنمارك لا تزال تدفع للمغرب فى دولة المترجم ما هى مطالبة به حسب الفصل التاسع والعشرين من معاهدة السلطان سيد محمد بن عبد الله والملك كريستيان السابع سنة ١١٨١، كما تدل على ذلك وثائق رسمية كتبها

القائد عبد الخالق أشعاش عامل تطوان للمولى عبد الرحمن نص الأولى بعد
الحمدلة والصلاة:

«بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين، الذى ما
رئى مثله منذ دهور وأزمان، سيدنا ومولانا عبد الرحمن.

وبعد: أنهى لكريم علم سيدنا أنه ورد علينا الأمر الشريف بحوز ما تحت يد
القنص ابن عليال مما وجب على جنس دتمرك واجب سنة ٤٧ وواجب سنة ٤٨،
وأعلمنا بذلك القونص ابن عليال على نهج ما أمرنا به سيدنا أدام الله نصره وخلد
فى الصالحات ملكه، ولم يأتنا جواب من عنده حتى أتاني أحد رؤساء المراكب
وهو الرومى طلايه، وأخبرنى بأنه أتى باثنى عشر ألف ريال من عند ابن عليال من
المال المذكور ليدفعها لخدم سيدنا الأنصح القائد العربى السعيدى، وبهذا وجب
الإعلام لسيدنا والسلام وفى ٩ ربيع الأول عام ١٢٥٠ خديم المقام العالى بالله عبد
الخالق أشعاش وفقه الله» بلفظه وحروفه.

ونص الثانية:

«بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أدام الله نصره وخلد فى الصالحات ملكه أنه
وافانا الكتابان^(١) الشريفان وفهمنا مضمئهما فأعلم سيدنا أنه بلغنا بقية المال
الواجب على جنس دتمرك على يد القونص يودى بن عليال صار جملة ما تحت
أيدينا وأدخلناه بيت المال وفره الله خمسين ألف ريال، ثم أنهى لكريم علم سيدنا
أن قونص جنس المركان حمل من مرسى سيدنا بعض الهدية المنعم بها سيدنا عليه،
وذلك أسد وفرسان، حيث وجدنا بيده الكتاب الشريف يتضمن تسريحها، فوجب

(١) فى المطبوع: وافانا الكتابين (كذا) الشريفين».

علينا الإعلام بذلك، والعبد على الخدمة الشريفة والسلام وفى ٢٩ ربيع الأول عام ١٢٥٠ خديم سيدنا المنصور بالله عبد الخالق أشعاش وفقه الله بمنه آمين» بلفظه.

خلفاؤه:

منهم صنوه المولى المأمون بن هشام، كان استخلفه بمراكش، ثم نجلاه أبو عبد الله محمد السلطان من بعده على نحو ما أشرنا إليه فى ترجمته، وجدنا أبو العباس أحمد الذى كان فر بنفسه للاستانة على عهد صنوه السلطان سيدى محمد المذكور بالرباط رحم الله الجميع وقابله بالعفو والفضل آمين.

وزراؤه:

من وزراء المولى عبد الرحمن بن هشام، أبو عبد الله محمد بن إدريس العمراوى مار الترجمة، ثم المختار بن عبد المالك الجامعى المتوفى بمراكش فاتح سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف، ثم أبو عبد الله محمد بن على الحاجى النكنافى الصويرى دفين القصر المتوفى سنة ١٢٦٦ ثم آخره ورجع وزيره الأكبر أبا عبد الله محمد بن إدريس المذكور، فلما مات ولى مكانه العربى الجامعى ولد المذكور، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار التطوانى وتوليته الوزارة الكبرى كانت سنة تسع وستين ومائتين وألف، وأبو عبد الله محمد غريط، وجمعهم كانوا من أهل الفقه والأدب والكتابة.

كتابه:

منهم الأديب الكاتب محمد غريط، ومحمد بن عزوز الجامعى ثم عزل، وأبو عبد الله محمد القويطى، ومنهم أبو الحسن على بن الطيب الأجانوى كاتب الدولتين السليمانية والعبد الرحمانية، ثم ولاه المترجم بعد الكتابة عمالة وجدة وما حولها، ومنهم المعطى الأوروى، ثم ولى القضاء برودانة، وأبو حامد العربى

الجامعى استكتبه بعد وفاة والده، ثم استوزره، والحسين أغناج كان عاملا قبل على قبيلة حاحه ثم عزله وولاه وظيفة الكتابة، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان كان قبل كاتباً عند القائد محمد بن عبد الصادق بمراكشة ثم عند القائد الطيب الوديني برودانة ثم اصطفاه المترجم للكتابة بحضرته الفاسية، وأبو عبد الله محمد السطى، وأبو عبد الله محمد بن السعيدى وكان أيضاً من جملة سراد الحديث الشريف كالبخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، وكان قبل الكتابة يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول مكناس، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الشرفى استكتبه أولاً القائد أحمد السرخينى نحو ستين، ثم انتخب للكتابة بالخدمة الإمامية الهشامية أيام الوزارة الإدريسية، وأبو العلاء إدريس بن محمد بن إدريس انتظم فى سلك الكتاب برباط الفتح بعد قفوله من حجته التى حجها مع أخيه العباس، وأبو العلاء إدريس مؤلف كتاب الابتسام حسبما قال ذلك عن نفسه.

قضاته:

منهم بفاس المولى أحمد بن عبد المالك السلجماسى، والمولى عبد الهادى ابن عبد الله العلوى المدغرى بفاس الإدريسية، وكان ينوب عنه بفاس أحمد بن السيد محمد الزعرى المباركى، والعربى الزرهونى، والتسولى، وأبو محمد التهامى الحمادى، والعباس بن كيران، وأبو عيسى المهدي بن الطالب بن سودة، والطيب بسير، الأربعة بمكناس وقد وقفت على رسالة كتبها القاضى الحمادى المذكور لصاحب الترجمة فى بعض القضايا ونصها من خطه:

«فى علم مولانا لازالت أعنة أوامره لكل جموح قائده، ولا انفكت همته العلية بالله على رعاياه زائدة، أن الرجال الثلاثة المدعى عليهم، أما واحد منهم فقد برأه أبو المدعى قائلاً إنما هو محبوس فى أخيه وها رسم البراءة الآن بيده وأما

الآخران فإلى الآن لم تثبت التدعية في حقهما لعدم معرفة شاهديهما وقد كلف الشرع أبا المدعى أن يعرف بهما والنظر لسيدى فى المبرأ وغيره.

هذا وإن المدعى على القائد على ولد مجبوط قد ظهر كذبه فى دعواه، وتحقق فجوره فى شكواه، إذ قد استظهر الطالب باسو برسم مؤرخ برييع النبوى أن عقد الإجارة إنما كان معه بعشرة وقبضها، فلذلك حبسته لتجاسره على حضرة مولانا هذه مدة، وها هو الآن مريض فى السجن جدا يخاف عليه، فنطلب من سيدى أن يكشف لى القناع عن وجه أمره هل يسرح ويذهب لحاله، أو تأخذ منه الدراهم التى أمرنى سيدى بدفعها له معاملة له بنقيض قصده، وعلى الآخذ فلمن أدفعها، هل للقائد على أو السيد المعطى المزطارى، والسلام رقيق نعمكم محمد التهامى بن محمد الحمادى عامله بلطفه وأمه بجلائل الأيادى».

وقد وقع السلطان بخطه على ظهر الكتاب بما نصه بعد الحمدلة:

«القاضى العلامة الأديب الأريب الفهامة سرح الذى أبرأه ولى الدم واقبض ما قبضه المفترى وسرحه فى الحين وتصدق بما تقبضه كما تصدق صاحب الفرق الأنصارى، ولا شك أنك من القضاة الذين يفتقرون إذا زهدوا».

ومن قضائه بطنجة أبو عبد الله المجاوى، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الكردودى، وبمراكش السيد محمد عاشور الرباطى الأندلسى، وبسلا أبو محمد زنيير، وبالرباط بسير وابن فارس، وصالح الحكمى، والبربرى الكبير.

قواد مشوره:

منهم القائد العربى بن العلام، والقائد الجيلالى بن موسى، والقائد الجيلالى ابن حم، والحاج محمد بن الهلالى.

قواد المسخرين :

منهم القائد بوسلهام بن السبع ، والقائد الجليلي البزاري ، والقائد العناية بن حميدة ، والقائد محمد خنيشيش .

عماله :

منهم القائد حمان الصريدي ، والقائد محمد بن الشاهد ، والقائد محمد بن العواد الكبير ، والقائد الجليلي بن بوعزة ، والقائد الجليلي بن العواد ، والقائد المجذوب بن الغنمي كلهم كانوا بمكناس ، وهؤلاء القواد الستة يلقب جميعهم بالباشا وقفت على كثير من الظواهر السلطانية الرحمانية الصادرة لرابعهم الجيلاني ابن بوعزة .

قال في الابتسام : وأكبر عماله رتبة الباشا وهو الذي يكون رئيس الجيش فعنده في مكناسة القائد الجيلاني بن بوعزة ، وهو والله أعلم خامس البشوات من يوم تولى الإمارة إلى الآن ، وعنده في فاس وصيفه فرجي هو الباشا على الجيش الفاسي ، وهو والله أعلم الثاني من يوم ولى إلى الآن ، وعنده في مراكشة القائد أحمد أموش هو الباشا على الجيش السوسي ولا أدري من كان قبله .

ومن عماله الحاج أحمد بن محمد بن الهاشمي عواد السلوي على ثغر سلا ، والشريف أبو عبد الله محمد بن الطيب بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله على فاس ، ثم ولاه على قبائل تامسنا ودكالة بأسرها ، وأسند إليه النظر في أمرها ، ثم ولاه على وجدة وتازا وما حولها وإدريس بن حمان الجراري على وجدة ، وذلك أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ، والشيخ أبو زيان بن الشاوي الأحلافي على تازا وأعمالها ، وكانت ولايته في السنة نفسها ، وأبو عيسى المهدي الشراي مار الذكر ، وأبو جمعة بن سالم مملوكه على فاس ، والمولى

الشريف المولى مبارك بن على بن محمد بن عبد الله على مراکش، ويشو بن محمد بن يشو المالكى الغرباوى الزيانى على قبيلة زيان، والطيب البياز على فاس، وكذلك عبد السلام السلوى ولاه سنة ١٢٤٦، وأبو سلهم بن على أزطوط على طنجة والعرائش، والقائد محمد بن عبد الكريم الشرقى المدعو أبا محمد وإبراهيم يسمور اليزدكى بصحراء تافيلالت، والقائد المأمون الزرارى، والحاج محمد أشعاش، وولده الحاج عبد القادر على تطوان، ومحمد بن العامرى على وجدة، وحمدان الصريدى على العرائش ونواحيها، ومحمد أميمون الكروانى على طنجة ثم عزله سنة ١٢٤٣، ومحمد بن عبد الصادق على مراکش، والطيب الودينى على تارودانت، ومحمد بن عزوز بآسفى، والقائد محمد السويس والأمين عبد الطيف فرج على الرباط.

قال فى الابتسام: وعماله على القبائل أكبرهم القائد محمد بن إبراهيم الدكالى البوعزيزى، مكث فى العمالة نحو ثلاث وعشرين سنة، ثم ثار عليه إخوانه فحربوا داره وهتكوا حريمه وبددوا أمواله فعزل عنهم، ثم القائد الصديق العمرانى لازال واليا على إخوانه منذ عشرين سنة، ثم القائد أحمد بن القائد السراغنى لازال واليا على إخوانه منذ اثنتى عشرة سنة، ثم القائد عبد الله المعروفى الشاوى مكث واليا نحو الإحدى عشرة سنة، فقام عليه إخوانه وهجموا عليه، وقتلهم حتى قتل أخوه وقطعت أنامله فى قتالهم، وبددوا أحواله ثم عزل عنهم، ثم القائد عبد السلام بن عبد الكريم السفينى مكث نحو الإحدى عشرة سنة، فقام عليه إخوانه وهجموا عليه، فلم يقدر على قتالهم، فلجأ بجبل صرصر بأولاده وأمتعته، وترك داره خالية فعزل عنهم.

ومن عماله القائد الحسين بن عبد الفاضل الجروانى ولاه على إخوانه وكان له عنده مزيد العناية والرعاية، والقرشى بن موسى، وعلى أهدار، ثم حم،



ظهیر رحمانی بولایة الحاج أحمد عواد النظار فی أوقاف سلا

والجیلانی، والقائد أحمد الشبلی علی بنی مطیر والحاج عبد الله وولده بن عیسی
علی جروان».

أمناءه:

منهم أمين الدار العالية الطالب بوعزة الفشار، وأمینا الصائير المدنی الحلو،
والحاج عبد الرحمن النسب.

محتسبوه:

منهم أحمد اللب بمكناس، وسیدی عبد السلام بوعنان بفاس، ومحمد
الزکی بالرباط. هـ.

نظاره:

منهم الأمين أبو العباس أحمد عواد السلوی، وقفت علی ظهير توليته
النظارة بثغر سلا بلده، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني:

«ولينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، خديمنا الأمين الأرضي الحاج
أحمد عواد النظر في أوقاف سلا، وأسندنا أمرها إليه، وأذن له في قبض مستفادها
وتصويره في مصارفه المعلومة والوقوف على إصلاح الرباع وحياسة ما هو مغصوب
منها لمحلّه، والبحث في ذلك كله، وعليه بتقوى الله وطاعته، والوقوف على ذلك
جهد استطاعته، والسلام في ٢٨ شعبان الفرد عام ١٢٥٢».

وإليك نص ظهيرين آخرين فيما يتعلق بمحاسبته وغير ذلك من أمور نظارته.

الأول:

«خديمنا الناظر الأرضي الحاج أحمد عواد السلوی، أعانك الله والسلام
عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وصحبته زمام داخل الحبس، وخارجه، وعلمنا مبلغهما فأما ما ذكرت على شأن أبواب المدينة، فقد جرى العمل بذلك بسلا وغيرها فأبقى ما كان على ما كان، وأما الساكنون بأوقاف المسجد وليس لهم عمل فيه فنأمرك أن تقبض منهم الكراء بالمعروف، وقد أذن لك في جعل محمد الزواوي قابضا، ويقبض مرتبه المعلوم له، وفاس هي أم القرى، وقد جرى العمل فيها بإعطاء البوابين وإصلاح أسوارها من وفر أوقافها، والسلام في ذى القعدة الحرام عام ١٢٥٢»

الثاني:

«خديمنا الناظر الأرشد الأرضي الحاج أحمد عواد، وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك مخبرا بامثالك لما أمرناك به من إصلاح ماء سلا وأنك ابتدأت بإصلاح مواده في المدينة في فصل الشتاء، وحين أقلعت شرعت في إصلاح عيونه خارج المدينة، وأنك مجتهد في ذلك وطلبت المحاسبة لتتوجه إلى الحج أنت وولدك، فقد أذن لك في ذلك، فتلك وجهة لا يرد عنها أحد وها نحن كتبنا لخديمنا الأمين الحاج أحمد الحداد بأن يحضر محاسبتك مع القاضي السيد محمد زنيبر، وأذن له في أعمال الكسور الواقعة في مستفاد الأحباس وأمرناهما أن يعينا من يقوم مقامك والسلام في ٢١ جمادى الأولى عام ١٢٥٩».

ومن نظاره بالرباط الحاج محمد السويسي ولي سنة ١٢٣٩، ثم الحاج محمد والزهرا، ومن نظاره أيضا السيد محمد بن الجيلالي الغسال أقامه ناظرا على زاوية الشيخ محمد بن عيسى بثغر طنجة، ونص ظهير ولايته بعد الحمدلة والصلاة والطابع:



جواب المولى عبد الرحمن لناظر سلا
عن وصول قائمة الداخل والخارج وغير ذلك



ظهير رحمانى بالإذن لناظر سلا فى الحج
بعد تقديم حساباته للقاضى، وغير ذلك

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، أننا ولينا النظر للطلاب السيد محمد بن الجيلاني الغسال في زاوية سيدى محمد بن عيسى التى بثغر طنجة ليقوم بأمرها ووظائفها من كل ما تحتاجه لثبوت أهليته لذلك، حسبما بموجب البيئة التى بيده بأنه أهل لذلك، وأنه قام ببنائها من ماله هو وأخوه، ومن وفق من المسلمين احتسابا وأن أولاد الشيخ المذكور قدموه على أنفسهم لما ظهر لهم من صلاحيته لها وقيامه بها، فلذلك بسطنا له يد التصرف عليها من غير منازع ولا معارض، ونأمر من يقف عليه من ولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، بهذا صدر أمرنا المعتر بالله فى ٤ ربيع الثانى الأبرك عام ١٢٤٩ الحق بالطرة هو وأخوه ومن وفق من المسلمين صح به فى تاريخه».

ولما مات الناظر المذكور انتدب قاضى طنجة ولده للقيام مقامه ونص تقديم القاضى بعد الحمدلة.

«لما بيد ماسكه الطالب الأرضى السيد المعطى بن السيد محمد الغسال رحمه الله، من الظهير الشريف المعتر بالله من مولانا المقدس المبسوط أعلاه من الولاية لوالده المذكور على زاوية القطب الواضح مولانا محمد بن عيسى بثغر طنجة، برد الله ضريحه والقيام بأمرها وشئونها اشهد إذ ذاك الفقيه الأجل العالم العلامة الأفاضل البركة الأمثل المدرس الأحفل النزيه الأعدل، قاضى ثغر طنجة وعمالتها حينه ووقته وهو أحمد... أعزه الله وحرسها شهيديه، أنه قدم الطلاب السيد المعطى المذكور على الزاوية المذكورة والقيام بشئونها وأمرها ووظائفها وكل ما تحتاج إليه والحيفة على رباعها، وذلك لموت والده المذكور، وأهليته للتقديم المذكور بشهادة شهيديه تقديمًا تامًا مفوضًا مطلقًا عامًا لم يستثن عليه فى حقها فصلًا من الفصول، ولا معنى من المعانى، إلا وأسنده إليه وقصر النظر فيه عليه

حاشا تفويت أصل أو ما يؤدى إلى تفويته، فإنه لم يجعل له إلى ذلك سبيلا إلا عن موجب شرعى .

وعليه فى ذلك بتقوى الله العظيم، ومراقبته فى السر والعلانية امتثالا للأمر الشريف أعزه الله شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه وهو أعزه الله بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وعلى المقدم المذكور بقبوله التقديم المذكور والتزامه القيام به جهده وهو بأتمه وعرفه وفى الثالث عشر من شعبان الأبرك عام ستة وتسعين ومائتين وألف عبد ربه على بن الدكالى الحسنى وفقه الله وعبد ربه سبحانه وتعالى محمد الفلوس الحسنى وفقه الله».

بناؤه وآثاره:

أما ماله بمكناسة الزيتون زيادة على ما أسلفنا ذكره فى الطلب الأول من هذا الديوان، فمن ذلك تجديد قبة ضريح الشيخ الكامل أبى عبد الله محمد بن عيسى، وذلك عام ثمانية وأربعين، وكان الذى تولى النظر عليها محتسب مكناسة بادو، والبرج المشرف على المرس المعروف ببرج الماء الذى بابه بأسراق^(١) وذلك عام خمسة أربعين ١٢٤٥، وسور قصبة أبى عثمان سعيد المَشْنَزَائى، وأصلح الساقية المارة بالمقابر الكبرى جوار تربة أبى محمد بن عبد الله بن حمد المار الترجمة، وكل ذلك فى السنة المذكورة، وأصلح سورا كان بين عراضى الأشراف بالقصبة حسبما جاء فى كتاب محتسب مكناس للوزير العربى الجامعى ونصه:

«الأحب الأرضى الأود الأحظى، الفقيه الأسعد السيد العربى بن المختار سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره وأدام عزه وعلاه أمين .

(١) فى هامش المطبوع: «أسراق بفتح الهمز والسين والراء المشبعة بعدها كاف معقودة سمي به المحج الممتد من باب الرئيس الشهير إلى البرج المذكور الواقع به بابا القصرين السلطانيين: المدرسة والمحشنة».

وبعد: فقد وصلنا كتابك على ما سقط بالسور داخل الستينية، وأمرنا مولانا أيده الله بإصلاح ما سقط ويكون مثل ما كان أولاً أعلم أخانا قد أصلحنا ما سقط من السور كما أمر مولانا أيده الله، وليس هو من أسوار الستينية، وإنما هو سترة بين أعراصى الشرفاء والمحاج^(١) الذى هو مرور للمقصورة لا غير وإنما بيناه لك حيث بلغ الخبر أنه سور الستينية، فإقلاب الحقائق يوقع فى المشكلات، ويصلك أيها الأخ صحبة هذا كتاب لحضرة مولانا أيده الله وعلى محبتكم وعهدكم والسلام فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٢٦٤ .

أحمد اللب لطف الله به^(٢) .

قلت: والسور المذكور فى هذا المکتوب قد سقط اليوم وانكشفت تلك العريصات وتعذر على أربابها ما كانوا يستفيدون من غللها واستغلال عارضها لعجزهم عن البناء، وامتناع المكلفين من جانب الدولة من إعادة البناء .

وزاد فى ملاح اليهود محلاً لدفن موتاهم عام خمسة وسبعين ومائتين وألف، وسوره لهم بالسور الموالى يمين المار من باب زين العابدين لباب الخميس إجابة لطلبهم ليأمنوا على أنفسهم، وقد وقع ذات يوم أن عصابة لقيت سور حارتهم، وكتب له باشا مكناس يومئذ القائد الجيلانى بن بوعزة بذلك فاستفطعه، وأمر بتتبع أصحابه كما ترى فى جوابه للقائد المذكور:

(١) فى هامش المطبوع: «كذا» .

(٢) فى هامش المطبوع: «هذا الرجل كان الأمين الخاص والصدوق المخلص للمترجم ولم ينل أحد فى دولته ما ناله من ثقة الأمير به، وكان محتسباً فى مكناس فيذكر فى ولاية صاحب الترجمة وله ملف خاص فى مستودع الأوراق بالقصر السلطانى فى الأمور الشخصية المتعلقة بالجلالة وعائلتها وصوائرها الخاصة يتكون منه مجلد ضخم وذلك أكبر دلالة على مكنة الرجل المكنية فى الصدق والأمانة وكلها بخطه لم يطلع عليها كاتب وبيتهم فى مكناس من أشهر البيوت وأفخرها وأمجدها غير أنه اقشعر وصوح نبته وكل شئ هالك إلا وجهه» .

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما ذكرت من إتيان بعض فسدة البرابر بالفئوس بقصد جعل الأنقاب بسور حارة اليهود الموالى للرياض، وأنهم بعد ما شرعوا فى فتح ثلاثة مواضع منه شعر بهم العساسة وتضاربوا معهم بالبارود إلى أن تلاحق بهم من ذكرت من ساكنى بريمة، ومن وجهت لإعانتهم حين بلغك الخبر فهربوا حين رأوا الجدد بعد ما قتلوا ذمية وجرحوا ذميين تركوهما مشرفين على الموت، وذكرت أن اليهود اشتكوا بتلاشى السور المذكور، وطلبوا إصلاحه وأنت كلفت القائد الحسين الجروانى بالبحث عمن فعل ذلك، فهذا الواقع شنيع لم نسمع بصدور مثله فلا بد ابحت عن أصحاب الفعلة والطالب محمد الشبلى تجد خبرها عنده من غير زيادة ولا نقص، والسلام فى ١٨ ربيع الثانى عام ١٢٦٩».

ونص جواب ثان تعلم منه ما كان من المحافظة على النظام والأمن العام فى تلك الأيام ولاسيما أمن أهل الذمة:

«وصيفنا الأرضى القائد الجيلانى بن بوعزة، وفقك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا ببحثك عن أصحاب الفعلة بالملاح، وأنت وجدتهم من زمر ومجاط وبعض فساد جران وأنت جاد فى الحراسة والعسة ولما بلغك اتفاقهم على العود لنقب سور الملاح فى الليلة التى عينوا زدت العساسة فى المواضع التى يظن إتيانهم منها فلم يأتوا ولازلت جادا فى العسة فذلك الذى ينبغى فلا تقصر، وما ذكرت من تلاشى السور المذكور وعدم نفع الترميم فيه وطلب أهل الذمة لبنائه وتجديده بناء متقنا ووقوف أرباب البصر عليه وتقديرهم ما يصير على

ذلك، حسبما فى الرسم الذى وجهت، فها نحن وجهنا من حضرتنا أرباب البصر بنائين ونجارين ينظرون ذلك ويخبرون بما عندهم فى ذلك بحضرتنا، حتى كأننا رأينا ذلك بعيننا، فقم بمؤنتهم مدة إقامتهم هناك، وسنأمرك بما يكون عليه العمل فى بناء السور إن شاء الله . . . واقدال إنما هو معد للخيل فأياك أن تدخل إليه بهيمة بقرة أو شاة أو معزا، وإن دخلت إليه فيتعين عليك اللوم وسراح ما ذكر يقصدون به المسارح خارج المدينة، وإن ظهر منهم عجز استبدلهم بغيرهم وقد كتبنا بهذا للطالب أحمد اللب والسلام فى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٦٩».

وأما ما بناه فى غير مكناس فمن ذلك زيادته البلاطات الثلاث فى مسجد الضريح الإدريسى من الناحية الشرقية الموالية لقبة الضريح، يدل لذلك ما هو مرسوم بسلطانيه الرخامية ولفظه:

انظر بعينك شذور الذهب	لابن هشام المتقى المنتخب
مؤسس المجد شريف النسب	مبارك الاسم أغر اللقب
من يده زهر المنى يجتنى	فى وجهه بدر الهدى المرتقب

ورتب به مدرسا وواعظا وأحزابا، وكان ذلك فاتحة أعماله شكر الله سعيه، وجدد الشباك الذى بمزارع الضريح الإدريسى المذكور، وزاد فيه زيادة واضحة وذلك عام ١٢٤٠ أربعين ومائتين وألف، وقد أشار لتاريخ ذلك البناء العلامة أبو العباس أحمد بو نافع بقوله:

هذا مزار ومقام الاحترام	قبله بالشفاه وادع للإمام
ابن هشام قطب من صلى وصام	شيد من إحسانه هذا المقام
مؤسس البناء طال واستقام	من زاره نال المنى حاز المرام
وقفت فى مزاره قصد استلام	فراقنى البناء فى حسن انتظام

صنع كل صانع وشى التمام ما كان ذا البناء فى مصر وشام
ترى سنا للكل فى حين ابتسام تاريخه (دوام ملك ابن هشام)
(١٢٤٠)

فأجازه صاحب الترجمة على هذه القطعة بثلاثين مثقالا ووسق قمحا،
وجدد أيضا سقاية السيل الكائنة تحت الشباك المذكور عام أربعة وأربعين، يدل
لذلك ما هو منقوش عليها من إنشاء العلامة ابن قدور الشرقاوى ولفظه:

من السعادة لاحت على شمس سعود
لم لا ونجل هشام على يديه صعود
أجرى لجينا زلالا فلذ منه ورود
كسا بهائي جمالا وزان وشم حدود
كسياه ربي سناء وعزز ظل البنود
يا ناظر الحسن منى أرخ (بوشى ورود)
(١٢٤٤)

ومن ذلك الخصة الرخامية التى بوسط المسجد الإدريسى، ونقل الخصة التى
كانت به لجامع الأندلس، والتى كانت به جعلت بمدرسة الشراطين.

وبنى البرج الكائن بثغر آسفى المعروف ببرج المستارى، وربما قيل له برج
بلاط الواقع بجنوبى القصبة البرتقالية هنالك، وذلك فى السنة المذكورة أيضا.

ومن بناءاته البرج الكبير بثغر سلا المعروف بالصقالة الجديدة^(١) وكان

(١) فى هامش المطبوع: «وقفت على قائمة طويلة الذيل لطبجية سلا وتقسيمهم على أبراجها
ومراتبهم: فالبرج القديم الذى بإزاء الولي الصالح سيدى أحمد بن عاشر المتقدم ترجمته=

الشروع فى بنائه زمن انتقاض الصلح مع فرنسا، وتم العمل فيه سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ١٢٦٣ والبستيون (المعقل العظيم) بالشجر الواقع بالشاطئ البحرى منه شمالا، وكان تمام العمل فيه سنة تسع وستين ومائتين وألف ١٢٦٩، وقد جلب لهذا المعقل سبعة عشر مدفعا ومهراسين عظيمين من المعدن من بلاد الإنجليز على يد أبى محمد عبد الله فنيش السلوى، وكان وصول ذلك لشجر سلا رابع شوال من السنة.

وجدد بستان آمنة المرينية بالمدينة البيضاء فاس الجديد، قال أبو عبد الله أكنسوس: وكان - أى البستان - خرابا تألفه الوحوش بعد أن كان فى الدولة المرينية على هيئة بهية، فيه ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها، وفيه مقاعدهم ومنزلهم العالية ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقى، إلى أن قال وبالجملية فقد كان زينة من زينة الحياة الدنيا، وجنة حائزة من البهجة المرتبة العليا ثم أناخت عليها الأيام بصروفها، ومحت من تلك الرسوم جميع حروفها، فرآها الملوك قبل مولانا المؤيد فلم يرقوا لحالها، ولا أنقذوها من أحوالها، مع أنها فى جوارهم، وعقود ديارهم،

= فى هذا الكتاب وعدد رجاله ٩٢. وسقالة الوسطى ورجالها ٩٣. والبرج الجديد رجاله ٩٣ كذلك. وقد ذكرت فى تلك القائمة أسماء أولئك الرجال وأوصافهم من طول وقصر وأشكال اللحى والحواجب والعيون وغير ذلك من الأوصاف المميزة لأصحابها وفيها تسعة أشخاص وصفوا بأنهم صبيان وفيها ألقاب معروفة بسلا لهذا العهد كزبير ولعلو واشمعو والمالقي وبوشعرة وفنيش وملاح وغيرهم وذكرهم فيها على هذه الأمثلة: (المعلم الحاج محمد حركات للطول ساقط بعض الأسنان. عبد الحق الصدراتى ربعة متصل اللحية كثيفها شيب. ج محمد لبريرى أبيض بخده الأيمن زيبية متصل النبات أسوده. أحمد بن الحاج العربى تازى مراهق بوجهه جذرى أزرق العينين. الطاهر الزواوى أشيب ساقط الثنايا برأسه ارتعاش. الصبى الهاشمى بن محمد الشلح مدور الوجه للحمرة غليظ الأنف. الفقيه سى محمد التيال وجيه متصل النبات واسع العينين).

فعطف الله عليها هذا السلطان المبارك فأعاد بعد الممات محياها، وأبرز من ظلمات
العدم جميل محياها.

ومن بناءاته البيوت التى كانت معدة لسكنى جيش آل سوس بفاس المرينية
على يد باشا المدينة البيضاء القائد فرجى، ومنها إصلاح ما احتيج لإصلاحه من
القصور السلطانية عام ١٢٦٩.

وبنى جسر وادى مكس بسفح جبل زرهون، وذلك عام ثلاثة وسبعين
١٢٧٣، وجدد مسجد أبى إسحاق البلفيقى بمراكش، وجدد بها أيضا مسجد حارة
الصورة، ومن ذلك بناء ما تهدم من مرسى طنجة والمبالغة فى تحصينها أكثر مما
كانت، وأصلح أبراج تطوان لما دخلها عام ١٢٤٣ كما فى تاريخ الولاية للزيانى،
وأسس البرجين العظيمين بثغر سلا وأشبار الكبير المقابل للبحر بها، والمارستان
الكبير بضريح الشيخ ابن عاشر، والمنار الفاخر بالمسجد الأعظم منها حسبما هو
مكتوب على بابه، وخزين البارود بالقلعة، وأشبار الفاخر برباط الفتح، وقصبة
الصخيرة الشهيرة، وقصبة أبى زنيقة أيضا، وجدد المتلاشى من أبراج صغر
الصويرة، وأجرى لها الماء فأدخله إليها وبنيت له القنوات واستراح الناس من نقله
من النهر.

ومن بناءاته بتايفالالت قصر تغمرت الذى كان آية فى الإبداع، وجاء السيل
فصيره فى خبر كان، ثم جدده ولده سيدى محمد، ومنها قصر أبار^(١) الحفيل
المتسع الأكناف يشتمل على دور أنيقة، وكان تأسيسه له أيام سلطنته لأولاده وجعل
به مسجدا جامعاً تقام فيه الجمعة من يوم أسس إلى أن ثار الفتان بلقاسم الأنكادى
السفاك لدماء الأشراف والعلماء، فغطت فيه الجمعة من يومئذ، ونقل منبره لمسجد
الريصانى الذى صارت تقام فيه الجمعة إلى أن احتلته فرنسا، وهو الآن شبه خزين
مكتوب بأعلى باب هذا القصر جمل ملحونة لفظها:

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح الهمزة وتشديد الموحدة تحت مشبعة».

يا داخل المنزل أبشر هناك أبشر بما تريد الله قد أعطاك

ومنها قصر سيدى محمد بأولاد عبد الحليم من تافيلالت، وكان انتهاء العمل فيها على يد الفقيه الحاج محمد الزيانى فى ربيع الثانى عام ١٢٦٤ موافق ٢٦ مارس سنة ١٨٤٨ .

وغرس أجدال الشهير بمراكش، بعد أن كان الدهر أخنى عليه وصيره حصيدا كأن لم يغن بالأمس، ذلك الجنان الذى لا يوجد له مثل فى الديار المغربية طولا وعرضا، جعل فيه من أنواع الفواكه الصيفية والخريفية والأعنان والكروم وأشجار الزيتون ما لا يكاد يعد كثرة، جلب عددا من تلك الأشجار من الزاوية الشراعية كما تقدم، وجدد جامع المنصور بقصبة المنشية، وجامع الكتبيين من مراكش أيضا، وبنى بها مسجد أبى حسون، وجامع حومة القنارية، وأصلح قبة ضريح الشيخ أبى العباس السبتى برد الله ثراه .

وهو أول من أحدث العسكر من العلويين حسبا استفدت ذلك من دفاتر صوائر الحش إذ وجدت فى قائمة الخارج مرتب العسكر وذلك عام ١٢٦٥ وكان الذى أسندت إليه قيادته وتدريبه أبو الحسن على التونسى، ثم بدا له وأبطل عمله واقتصر على مطلق الجند كسلفه .

نساؤه الحرائر والشريفات :

السيدة علوى بنت البهلول، والسيدة علوى بنت البشير، والسيدة نجمة والسيدة فاطمة الأخلاقية كلهن حرائر، وكن من أزواج عمه المولى سليمان، ولما لقى ربه تزوج بهن المترجم، والسيدة البتول من آل الشيخ على بن إبراهيم .
وأزواجه من الشريفات لآل فاطمة، ولآل حليلة، ولآل رقية كلهن بنات عمه المذكور ولم أميز بين المطلقات وبين من مات وهن فى عصمته .

ما خلفه من البنين والبنات :

السلطان بعده سيدى محمد^(١) وشقيقته لال^(٢) خديجة وتدعى لال سيدى،
أمهما لال حليلة بنت عمه المولى سليمان.

المولى عبد الملك تأتى ترجمته، والمولى عمر والمولى سليمان، ولال
مليكة^(٣)، أمهم لال فاطمة بنت مولاي سليمان تدعى لال بنت سيدى، وكلهم
سكنوا مكناس، ومولاي سليمان بقصبته من تافلات المعروفة إلى اليوم
بالريصانى.

المولى عثمان وشقيقته لال أم الخير أمهما الصافية علجة.

المولى الطاهر المتوفى فى ٢٦ شعبان عام ١٣٢٢ دفين ضريح الغزوانى بقرب
أخيه مولاي على، والسيدة مريم، والمولى بوعزة دفين مراکش بضريح الجزولى،
والسيدة ربعة أمهم المولاة طويموا.

المولى عبد السلام، وشقيقته لال الباتول، أمهما لال رقية بنت مولاي
سليمان، سكناه كانت بأبار من تافيلات.

المولى العباس^(٤) أتى الترجمة وأشقاؤه المولى بناصر والسيدة^(٥) نفيسة
والسيدة^(٦) فخيتة السيدة الطاهرة وهى آخر بنيه وبناته موتا وتوفيت برباط الفتح
وكانت من البهاليل صالحة معتقدة أمهم المولاة رحمة وكلهم كانوا بمكناس.

(١) فى هامش المطبوع: «خليفته بمراكش».

(٢) فى هامش المطبوع: «زوج قاضى فاس مولاي عبد الهادى».

(٣) فى هامش المطبوع: «زوج عم والدى مولاي عبد السلام توفيت فى عصمته».

(٤) فى هامش المطبوع: «كانت له مكتبة حافلة».

(٥) فى هامش المطبوع: «زوج مولاي عبد السلام الأمرانى».

(٦) فى هامش المطبوع: «زوج والد والدى عبد الرحمن أتى الترجمة توفى وهى فى
عصمته».

المولى على ، وقد كانت له مكتبة قيمة وحيدة فى نفاستها وتعدد مجلداتها فى شتى الفنون ، وكان من أهل العلم ، مات فى خامس شوال عام ١٢٦٧ ، ودفن بضريح الغزوانى ، وشقيقته السيدة رقية ، والسيدة مريم سكناهم بمراكش وبقرب ضريح المولى على هذا دفنت شقيقته السيدة مريم المتوفاة فى ١٧ ربيع الثانى عام ١٣٢١ .

أحمد الخليفة بالرباط والموجه لنواحي وجدة وواقعة تطاوين والمهاجر للآستانة ، وهو والد والدتى أمه المولاة الياقوت الصالحة المعتقدة :

المولى الطيب سكناه بمكناس ، وبها كانت منيته ، ودفن بالمباح الغربى من دويرية الضريح الإسماعيلى يسار الداخل إليها .

المولى إدريس بمكناس ، سكناه ومنيته وقبره داخل قبة الضريح الإسماعيلى بالجهات الغربية .

المولى عبد القادر أمه مباركة الشاوية سكناه بفاس :

المولى الأمين الخليفة بالدار البيضاء ، أمه الغالية شاوية ، وهو آخر الإخوة موتا .

المولى الحسين كان نقله والده لبلاده تافيلالت ، وبنى له قصبة بأبّار بفتح الهمزة وتشديد الموحدة تحت الذى كان أسسه لأولاده .

المولى عبد الله سكناه بأبّار أيضا .

المولى إسماعيل سكناه بمكناس .

المولى أبو بكر والمولى موسى ، ولال فاطمة أمهم المولاة معنها سكناهم بمراكش .

السيدة زينب أمها سليمة علجة .

المولى إبراهيم، المولى رشيد الخليفة برباط الفتح هو آخر خليفة بها، مات بمراكش، وداره بالرباط مشهورة قرب جامع القبة وكان من أهل العلم .

السيدة عاتكة، السيدة صفية، السيدة آمنة، السيدة زبيدة، السيدة زهور، السيدة ستي أم مولاي على بن الشاد آتى الترجمة، سكنها بتافيلالت وبها توفيت، السيدة لبابة .

السيدة هنية والسيدة كنزة أمهما المولاة زهراء البيضاء شاوية من أولاد حريز، والسيدة فضيلة والدتها الحرة السيدة البتول من آل الشيخ على بن إبراهيم .

السيدة بانى والسيدة أسماء والسيدة عائشة والسيدة حبيبة كلهن كن بتافيلالت وبها توفين .

السيدة أم الغيث، زوجها أبوها بالمولى العربى بن الصديق العلوى المتوفى فى سنة ١٢٨٨، وكان فقيها محدثا، وقد زوجه بعدها أختها السيدة صفية المذكورة .

قال صاحب الابتسام: وأولاده المرعيون المحفوظون، فأكبرهم الخليفة الأرشد سيدى محمد ولاه الخلافة العامة على جميع إيالته، وأقامه مقامه فى الولاية والعزل والعقد والحل تسافر معه الجنود، وتنشر عليه الألوية والبنود، ثم يليه أخوه أبو الربيع مولانا سليمان، ثم يليه أخوه أبو العباس مولانا أحمد ولاه عمالة رباط الفتح سنين ثم عزله، ويليه أبو العلاء مولانا إدريس أسكنه تازا سنين، ثم نقله لمكناسة، ثم يليه أخوه مولانا العباس بعثه للعرائش، فأقام فيها أعواما ثم نقله إلى فاس، ويليه أخوه مولانا عبد الله فهو مع أخيه العباس لا يفارقه، ويليه مولانا الرشيد فهو فى مراكشة منذ ولد إلى الآن وما بقى من أولاده غير هؤلاء فهم صغار لم يستعلمهم فى شىء من الأمر .

وقد كان له رحمه الله اعتناء كبير بتعليمهم وإقراءهم كما جرت بذلك عادة سلفه وخلفه، وكان يجعل لهم معلمين مختصين بهم ويحض على المثابرة والدأب على تفهيمهم وتلقينهم كما ترى فى هذا الكتاب الذى بعثه لولده الأكبر الخليفة سيدى محمد ونصه بعد الحمدلة والصلاة والسلام والطابع:

«ولدنا الأبر الأسعد سيدى محمد أصلحك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك على شأن ما كتبنا لك به فى أمر طلب إخوانك بالدار البيضاء وأخبرت بحزمه وضبطه وأن معه من مقدمات العلم ما ينبغى لمثله وما قدمته لتعليمهم حتى تخيرته واختبرته، ولم تغفل عن تفقدهم غيبة وحضورا ذلك هو الظن بك أصلحك الله ورضى عنك، وما كتبنا لك بما كتبنا إلا عناية بتدريب الأولاد أصلحهم الله وحملهم على الجد فى القراءة والاطلاع على أمور الاعتقاد الذى هو أهم ما اعتنى به المكلف عموما وخصوصا الصبيان ليسبق ذلك إلى أذهانهم، ويمتزج مع دمهم ولحمهم، قال فى الرسالة: واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانات وحدود الشريعة ليراضوا عليها وقد قال الأول:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فلتؤكد على الطالب المذكور فى زيادة الجد والحزم والدأب على التعليم، وتعاهد الأسوار وحضه على تعليمهم الاعتقاد، وأن يقتصر على ما ذكر ابن عاشر فى كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد، ويكلفهم بحفظ ذلك الباب وإتقانه وتفهيمهم إياه وتنزيله لعقولهم حتى يدركوا ذلك غاية الإدراك، ويرسخ



ظهیر المولیٰ عبد الرحمن لولده سیدی محمد فی التآکید علی معلم
إخوته بالجد فی القراءة والتعليم

بالتكرار ويتقنوه حفظا وفهما، ويكون ذلك فى هذه الأيام التى توصلنا لمراكشة إن شاء الله، فإن وجدناهم أتقنوه حفظا وفهما وعلمنا وإدراكا، فإننا ننصف له بحول الله فليجعل ذلك أهم أموره وأولاهها بالتقديم والسلام وفى ٢٣ ربيع الأول النبوى الأثور عام ١٢٦٢»، وصح من أصله الموجود بملف العائلة الملوكية الموجود بمستودع حفظ الوثائق الدولية بشريف الأعتاب من رباط الفتح.

ونص آخر كتبه لباشا مكناس:

«وصيفنا الأرضى، القائد الجيلالى بن بوعزة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله:

وبعد: فيرد عليك الفقيه السيد محمد الريفى وقد عيناه لقراءة ولدينا مولاي بناصر، ومولاي إسماعيل، يقرئهم القرآن، وابن عاشر بميارة الصغير، والجرومية بالأزهري، والرسالة، وكلما ختم معهما ختمة يعيد معهما أخرى، والسيد العربى بصرى أرحناه، والطالب الملازم لهما لقراءة القرآن يذهب لحال سبيله، ففى السيد محمد الريفى كفاية، وقد عرفناه لما ذكرنا، ونأمرك أن تعين قائدا من الجيش مُسنًا ومعه مخزنيان يلازمان باب دار المخزن مهما رأى السيد محمد الريفى من الولدين المذكورين تكاسلا عن القراءة وأراد تهديدهما أو ضربيهما يمثلان أمره، ونأمر خديمنا الطالب اللب أن يرتب للقائد المذكور درهما فى اليوم، ولصاحبيه درهما بينهما والسلام فى ١٦ شعبان عام ١٢٦٨».

ونص كتاب بعثه أحد ولاته للوزير ابن إدريس فى شأن مؤدب:

«حبنا الأرضى، أخانا المرتضى، كاتب الأوامر الشريفة العلامة الأديب الفقيه سيدى محمد بن إدريس، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا المنصور بالله أدام الله لنا ولكم وجوده.

أما بعد: أخى، اعلم أنه أتانا الأمر الشريف على توجيه حامله مؤدب أولاد سيدى، وننظر من يستخلفه، فنظرنا فقيها أسأل عنه الحامل، فجلس مع سادتنا الشرفاء أياما وحامله معه وله نصيب من العلم الشريف، وفى غاية ما يكون من الوقوف والحامل قد ظهر لنا أن جلوسه بداره أولى، لأنه قد فتح عينيه ولم تبق عليه حرمة مع سادتنا الشرفاء، وهذا المؤدب الذى عملنا اليوم من عادته العزلة على الناس، وله حظ من العقل والمروءة، ونحن نحب أولاد سيدى يجتمع فيهم ما لم يجتمع فى غيرهم من كل شىء شىء، فنطلب الله أن يكمل غرض مولانا فى نجله الشريف أمين، وعلى المحبة وخالص المودة، بارك الله لنا فىك وطالب لدعائكم والسلام فى ٢٢ جمادى الثانية عام ١٢٥٤» ثم الختم نقشه: (عبد السلام السلوى لطف الله به).

ونص كتاب آخر كتبه السلطان لولده مولاي العباس باتخاذ فقيه بدل المتوفى:

«ولدنا الأبر الأَرْضَى، مولاي العباس أصلحك الله ورضى عنك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أن الفقيه السيد مبارك الفيلالى صار إلى عفو الله، ولقد كان نعم الرجل تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، فلا بد انظر للشرفاء أصلحهم الله طالبا خيرا يكون على قدمه، ويكون يطلع لقراءتهم ويقبض ما كان يقبضه السيد مبارك والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٤٧٤».

بعض ما قيل فيه من المديح:

من ذلك قول الرئيس العلامة الوزير أبى عبد الله محمد بن إدريس الكبير العمراوى:

أهذه الزهر حيتنا أم الزهر
وهذه نسّمات النصر قد نفحت
وهذه أوجه التوفيق قد سفرت
أم الخلافة في أعلى منازلها
أحيا (أبو زيد) المولى معالمها
فهى العروسة تجلى فى منصتها
كانت زليخا فأضحى وهو يوسفها
واخضر بعد ذبول أروض بهجتها
أحيا لنا عمراً فى العدل أو حسناً
بيت الخلافة (إسماعيل) شيده
كلاهما (والأب) المحمود سيرته
على همة هذا مع شجاعة ذا
هذى المفاخر لا قعبان من لبن
كم أظهر الله من عز بدولته
فرب مشهد صدق قد شهدت له
ورب يوم أغر قد نصرت به
ويوم عز به الإسلام يفتخر
به تبسم ثغر الملك وابتهجت
وفاق حزب التقى حزب الشقا وبه

وذى الدرارى انتظمن لى أم الدرر
أم السعادة حيا نشرها العطر
عن حسنّها أم تبدى الشمس والقمر
حلت فأشرق منها البدو والخضر
وزانها من حلاه العقل والخفر
وليس يعوزها حلى ولا حور
إذ عادها منه بعد الكبرة الصغر
كأنما حلها من يمنه الخضر
فى الفضل أو حاتما فى البذل إذ غبروا
لكن (محمد) نادى الخلق فابتدروا
(والعم) كل بما قد حاز قد نشروا
وجود هذا وعلم ذا كما خبروا
هذى المئاثّر لا كأس ولا وتر
للدين إذ سامه الباغون وانتدروا
كرائما فى الوجود ليس تنحصر
منهاج جدك قد شاعت به البشر
لاحت به فى جبين دهرنا غرر
به الخلافة واعتدت بها البشر
قد اغتدت تضرب الأمثال والعبر

بوقعة دوخت غربا بموقعها
يوم تحزبت الأحزاب واتفقت
أولاد فرج وعونات وتابعهم
دارت عليهم من الأسواء دائرة
فأصبحوا قد أباد الله نعمتهم
صرعى على الأرض قد حاق المحاق بهم
ياويحهم عمهم خزى بفانية
فى مأزق تدهش الألباب وقفته
وضاربوا كل قرن دون مهجته
قد قام فيه خطيب السيف مفتخرا
روى عن ابن أبى الهيجا وحديثه
رأى الجيوش بها الأرماح ظامئة
وعللوا بالدماء كل عالية
فكم رئيس على الخطى هامته
ولم يزالوا بهم حتى انثنوا هربا
طارت قلوبهم من بأسهم فرقا
لو كنت شاهد نار الحرب كاشفة
أبصرت بحرًا به الأبطال سابعة
سماؤه النقع والخرصان أنجمها

واهتز بالمشرق الأملاك واعتبروا
على الفساد وبعد العهد قد غدروا
عليهم... (الرحمن) ما ذكروا
وحاق مكرهم بهم لأن مكروا
وحل ساحهم الأحداث والغير
وقد كساهم ثياب الذلة العفر
وسوف يعرفهم من بعدها سقر
به تواقفت الأجناد واصطبروا
فخلفوهم وهم على الثرى جزر
فى منبر الراح والهيحاء تستعر
أبو الزناد فصيح فى الوغى الأثر
فشمروا عن ذيول الحزم واتزروا
وأورد الخد منها الصارم الذكر
تبدو وكم بطل فى القب قد أسروا
كأنهم فى سباريت الفلا حمر
إذا رأى الألف منهم واحدا نفروا
عن ساقها وجنود الله تنتصر
كال موج فى اللج لا تبقى ولا تذر
والوقد برق ورعد بندق مطر

وسورة الفتح من بعد القتال أتت
أبلى به الجيش والأعراب مثلهم
ولست أنكر للوصفان وقفهم
جند لعمري أنصار مهاجرة
لا يعرفون سوى الإقدام من خلق
سعادة الملك المنصور قد ظهرت
لسيدى (عبد الرحمن) مالكننا
ناهيك من ملك كالشمس فى فلك
ومن يكن من (هشام) أصل نبعته
ما زال فى حضر يسمو على قدر
الواهب الخود والآلاف منبسطا
فى صدره البحر أو فى بطن راحته
سر النبوءة يبدو فى أسرته
إذ دجا الخطب وانسدت مسالكه
مهذب الرأى يستسقى الغمام به
العدل سيرته والنصر شيعته
بالعلم ملتحف بالعلم متصف
رشيد أمر على الأسرار مؤتمن
قد صاحبتة مع الأيام أربعة

والعاديات ضحى بالنصر تفتخر
والبربر النصح فى الهيجاء تعتبر
فى حومة الحرب والفرسان تشتجر
لكنهم لصفات اللؤم قد هجروا
وليس يعرفونهم فى شدة خور
به الجيوش على الأعداء قد ظهوروا
مناقب فى جبين الدهر تستطر
تزهو بدولته الأقطار والعصر
يسمو به الملك والأخطار والقدر
للرشد والآن عنه أسفر السفر
والخيل جردا فلا من ولا كدر
كلاهما طاب منه الورد والصدر
ونورها منه فى الأكوان منتشر
فرأيه فى ظلام ليلة قمر
وتنجلي بسنا آرائه الغير
والفضل شيمته والحزم والحذر
بالعجز معترف بالله مقتدر
لله منتقم بالله متناصر
الفتح والنصر والتمكين والظفر

وساعدته مع الرحمن أربعة
كم من مشاهد بالتمكين شاهدة
ومن مواقع فى الأعداء قد بهرت
فسل (غياثة) والأنذال جيرتهم
وسلّ (دكالة) إذ كلت عقولهم
عموا وصموا فلم تبصر بصيرتهم
ومن يكن عن سبيل الرشدا حيد
جنوا فأمضى الردى فيهم عزيمة
ثم اغتدوا بعد ما جنوا جنان ندى
وكم يقوم حد السيف من عوج
ولم يزل ملكه يسمو وعزته
قد أذكرتنا مغازيه التى اشتهرت
وغير بدع ظهور السر فى عقب
قد يسر الله ما تبغيه من أمل
قاتل بسعدك فالأيام مسعدة
وانصر بسيفك هذا الدين معتصما
ومن تكن فى سبيل الله نهضته
يا ابن الأكارم من عدنان من نزلت
مطهرون نقيات جيوبهم

السعد واليمن والتوفيق والقدر
ومن مواقف منها النصر ينتشر
سارت بصورتها الركبان والخبر
وسل (دخيسة) إذ حلت بهم غير
واعتادهم من أكاذيب المنى غدر
ولم تنبههم الإرشاد والنذر
فلا البصيرة تهديه ولا البصر
حتى رقاهم وكم أبدى الشفا ضرر
لولا الصوارم لم يقطف لها ثمر
ويستضىء به الباغي فيعتبر
تنمو ودولته تعلو وتنتشر
مغازيا قصها الأخبار والسير
فرب مكرمة علياء تدخر
وهيأ الله ما تهوى وتنتظر
وأمر بما شئت إن الدهر مؤتمر
بالله فهو لأهل الحق ينتصر
يعنو له الصعب أو يسمو به الخطر
فى مدحهم محكمات الآى والسور
تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه
قوم إذا فخروا بذوا مفاخرهم
ماذا يقول ذوو الأمداح في نفر
وكيف أدرك كنه القول في ملك
خذها إليك كما شاء الشا مدحا
فريدة جمعت أسنى شمائلكم
هيفاء في حلل الأمداح رافلة
تروى عن العدل ما أملاه ناظمها
شاد ابن إدريس بالإتقان كعبتها
قد ارتقت في بنى عمرو مناسها
رضيعة بلغت في سنها مائة
حوراء عذراء لم تفضض بكارتها
حارت عقولهم في وصف نسبتها
إن قلت در فحسن النظم رجحه
إن خدمناك والآمال ناجحة
وخلف كل فتى منا فراخ قطا
فهم بعزك في نعمى وعافية
رضاك عندى أعلى ما نؤمله
هديتى لعلاك الحمد أنشده

فما له في قديم الدهر مفتخر
إذ هم قریش وإذ ما مثلهم بشر
عن مدحهم تقصر الأشعار والفقر
تكل عن وصفه الألباب والفكر
كالدُر فصله الياقوت والشذر
لكنها في بسيط القول تختصر
فلا قصور يشينها ولا قصر
وتنشر الفتح إذ تروى وتعتذر
فحجها نجباء الوقت واعتمروا
فلا الفرزدق يحكيها ولا عمر
فاعجب لكبرى جباها وصفه الصغر
ولا تملكها أنثى ولا ذكر
للؤلؤ نظمها المنسوق أم زهر
أو قلت زهر فعرف الحمد يعتبر
كم من ثواب وعز منك نتظر
قد وجهونا إلى عليك وانتظروا
ولا يفارقهم ماء ولا شجر
والنفس كالطفل للألطف تعتبر
والحمد أفضل ما يروى ويدخر

وليس يمنع عبد من بلوغ منى
إنى لأفعل^(١) فى وصفى شمائلكم
ختام مدحكم مسك نطيب به
لازلم لنظام الملك واسطة
بجاه جدكم المختار من شرفت
عليه أركى صلاة الله ما طلعت
والآل والصحب والأتباع ما ذكرت
وقوله:

مهور المعالى البيض والأسل السمر
وما العز إلا للجهاد وأهله
وما المجد إلا هممة علوية
وفتكة بكر فى العدا تلبس الفتى
وتكسبه حسن المساعى وأن ترى
وما العيش إلا أن ترى وسط جحفل
إذا ما غزا ترتاع من بأسه العدا
وإن خفقت فى الأفق راية نصره
هو البحر والأبطال فى الحرب موجه
يحف بمنصور اللواء مؤيد

وأبحر الجود من يملك تنهمر
ما ليس يفعله كأس ولا وتر
ونشره فى جميع الكون منتشر
وللمكارم عقدا ليس يتثر
به الخلائق واختصت به مضر
شمس النهار وما قد شعشع القمر
أهذه الزهر حيتنا أم الزهر

وأقصى أمانى السيد النهى والأمر
إذا زاع أهل البغى أو نجم الكفر
لها رتبة من دونها الأنجم الزهر
ملابس حمد طرزها الحمد والأجر
له العزمات البيض والنعم الغر
له كل حين فى سبيل الهدى ذكر
ويهتز من أخباره البر والبحر
سرى من علاه الرعب فى الناس والذعر
هو الليل والفرسان فى أفقه زهر
شمائله زهر وأوصافه زهر^(٢)

(١) فى هامش المطبوع: «صدق ولا سيما هذه الرائية».

(٢) فى هامش المطبوع: «بفتح الزاى»

سرى حزمه فى جيشه وثباته
له آية التمكين فى الأرض والعلـا
له من سباع الطير والوحش عسكر
ويقدمه للحرب كل شمرذل
وأسد على جرد كأن وجوههم
تعاطوا على جرد حميا حمية
وباعوا نفوسا فى الجهاد نفيسة
وما عمر الإنسان وقت حياته
وما هذه الأيام إلا صحائف
وأفضل أعمال الفتى نصرة الهدى
ولله فى هذا الوجود خلاصة
عساكر فتح عود الله رفعها
نحت أرض زمر فأنحت عليهم
أقام بها الجيش اللهم مرابطا
يساقيهم شهرا كئوس منية
رماهم به المنصور لما تحزبوا
فأغزاهم جيش الرسائل قبله
فولوا عن الذكرى فرارا كأنهم

ففى كل قلب من شجاعته قدر
له العز والتأييد والفتح والنصر
يؤازره قد قاده الذيب والنسر
حرام عليه فى وطيس الوغى الفر
- بأفق ظلام النقع - من بشرها فجر
فرنحهم حب المنية لا السكر
من الله سيماها التثبت والنصر
ولكنها الذكر الجميل هو العمر
لأعمال هذا الخلق فى طيها نشر
وقتل العدا إن الجهاد هو الذخر
هداهم^(١) لهم فى كل صالحة ذكر
إذا قوبلت يسرى لناصرها الكسر
دواه دواه صبها العسكر المجر
يباكرهم من خيله الفتكة البكر
فكان وباء فيهم ذلك الشهر
ولم ينفع الإنذار فيهم ولا الزجر
طلّعه التذكير والنهى والأمر
فرا وكان ملء أسماعهم وقر

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح أوله».

ومن شأنه أن لا يبيح قبيلة
ولا تنفع الذكرى القلوب إذ قست
ولا شيء مثل السيف أنفع للعدا
أحاطت جيوش المسلمين بأرضهم
تنقب عن غيب الخبايا فتهتدى
وتسرى سراياها فتغدو وصنعها
وتختطف الأبطال كل مدجج
تخط صفاح البيض فيهم صحائفها
تعلمت اللام البلاغة فيهم
إذا ما لقوا حادوا عن الحرب وانشوا
كان العوالى فوق خطية القنا
كأن سيوف الهند شهب معدة
تعصب هامات العداة وتارة
قلتهم بلاد طالما مرحوا بها
وما زال داء البغى يصرع أهله
قد استنسرت فيهم بغاث فأصبحوا
وغرهم الإمهال فازداد بغيمهم
وقد منعوا ما أوجب الله عندهم
وأووا فريق المحدثين وأحدثوا

إذا لم تقدم قبل غزوتها النذر
وخامرها الإعجاب أو حلها الكبر
إذا لم تفد فيها المواعظ والذكر
وعمهم منها التسلط والقسر
كان قد هداها الكشف أو عندها السر
بفرسانها التشريد والفتك والأسر
لديهم ولا ينجيه كر ولا فر
تفيد الهدى قد أشكلت خطها السمر
فللبيض والمران عند اللقا شعر
وأجسامهم نظم وأرؤسهم نشر
طيور لها أجسام أعدائهم وكر
لرجم شياطين الضلالة أن تعرفوا
طلاهم وطورا فعلها القدر والهبر
عنادا وأذيال الضلالة قد جروا
ويعتادهم من شؤمه الهلك والخسر
وقد خانهم منها المناسر والظفر
وقادهم الإعجاب للهلك والغدر
من الحق واستعصوا جهارا وما بروا
بدائع للشرع العزيز بها نكر

فلا أمن فيهم للسبيل وأهله
إذا ما دعا داعى الفساد هفوا له
عموا عن سبيل الرشد وابتغوا الهوى
وأطغاهم طيب البلاد التى بها
ومن لم يقيد نعمة الله عنده
ومن عاند المنصور أصبح طعمة
فكم حاولوا من مكرهم رد بأسه
وكم طلبوا نيل التكافؤ فى الوغى
وراموا التدانى فى المراتب ضلة
غدوا جزرا للمرهفات وطعمة
وضاق بهم من شؤمهم واسع الفضأ
وعقبى ذوى البغى العقاب وإنه
إذا أمة طال الصغار كبارها
ويضفوا رداء الصون والحفظ بالتقى
فقد طاولتهم بالحصار كتائب
ووافتهم فيه عساكر نقمة
تألف منها الجوع والضر والظما
وما زالت الركبان تنسف زرعهم
إلى أن غدت صفر إيبابا وأصبحت

ولا عرف إلا وهو عندهم نكر
وإن سمعوا داعى الصلاح دعا فروا
وغيرهم الشيطان والنفس فاغثروا
زكا الكسب والأولاد والغرس والبذر
بشكر فقد أودى بنعمته النكر
لأسيافه أو ساقه للردى القبر
فعاد عليهم بالردى ذلك المكر
وهل يتساوى الصعو فى الفتك والصقر
وهل يتساوى التبر فى السوم والصفر
تجاذبها وحش المهامه والطيور
وأصبح عرض الأرض وهو لهم شبر
ليزداد عظما كلما عظم الوزر
فإن قصارها التذلل والصغر
ويكشف بالعصيان عن أهله الستر
غزاهم بذاك الوعر من أجلها الذغر
من الله والاهأ التضايق والحصر
وأهلكهم فيها الترحل والحر
ويبدو لهم من كل خافية أمر
وعامرها من كل ما جمعوا غمر

وعم الردى أموالهم وعيالهم
وجاوزت الحد العقوبة فيهم
وجاءوا على حال انكسار وذلة
ويقدمهم وصف اعتراف وتوبة
يضعون بالبقيا عليهم ومالهم
فرق أمير المؤمنين لحالهم
عفا عنهم مولاهم عفو قدرة
وأبقى عليهم رحمة وذخيرة
وراعى لهم فضلا سوابق حرمة
وأرغم أنف الكفر إذ في هلاكهم
وأيقن أن النصر نعمى هنيئة
وعاد عليهم بالذى هو أهله
وعادوا بأسباب النجاة فأصبحوا
وما عن رضا منها عصية أسلمت
ولو عوقبوا عدلا على قدر جرمهم
ولكنما المنصور فى الحلم آية
توارثه عن كابر بعد كابر
كذا فليس أهل الرياسة ملكهم

وقد كاد يستولى على الجملة الضر
وعمهم مما عرا الحادث النكر
يقودهم عظم العقوبة والجبر
شفيهم الصبيان والشيب والخمر^(١)
إذا عوتبوا إلا التنصل والعذر
وعاد بحلم أنه الراحم البر
وقابلهم من فضله الصفح والبر
لصالحة ترجى ونائلة تعرو
أحاديثها فى كل حين لها نشر
لشوكتهم عن أن تنالهم كسر
وأن ارتكاب العفو عنهم هو الشكر
من العفو والتأمين فارتفع العسر
على نهجها قد صدق الخبر الخبر
ولكنها قد قادها للهدى القهر
لأخنى على دهمائهم بالردى الدهر
إذا جهل الأقوام أو عظم الوزر
وزاد فزاد الحمد وارتفع القدر
فهذى المعالى المستفيضة والذكر

(١) فى هامش المطبوع: «بضم الخاء».

تقدم فى تخليد كل فضيلة
فقد نصر الرحمن بالحق عبده
إمام إذا قابلت غرة وجهه
وإن نلت منه القرب أو فزت بالرضا
وإن ذكرت أوصافه بين معشر
ويحتقر السبع الزواجر جوده
هو الفرد أشتات المكارم جامع
تدرع من صدق التوكل جنة
وقام بنصر الحق بالحق فاعتلى
ولم تلهه عن لذة العلم إمرة
يقاتل عنه سعه زمر العدا
فدولته أمن وأيامه هنا
من النفر الغر الجحاجح من لهم
بنى المصطفى أحفاده أهل بيته
لآل على فى الوجود مآثر
هم القوم كل القوم أما جنابهم
وهم فى اقتناء العلم والحلم قدوة
إذا وعدوا وفوا وإن قدروا عفوا
وإن مدحوا أغنوا وإن نوزعوا سطوا

فقل للملوك الأرض هذا هو الفخر
وحاق بأهل الباطل الشؤم والختر
يقابلك الإقبال واليمن والبشر
تدانت لك الآمال وانشرح الصدر
تألق منه النور أو سطع العطر
إذا ذكرت يوما أنامله العشر
فما فاته منها عوان ولا بكر
تدانت بها الآمال وارتفع القدر
به ركن هذا الدين واعتصم الثغر
ولا عن طلاب المجد خود ولا قصر
ويفعل ما لا يفعل البيض والسمر
وساعاته زهر وأوقاته غر
مراتب عز دونها الشمس والبدر
ومن لهم فى الفضل والشرف الصدر
على صفحات الدهر من آيها سطر
فرحب وأما جارهم فله خطر
إذا خفت الأحلام أو عظم الأمر
وإن سئلوا أعطوا وإن عاهدوا بروا
وإن أنعموا أضفوا وإن عطفوا سروا

إلى ابن هشام انتهى إرث مجدهم
ولا بدع في أن يعلو الفرع أصله
هنيئاً أمير المؤمنين بغزوة
وبشرى بفتح طبق الأرض ذكره
وخذا أمير المؤمنين خريدة
كساها ثناك الحر حلة سعده
يفوق فريد الدر حسن ثنائها
هو الشعر يرتاح الكريم لشدوه
ويهتز ذو الطبع الشريف لمدحه
وما السحر إلا الشعر أحكم نظممه
تتبه نحور الحور زهوا بعقده
بقيت لهذا الدين تحمى ذماره
بجاء رسول الله جدك من به
عليه صلاة الله ثم سلامه
وما قام نادى البشارة منشد:

ومنه سرى في كل مكرمة سر
إذا ما زكت منه المغارس والنجر
تضعضع منها الشرك والنجير الكسر
به اشتد ركن الدين وارتفع الإصر
تروق وما غير القبول لها مهر
فأشرق منها الجيد بالخلي والنحر
وينفخ من أنفاسها العنبر الشحر
ويطرب من إنشاده الماجد الحر
كما اهتز تحت البارج الغصن النضر
وناهيك من سحر به نفث الشعر
وتستبشر العليا ويتهيج العصر
ودام لك التمكين والفتح والنصر
سمت ملة التوحيد واتضع الكفر
وآله والأصحاب ما عقب الشر
مهور المعالي البيض والأسل السمر

ونقلت من خط العلامة الأديب، حامل لواء الترسيل والقريض، سيدي
الطالب ابن الحاج السلمي المرداسي ما لفظه: لشيخنا العلامة القاضي بحضرة
مراكش أبي عبد الله محمد التهامي بن حمادي بن عبد الواحد الحمادي المكناسي:

زفت لربعك والسعود مهورها
يفتر عارضها عن اليمن الذى
عذراء تأبى أن ترام فلا الوفا
ضربت على قن الهضاب قبابها
كم غادرت من مغرم بوصالها
فاغنم مطارحة الخريدة برهة
وارشف لما ماء الملام هنيئة
اهناً ببشرى قابلت إقبالها
كان الزمان قبيلها فى خجلة
أكرم بها عتبى تجافى عندها
لو أنها بزغت بطرة دجية
أهدت لأهل الدين كل مسرة
قوم قد اعتادوا الشهادة جنة
من آل عطة أسرة ما سامها
الغدر أكبر شيمة فخروا به
بحضيض كل الملمات ورودها
إن يسمعوا داعى الفضائل أحجموا
اتخذوا المحارم واجبا لو يعرفوا
ورثوا المناكر فاجرا عن فاجر

ووفت مقلدة الفتوح نحوورها
ظفرت به يمناه حيث ظهورها
يخطو إليها ولا الوداد يزورها
وعلت على شم الجبال قصورها
رهن الحمام وما يقاد كسيرها
فلطالما أغرى الغرام نفورها
يا حسن ما أملى لسمعك زورها
فيها لأنفاس النفوس نشورها
حتى سرى مسرى النسيم بشيرها
ليل الكآبة واستطال سرورها
شابت غدائرها ودام سفورها
وعدا على فئة العداء فجورها
ونأت عن الطرق القويمه دورها
كرم ولا هم فى الرجال صدورها
سيان فيه صغيرها وكبيرها
وعن المكارم والمعال صدورها
وإذا دعوا لرذيلة فهصورها
ما الواجبات وما تكون أجورها
والعرف لم تعرف حلاه صدورها

خلف قفا خلفا وأنى ترتجى
جعلوا بنى الزهراء سادات الورى
آل الرسول المجتبى وأجل من
غرضاً ولو أن الخوارج أنصفوا
فاعجب لأقمار الهدى منقضة
وعهدتها بمبانى أفلاك العلا
ياويح قوم حاربوا من جهلهم
شنوا على أولى الرسالة غارة
خالوا حمى ذاك الجنب مضامة
فاستعملوا ما فيه تمحيص لمن
أملى لهم مولى له فى خلقه
فرمت سهام الفتك فى سرواتها
فأتت إليه الصافنات سوابحا
من فتية قد بيتوا فعل الهدى
وأثارهم بكفاح أعداء الورى
فتزاحفوا لبنى اللقيطة واستووا
غص العداة بثائر من عثير
وعزيمة علوية علوية
من كل قسورة الوغى مستلثم

لهم النجاة واللعين ظهيرها
من هم شמוש والكرام بدورها
كشفت إليه من السماء ستورها
ما كان إلا على الجباه مسيرها
وغدا بأقطار البسيط عبورها
العز يكلاً والمجادة سورها
رباً إليه مآلها ومصيرها
شعواء عاد على الرعاع ثبورها
وتوثقوا أن لا عزيز يجيرها
بوجودهم أمن العباد وخيرها
أسرار أحكام يشذ خبيرها
حتى تنهى بغيها وشورها
تختال والفتح المبين سفيرها
حمدته آصال المسا وبكورها
رحم النبى وما حواه ضميرها
بهم وما نفع اللئام غرورها
فسقوا المنية والسيوف تديرها
هبت عليهم من رباها عبيرها
قد حنكته من الحروب سعيها

فتراه يعجم تارة حرف الكلا
وبمرهف الصمصام أخرى مشكلا
قد غادروا أشلاءها تعلو بها
لله فتية نصرة لجنان من
باعوا النفوس وإن غلت أثمانها
ولهم أجل مكانة من ممالك
ملك له السلف الذى طال السما
فروى المجادة كابرا عن كابر
ملك له فى المكرمات رواسخ
ملك إذا باع الملوك كريمة
ملك يود المزن يمناه التى
ما إن تحاكيه السحاب وإنما
هانت عليه محاسن الدنيا فما
لو أن أمواج البحار بكفه
يهدى لوجه الصبح عند نواله
ملك له بعداه كم من سطوة
تخشى وقائععه وهبها كاثرت
لولا توقع حلمه لتصدعت
نام الأنام بظل كهف أمانه

متشابهان ظهورها وبطونها
صفحات ما حبل الوريد سطورها
عقبان كل ثنية ونسورها
خير البرية والإله نصيرها
من ربهم لهم الجنان وحورها
زان الخلافة واستقام سريرها
وعلا لعزة..... منيرها
سندا صحيحا عاليا مآثورها
إن هز رضوى فى الثرى وثيرها
فهو الحقيق بالابتياح جديرها
جادت سحائبها وفاض بحورها
تبكى المدامع إذ عراها قصورها
يرضيه منها مديدها وخطيرها
أمتست وهن من العطاء نهورها
ما ليس تمنحه ذكاء ونورها
صعقت لهيبته الكماء وطورها
... اللوى وذرى السحاب جسورها
فرقا وصار إلى المشيب صغيرها
واعتاد دولته الهنا وحبورها

أيامه أعياد أيام الألى
أحيا معالم للعلوم فأصبحت
وتولدت عن بذل وبل يمينه
إن المفاخر والمحامد والتقى
من مبلغ صدر الخلائف ما انتهى
لك يا (أبا زيد) المآثر جل أن
يغتال الباب الرجال سماعها
فخرا لدولتك السنية دائما
ولها البشارة بالسعادة إذ همى
وإليك يا فخر الملوك أضفتها
قصرت وطال حياؤها إن لم تكن
وأنت بنزر من حلاك ومن لها
لكنها تزهو بأكبر نسبة
دامت تهاديك البحور قوافيا
وعلى علا ذك الجناح تحية
ما قال منشدها بأكمل مجلس

قلت: وهذه القصيدة أنشئت بمناسبة انتصار المترجم على الفئة الباغية
العطاوبة الشهيرة واجتثاث سيوف عدله جراثيم فسادها، وإرضاح صناديدها،
للطاعة قهرا، وذلك عام واحد وسبعين بتقديم السنين على الموحدة تحت ومائتين
وألّف.

وقال العلامة الشيخ الطالب بن حمدون بن الحاج:

إليك وإلا لا تزف خـريـدة
وفضلك لا فضل الثريا على الثرى
نظمت لآل المجد بعد اندثارها
وقلدت أهل العلم در نفائس
وأخلصت فى طاعات ربك موقنا
رقا بك سعد الدين فى علا منزل
فصرت (محصل المقاصد) والعلا
فما أنت إلا منحة علوية
أمين ومأمون رشيد مظفر
بمنتخب من آل بيت الرسول لا
على أبى الأشراف ينبوع كوثر
وبيت ولاية من الملك ظاهرا
وبيت ولاية من الملك باطنا
سجلماسة طابت وفاحت شذا به
ولم تزل الأنوار لائحة بها
وخلف أقمار تلوح لأعين
صـدور أهلة بدور أجلة
وما الملك إلا ما حووه ومن له

وفيك وإلا ليس يستعذب الشعر
ووجهك لا الشمس المنيرة لا البدر
وليس لعقد أنت ناظمه نثر
بها لم يقلد من مهفهفة نحر
فطاعك كل الخلق والبر والبحر
مراقى مجد دونها الفلك والزهر
يهيم بتطريز المديح لك الفكر
بنا خصصت ممن له الخلق والأمر
ومعتصم بالله دام لك النصر
بمنتخب من آل عباس ذا الفخر
وبيت من العلم الغزير ولا نكر
ومن كان ذا تقوى يلين له الصخر
ولله فيما اختار من خلقه سر
وأنبت واديها ونم به الزهر
إلى أن قضى والدين أفنانه خضر
أمان لأهل الأرض دام لهم فخر
غيوث ليوث لا يفل لهم فخر
كملك (أبى زيد) به اتضح الفجر

ملك حوى كل المفاخر والعلا
 ملك حباه الله كشف حقائق
 ملك على الملك جر ذيوله
 ملك له رعب يسير بسيره
 ومنه أسود الغاب تنفض هيبه
 (وآية عطا) لما أطغت وأفسدت
 أصيبوا برعب من جلال إمامنا
 وقد صب من فوق جيوش عليهم
 وأظلمت الدنيا عليهم بأسرها
 وضاق عليهم غورها ونجودها
 فذوقوا العذاب اليوم يا شر بربر
 ونسوتكم يبكينكم بتحسر
 أمولاي إن الله أعطاك حكمة
 فلا زلت تاج لعصر في مفرق العلا
 فلم تشتمل شام عليه ولا مصر
 فلم يطلع زيد عليها ولا عمرو
 ولكن به الملك استبان له الفخر
 مسيرته ريح رخاء أو الشهر
 كما انتفض العصفور بلله القطر
 وجارت على آل الرسول وقد سروا
 فقاتلهم عرب وتجنيسهم سر
 ولم ينجمهم من بأس وقعته وعر
 وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
 كأن جميع الأرض مقدارها شبر
 ففى مثل هذا اليوم لا كر ولا فر
 ولا مثل خنسا قد نعى لها صخر
 فصل له وانحر لثانك البتر
 وما لحت إلا قيل طال لك العمر

في ٨ شوال عام ١٢٤٢» من خطه في كناشته مباشرة.

وقال محمد بن محمد بن سيدى عبد الله العلوى الحسنى الشنقيطى لما قدم
 إلى المغرب يريد الحج يمدح السلطان المترجم:

هل فى بكا نازح الأوطان من باس
أم هل معين يعين المستهام على
آه لمغترب فى الغرب ليس له
أقول والركب محزون بوحشتنا
إذا وضعنا بأرض الغرب أرحلنا
عل الإمام بفضل الله يمنحه
إنى كفيل بنيل السؤل لى ولكم
إماننا فى كلا المصرين نورهما
خليفة المصطفى وهو ابن بضعته
فضيلة لبنى مروان ما سلفت
وسيلة الناس فى نيل الوصول لمن
ضمان غرم عليه أن يروح به
مولاي لا برحت أيام دولتك الـ
الله منك حقوق الناس قلدها
عمرت عمرت من عهد الشريعة ما
داركتها بعد ما مالت دعائمها
وافاك ركب تعاطوا من نعاسهم
حثوا جلاس المطايا لا يرون على
طواهم طى ما تطوى وضرسهم

أم هل لداء رهين الشوق من آس
ليل كواكبه شدت بأمراس
جنس وإن كان محفوظا بأجناس
صبراً فكم وحشة أفضت لإيناس
راح الرجاء علينا طارد الياس
رحمى فيكشف غم الأسف الآس
إما بمراكش المحروس أو فاس
إماننا المستماح المطعم الكاسى
ثوب من المجد لم يعلق بأدناس
ولا الخلائف أبناء ابن عباس
هو الوسيلة بين الله والناس
حلف الثراء من أمسى حلف إفلاس
غراء أيام أعياد وأعراس
يقظان لا غافل عنها ولا ناس
باض النعام بدور منه أدراس
فاستحكمت واطمأنت فوق آساس
على متون المطايا قهوة الكاس
منابر الميس عنها غير جلاس
طول السفار بأنياب وأضراس

دعاهم شوق أرض الهاشمى إلى
فواسنا بلقا ما اعتيد منك وما
وحقق الظن منا أن ستحملنا
لها دخان حريق الغاب أزعجه
واسمح لنا بدعاء منك صالحه
لولاك ما طاف من طافوا أو اقتبسوا
هذا ومـدحك لا يأتى به قلم
هل هو إلا ركام المزن أو كحصى
لازلت لا زلت يا ركن العدالة من
ولا عدتك صلاة الله كاملة
وله أيضا يمدحه :

ألمت بنا أهلا بها أم سالم
ألمت بنا وهنا وقد ضرب الدجا
ألمت بشعث فى الفلاة توسدوا
ألمت وقد مس الوجى دون أرضها
نضونا على أنضائها من عزيمنا
وجبنا عليها مهما بعد مهمه
إلى أن أنخناها لديه ولم نكن
عهدنا إليه نرتجى أن نرى الذى

حمل النفوس على الضراء والباس
فضل المقالة إلا قولنا واس
على مجوفة الحيزوم كالراس
مر الجنوب بأنفاس فأنفاس
ييمنه يسهل المستصعب القاسى
من نور طيبة من فاروا بمقباس
يلقى مجاجته فى بطن قرطاس
مركومة من لوى ييرين ميعاس
جيش العناية محروسا بحراس
من خص بالفضل من أبناء (إلياس)

على بابها أم تلك أحلام نائم
علينا خباء فى متيه المخارم
مرافق خوص كالسهم سواهم
خفاف خفاف الراقصات الرواسم
صوارم أمضى من شفار الصوارم
إلى (ابن هشام) كى نزور (ابن هاشم)
كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم
تخلف عنا قارعا سن نادم

خليفة مصباح الهدى وحفيده
 غيور على بيضاء سته التي
 حماها حماه الله أن يستيحيها
 فكم غرض عنها طرف من رام طرفها
 أنام عيون الناس تحت عدالة
 فأصبح ثغر الأرض سوقا وأصبحت
 غدا وافرا عرضا ودينا وماله
 ملهم لإفراط النوال ولم تكن
 أموالا لازالت مدى الدهر منكم
 ولا برح التقبيل شغل أكفكم
 تعاضمنا هول الطريق ومنكم
 وثقنا برى حين أمت ظمأؤنا
 وبشرنا أن سوف تأتى ركابنا
 على جده فى كل بد ومختم

ومحى عافى ربه المتقادم
 أبيحت لها لولاه كل المحارم
 من أعدائها دهم الدواهي الدواهم
 بغض وكم قد كف من كف ظالم
 وقت رجل سارى الليل لدغ الأرقام
 مأسدها مرعى المخاض السوائم
 يقسمه العافون قسم الغنائم
 كمن عاقه عن ذاك ضعف العزائم
 حصون المعالي عاليات المعالم
 وأقدامكم تحذى أديم الجمائم
 عظام اللهى تعتاد دفع العظام
 موارد طامى بحرك المتلاطم
 أبا فاطم إنا أتينا ابن فاطم
 مباد صلاة مالها من مخاتم

وله فى بعض رجال دولة المترجم وهو ابن أبى سته، وبعض الناس يقول:
 إنها فى غيره، وهو يريد منه التوسط بينه وبين السلطان مولاي عبد الرحمن بن
 هشام:

آثار من التذكر ما أثارا
 خيال من أميمة حين زارا
 سرى بعد الهدو فما أعيرت
 قلوب العاشقين كما أعارا

وكم بعث الخيال لذى انتزاح
ألا زارت أميمة إن في ذا
أسمح إن تزور بجنح ليل
ومن عاداتها لم تخط إلا
طوت أجواز كل فسيح خرق
ألا أهلا بها ولو استحالت
لئن أنأى أميمة ما اعتسفنا
فقد أدنت مبارات المطايا
أزارتنا الفقيه فأنصفتنا
وغادر طيها نشر الموامى
قد أبدى الدهر إذا أهدى إلينا
إلى مثل ابن أحمد فليسافر
همام سل صارمه ليحمى
أبى نور الهداية من لديه
أدار على الشريعة منه حصنا
وشيد للحقيقة من زوايا
له خلق يدير مدى الليالى
أشقاء المحبة قد أقاموا
سرى لمحمد فى الأرض حمد

نزرعا للأحبة وادكارا
لأرباب البصائر لا اعتبارا
وقد حمت المزار ولو نهارا
إلى أدنى البيوت خطى قصارا
ولا طى المهمار ولا المهيارى
على قرب زيارتها ازورارا
رواحا بالنجائب وابتكارا
نوافخ فى البرا من لا ييارى
من أيدى النأى إذ مطل المزارا
إليه طى حاجتنا انتشارا
لقاه من إساءته اعتذارا
أخو العزمات أو يدع السفارا
من الحق الحقيقة والذمارا
لمحيار الضلالة أن يحارا
حصينا أن تضام وأن تضارا
تعاط الذكر أرفعها منارا
عليها من معارفه عقارا
شعائر دين ربهم شعارا
يسير به المسافر حيث سارا

حكمنا فيه بالخبر امتداحا
 فأبصرنا شواهد ما سمعنا
 أمتخذ الهدى خذها هديا
 تغض الطرف من خجل وتدنى
 أسيدنا النبیه ومن تحلى
 نتيجة فكرتى وثمار ذهني
 قد أكسبها فخارك حين زفت
 مدحتك أستجير بها ويرجو
 ودارك بالنجاة ذمء غرقى
 أطاعوا أمر غيهم ولجوا
 فلإنهم وإن شطت نواهم
 رعاك الله من راع نصيح
 وبارك فيك ربك من خديم

وقال أيضا لما وصل مراکش ونزل عند المذكور فلم يبلغ خبره إلى السلطان:

هل حامل أسنى السلام كله
 ومتولى عقده وحله
 من لا يجود زمن بشكله
 من شاء ذكر فضله وعدله
 مأوى الغريب ومحط رحله
 لحامل الملك وعبيئ كله
 وواضع الأمر على محله
 ولا يرى عدل عدل عدله
 إلى مضاء نبلة ونبلة
 وملتقى نزوله ونزله

قضى له الله بجمع شمله
ودام خفض العيش تحت ظله
موجبه لازال فوق سؤله
إنا نرجى من جميل فعله
ووطء من خالفه بنعله
وعز الإسلام وعز أهله
ما يرتجى سائله من بذله
ما ترتجى أمثالنا من مثله

وقد سعى له بعد ذلك فى الحضور بين يدى السلطان، فأشده قصيدته
السينية والميمية المتقدمتين، فقال له: هاتان أحسن من المعلقات، وأجازه بجائزة
حسنة، وأمر عامل طنجة بتوجيهه ومن معه للحج ففعل، وقد مات بين جدة
ومكة بعد حجه، ولما كان فى السياق قال معزيا رفاقه:

نحب الليالى بالبرية تعنى
من أخطأته إلى سواء سهامها
نحو المنون فسابقون ولحق
فله تراش سهامها وتفوق

وقال الوزير ابن إدريس المتقدم ذكره من مولدية:

حىى منازل من أهوى وأحياها
وجادها الغيث تمريه شمائله
إلى اللوى ثم ذى سلع فكاظمة
تزجى البروق على ابن ركائبها
والرعد مثل هدير الأرحبى إذا
فحل فى عقدات الجزع حبوته
وفجرت فى مدينب مذانبه
حتى تمج نطاق الرى طافحة
هفافة كفتيق المسك رباها
على العقيق إلى أعلى مصلاها
فرامة فالكثيب الفرد سقياها
تعم بالرى أدناها وأقصاها
أنت أوائلها يستاق أخرها
فأفعم الشعب والجزعاء أمواها
وسال مهزور مذحورا بمجراها
تلك العراص اللواتى حول بطحاها

وتغتدى غب ذاك النوء لابسة
يا جيرة نزلوا أكناف كاظمة
دار تبوأها المختار من مضر
دعا وبرك فيها ثم حرمها
فيها تشعشع نور الحق وانفتحت
ما أومضت نحوها فى الدجن بارقة
وراح فى قلق قلبى وفى أرق
شوقا إلى روضة حل النبی بها
حيث الرسالة قد لاحت مطالعها
حيث الجلالة قد ألفت مراسيها
حيث السعادة قد مدت شوارقها
هنالك الوحي روح القدس بلغه
روح الوجود حياة الكون رحمته
ذاك الذى بشرت كتب السماء به
وألزم الله كل الرسل طاعته
حتى إذا ظهرت للكون غرته
فى ليلة المولد الميمون طالعه
فأبصر الناس نورا يستضاء به
وأصبح الدين قد قامت دعائمه

أفواف زهر يكل الطرف مرآها
تهنيكم الدار دار نعم عقبها
واختار دون جميع الأرض سكنها
وطيبة كان يدعوها وسمها
مغالى الرحمة العظمى فنلناها
إلا وشب ضرام الشوق ذكرها
طرفى يحاكى نجو ما بات يرعاها
يجنى بها الوافدون العز والجاها
حيث النبوءة أعلى الله مبنها
حيث السيادة قد راقى سجايها
على الوجود حيث المجد والاهها
لخيرة الرسل أزكاها وأوفاهها
سر الخليقة أولاهها وأخرها
من قبل مبعثه يا حسن بشرها
وعاهدت حين أخذ الإصر مولاهها
فى ليلة ما عرفنا الله لولاهها
على البرية أخرها ودينهاها
من بعد ما طبق الآفاق ظلمهاها
ودعا أعلى مباني الكفر سفلاها

وخر ما حول بيت الله من صنم
كذلك الشهب فى ميلاده نزلت
يا خاتم الأنبياء وهو أولهم
يا من له انشق بدر التم معجزة
وغاض بحر فغاظ أهله حزنا
يا من له ليلة الإسراء مرتبة
أن يمنع الكفر أهل الكفر من حسد
فقد أقرت لك الأحجار مفصحة
يا سيذا ما حكاه فى محامده
أنت الذى خلق الله الوجود له
فمن جمالك جنات النعيم بدا
أنت الذى شرفات العرش قد شرفت
لك اللواء لواء الحمد ترفعه
حاشا مزايك يدرى المادحون لها
مولاي والخير يرجى من معادنه
وقد مدحناك والأمداح ذمتنا
إنا لنرجوك للدينيا وضرتها
نشكو إليك بأحوال مروعة
نشكو إليك جسوما دأبها كسل

وضل من أمم الطاغوت مسعاها
تود أن الثرى قد كان مثواها
يا حاشر الأمم الماحى خطاياها
وانشق من فارس إيوان كسراها
لما بدا نوره والنار أطفأها
علياء فوق نطاق العرش يرقاها
شهادة الحق أن يشدوا بمعناها
ما احتجن فى ذلك الإقرار أفواها
مقرب ذو مكانة ولا ضاها
من نوره وبك الأملاك قد باهى
ومن جلالك نار الخلد أبداها
لما بدا اسمك مكتوبا بأعلاها
لك الوسيلة تعطاها فترضاها
قدرا ويدركها الإحصاء حاشاها
وأنت أجدى الورى كفا وأنداها
حاشاك يا سيد الأرسال تنساها
حاشا يمينك ترجى من ترجاها
نشكو إليك من الأيام أسواها
قد غالها العرض الفانى وألهاها

نشكو إليك قلوبا حشوها ظلم
فامن علينا بأمن يا ابن آمنة
واعطف على ابنك ظل الله عصمته
فما له يا عظيم الجود معتمد
فابعث إليه جنود النصر تصحبه
واجعل يمينك ذات اليمن صارفة
فالدين دينك أضحي في كفالاته
والناس قد ضربوا للعدل في عطن
ولم تزل ملة الإسلام في كنف
أنامها في مهاده من سياسته
وشردت كل باغ الزيف صولته
أولى فللسيف أو للسبي غايتها
ما زال يركض في آثار أسرته
فما تهيب بحر الهول يركبه
ولا استراحت وقد نالت له همم
يا بن الألى زان قطر الغرب دولتهم
يكفى ملوك الورى فخراً ومنقبة
والدر يحسبه العداد من حجر
علمت دهرك ما قد حزت من شيم

تحكى من الحجر الصفوان أقساها
من كل نائبة فى الدهر نخشاها
أسمى الملوك (أبى زيد) وأسناها
إلا لحضرة عز منك والاهـ
حتى يزيل من الأوغاد طغواها
عنه الصروف فلا ينفك يكفاها
يزود عنه العدا دأبا ويلقاها
من حسن سيرته المورد سقياها
على الذرا من علاه فيه منجاها
على أرائك للإحسان تهواها
فأصبحوا للنعام الربد أشباها
لا أسعد الله قتلاها وأسراها
يحمى مآثرهم حتى تعداها
ولا تجنب نار الحرب يصلاها
مداركا كان فوق النجم أدناها
فأصبح الشرق صبا فى مزايها
أنا نعدك منها إن عدناها
هيهات أين ثراها من ثرياها
فصار من ذلك التعليم تياها

ما أنت يا (بن هشام) غير معجزة
 ما أنت إلا جمال الله أظهره
 تهنيك ذى الليلة الغراء تشهدها
 وليهتك الموسم الباهى تفيض به
 لازلت فى دولة للسعد مذعنة
 والنصر والعز والتأييد يكنفها
 يا نسمة الروض مخضلا كمائمه
 ويا سحاب الرضا والجود فانسكبا
 وأنت يا سامعا أمداحه طربا
 وعم آلا وأصحابا وتاليهم
 جل الذى من صفاء النور أنشأها
 ونعمة لجميع الناس أهداها
 وغرة منك يهينا شهدناها
 مواهباً منك صوب القطر حاكها
 لها الورى أبدا طوعا وإكراها
 تزداد من حسنات الدهر حسناها
 حى بقاعا رسول الله وافاها
 بساحة حل فيها المصطفى طاهها
 صل عليه لكيما ترضى الله
 وكل من نال قربا منه أو جاها

وله أيضا وسترى من بين أبياتها أنها وجهت لمأوى سيد الكائنات ﷺ على
 لسان السلطان المترجم، يث فيها شكواه ويشكو ذنبه وما اجترحه، ويستمد الإعانة
 على صروف الدهر وحدثانه:

أقول لركب شام برقا يمانيا
 تائق فى ظلمائه فكأنه
 حزرنا به آمالنا فتبسمت
 وروع أحشاء تحن لمعهد
 ألا حى مغنى للحبيب وإن نأى
 وما زال هذا البين يوقد لوعة
 ليهنكم إنا بلغنا الأمانيا
 مباسم تحكى فى سناها اللئاليا
 وضاءت كما أضحى يضىء الدياجيا
 قضينا به قبل المشيب لياليا
 وماذا على صب يحيى المغانيا
 أبت فى فؤاد الصب إلا تماديا

فؤاد دعاه الحب من بعد كبرة
ولكن أدواء الهوى إن تمكنت
ونحن وقد جف الكتاب معاشر
رعا الله أهل الحب من كل حادث
ترد على الأعقاب صوب مدامع
ولولا عين الكاشحين خلقت
وهيهات إطفاء الجوى بجوانح
يهب الصبا إن هب من نحو حاجر
هدير غدير فى الهوى لعبت به
إذا غردت فى الأيك وهنا حمامة
وبيتا عتيقا فى أباطح مكة
إذا مادنا الركبان منها تجردوا
وأيقن كل أنه ببلوغه
وأضحى أمينا من عذاب إلهه
هنيئا لقوم ناظرين لحسنها
قضوا تفثا بعد الإضافة وانتهوا
وراحوا على إثر الوداع وحصبوا
وما فصلوا حتى تراءت بعيده
وهبت رياح عاطرات بليلة

فما للهوى بعد المشيب وماليا
فلا يجد المضى لهن مداويا
رضينا الهوى فليقض ما كان قاضيا
ولا راعهم عذل لمن لاح لاحيا
حذار رقيب ليس ييرح واشيا
مدامع تجريها الغمام الغوايا
تذوب إذا ما الركب أصبح غاديا
كوامن أشواق تزيل الرواسيا
صبابة ذكره الربوع القواصيا
تذكر نجدا والنقا والمطاليا
رفيعا من الدياج ما زال كاسيا
وطافوا بها شعشا ظماء بواكيا
لذاك الحمى نال المنا والتهانيا
ومن بعد سخط يستبيح المراضيا
عكوفها لديها يحمدون المساعيا
لطيبة يزجون القلوص النواجيا
على فرح يطوون تلك الفيافيا
من الغور أنوار تنير المحانيا
كما فاح ورد بالأزاهر حاليا

يحدث عن أين الركاب وهنيت
ولما دنا مأوى الحبيب ترجلوا
وعفر كل فى التراب وجوههم
وخرت ملوك الأرض فيه جلاله
ألا يا بقاعا بالبقيع وواديا
فوالله لا أنسى زمانا قطعته
ويا وافدا قد أنزلته سعادة
لك الله ما أهنا وأكرم موطنا
فعنى لخير الرسل أد رسالة
فقل بعد إهداء السلام تحية
إليك رسول الله من أرض مغرب
عن (ابن هشام) المقر بذنبه
عن (ابن هشام) الذى قد تقاعدت
عن (ابن هشام) الذى ليس يرتجى
يحاول إصلاحا لأمتك التى
رجونا تكفينا المخاوف كلها
رجونا لديك النصر فى كل حالة
رجوناك ترعانا من الفتن التى
فليس لهذا السرح غيرك حافظا

ركائبهم كيما تنال التناديا
وأظهرت الآماق ما كان خافيا
تراب به خير الورى كان ماشيا
لمن بان فيه يسحبون النواصيا
به خيرة الأرسال حميت واديا
بمغناك حيث السعد كان موافيا
هناك فأضحى بالكرامة راضيا
ثويت به حياك ربي ثاويا
وإياك تنسى أو ترى متناسيا
تعم ضجيعيه الكرام المواليا
عن المذنب الجانى أيتك شاكيا
وأهوائه يبغى لديك التفاديا
به عنك أشغال أصارته عانيا
سواك فحقق فيك ما كان راجيا
رجوناك تكفيها الردى والأعاديا
فما زلت من كل المخاوف كافيا
على من غدا بالغى فى الناس باغيا
غدا أهلها فيها الأسود الضواريا
فكن يا رسول الله للسرح راعيا

وليس لنا إلا بأمة أحمد
وحاشاك من ينمى إليك تملة
وحاشاك تعيا بالمسء وإن أتى
وحاشا ندى كفيك وهو مفجر
ألا يا رسول الله إنى خائف
ولى رحم موصولة بك أبتغى
ومثلك للأرحام يرعى ذمامها
فرحمك للرحم القريب وعطفة
وعونا لنا من صولة الدهر إننا
فقد أحكمت فينا المقادير حكمها
وقد ألزمتنا أن نعاشر معشرا
على قلة الإنصاف والخير فيهم
سوابق للأطماع ينتهبونها
عزائمهم فى نيل ملء بطونهم
فلا عون إلا من عنايتك التى
ولا ملجأ إلا إلى عزك الذى
بجهاك يا قطب العوالم كلها
فوجه من النصر الإلهى عاجلا
وصلى عليك الله فى كل لمحمة

دعاك إذا ما الغى قد صار داعيا
وتسلمه إن أصبح الهول داجيا
وثوقا بنيل العفو منك، المساويا
على سائر الأكوان يترك صاديا
وأنت مجير الخائفين الدواهيا
لها صلة تولى لديك التراضيا
فلا شك أن ترعى كذاك ذماميا
وأولى بعطف منك من كان دانيا
بغيرك لا نرجو من الدهر واقيا
سياسة أقوام تحاكي الأفاعيا
يسرون أمرا غير ما كان باديا
وكثرة أقوال تطيل التناجيا
كواسل عند الروع تخشى التلاقيا
فتدعوهم روى بطانا بواطيا
بها نتقى هذى الذئاب العوادي
نلوذ به حصنا من الضيم عاليا
ويا منبع الأمداد نرجو الأمانيا
لنا مددا ما دام عزك باقيا
بكل صلاة لا تنال التناهيا

وقال فى موضوعها على لسان السلطان كلك :

سلام يفوق الورد فى الطيب والزهرا
سلام يفوق الطيبات ذكاؤه
سلام يعم الكون حسنا وبهجة
سلام يكل الفكر دون انتهائه
سلام كريم وافر متواثر
سلام كأسلاك الجواهر فصلت
سلام امرئ أهدى إلى حضرة الهدى
من المذنب العاصى المؤمل عطفة
من السائل اللاجئ إلى باب فضله
من الضارع الجانى الذى حسن ظنه
من الخائف الراجئ بحسن قبولكم
من المسرف العافئ المؤمل منكم
دعاك ونار الشوق بين ضلوعه
دعاك غريب الدار بالغرب عاقه
دعاك وأحداث الزمان تنوشه
دعاك لما قد هال له من ذنوبه
دعاك دعاء المستجير بجاهكم
ومد يد المسكين يرجو نوالكم
ويفضل فى إشراقه الأنجم الزهرا
ويملاً من أنفاسه البر والبحرا
ويستوعب الآناء والدين والدهرا
ويستغرق الإحصاء والعد والحصرا
به تملأ الغبراء بالطيب والخضرا
وزانت من المجد المقلد والنحرا
تحية مشتاق تهيجه الذكر
من المصطفى تحو الإساءة والوزرا
يؤمل فى الدنيا الشفاعة والأخرا
دعاه إلى جذواه فاستمطر الخير
أمانا يوليه العناية والبرا
عوائد بر تملأ البحر والبرا
يروم ولو بالروح زورتك الزهرا
عناه عن استجلاء روضتك الغرا
ولا يرتجى إلا بعزتك النصرا
وأثقل منه حمل أوزاره الظهرا
وأمل من علياكم الحفظ والسترا
وحاشا علاكم أن ترد له صفرا

وَأْمَلْ مِنْ جَذَوَاكَ كُلِّ كَرَامَةٍ
وَحَطْ بِيَابِ الْفَضْلِ مِنْكَ رَحَالَهُ
وَمِثْلُكَ مِنْ وَاسِيٍّ وَآسَى نَزِيلِهِ
شَكَا لَكَ يَا خَيْرَ الْوُجُودِ جَرَائِمَا
وَرَانَتْ عَلَى الْقَلْبِ الْقَسَى فَأَصْبَحَتْ
وَأَمَارَةٌ بِالسَّوْءِ تَسْرِعُ لِلْهَوَى
وَأَهْلُ زَمَانٍ قَدْ غَدَوْا مِنْ فُسَادِهِمْ
غَدَاً مَنكَرًا مَعْرُوفٌ سَنَتُكَ الَّتِي
وَعَادُوا ذِيَابَا فِي ثِيَابِ تَنَسُّكِ
وَإِنِّي قَدْ اسْتَرْعَيْتُ مِنْهُمْ رَعِيَّةَ
أَرْوَمٍ لَهَا التَّوْفِيقُ وَالرُّشْدُ وَالْهَدَى
وَأْمَلْ مِنْ جَذَوَاكَ كُلِّ عَنَانَةٍ
فَلْيُذِمَّةَ أَرْجُو الْوَفَاءَ بَعْدَهَا
وَلْيُ نَسْبَةً أَدْلَى بِهَا وَقَرَابَةً
أَعْيِذُكَ أَنْ يَشْقَى كَلَانَا بِجَارِهِ
فَكُنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ غَوْثًا لِأُمَّةٍ
فَمَا أَنْزَلُوا إِلَّا بِيَابِكَ رَحْلَهُمْ
وَلَا اسْتَنْصَرُوا إِلَّا بِجَاهِكَ فِي الْوَعَى
وَلَا قَصَرُوا إِلَّا عَلَيْكَ رَجَاءَهُمْ

تَبَوَّءَهُ الْعَلِيَا وَتَسَكَّنَهُ السَّرَا
وَنَادَاكَ مَشْبُوبِ الْجَوَانِحِ مَضْطَرَا
وَأْمَلْ مَذْعُورَا وَعَامِلْ مَعْتَرَا
تَوَالَتْ فَأَوَّلَتْهُ الْقَسَاوَةُ وَالنَّصْرَا
جَوَارِحُهُ فِي قَيْدِ ظَلَمَتِهِ أَسْرَا
وَتَثْقُلُ عَنِي إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بَرَا
سَوَاسِيَّةً وَالْجَهْرُ قَدْ خَالَفَ السَّرَا
لَدَيْهِمْ وَأَضْحَى الْعَرْفُ بَيْنَهُمْ نَكْرَا
وَقَدْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَاسْتَبْطَنُوا الْغَدْرَا
وَحَمَلْتُ مِنْ أَعْبَاءِ أَمْرِهِمْ إِصْرَا
وَأَرْجُو لَهَا الْإِسْعَادَ وَالْحِفْظَ وَالْيَسْرَا
وَنَصْرَا عَزِيزَا يَهْدِمُ الشُّرْكَ وَالْكَفْرَا
وَمِثْلُكَ يَا خَيْرَ الْوَفَا بِالْوَفَا أَحْرَا
وَأَنْتَ وَلِيُّ الْمُسْتَمِينِ إِلَى الزَّهْرَا
وَأَنْتَ مَلَاذُ الْكُلِّ إِنْ خَشِيَ الضَّرْرَا
تَمَّتْ إِلَى عَلِيَاكَ بِالنَّسْبَةِ الْكِبْرَا
وَلَا اتَّخَذُوا يَوْمًا سِوَاكَ لَهُمْ دَخْرَا
وَلَا قَصَدُوا فِي الْخَلْقِ زَيْدًا وَلَا عَمْرَا
وَمَا قَصَرُوا لَوْ خَالَفُوا النَّهْيَ وَالْأَمْرَا

وقد جاروا من عصبة الكفر أمة
وعندهم جزم برفعك من لجأ
فقد قصرت عليك دولة قيصر
أجرنا فنعم الجار أنت لمن لجأ
وغر يا رسول الله عزمًا لأمة
وأظهر لها من عز جاهك نصرة
وتخلى ديار المسلمين من العدا
وتتركهم صرعى بكل ثنية
فلا جاه إلا جاء عزك يرتجى
فأنت الذى لا يلحق الضيم جاره
فإن كرام العرب تحمى ذمارها
وأنت كريم العرب وابن كريمها
وإنك يا خير الوجود ملاذ من
ألست الذى قد أرسل الله بالهدى
ألست لهذا الكون فاتح رتقه
ألست الذى أسرى الإله بذاته
وخصصه رب الأنام برؤية
وكنت نبئًا قبل خلقه آدم
وجلبت أحلاك الظلام بصارم

تريد بنصب الماكين لها الجرا
إليك ومن ناواك تكسبه كسرا
وقد كسرت أشياع دير اليهودى كسرا
لبابك واستكفى بهمتك الإصر
دعوك ولب صوتهم واحبهم جبرا
ترد على الأعقاب من سامها ذعرا
وتكسبها من بعد نجسهم طهرا
وتملؤها دينًا كما ملئت كفرًا
ولا نصر إلا من علاك لهم يدرا
ولا يخش من يلثم بساحته ضرا
وترفع عن جيرانها الضيم والذعرا
ومنك استمد الكل أوصافها الغرا
هفا ولك الجاه الذى قد سما خطرا
فعم الورى بالأمن واليمن والبشرا
وخاتمته والموله المدد الغمرا
إلى حضرة ما نال عبد لها نشرا
وقرب وفضل لا يطاق له حصرا
ووصلته للعفو إذ خشى الوزرا
من الحق هام الشرك من عزه الصغرا

وفى الحشر أنت المستغاث بجاهه
تقول إذا عز الشفيح أنا لها
وجد بالرضا والعطف والفتح والهدى
لعبد إلى الرحمن صح إضافة
وأصلح به أمر الرعية واكفه
وسن له أمنا ويمنا ونعمة
وحط بعلاك سرب أمتك التى
وصن حربه واحفظ علاه وآله
عليك صلاة الله ثم سلامه
ولو تتبعنا ما لهذا الوزير وغيره من الأماديع فى جانب المترجم لجاء ذلك فى
دواوين .

وفاته : توفى قدس الله روحه يوم الاثنين تاسع عشرى محرم فاتح عام ستة
وسبعين ومائتين وألف ، ودفن بعد العشاء من يومه بضريح جده الأكبر أبى النصر
إسماعيل ، وكان الذى تولى الصلاة عليه قاضى البلد العلامة أبو عيسى المهدي ابن
سودة مار الترجمة ، رحم الله الجميع بمه .

ومن خطه فى كناشته : خرج المولى عبد الرحمن لزموور فى رمضان عام
٧٥ ، ثم رجع شوال عامه ، وبه مرض فتوفى وصليت عليه رحمه الله .

وقال أيضا : استفتانى المنصور بالله وهو ببلاد أزموور نازل عليهم فى ٢٦
رمضان عام ١٢٧٥ بواسطة وزيره عن أمر صلاتهم العيد هنالك ، فأجبتة بما حاصله
أن الذى لسند واللخمى وعليه ذهب ابن شاس وابن الحاجب والمازرى ، وصححه

فى الشامل؁ واعتمده الأمير؁ هو أنهم يصلون جماعة. وذهب عياض وابن عرفة متعقبا على من تقدم بأن الأصح صلاتهم إياها أفذاذا؁ والقولان معا فى المدونة؁ ولا خطبة لها حتى على القول الأول على الأرجح؁ هذه زبدة ما فى الزرقانى ومحشيه والخطاب والأمير هـ من خطه.

ومن الغد ببيع لنجله خليفته أبى عبد الله سيدى محمد حسبما قرأته بخط المولى العباس نجل المتوفى وصنو المبايع.

وقد رثاه غير واحد من أدباء الوقت وعلمائه منهم أبو عبد الله أكنسوس ومطلع مرثيته:

هذى الحياة شبيهة الأحلام ما الناس إن حققت غير نيام
حسب الفتى إن كان يعقل أن يرى منه لآدم رؤية استعلام
فيرى بداية كل حى تنتهى أبدا وإن طال المدى لتمام
٤١٣ - عبد الرحمن الكاوانى - بفتح الكاف مشبعة ثم واو مشبعة كذلك
بعدها نون مكسورة مشبعة أيضا.

حاله: إمام فى أصول الدين والفقه؁ فرض حيسوبى؁ حسن المشاركة؁ متضلع مطلع؁ نقاد فهامة؁ اتخذ مكناسة دار استيطان؁ وأكب على نشر العلم وبثه فى صدور رجالها؁ درس الرسالة؁ وفرائض التلقين علما وعملا؁ والمدونة؁ وابن الجلاب تدريس تحقيق وإتقان.

قال تلميذه ابن غازى: قدم علينا لمكناسة فأوطنها؁ ودرس فيها؁ وقرأت عليه الرسالة قراءة تحقيق وتدقيق؁ وقرأت عليه ختمتين فى فرائض التلقين تفقها وعملا وبعض الألفية؁ وسمعت عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب؁

٤٩٣ من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١/١٩٨؁ نيل الابتهاج ١/٢٨٠.

وكان إماما فى أصول الدين ، فتح بصائرنا فيها ، وفى أصول الفقه قال : وحدثنى عن أبى يعقوب الأغصاوى أحد شيوخه ، أنه لازم خزانة سبته ثمانية أعوام^(١) :

مشيخته : أخذ عن السيتانى ، والعكرمى ، أخذ عنه الأصلين ، وأدرك من شيوخ فاس الحاج أبى يعقوب الأغصاوى ، وأبا حفص الرجراجى المتوفى سادس قعدة سنة عشر وثمانمائة ، وأبا وكيل المتوفى بمجاعة سنة ست عشرة وثمانمائة بفاس ، سمع عليه بمدرسة الصهرىج من فاس الألفية ينقل عليها كلام الماردى ويباحثه ، وأبا زيد المكودى المتوفى فى حادى عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة ، وأبا مهدي عيسى بن علال المصمودى المتوفى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ودفن خارج باب عيسى أحد أبواب عاصمتنا المكناسية ، ورمز لوفاته صاحب الإعلام بوفيات الأعلام بلفظ صرخ من قوله :

إن أبى زيد الكوانى صرخا إذ مات صاح فى حدود (صرخا)

٤١٤ - عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم القرمونى القيسى .

حاله : فقيه صالح زاهد عاقل ، دين موقت ، مقرئ عارف بالقراءات السبع ، مدرس نفاع ، متواضع كامل فاضل جليل ، رئيس خير ، من بيت خير وعلم وتصوف .

قال تلميذه ابن غازى : جالسته كثيرا واستفدت منه وحضرته فى الرسالة . قال : وحدثنى - يعنى شيخه المترجم أنه ارتحل من مدينة فاس إلى مكناسة الزيتون للفقيهين الصالحين أبى محمد عبد الله بن حمد ، وأبى عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح ، وأقام معهما بمكناسة تسعة أعوام يتعبد معهما ومن ثم عرفه والدى رحمه

(١) نيل الابتهاج ١ / ٢٨٠ .

٤١٤ - من مصادر ترجمته : موسوعة أعلام المغرب ٢ / ٧٦٩ .

الله تعالى، وكانت بينهما صداقة، وكان يكرمنى لأجل ذلك شكرا لله تعالى له، وكان متوليا خطة التوقيت بالمدرسة العنانية من طالعة فاس.

مشيخته: أخذ عن أبى حفص الرجراجى، وشيخ الجماعة أبى مهدى عيسى ابن علال، وأبى القاسم التازغدرى، وأبى مهدى عيسى المغراوى، والأستاذ المعمر، وعنه أخذ القراءات السبع، وأبى محمد عبد الله بن حمد وأبى عبد الله ابن محمد بن الفتوح.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى وجماعة.

ولادته: قال الإمام ابن غازى ولد عام واحد من القرن التاسع فيما ذكر عنه ولده.

وفاته: توفى عام أربعة وستين وثمانمائة، وروضته بدرب السلوى من الحومة المنسوبة للمترجم المعروفة بزقاق القرمونى، وبذا تعلم ما فى قول من قال من الأعلام: إن مدفنه بفاس من التسامح، رحم الله الجميع، وفسح له فى عدنه.

٤١٥ - عبد الرحمن بن الشيخ الولى أبى السرور عياد بن يعقوب.

دفين الربوة فوق القنطرة المعروفة بالمهدومة الكائنة بين فاس ومكناسة الزيتون، وهو ابن سلامة بن خشان الصنهاجى ثم الفرغى الدكالى، المعروف بالمجذوب دفين مكناسة.

حاله: كان جامعا بين الجذب والسلوك، سمح الأخلاق، كريم الشمائل كثير الإيثار والبذل فى حالتي الشدة والرخاء، حتى إنه ربما لقيه المحتاج فلا يجد ما يواسيه به فيقسم كسائه الذى عليه نصفين ويعطيه النصف، وربما تزوج امرأة فقيرة غير مرموقة ولا منظور إليها، لا يحمله على التزوج بها غير كفالتها وضمها إلى عياله لشدة الوقت، فإذا أعقب العسر اليسر طلقها.

٤١٥ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٢ / ٩٢٠.

وبالجملة فهو شيخ إمام، عارف كامل، شأنه القيام على الوظائف الدينية والرسوم الشرعية وتأدية الحقوق وعدم الإخلال بشيء منها، لا فى جانب الحق ولا فى جانب الحقيقة، وكان له زوجات وأولاد وزاوية يطعم فيها الطعام للواردين عليها من الغرباء وأبناء السبيل وغيرهم، تقام فيها الصلوات الخمس، مواظب عليها وربما باشر الأذان بنفسه إن لم يحضر من يؤذن، وإذا اجتمع أصحابه للذكر على عادة الفقراء ذكروا جلوسا، فإذا انزعج أحدهم وقام أو رقص أسكتهم، وفرق ذلك الجمع.

نشأ بتيط ساحل بلدة آزمور، وهى كانت مأوى سلفه، ثم رحل والده إلى نواحي مكناسة الزيتون، ونزل بموضع يقال له إِرْجَان بكسر الهمزة وضم الراء وتشديد القاف المعقودة.

مشيخته: أخذ عن شيوخ لا يحصون كثرة، منهم أبو الحسن على الصنهاجى المدعو الدوار المتوفى فى ثانى جمادى الثانية سنة سبع بتقديم السين وأربعين وتسعمائة. قال فى ابتهاج القلوب: والأقرب الذى يصح أنه توفى فى أول سنة إحدى وأربعين أو فى تمام السنة التى قلبها، وسيدى عمر الخطاب هو الذى تولى تربيته وترقيته وتدليته فى المقامات.

الآخذون عنه: منهم أبو المحاسن يوسف الفاسى، والمعمر أبو الحسن على القنطرى الأندلسى القصرى، وأبو زيد عبد الرحمن المدعو رحو الجبلى من شرفاء العلم، وأبو على النيار الأندلسى، وأبو الجمال الطليقى يعرف بصكوك، وأبو سالم النيار، وأبو سرحان المعروف بالدراوى وخلق.

ولادته: ولد فى رمضان سنة تسع وتسعمائة بتقديم المثناة فيهما بالمحل المعروف الآن بتيط من ساحل بلدة آزمور.

وفاته: توفى بوطنه مرشاقة من بلاد الهبط ليلة الجمعة، ووافق ليلة عيد الأضحى، وحملت جنازته بإذنه على فرسه الذى كان يركبه، ودفن خارج باب عيسى، وذلك يوم الأحد الثانى عشر من ذى الحجة عام ستة وسبعين وتسعمائة بتقديم السين فيهما، وقد صار ضريحه اليوم داخل حرم المشهد الإسماعيلى كما تقدم، والذى بنى قبته هو وارث سره أبو المحاسن سيدى يوسف الفاسى بعد أن كان لم يحضر موته، وإنما لحق حاملى جنازته أثناء الطريق، وسار معهم حتى وقف على دفنه بمجمله، وشرع فى بنائها عليه إثر الفراغ من دفنه ثم فى عام خمس وخمسين وألف أضيف لضريحه المسجد الذى كان حذاءه، وهو التريعة التى صارت مقبرة الكائنة عن يمين الداخل للضريح المذكور، وتوجد صفة أسفل من ضريحه وقبل الوصول إليه يقال: إنها مدفن فرسه الحامل لجنازته كما تقدم ذلك فى الكلام على الضريح الإسماعيلى.

٤١٦ - عبد الرحمن بن أحمد الوقاد المكناسى الدار، المعافى النجار.

حسبما قال فى إمضائه بعض فتاويه.

حاله: من صدور أعلام زمانه الممتازين بالتحقيق والإتقان، كان بقيد الحياة سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وهو من جملة الأعلام الذين حوت نصيحة المغترين فتاويهم بجواز استعمار المنون عليهم بالإسلام من أهل الذمة بقيصرية فاس، والتنديد على المخالف فى ذلك، ودحض حجته بالبراهين السمعية والأدلة القطعية، وقول المترجم فى إمضائه المعافى، هو - بفتح الميم وتخفيف العين المهملة وكسر الفاء - نسبة إلى معافر بن يعفور، أى حى باليمن، الإشيللى بكسر الهمزة وسكون الشين نسبة إلى إشيلية المدينة العظيمة الشهيرة بجزيرة الأندلس.

٤١٧ - عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن عبد الله أعراب - بهمزة

مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم عين مهملة ساكنة فموحدة.

حاله: ذو سمت حسن، وصلاح وورع، بارع فى النحو، مشتهر به أخذه عن مشايخه، أصله من مكناسة الزيتون.

مشيخته: أخذ عن شيخ الإقراء والنحو أبى عبد الله محمد بن أحمد بن مجبر المسارى المولود سنة ثمان وتسعين بتقديم المثناة فوق وثمانمائة المتوفى فى المحرم سنة خمس وثمانين وتسعمائة، وأبى العباس أحمد المنجور كما بفهرسة أبى زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى فى سنده فى النحو وعن غيرهما.

الآخذون عنه: منهم أبو الحسن على بن الزبير السجلماسى.

ولادته: ولد عام اثنين وستين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ثلاث وألف، ودفن خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون، رحمه الله ورضى عنه، ترجمه صاحب المطمح وغيره.

٤١٨ - عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن عزون - بالنون -

المكناسى، أورده صاحب الإعلام.

حاله: فقيه علامة مشارك، هين لين، لزم داره آخر عمره على حالة مرضية وكرم نفس ودين قويم ونهج مستقيم إلى أن لى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن أبى محمد عبد القادر الفاسى، وكان له كأخيه استفاد منه كثيرا.

وفاته: توفى يوم الاثنين حادى عشر محرم سنة خمسين وسبعين وألف.

٤١٧ - من مصادر ترجمته: نشر المثنائى فى موسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٠٧٥.

٤١٩ - عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد
الإدريسي المكناسي الحسني.

نزىل مكة شهر بالمحجوب .

حاله : ولى صالح له الكشف الصريح ، شفيق على عباد الله ، كان تأتية
أحوال وواردات أذعن له أهل البصائر ، وحج سنة ثلاث وأربعين وألف ، وجاور
بمكة ، ثم رحل إلى اليمن ، ثم رجع إلى مكة واستوطنها ، وصار مرجعا لأهلها ،
والواردين عليها ، وكان فى الكرم غاية لا تدرك ، وكان يعمل الولايم العظيمة
للخاص والعام ، وكانت الهدايا تأتية من المغرب والهند والشام ومصر ويصرفها
للفقراء ، وكان مقبول الكلمة عند جميع الناس ، وكان فى ابتداء أمره رحل من
المغرب فدخل مصر والشام وبلاد الروم ولقى السلطان مراد ، ووقع له كرامات
خارقة ، ودخل الإسكندرية ، ثم ركب البحر ، ودخل القسطنطينية ، فانتشر له بها
صيت ، وخضعت له رقاب الأمراء ، ثم رجع إلى مكة فاستوطنها عام خمسين
وألف ، فطار صيته ، وأقبل الناس على زيارته ، وألحقه الأمراء بالهدايا ، وحصلت
له بمكة وجاهة عظيمة ، ومع ذلك لا يتمسك من الدنيا بشيء ، وما اقتنى ملبوسا
ولا مر كوبا ولا تزوج ولا تسرى ، وله خدمة من الرقيق .

وكرر الازدحام عليه فصار لا يشهد ولا جمعة ، واغتفر ذلك له من له خبرة
بطريق القوم ، وأقاموا له أعذاراً شرعية .

وقد غلبت عليه الشفقة على عباد لله فى كثرة شفاعاته المقبولة عند الأمراء ،
وكان له فى كل يوم مصروف نحو مائة قرش فى أهل مكة فمنهم ذو الدرهمين
إلى العشرة إلى العشرين إلى أكثر ، سوى ما يكون للغرباء .

٤١٩ - من مصادر ترجمته : خلاصة الأثر ٣٤٦/٢ .

وصار أكثر المنتسبين بمكة عيالا عليه، وربما يقل ما بيده فيستدين، وربما بلغ الدين الذى عليه إلى خمسين ألفا وإلى مائة ألف، فيؤدى الله ذلك عنه.

وأخبر بعض ثقات أصحابه أنه عدله مرة فى كثرة ما عليه من الدين، فقال له: إن الله وعدنى أن لا أموت حتى لا يبقى على درهم واحد.

ولما علم أبناء الدنيا ذلك من حاله صاروا يبيعون عليه ما يساوى المائة بأضعافها فيريحون عليه وهو لا يبالي، وكان لا يلبس إلا ثوبا واحدا صيفا وشتاء، وقلنسوة على رأسه، ويلبس سراويل، وكان يحث من يجتمع به على ملازمة ما يناسبه من صنوف الخير من تلاوة قرآن وصلاة على النبي ﷺ وكثرة استغفار وأوراد حسان، ويحض من رأى فيه علامة خير على اعتقاد الصوفية المحققين وتصديق كلامهم وعلومهم وأحوالهم.

مشيخته: لقي بفاس سيدى يدير، وسيدى موسى دفين حومة جرنيز، وأخذ بالقصر عن سيدى محمد القجيري، وأخبر أنه أخذ بمكة عن سيدى على الغمارى، عن عبد الرحمن الفيلالى، وعن أبى عبد الله محمد الكومى بالمغرب، وكلاهما عن أبى العباس أحمد الفيلالى، وعن السيد الغازى، وأخذ أيضا عن أبى العباس أفندى باصطنبول، وعن الصفى القشاشى وعن خلق.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو سالم العياشى، وترجمه فى رحلته، والشيخ الكامل الفاضل مصطفى بن فتح الله، وأبو العباس أحمد النخلى، والشيخ عبد الله البصرى، فمما أخذ عنه الأخير: دلائل الخيرات، قال الشيخ الكوهن فى فهرسته: وهو يرويه عن والده عن جده السيد عبد الرحمن بن أحمد عن مؤلفه وغير هؤلاء.

ولادته: قال المحبى فى خلاصته: ولد بمكناسة الزيتون من أرض المغرب

الأقصى فى سنة ثلاث وعشرين وألف . وقال العياشى : نشأ بمكناسة ، وأصلهم من تامسنا وطن زناتة ، ولذلك كان يعرف كأسلافه بالزناتى .

وفاته : توفى يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة سنة خمس وثمانين وألف ، ودفن بزاوية الشيخ سالم شيخان اشتراها من أولاده ، وأوصى أن يدفن بها رحمه الله تعالى . ترجمه أبو سالم فى رحلته وبالف فى الثناء عليه ، والمحبى فى خلاصته .

٤٢٠ - عبد الرحمن بن الحسن اليازغى .

الملقب الشبر ، دفين حومة جناح الأمان قرب زاوية مولاي التهامى الوزانى من الحضرة المكناسية .

حاله : ولى صالح كبير دال على الله ، مستغرق فى محبة آل بيت رسول الله ، بذل نفسه وماله فيما يرضيهم ، تقى نقى ، من أصحاب سيدى محمد ابن مولانا عبد الله الشريف البركة الشهير ، كان فى ابتداء أمره كاتب القائد على بن يش الزمورى يشهد عنده على دفع أعشار القبائل بمكناسة بباب هرى سيدنا الجد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل ، ولم يزل على ذلك إلى أن لقي الشريف أبا عبد الله محمد بن الإمام مولاي عبد الله الشريف دفين وزان فى حكاية طويلة شرحها صاحب الأزهار الندية ، تركتها اختصاراً ، فعند ذلك ترك الخدمة مع القائد المذكور وأقبل على الله واشتغل بما يقربه إليه زلفى .

ثم قدمه الشريف أبو عبد الله المذكور على أصحابه بمكناسة الزيتون ، فأظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات ، واشتهر ذكره وعظم صيته ، وألقى الله محبته فى قلوب خلقه ، فصارت تفد إليه الوفود من كل ناحية وصب وتهاديه الولاة ، ثم أنشأ زاوية لاجتماع أصحابه والوافدين عليه على ذكر الله فى كل بكرة

وعشى، وصارت زاويته كعبة للوفود ومرتعا للواردين، تفاض عليهم فيها الموائد والفوائد، وكان له اعتناء زائد بالضيف وموالاة الغريب ومواساته وبالأخص آل البيت النبوى الطاهر، حتى وشى به بعض الحسدة الأغمار للسلطان مولانا إسماعيل وأمر بإحضاره لديه فلما مثل بين يديه استفسره عن مراده فقال له: إن مالى ورقبتى لأهل البيت، وإنما يدى فى ذلك يد نيابة عنهم ومحبة آل البيت وإكرامهم واجب عليك وعلى، فقال له السلطان: إلى من تنتسب فى الطريق؟ فقال: لأهل وزان، فخلى سبيله وأقره على فعله الصالح.

ثم إن مولانا عبد الله نجل السلطان أصابه رمد فخافت أمه أن يطول به ذلك، فأرسلت للمترجم طالبة صالح دعائه وابتهاله إلى الله فى أن يشافى ولدها المذكور عاجلا، فقال المترجم لأصحابه هذا الرجل شفاه الله، وأنا أدخل قبرى فعوفى المرمود من حينه ومرض المترجم إثر ذلك.

ثم قدم مكناسة مولاي الطيب الشريف اليملاحي نزيل وزان وقال لأصحابه جئت لأحضر جنازة هذا الرجل وأمنعكم من دفنه بداخل الزاوية لئلا ينبش قبره بها ويخرج منها، فتوفى المترجم من غده ودفن بدار جوار زاويته، وبنيت عليه روضة.

ثم إن مولاي على بن السلطان مولاي إسماعيل لما جلس على منصة الملك أمر بإخراجه من قبره وهو روضته محتجا بأن الدفن بين دور السكنى والبناء على القبور بدعة، ولما أخرج من قبره وجد على الحالة التى دفن عليها، لم يقع به أدنى تغيير، ثم لما رجع الأمر لمولاي عبد الله أمر برد المترجم لقبره الأول والبناء عليه قائلا: إن عمل الناس شرقا وغربا صار على اتخاذ المقابر بين دور السكنى، والبناء على الصلحاء من أهل الفضل والدين، وسرد لهم قول الحاكم فى المستدرک، فحفروا عليه وأخرجوه من ضريحه الثانى، فوجد كيوم مات لم يتسنه، ورد لقبره الأول رحمه الله.

وقد تعرض لذكر المترجم فى تحفة الإخوان، ولم يوفه حقه، غاية ما قال:
الولى الصالح عريف إخواننا الفقراء وكبيرهم من قبل ساداتنا أهل وزان، وهو
سيدى عبد الرحمن بن الحسن هـ.

وقال فى حقه أبو عبد الله محمد بن الطيب العلمنى فى أنيسه المطرب،
فيمن لقيه من أدباء المغرب، عند تعرضه لوفاة شيخه أبى عبد الله محمد بن عبد
الله بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن عمر بن أحمد بن
عبد الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبى بكر بن على بن حرمة بن عيسى
ابن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن مولانا عبد الله
الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ما
نص الغرض منه، فاتفق أن لقينى هنالك يعنى فى جنازة الشيخ المذكور تلميذه
التقى الأشهر، النقى الأطهر، أبو زيد عبد الرحمن بن الحسن اليازغى المعروف
بالشبر رعاه الله، فأقسم على أن أنشده قصيدة على ذلك الصريح، وأملاً الأسماع
باللفظ الفصيح، والرثاء الصريح، فلم يسعنى إلا الطاعة، فأنشدت فى تلك
الساعة:

غاب حبى ولاشتياقى ابتداء	فأنا اليوم ما لحرقى انقضاء
ولدمعى على الخدود انهمار	ولقلبى على الجمار اصطلاء

هـ الغرض وعلى خشب دربوز ضريح المترجم مكتوب ما نصه:

هذا ضريح رضا جلت مفاخره	قد عمت الصحب وانهلث ذخائره
فاضت زواجر سر الله كامنة	منه فمن ذا الذى ترى يفاخره
أنواره مشرقا من بشاشته	وكفه الوكف لا غيث يناظره
قد نال من آل خير الرسل مرتبة	علياء ما مشترى فيها يسايره
ناده يا عابد الرحمن زائر	تلقاك عزما بما تهوى بشائره

ابن الرضا الحسن الشير الذى كومت أخلافه وازدهت طيبا عناصره
تحية الملك المولى ورحمته ما سح غيث وما نارت زواهره
مشيخته: منهم أبو عبد الله الشريف الوزانى المشار له، ومولاي الطيب بن
محمد الشريف الوزانى وغيرهما.

وفاته: توفى عام خمسين ومائة وألف حسبما بالأزهار الندية لأبى عبد الله
محمد بن الطيب القادرى.

٤٢١ - عبد الرحمن كدران.

أحد كتاب دولة سيدى محمد بن عبد الله.

ذكره الزيانى فى خاتمة البستان من جملة الكتاب أهل الطبقة الرابعة.

٤٢٢ - عبد الرحمن بن النقيب الأشهر سيدى عبد القادر بن عبد الله الشريف الإدريسي الشبهي.

حاله: فقيه علامة نسابة لسن، رد على صاحب الدر السنى، وصاحب درة
التيجان فى مسائل وشنع عليهما، وله فى ذلك أرجوزة، وقد رد عليه فى ذلك
الحافظ الدراكة أبو عبد الله محمد بن الطيب القادرى فى أرجوزة سماها الصوارم
الفتكية مشتملة على ستمائة بيت وثلاثة وستين بيتا ذكره الشيخ الطالب ابن الحاج
فى الإشراف وغيره.

٤٢٣ - عبد الرحمن بن محمد الفاسى لقبا، المكناسى داراً ومنشأ وقراراً، الشاوى أصلاً المعزاوى.

من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون.

٤٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٣٨٨.

حاله: فقيه صالح ناسك، خير دين فاضل، زكى نزيه، أريحي ماجد، له يد طولى فى التوقيت والتعديل وما يتبع ذلك، أسندت إليه رياسة التوقيت فى العصر الإسماعيلى بالمسجد الأعظم، ورشح لذلك دون غيره حتى صار يدعى مزوار المؤذنين، وقفت على ظهير سيدنا الجد مولانا إسماعيل بترشيحه لما ذكر نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عن الأمر العلى الإمامى المؤيد المنصور الإسماعيلى أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العلمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف أيد الله تعالى أمره، وأعز بحوله وطوله نصره؛ وأطلع فى سماء المعالى شمس المنيرة وبدره، آمين. يستقر هذا الظهير الكريم، والخطاب الجسيم، والأمر المحتم الصميم، بيد حامله الرجل الصالح، الناسك المرباط الخير الدين الساعى للناس فى المصالح، أبى زيد السيد عبد الرحمن ابن السيد محمد الفاسى لقبا المكناسى دارا ومنشأ وقرارا، الشاوى أصلا المعزوى من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون، الموقت مزوار المؤذنين بالجامع الأعظم الكبير من حضرتنا العلية بالله مكناسة الزيتون حاطها الله تعالى، وجعلها محفوظة ملحوظة مقصودة، وبعين الله التى لا تنام منظورة مرصودة، آمين؛ يا رب العالمين.

يتعرف من يقف عليه أننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرننا الشريفة، الطاهرة المنيفة، وأقرنناه على وظيفه الشريف، الغنى بشهرته عن التعريف، وبسطنا يده على أمور وظيفه وتكليفه الدينى على عادة الموقتين والمزاوير قبله، ليجتهد فى شئونه غاية الاجتهاد مستغرقا فى العبادة والطاعة نهاره وليله، جاريا فى ذلك على قانون النقباء والمزاوير السالفين؛ فى رعى الأوقات وإقام عمد الدين ونعهد له

ونطلب أن لا يخلى أوقاته من الدعاء الصالح لنا ولذريتنا بالخير والسداد والتوفيق،
والهداية إلى سواء الطريق.

وبسبب قيامه بهذا الوظيف الكريم، والمنصب العظيم، وملازمته موضعه
المجبل الجسيم، ومنصبه من المسجد العظيم، وما علم من صلاحه ودينه وأمانته
وخيره وثقته أسبلنا عليه وعلى أولاده أردية التوقير والاحترام، وحملناه على كاهل
المبرة والإكرام، وحاشيناه عما يتطرق للغير من سائر العوام، فلا سبيل لمن يصل
جنابه بوظيف، أو مغرم أو تكليف، قوى أو ضعيف، رعى لوجه الله تعالى الذى
ألهمه رشده للقيام بالوظيف المذكور، فهو موقر محترم على مر الليالى والدهور،
ومن قرب جانبه بسوء أو مكروه لا يلومن إلا نفسه، ولا يضرن إلا رأسه.

ونعهد إلى خدامنا وجميع ولاتنا المتصرفين فى هذه الحضرة العلية بالله عن
أمرنا، أن يوقروا هذا الرجل المبارك فى نفسه وأولاده، بحيث لا يناله ولا يعمه
شئ مما عسى أن يعم أو ينال أهل بلاده، وأن يعملوا بمقتضاه، ولا يتعدوا ما أبرمه
الأمر الشريف وأمضاه، والسلام فى الثالث عشر من ذى الحجة الحرام عام ثلاثة
وعشرين ومائة وألف هـ).

فالناظر بعين العبرة والادكار، المولع فكره بحل عويصات الأسرار، يلوح له
بدلالة ألفاظه العذبة، ومعانيه التى يقال لكل يتيمة منها نخبة، أن لهذا الإمام
الهمام، الغاية القصوى فى شئون الدين وكمال المراعاة والذمام، وأن بصيرته
النافذة النظر، فى توجهها لحياطة المبتدأ والخبر، وأن كل من له أدنى انتساب
لحرمة، قد أقامه تحت ظله ومنعته، وأنزله من مكانة الأمن والاحترام، بكهف لا
يطرق إذ يرام؛ فهكذا هكذا تعرف الهمم والعزائم، والذهن السقيم من فكر اليقين
الحازم، لا غرو أن الاهتبال بالمعابد ومن ألزم نفسه احترامها، صيرته العليا أمامها

وإمامها، فلذلك كانت ألويته للنصر لازمة، ولمعاندها أبداً عهدة جازمة، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

فانظر لتعلية احترام المترجم وخاصته وحواشيه، وملاحظته بمقابلة الكرامة مع ذويه، هل كان لغير مثابرتة على حفظ وقوت الصلاة، واعتبارها بذا في سره ونجواه، لا رغبة في عمل آخر من المصالح العامة، أو الشئون التي هي في فكر الملك هامة، أدام الله عهد ضريحه منه في اعتزاز، ما تعاقب على الجمل الإطناب والإيجاز.

٤٢٤- عبد الرحمن بن أحمد دادى الزرهونى.

حاله: شيخ عالم قدوة إمام، كثير الحفظ، متقن متفنن نقاد، ذكره في عناية أولى المجد.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى وغيره من الأعلام.

٤٢٥- عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى.

حاله: فقيه مدرس نزيه، علامة مشارك، ماهر معدل، موقت حيسوبى، نحوى منطقى، بيانى أصولى، إمام فى كل فن بحر زخار، لا يجارى ولا يبارى. مشيخته: أخذ عن علماء بلده مكناسة الزيتون، ارتحل لفاس، وأخذ عن مهرة جلة شيوخه كالفقيه ابن عبد الرحمن الحجرتى ومن فى طبقته.

الأخذون عنه: أخذ عنه السيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد محمد بن سميه فرموج، والسيد الطاهر الرغاي، والسيد محمد بن يشو، والسيد محمد بن عبو، والسيد الجيلالى الرحالى وغيرهم، وزاد الأربعة الآخرون عن قبلهم فى الأخذ عنه علمى التوقيت والتعديل.

وفاته: توفي أواخر ربيع النبوى عام ١٢٦٨ ثمانية وستين ومائتين وألف.

٤٢٦- عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن إسماعيل الأكبر.

جد العائلة العلوية المالكة صانها الله.

حاله: بقية السلف هديا وصلاحا وسمتا، أبيض مشرب طويل القامة، حسن الخلق والحق والمعاشرة، لا يمد عينيه لزخرف الدنيا وزينتها، راض بالقليل مقبل على شأنه، صلب فى دينه، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ورده تلاوة القرآن والتهجد بالأسحار، فقيه نزيه عدل، مبرز ذو حزم وعزم وجد واجتهاد وهيبة ووقار وتواضع، يياشر قضاء ضرورياته بنفسه، ويسعى فى قضاء حوائج الخلق لدى ذوى الجاه والوجاهة، محبوب عند الخاصة والعامة، قضى نفيس أنفاسه فى تأديب الصبيان وتعليمهم القرآن العظيم وحسن التلاوة ومبادئ علوم الدين، وتخرج عليه عدد عديد من حملة القرآن ومجوديه من بنى عمه الشرفاء وغيرهم، حتى كان لا يعرف إلا بالفقيه الكبير.

صاهره السلطان المولى عبد الرحمن بكرمته المصونة السيدة فخيثة شقيقة المولى العباس بن عبد الرحمن آتى الترجمة، وكان يجله ويجله، وكان الإمام الراتب بضريح جده المولى إسماعيل، وولاه السلطان سيدى محمد النقابة بعد وفاة صنوه أبى العباس أحمد بن زيدان، فحمدت سيرته فيها.

ونص ظهير الولاية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنتته، قدمنا ابن عمنا الأرضى مولاى عبد الرحمن بن على بن زيدان على أبناء عمنا الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون، وجعلناه نقيبا عليهم، وأسندنا له النظر فى أمرهم، وفوضنا له فى تنبيههم وإرشادهم إلى أحسن الأحوال. وكفهم عن قبيح الأفعال. تقديمًا تامًا. وإسنادًا عامًا.

فعليه بتقوى الله العظيم فيما أُسند إليه، ورعاية ما قدم عليه، وأن يجرى أموره معهم على أحسن المسالك وأرضاها ويقوم أحسن قيام بهذا الوظيف، ويعتني فيه بجانب المشروف والشريف، والقوى والضعيف، فالله يتولى توفيقه وهدايته لما فيه رضاه، والسلام في ثالث ذى القعدة الحرام عام ١٢٨٨هـ.

ولما بلغه ظهير الولاية كتب لحاجب السلطان وهو يومئذ موسى بن أحمد لينوب عنه في إبلاغ السلطان قبوله الخطة وامتنانه من صنيعه ونص الكتاب من خطه بلفظه:

«محبنا الفقيه العارف بربه، الناصح الأمين للحضرة العالية به، السيد موسى ابن المرحوم السيد أحمد، زادك الله من الفضل الجزيل وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير أساس الشرف الباذخ وينبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، مولانا، ونعمة الله التي أولانا، لا زالت أعلامه منصورة. وأيامه على الأمن والأمان والعز مقصورة، هذا وقد وافانا ظهير مولانا الشريف، مختوما باسمه العفيف، بالتقديم على أبناء عمه الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون على يد الخديم الأرضى الباشا القائد محمد بن أحمد وفوض لنا مولانا أعزه الله في تنبيههم وإرشادهم إلى أحسن الأحوال، وكفهم عن قبيح الأفعال، ودعا لنا في ذلك أطال الله بقاءه، بالهداية والتوفيق لما فيه رضاه، فقبلنا وقبلنا، وعلى سواد العين أوضعنا، وتبركنا بارك الله في عمره وقواه، وبلغه من خير الدارين أمنيته ومتعنا بحياته ورضاه؛ آمين وبالفضل منك النيابة بالسمع والطاعة كما يليق بقدر مقامه الشريف جعلنا الله وإياك من المتحابين فيه والمحبوبين لديه بمنه آمين، والسلام في ٧ قعدة الحرام عام ١٢٨٨هـ.

عبد الرحمن بن علي بن زيدان لطف الله به».

ولما تولى السلطان المولى الحسن بن محمد أقره على ولايته بظهير شريف
نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الحسنى الكبير:

«جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لماسكه ابن عمنا الشريف
الأجل الأرضى مولاي عبد الرحمن بن على بن زيدان على ما بيده من ظهير
مولانا الوالد طيب الله ثراه، وأكرم فى الفردوس مستقره ومثواه، بتقديمه نقيبا
على أبناء عمنا الشرفاء العلويين بمكناسة الزيتون وفرهم الله وأسندنا له النظر فى
أمورهم وفوضنا له فى تنبيههم وإرشادهم ودلالتهم إلى سواء الطريق، وكفهم عما
لا يجمل بنسبتهم الطاهرة مما لا يليق فعليه بتقوى الله العظيم فيما أسند إليه،
ورعاية ما قدم عليه، وأن يجرى أموره معهم على أحسن المسالك وأرضاهما، وأقوم
الطرق وأهداهما، ويقوم أحسن قيام بهذا الوظيف، ويعتنى فيه بجانب المشروف
والشريف، والقوى والضعيف، والله يتولى هداه، ويوفقنا وإياه لما فيه رضاه،
والسلام صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله فى ٢٤ صفر الخير عام ١٢٩١».

وبنفس التاريخ أصدر له ظهيرا آخر فى الاستمرار على ما كان عليه العمل
من إسقاط كل من تزوج من الأشراف العلويين بغير بنات عمه العلويات من زمام
الأشراف، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الحسنى الصغير:

«ابن عمنا الشريف الأرضى، النقيب مولاي عبد الرحمن بن على بن
زيدان، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فما كان كتب به مولانا المقدس بالله لأخيك النقيب مولاي أحمد
رحمه الله من أن الشرفاء يتركون بنات عمهم ويتزوجون بالعاميات، وأمره أن كل
من تزوج منهم بعامية فليسقطه من زمام الشرفاء، نأمرك أيضا بمثله واقراً عليهم
كتابنا هذا ليكونوا من أمره على بصيرة والسلام فى ٢٤ صفر الخير عام ١٢٩١»
وبعده بخط بعض القضاة: استقل.

وفى هذا الظهير الإشعار بعلّة المنع من التزوج بالعاميات، وأنها هى بقاء الشريقات بدون تزوج، وفى ذلك من الضرر ما لا يجهله مميّز لرغبة العوام ولو كانوا أكفأ عن التزوج بالشريقات لإملاقهن، أما رغبة الشرفاء فى التزوج بغير بنات عمهم فلأجل ثراء العوام غالباً، ولم يتزوج قط شريف بعامية لغير العلة المذكورة، ومما يؤيد العلة المشار لها عدم إقبال العوام على التزوج بالشريقات بعد ما رفع الحجز الذى قرره الظهير، وقد تقدم لنا الكلام فى هذا الموضوع والاحتجاج له من كلام الفقهاء فى ترجمة السلطان المولى الرشيد.

ونص ظهير حسنى آخر للجد المترجم فيما يرجع لأمر النقابة بعد الحملّة والصلاة والطابع:

«ابن عمنا الشريف النقيب مولاي عبد الرحمن بن على بن زيدان وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد ورد على حضرتنا العالية بالله حامله الشريف مولاي الزين بن الصديق العلوى مشتكياً بحسب النيابة عن زوجه لال هنية بنت مولاي حسن وأيتامها من زوجها قبله، كان مولاي الطاهر بن أحمد ترك دويرة فى حمام الجديد فتزوج أخوه مولاي الفاطمى بعده بزوجه المذكورة، وتعدى على الدويرة ففوتها بالبيع لمولاي عب المسجون، وقبض ثمنها ثم طلقها، ولما تزوجت بالشاكى تكلم على الدويرة حتى ردها وسكن بها مع زوجه المذكورة مدة، وصار يراوده المشتري المذكور على قبض ثمنه من البائع لتتحسم مادة النزاع فيها وتخلص للمحاجير وأمهم، فأبى من قبضه فثقت الدار وأحلتها على الشكوى ل حضرتنا العالية بالله، فنأمر أن تصرف النازلة للشرع وما حكم به فيها فننفذه والسلام فى ٢٤ شوال عام ١٢٩١».

وفى هذا الظهير أن المسائل الشرعية الواقع فيها النزاع بين الأشراف كانت ترفع للقاضى على يد النقيب، وأن التنفيذ بعد حكم القاضى فى النازلة يكون للنقيب، ولا يد للقاضى فيه ولا لغيره.

مشيخته: منهم والده العلامة المشارك أبو الحسن على المترجم فيما يأتى، وشيخ جماعة الأساتذة والمقرئين السيد اليزيد آتى الترجمة وغيرهما من جلة العلماء والمقرئين.

الآخذون عنه: منهم أولاده البررة عمنا أبو محمد عبد القادر آتى الترجمة، ووالدنا المقدس أبو عبد الله محمد، وعمنا مولاي الطاهر، وصنوه المولى على، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوى، والأستاذ المولى الحسن بن الحسن العلوى، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر، وأبو محمد عبد القادر بن المأمون، وأبو الحسن العربى بن على بن المتوكل، والشريف المولى سليمان بن العباس وغيرهم ممن لا يعد كثرة، إذ عدد خصوص من تخرج به من الشرفاء العلويين بالخصوص يزيد على المائتين.

وفاته: توفى قدس الله روحه فى أوائل محرم فاتح عام ١٢٩٢، ودفن حذاء والده بروضة أبى زيد عبد الرحمن المجذوب، خارج مبنى ضريحه وضريح الشيخ عمران الجناتى مستقبل الترجمة بأصل الجدار الشرقى من الأولى.

٤٢٧- عبد الرحمن بن التهامى بن الفقيه العلامة سيدى يحيى بن عبد الواحد الشريف الحسنى الإدريسى الزرهونى.

إمام الضريح الإدريسى بزاوية زرهون.

حاله: فقيه أستاذ معمر ناسك، بركة فاضل جليل، من أهل الخير والدين

وملازمة الضريح الإدريسي والإمامة به على سنن وهدي سلفه الصالح مشغل بما
يعنيه .

مشيخته: أخذ علم القراءات بفاس عن مولاي إدريس البكراوى، وصحب
الولى الجليل القدر عبد القادر العلمى آتى الترجمة، وإليه ينتسب فى طريق القوم.
وفاته: توفى ببلده زاوية زرهون عام اثنين وثلاثمائة وألف.

٤٢٨- عبد الرحمن القرشى دفين بطحاء خارج باب بريمة، ولم أقف له
على ترجمة.

٤٢٩- عبد الرحمن التاغى دفين حومة حمام الجديد، ولم أقف له على
ترجمة.

٤٣٠- عبد الرفيع بن مسعود بن عبود المكناسى الأصل.

حاله: فقيه علامة فاضل ماجد نزيه، تولى القضاء بثغر سلاً حسبما استفيد
ذلك من رسم عليه خطابه بتاريخ ثمانين ومائة وألف، وكتب لى فى شأنه صديقنا
المؤرخ الأديب الواعية الأكتب سيدى محمد بن على الدكالى السلاوى، أن
السلطان سيدى محمد بن عبد الله وجهه لمدينة سلاً بصفته قاضيا نائباً عن السلطان
فى بيع أملاك بنى فنيش، وذلك عام ألف ومائة وثمانين، واتصل قضاؤه
بالعدوتين إلى عام أربعة وثمانين ومائة وألف، وأخبر أنه رأى ببعض رسوم بسلا
التعريف بشكله أنه عزل عن القضاء بعد ثمانين ومائة وألف، وعدلا الرسم
رباطيان محمد بن أحمد الغربى وعبد الله بن محمد بنانى والقاضى محمد المهدي
ابن محمد مرين بتاريخ جمادى الثانية عام أربعة وثمانين ومائة وألف، وأخبر أن
بعض الرباطيين هجاه بقصيدة مطلعها:

أمكناسة الزيتون جرت فراقبي إلهاً شديد البطش ليس بغافل
رميت رباط الفتح ظلماً بأشأم عريض القفا ناءٍ عن الرشد جاهل
كربه المحيا مائل الشدق أخرج عتل بحكم الشرع ليس بعامل
مزيج لأهل الفضل والدين والحجا مقرب نذل سيئ الأصل سافل
ومنها:

بلينا بوغد يجمع المال من رشا على يد أوباش لئلام أراذل
أرح ربنا منه الرباط وأهله وفرج عليهم عاجلاً غير آجل
قال وقفت عليها بخط أبي عبد الله الضعيف نسبها لبعض الرباطيين،
ورأيت تحليته بالعلم والجلالة في وثائق سلوية، وذكره الزياتي من علماء مجلس
السلطان سيدى محمد بن عبد الله في الفهرسة السليمانية رحم الله الجميع.

٤٣١- عبد الكريم بن محمد بن أحمد بن عبد المالك بن محمد بن عبد
العزیز بن عبد الواحد أبی الغيث الحسنی العلوی.

حاله: شريف أصيل، وجيه نزيه، جليل أثيل، فقيه نبيه، باقعة زمانه
وأوحده نبلا وفضلاً وسياسة وجوداً وشجاعة وإقداماً، استوزره إمام وقته السلطان
مولای عبد الله بن إسماعيل فأحسن السيرة في مأموريته.

وفاته: توفي بمكناس الزيتون على ما في الشجرة الزكية في حدود الخمسين
زمن الوباء.

٤٣٢- عبد الكريم بن الرضى بن محمد بن على بن أحمد اليلمحي
الشريف الوزانى.

نزىل زاوية جبل زرهون، ودفن مكناس.

حاله : مجذوب سالك ، ذو أحوال خارقة ، وكرامات باهرة ظاهرة ، وسريرة منورة طاهرة ، كثير الانتقال ، سكن أولا وزان ثم فاس ثم مكناس ثم زرهون ، وبه طاب له القرار مدة ، ثم انتقل منه آخر عمره إلى مكناس وبه كانت منيته .

أخبرني العلامة الثبت ابن عمنا سيدى محمد بن أحمد ، أنه أخبره صهره الشريف الفقيه البركة منور الشيبة والوجه المنعم مولاي الفضيل بن الأمين العلوى المتوفى فى عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف ، أن أول قدوم المترجم للزاوية من فاس كان صحبته ، وأنه لما قدمها كان استقراره بأحد الأقواس التى كانت قديما بالليبان المحل المعروف بالزاوية بين الحرم الإدريسى والسوق ، وتلك الأقواس هى محل الحوانيت الآن بالمحل المذكور ، وأنه ربما كان طبخ ما يأكله هناك ، ومما طبخه فى بعض الأيام مدة مقامه هناك بشارة الجلبان ، وفيها فراخ الحمام ، وأنه ذكر له عنه فى ذلك قصة مضحكة غابت عنه الآن ، وأنه أخبره هو أو غيره أنه بعد ذلك صار ينتقل تدريجا للاستقرار بأماكن الحرم الإدريسى إلى أن صار استقراره منه قرب الخصة الأولى الكائنة أمام المدرسة ، وأنه كان ربما خرج بعض طلبة المدرسة فى جوف الليل فيجده واضعا رأسه أسفل الخصة وأنبوبها يصب عليه ، يستمر على ذلك برهة من الزمن ، هذه كانت بداية حاله هناك ، ثم بعد ذلك صار له الظهور التام ، وكثر غاشيه ومعتقده وزائره ، وبني داره خارج الزاوية أعلى عين ولىلى ، تشتمل تلك الدار على مسجد وأماكن للأضياف والخدم ، زيادة على أماكن سكنى الأهل والعيال ، ولا زالت أطلالها شاخصة بالمحل المشار ، عششت فيها الأفاعي والحشرات وباضت وفرخت ، وكان ينزل منها للزاوية راكبا فرسا مسرجا وحوله وأمامه حشمه من العبيد وغيرهم حاملين للسلاح ، ومعهم بعض الكلاب مقلدة الأعناق ، هذه كانت صورة موكبه .

وكان يكثر من الذبائح على الضريح الإدريسى ، وكان يدخل السوق على

هذه الصورة ويقف على الحوانيت فيأخذ من أربابها من قماش ونحوه ما يحتاج إليه إما لنفسه وعياله، وإما لمن استعطاه وتعلق به، ثم تارة يدفع لرب الحانوت فى ذلك ما يساوى أضعاف ثمنه، وتارة يعده بالدفع فى وقت آخر، ثم قد يحصل ذاك وقد لا يحصل، فلهذا صار كثير من أرباب الدكاكين إذا أحسوا بموكبه أغلقوها قبل وصوله، فكان إذا وجد الدكاكين مغلقة يقول سيأتى أهل فاس ويعمرونها ودور أهلها، فكان الأمر كما قال وليس الخبر كالعيان.

وقد اتفقت مسغبة فى وقته، فلما اشتد أمرها بالناس اتفق رأى جماعة عامة الزاوية الزرهونية على جمع هدية وتقديمها للمترجم وطلب الشفاعة منه إلى الله تعالى ففعلوا فبينما هم أثناء الطريق لداره وإذا هو قد نزل إليهم وأمرهم برد الهدية إلى الضريح الإدريسى ليتنفع بها ضعاف الأشراف، ثم سار معهم إلى أن حلت محلها ثم التفت إليهم، وقال أين فلان؟ لرجل مجذوب هناك فلم يجده معهم فأمرهم بالإتيان به، فذهب بعضهم وجاء به إليه، فلما قابله المجذوب صار يستغيث منه ويقول له: أنت فضحك الله وأردت فضيحتنا، والمترجم لا يقبل له شكاية، بل أمر الجماعة بالإتيان بقميص ونعل فأتوا بهما فأمرهم بإلباسهما لذلك المجذوب ففعلوا جبرا عليه، وبعد ذلك أمرهم بإطلاقه فذهب ذلك المجذوب من ليلته تلك ميتا.

قال مخبرى وبلغنى عن المترجم أنه أتى فى بعض الليالى لبعض معتقديه من أهل الزاوية وطرق بابه بعنف، فلما خرج إليه أمره بإخراج أهله فوراً، فبمجرد خروجهم لباب الدار سقطت الأماكن التى كانوا بها، قال: ولقد أدركته أنا فى صغرى ولا زالت صورته وموكبه بين عيني، إذ غالب مروره كان أمام درب سكنائى هـ.

وكان زائرو المترجم والمكثرون التردد عليه لداره يجدون عبيداً سوداً حمر

الأعين ذوى هياكل مفزعة بسجونه فى سلاسل وأغلال لا يكلمون ولا يكلمون، ولا يعرفون فى الخارج، ثم لمادنا أجله انتقل من زرهون إلى مكناسة الزيتون، وفيها أدركته منيته، وبالجملة آثار المترجم وأحواله الخارقة وكراماته الباهرة لا تكاد تنحصر.

مشيخته: منهم ابن عمه سيدى الحاج العربى الوزانى المتوفى ليلة الأربعاء أول ليلة من المحرم عام سبعة وستين ومائتين وألف كما فى بلوغ القصد والمرام تأليف البركة الصالح سيدى العربى الوزانى التهامى الرباطى.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة المجتهد البركة السيد الحاج أحمد اعبابو، والمجذوب الساقط التكليف السيد محمد المدعو منصور آل السيد سعيد المَشْتَرَأَى المتقدم الترجمة فى المحمدين وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية أسلافه من حومة باب البراذعيين قرب جناح الأمان، وضريحه ثمَّ من أشهر المزارات.

٤٣٣- عبد المالك بن فخر الملوك أبى النصر إسماعيل.

حاله: إمام عدل، شهم سخي، ذو ثبات وأصالة فى رأى، بهذا وصفه أبو محمد عبد السلام بن الخطايط القادري، ووصفه بعض السفراء الإنجليزيين بما ترجمته: ولهذا الإمام خلق مخالف تماما لخلق مولاي أحمد الذهبى، مقتنعا زاهدا لا يشرب إلا الماء، وكان متدينا شديد التمسك بشريعة محمد ﷺ، وكان من أكثر الجنود بسالة وشجاعة، ولكن من شدة تعصبه للدين أنه كان لا يثير معركة فى يوم عيد ولو كان فى ذلك ما فيه من الأخطار على المملكة كلها، ويقال: إنه تحت ستار الصلاح والتقوى كان جبارا سفاكا للدماء، وكان أشياعه يرون فى ذلك تنفيذا للعدل الإلهى وقد استولى على العرش لخروج أخيه عن الجادة المستقيمة وتعاطيه للخمور هـ.

ووصفه الزباني ومن تبعه بالبخل والشح، والظاهر أن المترجم لم تكن يده مغلولة إلى عنقه ولا مبسطة كل البسط كأخيه أبي العباس أحمد الذهبي الذي أفضى به جوده إلى حد التبذير المذموم من اتصف به على لسان الشارع، وقد بلغ جيش عبيد البخارى ومن فى حكمهم من الشره ما صير الاقتصاد المحمود فى نظرهم شحا وبخلا، يدل لذلك ما يتلى عليك مما بذله من العطاء لوفود البيعة وغيرهم.

وقد كان عقد له والده قبل على درعة وأعمالها، وأنزله بقصبتها، ورتب معه ألف فارس، وذلك سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ولما كانت سنة أربع عشرة حاربه صنوه أبو النصر وشرده من محل مأموريته، ففر لضريح أبي العلاء إدريس الأكبر بزرهون، واستولى أخوه أبو النصر المذكور على درعة، فبعث السلطان والده ولده المولى الشريف إلى درعة واليا عليها، ثم ولى صاحب الترجمة على سوس.

قال ابن الخياط ما ملخصه: لما قبض الله والده إليه بايعه أهل مراكش وبلاد السوس، إذ كان عاملا لوالده على تلك البلاد، وكان محل استيطانه بتارودانت، أما عبيد البخارى الذين كانوا بمكناس ومشروع الرملة فبايعوا لصنو المترجم أبا العباس أحمد المعروف بالذهبي خليفة والده المرحوم بتادلا، ثم وقع بين المترجم وصنوه المذكور قتال وحروب انجلت بظفر العبيد وانهزام صاحب الترجمة، فرجع لتارودانت، ثم بعد مدة خلع العبيد أبا العباس المذكور، وبايعوا لصاحب الترجمة ووجهوا له بيعتهم لتارودانت واستقدموه فقدم، ولما حل بمكناسة وفدت عليه وجوه فاس ببيعتهم على منبر جامع القصبة، وكانت البيعة من إنشاء الشيخ أبى مدين الفاسى وقفت عليها بخطه فى مسودتها وإليك نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه أولى البر والتعظيم، أفضل الصلاة وأزكى التسليم،

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا، الحمد لله الملك الفتاح، بحده فى كل الأمور يحمد الاستفتاح، فتح لنا أبواب السعادة من فضله وارتضى لنا الإسلام دينا قويا، وشرع لنا منه منهجا واضحا وسيلا مستقيما، وأسبغ علينا بسابغة كتتم خير أمه أخرجت للناس فضلا عميما، عجزت العقول عن كنه ذاته فضلت فى بيداء الأوهام، وحارت الأفكار فى باهر صفاته فأصبحت طائشة السهام. وسددت الأفهام الثاقبة إلى محيط علمه فكان القصور قصارى تلك الأفهام، ووقفت توقف الانقطاع عن بلوغ ذلك المرام، لا تستطيع تأخيرا ولا تقديمًا، تقدس فى ربوبيته عن الشبيه والنظير، والشريك والمعين والظهير والوزير، وتنزه فى وحدانيته وكبريائه عن لواحق المحدثات، وأحاط علما بالكائنات، على تباين الأنواع وتنافر الأضداد والمشابهات، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات والأرض إنه كان عليما حكيما، وتبارك الله الذى خلق الخلق أطوارا، وأودعهم من حكمته لطائف وأسرارا، وأحسن خلقهم تقويما، وأودع قلوبهم من هداية العقل نورا، وألهمهم طريق النظر والاستدلال فعلموا بسواطع البراهين أن لهم صانعا قديرا، يسر لهم المآرب تيسيرا، وتم لهم المصالح تميما، وجبلهم على التمدن والائتلاف، ولم يجعل من سجاياهم التنافى والتباعد والاختلاف، وبوأهم من عصمة النفس والمال حرما آمينا، وأهلهم ليسلكوا من رفقه ولطفه سيلا مبينا، وألزمهم وظائف التكليف مفروضا ومسئوبا، ومحظورا ومحتوما.

والحمد لله الذى لا تحصى ضروب نعمه المترادفة، ولا تنفذ خزائن رحمته مع اتصال سحائبها الواكفة، ويعطى من لجأ إليه وتوكل عليه فضلا جسيما، فبأى مواهبه العجيبة نغرى لسان التحميد، وفى أى باب من الأبواب آلائه الكريمة تحط

ركاب التمجيد، أبنعمة الخلق، أم بنعمة الرزق؛ لقد بهرت آلاء ذى العرش
المجيد، خصوصاً وعموماً، ومن عنايته جل جلاله بهذا النوع الذى فضله بالعقل
على كثير من خلقه، وشرفه لما عرفه طرق القيام بحقه، وجعل له بمقتضى لطفه
حدوداً يقتضى آثارها ورسومها، واصطفى منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعث
منهم رسلاً لبيان تفاصيل الأحكام، وكان فضل الله عليه عظيماً، وخصنا سبحانه
بهذا النبى الكريم الذى تأخر بالزمان. وتقدم لديه جل وعلا بشرف الخطوة
والمكان، تشریفاً لنا وتكريماً، وأطلع شهب هدايته المنيرة، وأحمد به نار الشرك
المستطيرة، فاتسق نظم الدين به خير اتساق، واستقر الحق محوطاً بأمره ونهيه من
اضطراب وافتراق، حتى تكامل الدين بأقصى كمال، ومد الإسلام على البسيطة
أورف ظلال، وأينعت أدواح الرشد بعد أن كانت هشيماً.

نحمده تعالى حمداً نستوجب به المزيد من نعمائه، ونستجلب جزيل مواهبه
وآلائه. ونستنشق من أنفاس عطايه الجليلة نسيماً، ونشكره سبحانه على أن ألهمنا
شكره المستدعى المزيد من الإنعام. والمولى من الآلاء أوفى الحظوظ والأقسام.
شكراً يكون بتضاعف الجود والكرم زعيماً.

ونشهد أنه الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له شهادة لا يحوم حولها
الالتباس، وإنما تتأرجح منها رياض الصدق عاطرة الأنفاس، وتطلع وجه التحقيق
لأبصار البصائر^(١).

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبده ورسوله النبى العربى القرشى
الهاشمى الذى اختاره واصطفاه، ووفاه من حظوظ اختصاصه واعتناؤه ما وفاه.
وأزاح به عن الوجود علله وشفاه. وأثنى عليه فى محكم كتابه الحكيم وكفاه فخراً

(١) فى هامش المطبوع: «خرق بالأصل ويناسبه أن يقال وسيماً».

عظيما، انتخبه من سلالة إبراهيم وإسماعيل، وأنزل بشاره مبعته في التوراة والإنجيل، وكرم بولادته الذبيح والخليل، وجعله أزكى الخلائق عنصرا وأطهرهم خيما.

النور الذي تضاءلت الأنوار لطلوعه، وتفجرت ينابيع الخيرات والبركات من ينبوعه، واحتفل الشرف الغض بين أصوله الطاهرة وفروعه، حديثا وقديما، ختم الله به النبوة والرسالة، ومحا بنور الحق الذي جاء به ظلم الظلم والضلالة، وأوضح المذاهب عن الله تحليلا وتحريما، فكان مما جاء به ﷺ من دين الله وجوب نصب الإمام، لإقامة الحدود والأحكام، وليحصل الاجتماع والائتام، على كلمة الحق وشرائع الإسلام فتظافرت الدلائل الشرعية منطوقا ومفهوما، وأشار ﷺ إلى خلافة أفضل هذه الأمة على التحقيق، وأهله لحمل تلك الأمانة وهو الخلق بها والحقيق، صاحبه وخليفته سيدنا أبى بكر الصديق، فكان على أهل الباطل شديدا وبأهل الحق رحيمًا.

ونصلى ما لاحت الزواهر فى أفلاكها، ونظمت الجواهر فى أسلاكها، على أشرف الخلق وسيد ملوكها وأملاكها، ونسلم تسليما، ونرضى على آله وصحابته، وأوليائه وأنصاره وعصابته، المستوجبين من الله عز وجل بنصرته وإجابته، مزية قوله تعالى: ﴿... وَنُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۝﴾ [سورة النساء آية ٣١] ما ركضت جياذ الألسن فى ميادين ثنائهم، واقتدت الأمة فى الأمور الدينية والدنيوية بآثار عليائهم انتفاعا وتعلينا.

أما بعد: هذه الفاتحة التى فتحت من النجح كل باب، واستمسكت من الله ورسوله بوسائل وأسباب، فإن من المقرر فى القواعد السنية. أن كل ما نتعبد به فمرجه إلى الدلائل الشرعية، وأن العقل إذا سدد حكما من الأحكام عند تناوله قبولاً ورداً فحقه أن يعرض على سلطان الشرع توقيعه، ويلقى فى يد ذلك المسيطر

الناقد جميعه، فما كتب بإمضائه أنفذ وأعمل، وما لم يجزه طرح وأهمل، ولا خفاء أن نصب الإمام مما اقتضاه الشرع والعقل، وتعاقد فيه السمع والنقل، إذ به تحفظ رسوم مصالح الدنيا والدين، وتخفص رقاب المعتدين المتعدين، وترفع لهيئته المظالم، وتعلو بكلمته للدين مشاهد ومعالم، وتصان به الحرم والأموال، وتزول الفتن وتدفع الأهوال، وأن طاعته واجبة وجوبا محتما، وجنابه الجليل حقيق أن يكون لدى الخاص والعام محترما معظما، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ [سورة النساء آية ٥٩] وقد جاء في الأثر: أنه لا ينبغي لمؤمن أن يبست ليلة وليس عليه إمام، وقال عليه السلام: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذي عهدا فليس مني ولست منه. رواه مسلم.

وقال عليه السلام: إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض. أخرجه البيهقي.

وقال عليه السلام: السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة أخرجه ابن النجار.

وقال عليه السلام: السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى. أخرجه البيهقي.

وقال عليه السلام: السلطان العدل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض يرفع إليه عمل سبعين صديقا. أخرجه أبو الشيخ.

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل، وقال: إن لله سبحانه في كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس ونظرة إلى سلامة أبقارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له ذنوبه.

وقال عليه السلام: الولاية في قريش ما أطاعوا واستقاموا. ولا شك أن أهل بيت سيد المرسلين، أعظمهم موقعا في قلوب المؤمنين، وأكرمهم منزلة عند رب العالمين، أنالهم تعالى في خلقه فضلا كبيرا، وكان جنابهم الكريم بالفضل والإكبار جديرا، ومنحهم إجلالا ورفعة وتكبيرا، وأولاهم بين الأنام تعظيما وتوقيرا. ونور بهم العالم تنويرا، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأمر أن تعتقد حرمة شرفهم النبوي، وأن يقدر قدر منصبهم الشريف المصطفوي، وكفاهم شرفا ومجدا، أن كان أشرف خلق الله لهم جدا. أكرمهم سبحانه في سابق أزله، بأن أهلكهم للقرب من أكرم رسله فأكرم بذلك الإكرام إكراما وبذلك القرب قربا، وأحبهم تعالى وجعل من حق نبيه أن يحبوا فقال جل ثناؤه: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى: آية ٢٣] قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: على وفاطمة وولدهما أخرجه الطبراني وغيره، ابن حجر باطل موضوع.

وقال عليه السلام: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي أخرجه الترمذي.

وقال عليه السلام: لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرباتي، أخرجه النسائي.

وقال عليه السلام: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق أخرجه ابن عدي.

وقال أبو بكر رضى الله عنه: ارقبوا النبى ﷺ فى أهل بيته، رواه البخارى.

وقال عليه السلام: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى أخرجه الطبرانى.

وقال عليه السلام: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وإن مما امتن الله به علينا من أهل هذا البيت الشريف، الذى أولاه الله أشرف التعظيم وأعظم التشريف، من قدمه الله تعالى لسلطانه العزيز، ورفعهُ المولى جل وعلا على منصة التبريز، شريف السلاطين وسلطان الشرفاء، ومن بجاهه عليه السلام له الاتباع والافتاء، الإمام الذى ألفت إليه الإمامة زمامها، وقدمته الأفاضل لما اختص به من الفضائل أمامها، فأحيا الله به ما كاد أن يسلب من الأمن الأثر، وأقال به عشرة الدهر بعد ما عثر، وأقام به سوق العدل وأوضح معاله، وأشاد مفاخر الفضل وأضحك مباسمه، وسعدت بوجوده وجوده الخلافة، واندفع عن الدين به كل آفة، عميد المجد الذى لا يتناهى فخره، ووحيد الحسب الذى تسامى قدره، فرع الدوحة المحمدية التى عم خيرها الإسلام، وغصنها الناعم الذى فى روض أمنه أنام الأنام، بضعة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات وأتمى البركات وأطيب التسليم، إمامنا المنصور بالله المظفر المؤيد المعتمد على الله المستعين بالله الخاضع المتواضع لله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله المحلى بحلية الطاعة والتقوى، المستمسك من سنة جده عليه السلام بالحبل الأقوى السالك من سبل المعالى أسنى المسالك، أمير المؤمنين أبو المفاخر مولانا (عبد المالك)، ابن السلطان الأظهر، الهمام الأظهر، الملك المعظم الأفخم الأشهر، الحائز قصب السبق فى ميادين التفضيل، أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، مولانا إسماعيل، ابن سيدنا شمس فلك السعادة، وينبوع الملك المنوط

بمجد الشرف وشرف المجادة، الذى تدرع بدرع التقى والورع، وجمع من محاسن المعالى ما جمع، المستغنى شرفه الصريح عن الإيضاح والتعريف، ذو المواهب اللدنية، والفتوحات الربانية، مولانا الشريف، ابن مولانا على ابن مولانا محمد ابن مولانا على ابن مولانا يوسف ابن سيدنا علم الأعلام، كعبة الزائر وركن الاستلام، باب الفضائل ومفتاحها، ومشكاة البركات ومصباحها، ذى العناية السابقة والأنوار البارقة، من أصبحت تربته مزورة، وكراماته مشهودة ومشهورة، الإمام البركة الولي، مجاب الدعوة مولانا على، ابن مولانا الحسن ابن مولانا محمد ابن حسن ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا أبى محمد ابن مولانا عرفة ابن مولانا الحسن ابن مولانا أبى بكر ابن مولانا على ابن مولانا حسن ابن مولانا أحمد ابن مولانا إسماعيل ابن مولانا قاسم ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا حسن المثنى ابن مولانا الحسن السبط ابن مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولاتنا فاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله الأكرمين، وأصحابه الجلة المكرمين، وبجاههم نسأل الله بقاء وجود مولانا نصره الله فى العز المكين، وتأييده بكمال التأييد والتمكين، وأن يديم دوام الدهر سعادة أيامه، ويجعل البسيطة فى قبضة يده وطوع أحكامه، ولا برحت كواكب سعوته فى السعادة زاهرة المطالع، ومواكب جنوده فى ميادين الظفر ظاهرة الطلائع، وعدله سائرا فى الليالى والأيام، وفضله ناشرا أعلام إحسانه على الخاص والعام.

فانعقد الإجماع على أنه خلد الله نصره المتعين لاختصاصه بهذه المزية العظيمة، لما اشتهر من استكمال شروط الإمامة المباركة الجليلة الكريمة، ولطالما كانت تستشرف إليه، لتتشرف بقبوله إياها وحلولها لديه، إلى أن حظيت منه بالقبول، وفازت من مجادته ببلوغ المأمول، فلو رام غيره أن يسلك هاتيك

المسالك، لقات ياأبى الله والمسلمون ذلك، ولانعتقد الإجماع على استحقاقه لها، ولكونه أحق بها وأهلها، بايعته بالحضرة الإدريسية حرسها الله بوجوده شرفاؤها وعلمائها وصدورها وأهل الحل والعقد منها على طاعة الله وسنة رسوله ﷺ وعلى ما بويح به الخلفاء الراشدون المهديون رضى الله عنهم، وعلى السمع والطاعة فى المنشط والمكره، والعسر واليسر بيعة مباركة صحيحة قرت بها نواظرهم، وشهدت فى ذلك على صفاء بواطنهم ظواهرهم، وأعطوا بها مع الإفصاح بالكلام صفقة إيمانهم، وجعلوها أسا يبنون عليه صالح أعمال أديانهم، وتقلدوا من طاعته طوق الحمامة، معتقدين أن سلامة الأمة إنما هى باتباع هذه الإمامة، وزادوا عندها توثقا وتأكيدا، حين أشهدوا الله به على أنفسهم وكفى بالله شهيدا.

وهم فى اجتلاب مرضاة الخلافة المباركة ساعون، وفى أعقاب صلواتهم وأوقات خلواتهم لها داعون، اللهم كما أسعدتنا بخلافة وليك الميمونة، واخترتة لإقامة شرائع دينك المفروضة والمسنونة، وجعلت طاعته بين أيدينا وبأيماننا نورا، وشرحت لفهم آيات فضله منا صدورا، فانصره اللهم نصرا مؤزرا، واجعل نصيبه من عنايتك جزيلا موفرا، وعرفه فى كل مرام فتحا مبينا وظفرا ميسرا، اللهم واصنع له خير ما صنعت، واجمع على طاعته ومحبته القلوب كما جمعت، وارفع ذكره فى الأذكار، ودرجته فى أئمة العدل الأبرار، فوق ما رفعت.

اللهم إنك قلت وقولك الحق هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فجازة عنا بإحسانه، واحرس أمره العلى بأكرم حفظته وأعز أعوانه، واجعله اللهم على رعيته شفيقا، وبجميعهم مدى الدوام رفيقا، وأبقه ملاذا للمؤمنين، وحصنا حصينا لجميع المسلمين، فى هناء متصل شامل، وفرح وافر وسرور كامل، إنك يا مولانا على ذلك قدير، وأنت نعم المولى ونعم النصير، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين وسائر الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العلمين ، وفى ثامن شعبان المبارك عام أربعين ومائة وألف» هـ من خطه .

ثم إن المترجم وصل شرفاء الوفد الذى أتى له بالبيعة بألف دينار ذهباً، كما وصل الطلبة والأعيان مثل ذلك، وأعطى الراتب للرماة، فنال كل فرد منهم سبعة مثاقيل ذهباً، ثم أصدر أوامره برد المظالم، وشدد فى اجتناب المحرمات، فكبر ذلك على العبيد وأبوا أن يردوا ما اغتصبوه للناس من عقار ومال، ولما رأى المترجم ذلك صرح لهم بأنهم أحرار فليذهبوا حيث شاءوا، وأنه لا حاجة له بخدمتهم، وأعلن النداء فى جميع البلاد التى دخلت تحت طاعته بأن من أراد الدخول فى الجندية فليأت إليه، فوفد عليه سرعان الناس، ولما تحقق عبيد مشرع الرملة بذلك خافوا سطوته لما يعلمونه من شهامته فأجمعوا أمرهم ونهضوا يطوون المراحل فلم يشعر المترجم حتى دهموه وكانوا سبعين ألف مقاتل، فجمع أتباعه ومن كان داخل ديوان العسكر من الأحرار الوافدين عليه، وخرج لقتالهم بظاهر العاصمة المكناسية وأمر بغلق جميع أبواب المدينة ومع قلة جيشه إذ كان لم يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ووفور جيش العبيد فقد قاتلهم قتالاً لم يعهد له مثيل بالبلاد المغربية، يقال: إنه مات فى هذه الواقعة ما يزيد على ثلاثين ألفاً.

وكانت النصره لصاحب الترجمة على العبيد ولكن بكل أسى وأسف أن بعض زوجات والده أمرت بفتح أبواب البلد، فامتثل أمرها، ولما فتحت الأبواب دخل العبيد القصبة المولوية وعمروها ولا علم للمترجم بذلك، ولما اتصل به الخبر فرّ إلى فاس، ولما وصل إليها أغلق الودايا الذين بفاس الحديد أبواب البلد فى وجهه .

فتوجه لباب الفتوح أحد أبواب فاس الإدريسية، واستدعى أهل فاس فخرجوا إليه، ثم اختلفوا فى نصرته، فأجابه قوم وامتنع آخرون، ومع ذلك دخل المدينة ونزل بدار القيطون منها .

أما العبيد فإنهم لما فتحت لهم أبواب العاصمة المكناسية ودخلوها على حين غفلة من صاحب الترجمة عثوا فيها ونهبوها وما حولها، وارتكبوا كل مخجل للمروءة، وأعادوا البيعة لأبى العباس الذهبى، ونهضوا به يقتفون أثر صاحب الترجمة، وانضم إليه كل من كان على شاكلتهم من القبائل، وساروا إلى أن نزلوا على فاس فى مائة ألف مقاتل على ما قاله ابن الخياط القادرى، ورموا المدينة بالأنفاض من جميع جهاتها، وجاءوا بالسلاليم للتسور عليها من الأسوار، وشددوا الحصار وكثر القتل والجرح واشتد الحال وغلت الأسعار وعمت الأقوات والمقومات التى تأتى من خارج البلد كالخطب والفحم، فاضطر الناس للصالح بتسليم صاحب الترجمة لأعدائه الناكثين بيعته المحاربين له.

ولما شعر المترجم بذلك استجار بالضريح الإدريسى، فدخل عليه عبد النبى ابن الباشا سعود الحيانى أحد عسكر البخارى وكان باشا على ثمانية عشر ألف فارس، وسالم الدكالى البخارى وكان إلى نظرة اثنان وعشرون ألف فارس وانضم إليهما زعانف الغوغاء ومن لا خلاق لهم وأخرجوه، وذلك زوال يوم الخميس الواحد والعشرين من جمادى الأولى عام واحد وأربعين ومائة وألف، ووجهوه مع الباشا مساهل بن مسرور.

ومن الغد نهضت محال العبيد وسارت إلى مكناسة، ولما وصلوا إليها سجنوا بها صاحب الترجمة، ولما كان الغد توفى أبو العباس أحمد الذهبى، ثم أمر العبيد أخاه محمد ولد الطليقية وآخر فدخلا عليه، ومعهما زعانف الخدم والحرس وأمسكوا على جميع أطرافه وحجزه، وجعل أخواه مجدولا فى عنقه من حرير وخنقاه وأعضاؤه تضطرب إلى أن مات رحمه الله، وفى غده جهز وصلى عليه عوام الناس وأهل الدين المتين، هذا ملخص ما فى مؤلف ابن الخياط القادرى فى الإمام محمد النفس الزكية وبنيه.

والذى للزيانى فى البستان والروضة والترجمان العرب: أن أهل فاس لما صالحهم أحمد الذهبى على أن يسلموا له صنوه المترجم وأجابوه لذلك، كتب إليه بالتخير بين أن يتوجه لسجلماسة وبين أن يبقى بالحرم الإدريسى، فاختار الأخير، ثم إن السلطان أحمد أصدر أوامره لأهل فاس بأن لا يكلم أحد المترجم ولا يجتمع به ولا يبايع ولا يشارى هو ولا أصحابه، ومن خالف الأمر يعاقب، فضاق الفضاء بالمترجم، ووجه ولده للعبيد يطلب منهم أن يؤمنوه، ثم لما خرج مكنوا منه صنوه أبا العباس، ولما مثل بين يديه أمر بتوجيهه لمكناسة ليسجن بها، فسجن بدار الباشا مساهل.

ولما أحس السلطان أحمد بالموت أمر بخنق المترجم، فخنق ليلا ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان العام، ومات الذهبى ليلة السبت الرابع من شعبان المذكور.

وتبع الزيانى أكنسوس وصاحب الاستقصاء، وزاد الأخير أنه رأى بخط جده للأم الفقيه الأستاذ أبى عبد الله محمد بن قاسم الإدريسى اليعقوبى الخيارى عرف بابن زروق، وكان حيا فى هذه المدة أن المولى عبد المالك بويج فى الآخر من رجب سنة إحدى وأربعين ومائة وألف وهو بالسوس الأقصى بمدينة تارودانت، ثم ورد على دار المملكة بالحضرة المكناسية ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من السنة المذكورة، ثم ثار عليه أخوه المولى أحمد المخلوع فى عاشر المحرم فاتح سنة اثنتين وأربعين، واقتحم عليه دار الملك من مكناسة عنوة، ووقع فساد كبير بالمدينة المذكورة، وهلك بشر كثير فى الحرب، ومنهم من قتل صبرا، وفر المولى عبد الملك ناجيا بنفسه إلى فاس، ثم حاصره بها المولى أحمد نحواً من أربعة أشهر حتى خرج إليه على الأمان، فأمر بسجنه بمكناسة، ثم قتل المولى عبد الملك صبرا مخنوقا فى أواخر رجب المذكور أيضا هـ باختصار يسير.

وفى درة السلوك أن المولى عبد الملك المترجم ظل يوم قتله صائما، وأن

العبيد لما هجموا عليه ليقتلوه بعد ما أفطر وجدوا المصحف بين يديه، وأنهم بمجرد الفراغ من قتله حملوه ليلا إلى مقبرة الشيخ محمد بن عيسى فدفنوه بها ليلا، وأن خلافته دامت ستة أشهر هـ.

وقد وقفت في بعض التقايد أن المترجم لما خنق غسل بمِيضَاة جامع الزيتون بالماء البارد.

اعتباره لمن يشار له بخير: وقد عثرت له على ظهير أصدره لسيدى أحمد بن الطاهر الخطاب يتضمن الإنعام عليه بما سيذكر، ونص ذلك من أصله بعد الحمدلة والصلاة والطابع نقش داخله: (عبد الملك بن أمير المؤمنين الله وليه ومولاه) وبدائره: ومن تكن برسول الله البيت:

«عن أمر عبد الله المعتصم بالله، المفوض أمره إلى خالقه ومولاه، أمير المؤمنين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى أيدى الله بعزیز نصره وأمده بتوفيقه وتسديده ويسر له أسباب الفتح المبين بمنه، يستقر هذا الظهير الكريم، المتلقى بالإجلال والتعظيم، أسماه الله وأعز أمره، وخلد في الصالحات ذكره، وأشرق في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، آمين بيد حامله المرابط الخير البركة الدين الولي الصالح أبى العباس سيدى أحمد ابن سيدى الطاهر الملقب بالخطاب أحد حفدة الولي الصالح والقطب الواضح سيدى عمر الخطاب، نفعا الله به وسقانا من بحر مدده، يتعرف من يقف عليه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته، أنا أعطيناه ديار أولاد بن لمو كافة وديار أولاد بن قدمير كافة.

فأولاد بن لمو المكرم محمد وولد أخيه المكرم إبراهيم اللذان كانا بمدشر بنى مرعاز، وكذا كل من قطن واشتمل عليه مدشر خبير وما حوله ممن هو محسوب على الولي الصالح ذى السر اللائح، وفوضنا له في هذا التفويض التام، المطلق العام، منه إليهم في زكاتهم وأعشارهم وسائر وظائفهم المخزنية والمغارم السلطانية

من حيث هى سواء قلّت أو جلّت، وقد أمرناه يولى ممن يظهر له من الفقراء هنالك ليفصل بين الناس فى المنزل المذكور وعزل من يرى عزله هنالك.

وقد جعلنا مقامهم حرما من دخله كان آمنا وشفاعته عندنا لا ترد، ومكانته لدينا لا تحد، فمن احترم به ولاذ بحرمه سامحناه وعاملناه، ومن لم يعظمه ولا يكون فيه على مذهبنا ويقتفى فيه آثارنا وأخرق عليه عادة، وأحدث له نقص (كذا) وزيادة، ينتقم الله منه أشد الانتقام.

والواقف عليه من خدامنا وقوادنا وعمالنا وولاة أمرنا يعمل به ولا يتعداه والسلام، عاشر شوال المبارك عام أربعين ومائة وألف وكذلك ديار أولاد بدوش كافة، وديار أولاد الشوهب كافة، وديار أولاد العربى كافة، وقرناهم له وحررناهم إليه، وزدناهم له يتصرف فيهم كيف شاء بما شاء، ويقبض زكاتهم وأعشارهم وسائر كلفهم قلّت أو جلّت فمن قربهم له أو حام حول حماهم يخاف منا على نفسه والواقف عليه يعمل به والسلام صح بعد تاريخه».

كما وقفت على ظهير آخر كتبه لأولاد أبى زيد بن القاضى بالتوقيير والاحترام نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله: (عبد الملك بن أمير المؤمنين الله وليه ومولاه) وبداثرته: ومن تكن برسول الله البيت:

«كتابنا هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، يستقر بيد حملته أحبائنا الآجلة الأخيار أولاد محبنا الفقيه العلامة، الأستاذ الفهامة، المشارك الداركة البركة سيدى عبد الرحمن بن القاضى رحمه الله ونفع به يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته أننا جددنا لهم بعون الله تعالى على ما بأيدهم من ظهائر مولانا الوالد قدس الله روحه، وعمنا مولاي الرشيد رحمه الله، ومن قبلهما من الملوك المتقدمة المتضمنة توقييرهم واحترامهم، وإجلالهم وإعظامهم، وزدناهم نحن بحمد الله توقييرا واحتراما وإكراما فى جميع أحوالهم وجميع من هو منهم أو يحسب عليهم من خدامهم وأصحابهم، وألقينا

دارهم المحفوظة بالله مزاراة للصادر والوارد كما كانت وزيادة، ونحن على مذهب السلف فى أثرتهما وتعظيمها وإجلال من فيها تبعاً لهم ولا خير فى الخلف، إن لم يتبع السلف.

ونطلب الله تعالى أن يعمرها وأن لا يخلى بركة منها تجديداً تاماً مطلقاً عاماً، ونعهد لمن يقف عليه من الخدم والعمال أن يعرف حق هذه الدار المباركة وأن يقرها على ما أقرناها عليه، ويعرف حق من فيها من أهلها وذويها، ومن قصر فى حقها فالله حسيبه وسائله، ومتولى الانتقام منه، وهو حسبننا ونعم الوكيل، وبعبده كفى، والسلام وفى أول ذى الحجة الحرام مكمل عام أربعين ومائة وألف».

وهذا يدل على مبلغ اعتباره واحترامه لمن اتسم بدين أو صلاح أو أشير له بخير وفلاح.

علائقه السياسية:

وقفت له على ظهير بعثه إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر يخبره بأن طائفة من قومه وردوا على أعتاب أخيه المولى أحمد الذهبى، ولما وجدوه قد بوع مكانه التقوا به فى مشوره على العادة، ولكنهم كانوا لا يحملون كتاباً من ملكهم، وأنه قد ردهم بعد ما أنعم عليهم باثنين من الأسارى الفرنسيين، ونصه من أصله المحفوظ بوزارة خارجية فرنسا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عن أمر عبد الله الغالب بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، (ثم الطابع بداخله عبد الملك ابن أمير المؤمنين الله وليه وبداثرته ومن تكن برسول الله البيت) أيدى الله ونصره وظفر جنوده المباركة وعساكره، وحفظه وكان له ومعه فى جميع الحركات والسكنات، أمين يارب العالمين.

إلى طاغية الفرنسيين وكبير قومه وأهل جنسه الوس كنز، السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فاعلم أن حملته الفرائية من جنس الفرنضيص كانوا جاءوا لحضرتنا العلية بالله للملاقة مع أحننا مولاي أحمدا، ووجدوه وقع ما وقع من نصر الله عبده المعترف بإحسانه ونواله الطالب من المولى جل جلاله، أن يعينه على القيام بحق عباده، تلاقوا بنا فى مشورنا السعيد فطالبناهم فى كتابك الذى كتبته لعلى مقامنا بالله على العادة المعروفة، فلم نجد بأيديهم مكتوبا نتكلم به معهم، فما أمكننا إلا أن أنعمنا عليهم بزواج نصارى من الفرنضيص، حيث وقفوا بأبوابنا العلية بالله، ضيفناهم بهما وإن أرادوا الكلام معنا فليأتوا بكتابك على عادة السلاطين، والسلام على من اتبع الهدى وفى الثامن عشر من شوال عام أربعين ومائة وألف.

وفاته: توفى شهيدا يوم الأحد ثامن عشرى رجب عام واحد وأربعين ومائة وألف ودفن بضريح الشيخ محمد بن عيسى على الأصح وقيل بضريح أبى عثمان سعيد المشتراى.

٤٣٤ - عبد الملك البوعصامى نزيل مكناسة.

حاله: كان قاطنا بمكناسة الزيتون، وكان شيخا مرييا ذا كرا قانتا متقشفا خاملا خاشعا خاضعا، ذا هممة عالية، وتؤدة وجد هنية وسكينة ووقار، عارفا بالله، محبا فى رسول الله ﷺ، ذا أخلاق كريمة، وأحوال ربانية تجده فيها كالأسد.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أحمد السوسى بواسطة ولده سيدى أحمد العباس.

٤٣٤ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤١١.

الآخذون عنه: أخذ عنه كثير من الناس ونفع الله به أقواما.

وفاته: توفي سنة إحدى وتسعين ومائة وألف.

٤٣٥ - عبد الملك بن محمد الحسنى

قاضيها، وقفت على رسم بخطابه مثبت بالجزء الأول من حوالة الأقباس الكبرى بمكناسة صحيفة ١٩٥ ورسم ١٢٠ بتاريخ ٢٤ محرم عام ١٢١٤م، ولم أقف على شيء من أطوار حياته زائد على ما ذكر.

٤٣٦ - عبد المالك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن السلطان مولاي

عبد الله بن السلطان الأعظم مولانا إسماعيل.

حاله: عاقل سياسى، ماهر فاضل، نبيل شجاع، ذو جاه ووجاهة، وتدبير مصيب، كان يندبه عمه السلطان مولانا سليمان لكل مهم، ويعقد له على الجيوش، ويسند إليه رياستها، وكان ولاه عمالة مرسى أكادير فأحسن السيرة، ثم سعى بالوشاية وإفساد ذات البين بينه وبين عمه السلطان المذكور بعض الحسدة من أهل الأغراض، حتى أوغر عليه صدر عمه، فهم السلطان بتوجيهه للصحراء فكلمه فى شأنه والده المولى عبد السلام أخو السلطان المولى سليمان، فأخر توجيهه، ثم شمر الواشى عن ساق فى إيغار صدر السلطان، ولم يأل جهدا حتى وجه أخاه المولى عبد السلام لمراكش، وأمر بترحيل عياله للصحراء، وبعد مراجعة طويلة خير المولى عبد السلام أخاه المولى سليمان بين توجيه ولده المترجم للصحراء وإبقائه بفاس، فاختر السلطان توجيهه، فوجهه بعياله وانحى بسبب ذلك ما كان يصدره على أخيه والد المترجم، فاصطفاه وقربه إليه وجعله محل سره يستشيره فى المهمات ولا يبرم أمرا إلا بعد المفاوضة معه، وخابت مساعى الواشى ورد الله كيده فى نحره.

٤٣٦ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٢٥٦٧/٧.

وكان خروج المترجم من فاس للصحراء بعياله وعيال أبيه يوم الأحد سادس عشرى قعدة عام خمسة عشر ومائتين وألف، وبعد خروجه من فاس أقام بدار الدبيغ ثلاثة أيام ينظم فيها أمور سفره، ولم يمكث بالصحراء غير أيام قلائل، حتى رجع فى مأموريته، ثم عاد إليها ثانيا، ثم رجع منها مؤمنا طاغية آيت عطا، وكان السلطان قد هم بقتلهم جزاء لهم على سوء فعلهم، فحماهم بشفاعته إذ شفعه السلطان فيهم وعفا عنهم ثم آب للصحراء.

ثم لما تفاحش عيث بنى مطير، وكانوا أكثر القبائل البربرية مالا وماشية وخيلا وقوة وعدة وعددا، وهم السلطان بتأديبهم، أصدر الأمر للمترجم بالقدوم من الصحراء لما يعلم من شهامته ومعرفته بالحروب وإبلائه فيها البلاء الحسن بسيفه ورأيه، فورد عليه فى تاسع عشرى حجة عام ستة وعشرين ومائتين وألف، عقد له الرئاسة على الجيوش المراكشية والشاوية وعبدة ودكالة وسوس كما بتاريخ الضعيف، وقد زاده السلطان المولى عبد الرحمن حظوة على حظوته فكان يعقد له على الجيوش ويصدره للمهمات إلى أن استشهد رحمه الله.

وفاته: توفى قتيلا منتصف تسع وخمسين ومائتين وألف، قتله أخواله زمور الشلح غدرا عندما غزاهم السلطان المولى عبد الرحمن فى السنة المذكورة، وأوقع بهم شر وقعة على ما أخبرنى به حفيده، أى المترجم الشريف النبى مولاي الحسن ابن العربى بن الصديق بن عبد المالك المذكور، ودفن بضريح الولي الشهير أبى عثمان سعيد المَشْنَزَائى دفين خارج بأبى الخميس، ووجه العروس من الحضرة المكناسية وقبره ثم ترياق مجرب للداء الذى يصيب الأطفال المعروف بالعواية^(١) يطرحون المصاب عليه ويمرون مفتاح عود على عنقه فلا يقوم فى الغالب إلا كمن نشط من عقال.

(١) فى هامش المطبوع: «الفواق وهو تصاعد الريح من الجوف حتى يكاد يذهب بالنفس».



مولای عبد المالك بن عبد الرحمن

٤٣٧ - عبد المالك أبو المفاخر بن السلطان عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقيه نبيه، مهذب نزيه، أحد أعيان أفراد البيت الملوكي فضلا وجودا وشمما ومروءة ومثانة دين وجاها ووجاهة، كثير الرماد، رفيع العمد؛ محب في الصالحين وأهل الفضل والأشراف، مواس للضعفاء والأرامل والأيتام، لا تخلو مجالسه من العلماء طعنا وإقامة، غدوا ورواحا.

كم عقد له ابن أخيه السلطان المقدس مولاي الحسن وولده السلطان مولاي عبد العزيز على الجيوش لقضاء المهمات في السهل والجبل، فحمد عقباه بما رزقه من السياسة ولين العريكة والبشاشة وإطعام الطعام، ما هزم له لواء قط، ولا جرح عاطفة أحد، ولا كشر في وجهه، وقفت له على بعض الظهائر السلطانية التي كانت توجه إليه في مهماته الرسمية نص أحدها بعد الحمدة والصلاة والطابع بداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه):

«عمنا الأرضي، مولاي عبد المالك وفقك الله سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فبوصوله إليك نأمرك أن تنهض بحركة الصحراء التي معك ولا تبيت بالمحل الذي أنت فيه، وتتمادي على جد السير ليلا ونهارا حتى تلحق بركابنا الشريف، وها نحن وجهنا حامله قائد الرحي لاستنهاضكم حين وصوله إليكم والإتيان صحبتكم بجد المسير والعزم، والسلام في ٢ جمادى الأولى عام ١٣٢١».

ونص آخر في موضوع سابقه وبتاريخه للاستعجال:

«عمنا الأرضي، مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد قدمنا لك أمرنا الشريف بالتعجيل بالقدوم لحضرتنا الشريفة

بحركة الصحراء التى معكم، وزدناك هذا تأكيدا لتجد السير وتعجل بالقدوم
لمصاحبة ركابنا الشريف دون مهلة، والسلام وفى ثانى جمادى الأولى عام
١٣٢١هـ.

ونص ثالث:

«عما الأَرْضى، مولای عبد المالك وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد أمرنا الأغا الحسين البوعمرانى بالركوب بحرا من مرسى الدار
البيضاء بجميع من معه من عسكر طابوره خيلا ورماة واصلا لطنجة حاطها الله
من غير تأخير، وأمرنا أمناء المرسى المذكورة بإركابه، وأعلمناك لتكون على بال،
وتزعجه لذلك الغرض مهم اقتضاه، والسلام فى ٢٤ ربيع النبوى عام ١٣٢٢هـ.

ونص رابع وفيه قبول إشارته والعمل بها:

«عما الأَرْضى، مولای عبد المالك سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله

وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن أولاد حريز يرومون نقض الصلح الواقع بينهم وبين
قبيلة مزاب والأعشاش بتعرضهم لهم بطريق الدار البيضاء وقبضهم الخفارات منهم
ونهبهم بعض أمتعتهم، وعاملهم غاض الطرف عنهم فى ذلك، وقد أكثر مزاب
والأعشاش من التشكى بالضرر الحاصل لهم، ولم يصدهم عن مقابلة المذكورين
بمثل فعلهم إلا ما يرقبونه من عقوبة جنابنا الشريف، مشيرا بالتعجيل بصدور أمرنا
الشريف لعامل أولاد حريز بالمتعين قبل تحديد الفتنة بين الفريقين إلخ وصار
بالبال، فقد أصدرنا له أمرنا السامى بالله بتدارك ذلك والوقوف فيه والسلام فى ٧
ربيع ٢ عام ١٣٢٢هـ.

ونص خامس وفيه إشارة لقيام الولي عبد الحفيظ بمراكش ومبايعته وكان ذلك
سادس رجب المؤرخ به الظهير:

«عمنا الأرضي، مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بوصولك للرباط وسماعك به يوم الوصول ما
ذكرته عن مراكش، وعرفنا ما أشرت به من الكتابة للخديم ابن العروسي بالكون
على بال من بنى حسن، لما رأيته من أحوالهم التي لم تعجب، وصار بالبال، فقد
كتبنا له بذلك، وقد زرنا يوم تاريخه أولياء فاس زيارة السفر على العادة، ونحن
ناهضون للرباط في فاتح شعبان المقبل بحول الله لتكون على بال من ذلك،
والسلام في ٢٥ رجب عام ١٣٢٥».

ونص سادس في الاحتياطات المتخذة لمواجهة الحالة الجديدة في معنى ما
قبله:

«عمنا الأرضي، مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغ لشریف علمنا أن ولد عمنا مولاي الرشيد بصدد الخروج من
مراكشة للشاوية، ويتوجه منها لثغر الرباط فأصدرنا أمرنا الشريف لعامل هذا الثغر
وأهله بأن يكونوا على بال منه إذا ورد، وأن لا يقبلوا منه كلاما، وأن يمنعوه من
الدخول للمدينة منعا كليا بكل ما أمكن لهم.

وأصدرنا أمرنا الشريف للعلاف الطالب محمد الجباس بأن يقدم من طنجة
للرباط بحرا، ويصحب معه مددا من العسكر ويقيم بالبلد حتى يحل ركبنا
الشريف بها أو يقدمه قبل وروده من طنجة بقصد شد عضد أهل المدينة.

كما أصدرنا أمرنا الشريف للخديم القائد قاسم الأودي وقبيلته بشد عضد
أهل المدينة على منع المذكور من الدخول لها وطرده، فكن على بال، وشد

عضدهم على ذلك بكل ما أمكنك سدك الله، ونحن على نية النهوض يوم الخميس الآتى الذى هو الثالث من شهر شعبان القابل كما قدمنا لك الإعلام به، والسلام فى ٢٩ من رجب عام ١٣٢٥هـ.

مشيخته: أخذ عن أبى العباس ابن سودة، والمفضلين ابن عزوز والسوسى وغيرهم.

وفاته: توفى بعد زوال يوم الأحد ثانى قعدة الحرام عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف بالمحل المعروف بيط من بلاد بنى حسن، وحمل لمكناس بلده، ودفن به بقبة ضريح أبى حفص عمر الحصينى يسار الداخل إليها عشية يوم الاثنين ثانى يوم وفاته رحمه الله، وكان الذى تولى الصلاة عليه شيخنا أبا عبد الله محمد ابن عبد السلام الطاهرى مار الترجمة.

٤٣٨ - عبد النبى الشاوى.

وقفت عليه فى زمام العلماء الذين يقبضون المرتب العلمى بمكناس بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام خمسين ومائة وألف، ولم أقف له على ترجمة.

٤٣٩ - عبد العزيز أبو فارس.

شاعر الدولة المرينية، الملزوزى الأصل، المكناسى الدار، المعروف بعزوز. حاله: أديب شاعر مجيد، نابغة زمانه، وبقعة أهل عصره وأوانه، كان حامل لواء الأدب فى دولة السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى، وفى مقدمة شعرائه.

مؤلفاته: من ذلك قصيدته البائية الوافرية التى ذكر فيها سيرة السلطان يعقوب المذكور وغزواته وبنية وحفدته، وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد، وذكر قبائل العرب على اختلافها، وقد

أنشدت هذه القصيدة بين يدي الممدوح بها في حاشيته فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة، ولمنشدتها بمائتي دينار، وأورده في الاستقصاء تحت ترجمة وفادة طاغية الإصبان بأحواز الجزيرة وعقد الصلح بينهما.

٤٤٠ - عبد العزيز بن محمد اليفرنى.

المكناسى الأصل، الفاسى النشأة والدار والوفاة.

حاله: فقيه علامة له مهارة كاملة فى الفرائض والحساب.

وفاته: توفى بفاس سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة.

٤٤١ - عبد العزيز بن محمد بن محمد بن قاسم بن على بن عبد الرحمن

ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى الزناتى المكناسى.

حاله: كان عارفا بفرعى ابن الحاجب علامة متقنا فاضلا نبىلا.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى المحاسن الفاسى وغيره.

ولادته: ولد بعد خمسين وتسعمائة.

وفاته: توفى مطعوناً سنة ست وألف. قال فى المطمح: كان الطاعون

العظيم فى هذه السنة بلغ الموت فيه كل يوم من الألفين إلى الخمسمائة بفاس،

مات فيه من الشرفاء والفقهاء وأعيان فاس ما يزيد على الستة آلاف.

٤٤٢ - عبد العزيز المكناسى المدنى.

حاله: علامة أديب: ماهر كبير، ذكره الكاتب البحات جرجى زيدان فى

تاريخ آداب اللغة العربية فى الجزء الثالث منه صحيفة ثلاثين وثلاثمائة. كما ذكره

غيره.

٤٤٠ - من مصادر ترجمته: وفيات النشريسي فى موسوعة أعلام المغرب ٧٥٨/٢.

٤٤١ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ١٠٩٦/٣.

مؤلفاته: منها أرجوزة في العلوم الإسلامية توجد منها نسخة بالمتحف البريطاني كما بالتاريخ المذكور.

٤٤٣ - عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن عبد الواحد بن أحمد الشبيه الجوطي الحسني.

نقيب أشرف المغرب في عصره، ورفع نسبه إلى الجناح المصطفى، تقدم.

حاله: صدر أوحده، ركن معتمد، فريد عصره ونعته، فقيه فاضل، نبيل كريم، وجيه نزيه، بركة شهير، جليل مبجل، منظور إليه بعين الإكبار والإجلال، بهى السميت، وقور صموت حسن السيرة، طاهر السريرة، ممن يشار إليه، ويعتمد في مهمات الأمور عليه، مقتصد في ملبسه ومركبه له الخطوة التامة والمكانة السماء لدى الملوك فمن دونهم.

ولاه خطة النقابة السلطان المولى الرشيد الحسني العلوي سنة ثمانين وألف، ولم يزل قائما بما رشح إليه من هذه الخطة الشريفة أتم قيام إلى أن لبي داعي مولاه. قال في السر الظاهر إنه أحكم نظام النقابة وأجرى على مقتضى الشريعة أحكامها؛ وخطاباته فيما وقع بيده من الرسوم، تؤذن بعراقته فيما يتعلق بها من العلوم؛ هـ وهو أول من ولي النقابة من هذا الفرع الشبيه الشريف، ولا زالت النقابة في بيته إلى الحين الحالي.

وهو الذي بنى أولا قبة جده فاتح المغرب مولانا إدريس عام سبعين وألف، إذ كان قبره الشريف قبل ذلك عاريا بلا بناء غير أنه يدور عليه حائط، ولعله من بناء السلطان أبى سعيد المريني بن يعقوب المريني كما في الأزهار العطرة الأنفاس، قال: وهو أول بناء وقع عليه ونبتت شجرة عظيمة من التين في أصله أى جوفه

٤٤٣ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى في موسوعة أعلام المغرب ٤/ ١٦٩٧.

وكانت متدلية عليه ومظللة له كالقبة مدة طويلة، ثم إنه قطعها شخص لأجل أن يبنى مكانها فلم يتم له ذلك.

وفاته: توفى ربيع الأول سنة تسع وتسعين وألف.

٤٤٤- عبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون المكناسي.

كذا وجد بطاقة بخط العلامة المحقق السيد محمد بن جلون صاحب حواشي المكودي.

حاله: فقيه نحوي، أديب أريب لغوي، حكيم طبيب، ماهر خير، فاضل علامة مشارك كامل، مدرس نفاع، رحل إلى الحج وزيارة خير رسول، ودخل الإسكندرية ومصر وغيرهما من البلاد، وأفاد واستفاد.

قال في حقه أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمي في أنيسه المطرب ما نصه: شاعر مصيب، رتع من البلاغة بمرعى خصيب؛ وأحرز من الدراية أوفر نصيب، ودخل بيوت العربية من أوضح المسالك؛ وطرز في حديث السنن نحو ابن مالك، بفقته مالك، واختار الوحدة؛ وانفرد بالخممول وحده؛ ورغب عن الولدان، واعتزل الإخوان والأخذان، وضم إلى علم الأديان؛ علم الأبدان؛ فركب الأدوية؛ وانتشرت له بين الحكماء أى ألوية، وعرف الأمراض، وأرسل سهام الرقى فأصابت الأغراض.

رحل إلى المشرق فأدى فرضه؛ ثم رجع قاصد أرضه، فناهيك من علم اجتلب، ومن در نظم ودر احتلب؛ قال: ولقيته بمسجده من مكناسة الزيتون عند ضريح ولي الله تعالى أبى العباس أحمد بن خضراء رضى الله عنه فتلقاني بوجه وسيم؛ ومر لى معه حديث أروى من التسنيم، واستنشدنى فأنشدته للمحلى:

ولما أن خلا المغنى وبتنا جميعا بالعفاف مؤزرين
قضيها الحج ضما والتماسا ولم نشعر بما فى المشعرين

إلى غير هذا من رقيق الأشعار، قال: وحضرت يوما مجلس إقراءه؛ لأخبر كنه ذكائه ودهائه، فوجدته يتكلم فى التيمم ويقول: اعلم أن من تيمم للفرض لم يجز له أن يصلى بتيممه سوى ذلك الفرض المتيّم له ما لم يكن جنازة غير متعينة أو سنة، فالإباحة بعد الفرض، وكما تصلى السنة فما دونها بعد الفرض فكذلك بعد النفل، وفى النوادر عن ابن القاسم: لا بأس أن يوتر متيمم النفل، والمراد بالنفل ما يقابل الفرض أعم من أن يكون سنة أو غيرها، وفى سماع أبى زيد: ويشترط فى الجميع الاتصال. الخطاب وانظر هل مراده اتصال الفريضة بالنافلة أو اتصال النوافل فى أنفسها الظاهر الأول، وكلاهما منصوص عليه، وفى سماع موسى الفصل اليسير لا يضر.

وفى السماع أرايت لو تيمم للنافلة وصلى ثم لم يزل فى المسجد فى حديث ثم أراد أن يقوم ليستنفل بذلك التيمم، قال: إن تطاول ذلك فليبتدئ تيممه وإلا فأرجو أن يجزئه، وصرح باشتراط الاتصال صاحب الطراز والمتقى والتوضيح وابن عرفة وغيرهم. ابن رشد: الأصل أن لا يصلى صلاتين بتيمم واحد فريضة ولا نافلة. انظر بقيته، وفى التوضيح: وشرط ابن رشد أن تكون النافلة منوية عند تيمم الفريضة، وإن لم ينوها لم يصلها، ونحوه للشامل وابن فرحون وبهرام. ابن عبد السلام: إذا قصد الفرض جاز له ما شاء من النفل وهو تابع فى ذلك لابن الحاجب، الأجهورى: ظاهر المدونة أنه يفعل النفل بتيمم الفرض وإن كثر، وقيده التونسي بأن لا يكثر ونقله فى النوادر عن مالك رحمه الله.

وللشافعية أن يفعله إلى أن تدخل الفريضة الثانية واستظهره فى التوضيح تبعا لابن عبد السلام، قال: لأن ما يفعله من النوافل إنما هو بالتبع للفريضة ولا معنى للتابع عند فقد المتبوع، قيل: وهو موافق لكلام التونسي، إذ يمكن حمله عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أنه يصح إيقاع السنة بتيمم النافلة كما مر، وعليه ابن

القاسم فى المجموعة، سند: وإذا قلنا بمنع الجمع بين فرضين، فهل يجمع بين فرض وسنة أو فرض عين وفرض كفاية؟ المذهب أنه يجمع إذا قدم المكتوبة.

وفى الواضحة: من تيمم للعتمة له أن يوتر بتيممها ويصلى من التنفل ما شاء ومثله لابن الحاجب والتوضيح، ثم إذا جاز إيقاع السنة بتيمم النافلة فلأن تجوز السنة بتيمم السنة أولى وأحرى. الخطاب: ووقع فى التوضيح ما يوهم خلاف ذلك، فإنه قال لما تكلم على مسألة من صلى بتيمم واحد ما نصه: فرع قال ابن سحنون: وسبيل السنن فى التيمم سبيل الفرائض الوتر، وركعتا الفجر والعيدان والاستسقاء والخسوف يتيمم لكل سنة كما فى الفرائض نقله اللخمي.

قال: وسألته - يعنى صاحب الترجمة - عن أشياء من الأطعمة والأشربة وأى شىء أنفع للإنسان أن يأكله أو يشربه؟ فأدلى بأشياء نافعة، رافعة للأمراض دافعة، قال لى رعاه الله:

دماغ الجمل: من شرب منه مثقالا بخلٌ وعسلٌ نفعه لغشاوة البصر.

ألبان الإبل: تدفع وجع الأسنان.

دم الثور: إذا قطر على الجراحات التى يسيل منها الدم حبسه وإذا قطرت مرارته فى الأذن مر الطنين.

شعر العنز: إذا بخر به البيت طرد الهوام.

ورق الزيتون الأخضر: إذا طبخ بالماء ورش به البيت هرب منه الذباب.

ورق الأترج: من جففه وسحقه وعجنه بدهن زيت ولوز وأطعمه من شاء

أحبه حبا شديدا وكذلك:

ورق التفاح: إذا سحق مع السكر الأبيض واللوز وأطعمه من شاء ملك قلبه .

عظم الكبش: إذا حرق وسحق وعجن بلبن النساء وجعل فى قطنة ووضع على نهش الهوام وعلى القروح الردية الخبيثة أبرأها وألحمها من غير ألم .
البابونج: يبرئ من وجع الكبد .

الحلبة: إذا طبخت بالعسل وشربت أخرجت ما فى الأمعاء من الأخلاط الردية .

دهن اللوز الحلو: ينفع للحصى ويسهل خروجها .
الحبة السوداء: إذا شربت بماء وعسل فتت الحصاة .
أغصان الفجل: بلا ورق إذا شرب من عصيرها أوقية فتت الحصاة كبيرها وصغيرها هـ الغرض من أنيسه بخ .

مشيخته: أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ، منهم: أبو العباس أحمد بن الحاج، أخذ عنه الربع من مختصر الشيخ خليل، وأبو عبد الله محمد القسطينى أخذ عنه المقدمات الكبرى للشيخ السنوسى، وأبو عبد الله محمد بن المسناوى أخذ عنه الألفية من أولها إلى آخرها، وأبو زيد عبد الرحمن بن عمران أخذ عنه الألفية واللامية لابن مالك من أولهما إلى آخرهما، والشريف أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادرى أخذ عنه نصف الألفية، والشريف القاضى سيدى عبد الواحد أبو عنان أخذ عنه بعض مقامات الحريرى، والطيب أبو العباس أحمد بن الطيب أبى عبد الله محمد أدراق، أخذ عنه مسائل كثيرة من الطب .

وأخذ ببلده مكناسة الزيتون عن جماعة من الشيوخ، منهم: القاضى أبو مدين السوسى أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد ومختصر السنوسى، والقاضى سعيد

العميرى التادلى أخذ عنه البخارى حضر مجلسه فى إقرائه من أوله إلى آخره مرارا وكذا الألفية، وأبو العباس أحمد بن يعقوب الولاى أخذ عنه التسهيل من أوله إلى آخره، وأبو محمد عبد السلام البيجرى أخذ عنه الألفية ومختصر السعد ومختصر السنوسى والخزرجية، والطبيب الماهر أبو إسحاق إبراهيم بن القائد على الطبيب الأندلسى المراكشى ثم المكناسى، وهو من أطباء الجد الأكبر السلطان مولانا إسماعيل أخذ عنه مسائل كثيرة من الطب، وأخذ بمصر عن الشيخ أحمد الزيدانى مسائل كثيرة من كتاب ابن النفيس الذى اختصر فيه القانون لابن سينا ومسائل كثيرة من كتاب الإرشاد لابن جميع.

الأخذون عنه: منهم أبو القاسم العميرى ترجمه فى فهرسته وصرح فيها بأخذه عنه، وحلاه بالفقيه النحوى الأديب، اللغوى البليغ الأريب، قال: قرأت عليه الفقيه ابن مالك والآجرومية، وعليه كانت بداية قراءتى هـ.

ومنهم الشيخ صالح بن المعطى الشرقى حسبما صرح ذلك نفسه فى قوله مخاطبا للمترجم:

أشيخنا التحرير حلو المنطق	المتزى بمزايا المشرق
يا من علا الأثراب والأقرانا	كما سما الدهر به وزانا
يا نجل شقرون الجليل القدر	ومن غدا بحسنه كالبدر
قيد لنا فى الطب ما للأغذية	أرجوزة مفيدة سنية
من نظمك العذب البليغ الأشهى	فهو من العقد النضيد أبهى

فى غير هذا.

والعلامة السيد محمد الخياط بن إبراهيم المشنرائى - بنون فزائى - أخذ عنه أرجوزته فى الطب، وذاكره فى مسائل منها، واستفاد منه كثيرا حسبما وقفت على

تصريحه بذلك بخط يده، ومؤلف منحة الجبار حسبما صرح بذلك عن نفسه فى منحته، قائلاً: وهو الآن بقاء الحياة سمعت عليه نظم لامية الأفعال وأماكن من الألفية والتوضيح هـ.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة مدح بها سيد الوجود، مولانا محمداً الحامد المحمود:

أسقيانى كئوس بنت الدوالى	إن عرانى السقام فهى الدوالى
بنت كرم ربت عناقيدها السو	د بمهد الغصون تحت الظلال
رنحت مهدها الرياح وناغت	ها البلابل من غصون عوالى
رضعت من لبان سلسل نهر	وسقاها الجلا سلاف الزلال
ربها المزن فوق عرش عريش	فتكلل عرشها باللالى
حجب الفرس بكرها فى دنان	ضمخوها بعنبر وغوالى
مزجت برضاب ظبى لماء	خندريس ختامها مسك غالى
بين ورد وياسمين وآس	قد تمايل قده فى اعتدال
فى رياض زهت بثوب نضار	من أصيل مرونق بالجمال
هزت النفحات فيها غصونا	شربت من شمول ربح الشمال
غرد العندليب فيها خطيبا	فى منابر قضب سرو طوال
كم ليال قطعتها فى نعيم	حفظ الله عهد تلك الليالى
بت متبعا بها سنة الوصد	ل وبات الرقيب حلف اعتزال
بين راح وشمعة ومغن	وظباء قنصتها باحتيال

إذ نصبت لها حبال حفت
أذعنت للشراك بعد نفار
كل ظبي يفوق بدر تمام
ماس منعطفاً وسل من اللح
جمع الغى والهدى وصفه من
فرقصة مسرحاً طرف طرفي
واغتنت الوصال متتهز الفر
إلى أن قال :

ليت شعري فهل يعود زمان
صرت من بعد أنسه ذا سقام
ولبست سراويل الضر حتى
كل يوم يجدد الكرب ثوبا
إلى أن قال :

وتنازع عامل السهر الجفو
واشتغلت بمضمر الكرب حتى
إلى أن قال :

لى من الطب فى الورى بعد صيت
إلى أن قال :

إنما اشتكى لمن يكشف الضـ

بزخارف من غرور المحال
واستكانت لسحر كيد حبالى
غير أن جبينه كالهلال
ظ صوارم أرهفت للقتال
صبح غرته وليل الدلال
بين جيد المها ولحظ الغزال
صة والليل سجنه فى انسـ

قد مضى مسرعاً كطيف الخيال
أشتكى هم عيلة وعيال
سامنى كل مفلس من هزالى
كم جديد لبسته فوق بال

ن وعامل دمه المتوالى
ذبت بين تنازع واشتغال

وأنا أشتكى بفراط اعتلال

ر ويسدى المنى بغير سؤال

ضقت ذرعا وما رجوت سوى ر
غافر الذنب قابل التوب ذى الطو
إلى أن قال:

رب يسر لعبدك الفتح واشرح
عاقه الكسل المطاع فأمسى
وأعن عبدك الفقير وأذهب
إلى أن قال:

فإليك وسيلتى صفوة الخلد
هو أفضل شافع هو أوفى
رحمة عمت الوجود وغاضت
نسخ الغى عامل الرشيد إذ جا
خير من وطئ التراب وأزكى
خير من جاءه الأمين بآى
إلى أن قال:

يا رسول الله إنى ضعيف
يا رسول الله ضاق خناقى
يا رسول الله كن لى جاراً
الغياث الغياث يا خير من أم
أنت مدخرى وما لابن شقرو

ب الورى المتكبر المتعال
ل شديد القوى مفيض النوال

صدر من صدره من العلم خال
للبطالة وهو طوع الفعل
ضر جسم قوامه فى انحلال

ق سراج الهدى وشمس المعالى
مستغاث به لدفع الوبال
من لدن منعم شديد المحال
ء فلاح الرشاد بعد الضلال
من مشى من ذوى حفى وانتعال
أعجزت كل صائل بالمقال

فاكفنى شر كل باغ وقالى
فتدارك بحل عقد اعتقال
إن أنيخت مطيتى لارتحال
دحه بتأملى وارتجال
ن سواك لهول يوم المآل

الصلاة عليك ما ناحت الور
والرضا عن شوامخ المجد دأبا
وعلى الصحب كلهم غرر المج
وقوله:

دعنى وشوقى للإسكندرية هل
إن كنت ملتصبا طيب المعاش فلا
وقوله متغزلا:

سلا لى بأرض سلا حميم
وقوله معميا فى التمر المجهول:

ما أحمر اللون حلو الطعم معسول
قد شاع معروفها بين الورى كرما
وقوله معميا فى اللفت:

ما أبيض فى خده حمرة
قد بيع فى السوق على حسنه
(ألفت) فى أوصافه جملا

وقوله مخاطبا لابن الطيب المنقول من أنيسه:

حياك رب العرش يا ابن الطيب
يا من نفائس شعره بل سحره
شمس لطلعها بفاس آية

ق صباحا وما تلا الذكر تالى
آلك الأكرمين أشرف آل
مد نجوم الهدى بدور الكمال

أبصرت مثل رشا فى ثغره الزاهى
تسكن سواها ففيها نعمة الله

فشرى مذ شغفت به حميم

يعزى لذات عقاص زانها طول
فاعجب لمعروف أم وهو مجهول

يرفل فى ثوب من السندس
مظلمة بالثمن الأبخس
معجبة للحاذق الأكيس

وسقاك منهمر الغمام الصيب
نسخت نفائس كل قول مطرب
فاعجب لمطلع مشرق فى مغرب

وقوله وذلك عام أربعة ومائة وألف أو فيما يقرب منه كما أخبر بذلك عن

نفسه :

أسر الفؤاد فبات فى أغلاله قمر تشعشع فى سماء جماله
سلب الكرى عن ناظرى لما درى أنى أعلله بطيف خياله
قد حام قلبى حول بانه قدّه فرماه من لحظاته بنباله
فغرقت من بحر الهوى فى لجة وصبرت محتسبا على أهواله
وقطعت ليل صدوده حتى بدا صبح الوصال ولاح فى أذياله
فجنيت زهر جماله متمتعا بعقيق مبسمه وعذب زلاله
ورشفت من در الثنايا سلسلا كالراح مختوما بعنبر خاله
أرخی على خديه فرعا فاحما فقطفت غض الورد تحت ظلاله
يا حسنّها من ليلة فى جناحها ظفر الفؤاد بمنتهى آماله
غفل الوشاة فنلت ما أملتّه من وصله والسعد فى إقباله
وشكوت ما قد فات من زمن الجفا وأريته صبرى على أفعاله
وسقيته خمرا حكت شمس الضحى تسلى فؤاد المستهام الواله
يا قلب دونك فانتهاز فرص الرضا من قبل أن يصغى إلى عذاله
فعليه منى ألف ألف تحية ما لاح فى أفق ضياء هلاله
وتسرّبل الروض الهتون بسندس فبدت عقود الطل فى سرباله

وقوله :

يا طالب الطب لدى عصابة تطلب مجانا سماع المجون

لست طبيبا ماهرا عندهم إن لم تقل للشئ كن فيكون
وقوله:

كلمات حق نقشها حسن في فضة تسبي نهى الخلق
تقضى حوائج كل ذى أمل الله حق ناصر الحق
وقوله:

وذى سمن على خديه ورد وحول الخد منه ياسمين
وهبت له على خطر فؤادى وقلت ارفق برقك ياسمين
وقوله:

وشى روض البنفسج ثوب روض به النمام دب على الحواشى
فلمت طيوره لما أثارت خصاما قبل وقت الفجر فاش
فقلت كيف أسلو عن خصام وإنى بين نمام وواش

وقوله فى فتى منزله بمكناسة بحومة قاع وردة:

أهدى إلى وردة ظبى ثوى بقاعها
كناسه مكناسة يسرح فى بقاعها

فائدة: وهذا النوع يسميه النحاة المعمى، والفقهاء الألغاز، وأهل الفرائض
المعاياة، واللغويون الأحاجى. والأصل فيه حديث البخارى أن رسول الله ﷺ
قال: إن من الشجر شجرة لخ قاله ابن فرحون فى كتابه درة الغواص فى محاضرة
الخواص.

مؤلفاته: منها شرحه على البسط والتعريف للشيخ المكودى، والأرجوزة فى

علم الطب المعروفة بالشقرونية نظمها بإشارة من الرجل الصالح، المنور الفالح،
أبى المعالى الصالح بن المعطى الشرقاوى العمرى لما قدم على مكناسة الزيتون عام
ثلاثة عشر ومائة وألف، فطلب من المترجم فى أبيات رجزية أن يقيد له فى الطب
أرجوزة تتضمن مسائل مخصوصة منه، عينها الشيخ المذكور فى أبياته المذكورة،
فلم يجد بدا من موافقته ومساعدته على ما طلب، كذا أخبر المترجم عن نفسه،
ولم أقف على تاريخ وفاته غير أنه كان حيا يرزق سنة أربعين ومائة وألف.

٤٤٥ - عبد القادر المدعو الجيلانى^(١) السحاقى.

من آيت إسحاق، إحدى قبائل آيت أو مالوا النازلين ببلاد ملوية.

حاله: قال فى حقه أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادرى
فى الأزهار النادية ما لفظه: الكاتب الأرفع، والبدر الأسطع، الأديب اللبيب
اللغوى النسابة المؤرخ، كان يحسن الترسيل والإنشاء، ناظما ناثرا مطلعاً، ألف
رحلة وصف فيها رحلة السيدة الجليلة خنثة بنت الشيخ الجليل الوجيه سيد قومه
بكار المغفرى أم أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسنى لما سارت
إلى المشرق بقصد الحج، فحجت ورجعت إلى المغرب، وكان من جملة من سافر
فى رفقتها.

مؤلفاته: منها رحلته المشار لها.

وفاته: توفى بعد أوبته من أداء فريضة الحج بعد الخمسين ومائة وألف رحمه
الله.

٤٤٥ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٦/٢٥٥٨.

(١) فى الموسوعة: «الجيلالى».

٤٤٦ - عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الملقب الفاسى .

الشاوى أصلا، المعزاوى نسبا، من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون .

حاله : فاضل جليل القدر صالح فالح ذو كرامات واضحة، وأسرار لائحة، مما تواتر عنه من ذلك عند من أدركته من الشيوخ المسنين الذين ترضى أمانتهم، أنه أدركه وقت الفجر فى يوم من الأيام وهو على غير وضوء للصلاة، وخاف فوات الفجر إذا نزل للوضوء، فمد يده من سرجم المستودع إلى صحن المسجد، وأخذ الماء وتوضأ والحال أن بين محل الماء والمحل الذى مد يده منه ما يزيد على ثلاثين متراً .

ومنها أن بعض أصحابه من مؤذنى المسجد الأعظم مرض مدة وصادف مرضه زمن الخريف، فلم من الله عليه بالشفاء جاء إلى المترجم بالمستودع المحل المعد للموقت فهنا بالشفاء وسأله عن حاله، فقال المؤذن للمترجم: ما أسفت على شىء فاتنى فى مرضى أسفى على عدم أكل التين الرطب، فأجابه بقوله: قم لداخل المستودع وكل ما قدرت عليه من التين واترك الباقي، والحال أن الإبان يستحيل وجود التين الرطب فيه لفوات إبانه بكثير، فدخل للمحل الذى عين له فوجد آنية مملوءة تينا رطبا من أحسن وأعلى ما يكون، فأكل حتى شبع، وأخذ شيئا أخفاه قاصدا إخراجه معه فلم يهتد للباب، فنادى المترجم فقال له: رد ما أخذت ينفتح لك الباب، فرد ما أخذ فانفتح له الباب، إلى غير هذا مما يطول جلبيه، وهو غير مستغرب فى جانب كرامات الأولياء الثابتة كتابا وسنة وإجماعا ممن يعتد بإجماعه .

مشيخته: أخذ عن والده محمد المترجم فى المحدثين، وسيدى العربى بن عبد السلام الفاسى بن العربى بن أبى المحاسن يوسف الفاسى أخذ عنه بغية الطلاب للحباك، وكتب ابن البناء، وعدة أبواب من الزيج الموافق، وأخرى من

الزيج القديم، ومن اصطلاحات ابن جندور، ومقالات ابن عزوز، ورسالتى الربع المجيب والكمال إلى غير ذلك، وأجازه عامة حسبما وقفت على ذلك فى تقرير إجازة للمترجم مكتوبة فى رق غزال عدد فيها ما أخذه عن شيخه المذكور من المؤلفات العديدة فى هذا الفن العالى الشأن، تفنن فى أفانين الإنشاء فيها ما شاء، بتاريخ أوائل ذى القعدة الحرام عام أربعة وثلاثين ومائة وألف عقبها بخط الشيخ المجيز ما لفظه:

الحمد لله ما قاله السيد الأرضى، الفقيه النحرير الأحظى، الفاهم اللبيب المرتضى، سيدى عبد القادر بن الفقيه النحرير العدل المرتضى الحيسوبى الميقاتى، سيدى محمد بن الفقيه البركة الموقت الراصد، سيدى عبد الرحمن الفاسى رئيس الموقتين ومحقق الراصدين بالخرصة المولوية الهاشمية محروسة مكناسة صحيح، وقد أجزته فى ذلك وفى غيره من المؤلفات التوقيئية والآلات الفلكية والأزياج التعديلية وغير ذلك، والله يوفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه بمهنة وكرمه، وأسأل من المجاز المذكور أن لا ينسانى من صالح دعائه، وفى التاريخ أعلاه كتب عبید ربه وخادم أوليائه، العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنى به عمن سواه، العربى بن عبد السلام الفاسى، وأصل هذه الإجازة من محتويات المكتبة الزيدانية.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده سعيد آتى الترجمة وغيره.

وفاته: توفى شهيدا تحت الردم بالزلزلة فى صفر سنة تسع وستين ومائة وألف مع والده السابق الترجمة فى المحدثين.

٤٤٧ - عبد القادر أبو محمد القاضى الأعدل بن محمد بن عبد المالك بن

العربى بن على بن مولانا محمد بن مولانا على الشريف الحسنى
السجلماسى.

٤٤٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧ / ٢٤٠٠.

حاله : حافظ ضابط ، فقيه علامة ، دراجة فهامة ، مشارك تحرير ، نقاد متقن ،
فاضل ماجد جليل ، متضلع نبيل ، مدرس نفاع ، صلب فى أحكامه ، لا تأخذه فى
الله لومة لائم ، كان السلطان العادل فخر دولتنا العلوية سيدى محمد بن عبد الله
يعظمه ويجله ويقدره قدره ويفاخر به ، وعلى عهده تولى القضاء والإفتاء بالحضرة
المكناسية الهاشمية المولوية ، وإمامة جامعها الأعظم ، وكان لا يسميه إلا بقاضى
القضاة .

ولم يزل المترجم على العدل فى أحكامه والوقوف مع الحق إلى أن نقله الله
إليه ، وقفت على عدة رسوم مسجلة عليه منها رسم بتاريخ سابع عشر جمادى
الأولى عام اثنين وثمانين ومائة وألف ، وآخر بتاريخ ستة وثمانين ، ترجمه غير
واحد وأثنى عليه ، منهم : القاضى العدل السيد الطالب ابن الحاج المرداسى المتوفى
سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف فى كتابه الأشراف ووصفه فيه بأوصاف عالية
كغيره من المحققين الأثبات .

الآخذون عنه : منهم ابن أخيه القاضى الشريف المولى أحمد بن عبد الملك
المترجم فيما مر ، وناهيك به .

مؤلفاته : منها شرح على همزية البوصيرى فى أربع مجلدات أبدأ فيه
وأعاد ، وأبدى ماله من الباع المديد فى المعقول والمنقول ، وشرح على تحفة الحكام
القاضى ابن عاصم .

وفاته : توفى على القضاء بمكناس أوائل جمادى الأولى عام سبعة وثمانين
ومائة وألف ، ودفن بروضة أبى على لحسن بن مبارك الشهيرة ، وقد رمز لتاريخ
وفاته تاج الأدباء أبو الربيع سليمان الحوات بقوله :

قاضى القضاة السجلماسى حيث مضى مضمخا بعبير العفو تضميخا
استخرجت فكرتى فى الحال أن له الآن غاب هلال العدل تاريخا

٤٤٨ - عبد القادر بن الحران الحسنى الإسماعيلي.

حاله: فقيه أستاذ نبيل، عدل رضى مبرز من صدور الأشراف وأعيانهم الجللة، ذو مروءة ومتانة دين، كان يتعاطى خطة الإشهاد بسماط عدول العاصمة المكناسية، ولم يزل على ذلك إلى أن لبي الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

وفاته: توفى بعد الخمسين ومائتين وألف.

٤٤٩ - عبد القادر بن عبد الرحمن بن سعيد.

الفاسى لقبا المكناسى نشأة وداراً، الشاوى المعزوى أصلاً.

حاله: فقيه ميقاتى مقتدر، ماهر متقن، عارف بفن التوقيت، محقق لأصوله وفصوله، تولى رياسته بالمسجد الأعظم بمكناسة بعد وفاة جده، وقفت على ظهريين سلطانيين متضمنين إسناد الخطة المذكورة بالمسجد المذكور إليه؛ وقصرها عليه؛ أولهما للسلطان الأعدل مولانا سليمان، وثانيهما لسيدنا الجد السلطان عبد الرحمن بن هشام. نص الأول:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم (سليمان بن محمد بن عبد الله غفر الله له وتولاه) كتابنا هذا أسماء الله وأعلى أمره يستقر بيد حامله الطالب الموقت السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن البركة المرحوم السيد سعيد الفاسى وأخيه، ويعلم منه أننا بحول الله وقوته أبقيناهما على ما كان عليه أسلافهما مع أسلافنا الكرام؛ من التوقير والاحترام، والرعى المستدام؛ وأفردناهما بالتوقيت فى المسجد الأعظم من محروسة مكناسة لمعرفة عبد القادر المذكور بقوانينه وقدرته على القيام بهذا الوظيف، وما شاركناه مع الغير حين مات جده إلا لأجل صغره، أما الآن فيذهب من كان يشاركه إلى حال سبيله ويختص

٤٤٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٥٦٢/٧.

به وحده، ويقبض التسعين أوقية المعدة لذلك كاملة، فنأمر ناظر الأحباس أن يدفعها له عند استهلال كل شهر يستعين بها على هذا المقصد الأحمد، وعليه بالمحافظة والاحتياط والتحري، فإن هذا المقام الذى أقمناه فيه هو عمود الدين، وعليه مداره بحيث لا يقبل عذر من فرط فيه، والله يتولى رشده وينفعنا بأجرهما آمين، والسلام فى ثامن شوال عام خمسة وعشرين ومائتين وألف».

ونص الثانى بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله: (عبد الرحمن بن هشام نصره الله) يستقر هذا الظهير الكريم؛ والأمر المحتم الصميم؛ بيد ماسكيه الطالب الأرضى الميفاتى، السيد عبد القادر بن عبد الرحمن بن السعيد سعيد وأخيه الفاسى لقبا المكناسى قرارا الشاوى نجارا، من أولاد سيدى يش بن حمدون المدعو أبو معزة يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته، أننا جددنا لهما حكم ما بيدهما من ظهائر أسلافنا قدس الله أرواحهم، من اختصاص الأول بالانفراد بالتوقيت بمنار المسجد الأعظم من محروسة مكناسة الزيتون لمعرفته بقوانينه وأصوله، وإتقانه لفروعه وفصوله، وأقررناه على قبض التسعين أوقية المرتبة له من الأوقاف على ذلك فى كل شهر، وعليه بتقوى الله وطاعته، والقيام بذلك جهد استطاعته، والمحافظة والتحري فى ذلك، والله يوفقه لأفضل المسالك، والواقف عليه من ولاية أمرنا يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه؛ صدر به أمرنا المعتر بالله فى ثامن شعبان المبارك عام واحد وأربعين ومائتين وألف».

قلت: وقد كان المرتب المذكور إذ ذاك له بال وشأن فيه ما يكفى لسائر الضروريات اللازمة مع ترفه^(١).

مشيخته: أخذ عن والده وجده وغيرهما من محققى أعلام وقته.

وفاته: توفى عام ثمانية أو أواخر سبعة وخمسين ومائتين وألف.

(١) فى هامش المطبوع: «كان إذ ذاك قيمة شاة لا تتجاوز فرنكا وعلى هذه النسبة فقس».

٤٥٠ - عبد القادر بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسي العلمى
الحمدانى.

كذا وقع هذا النسب فى رسم كتب قيد حياته مؤرخ بثمان عشرى جمادى
الثانية عام واحد وستين ومائتين وألف .

الولى المشهور المعروف بسيدى قدور العلمى نسبه لجبل العلم^(١) الطالبى
العبد السلامى نسبه لجدّه الأعلى مولانا عبد السلام بن مشيش، دفين جبل العلم
الشهير مقرر سلفه - أى المترجم - وهو من أولاد حمدون، وعليه فقول الرسم
الحمدانى غير سديد وصوابه الحمدونى .

حاله: نشأ فى صيانة وعفاف بمكناسة الزيتون فى حجر والده بالدار التى
اتخذها زاوية بعد وفاة والده، وبها أقبر كما يأتى، وكان رحمه الله من أهل
المقامات العالية والأحوال السنية السنية، لا يعرف لعبا ولا لهوا ولا ما يرجع
لزخرف الدنيا وزينتها، كثير التطوف على أضرحة الصالحين وزيارة الأحياء منهم
والأموات .

قال أبو عبد الله محمد الأمين الصحراوى المراكشى فى مقدمة الارتجال فى
مشاهد ومشاهير سبعة رجال: قال لى الولى سيدى عبد القادر العلمى: إنه مكث
بضعا وعشرين سنة وكان بمراكش، وكل يوم يزور سبعة رجال، أو يزور الأربعة
المتقاربة: سيدى أبى العباس السبتي، وسيدى محمد بن سليمان الجزولى، وتلميذه
سيدى عبد العزيز التباع، وتلميذه مولانا عبد الله الغزوانى، أو يقتصر على زيارة
أبى العباس السبتي هـ

وقد لازم دهرًا طويلا زيارة ضريح الإمام إدريس الأكبر، وبالأخص يوم
الجمعة لم يتخلف عن صلاتها بمسجده فى صيف ولا شتاء مدة من ثلاثين سنة،

(١) فى هامش المطبوع: «بفتح العين واللام، حيث مدفن المولى عبد السلام بن مشيش» .

وكان ذهابه لزرهون كل جمعة على أتان له، وكان يتطرح على شريف تلك الأعتاب ويتضرع إلى مولاه فى تنوير سريره وصفاء باطنه وتطهيره من الرعونات النفسانية، ثم بعد مدة لازم داره، وصار لا يخرج منها إلا يوم الجمعة.

وفى آخر عمره لما كبر سنه ووهن عظمه واعتراه ما اعتراه من الجذب وذلك قبل انتقاله لدار النعيم بنحو أربعة أعوام كما صرح بذلك تلميذه الملازم له العلامة السيد محمد فتحا غريبط الطبيب الشهير فى رجزه الموسوم برياض أنس الفكر والقلب حيث قال:

والجنب معه نحو أربع سنين	وبعضنا به من المستيقنين
ومع ذا بسائر الأذكار	يصدع بالليل وبالنهـار
حتى قضى بقرب فجر الاثنين	ليلة يوم ساس وعشرين

ترك فى الجمعة، وكان يتحرى صلاتها بجامع الزيتونة أحد المساجد الشهيرة بمكناس المؤسسة على عهد سيدنا الجد الأعظم السلطان مولانا إسماعيل.

ومن عادته شراء الخبز والتمر وتفريقه على الصبيان كل يوم جمعة، وربما ندب لذلك بعض الخاصة من معتقديه، حتى رتب سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام على شراء قدر من ذلك كل جمعة جراية، فصار يشتري ويفرق، واستمر الأمر على ذلك بعد وفاة المترجم فى دولة السلطان المذكور وبعدها إلى آخر الدولة الحسنية أو أول العزيرية.

وكان السلطان المولى عبد الرحمن من خاصة محبى المترجم ومعتقديه، يذهب لزيارته كلما حل بالحضرة المكناسية، ويستشيريه فى كل مهم عن له، ويقف عند حد إشارته، وقد شاهد له كرامات وخوارق عادات، ولما قبضه الله تعالى

وبلغ خبر نعيه إليه، كتب على الفور لعامله على مكناس القائد الجيلاني بن بوعزة
بما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«وصيفنا الأَرْضِي القائد الجيلاني بن بوعزة وفقك الله، وسلام عليك
ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فغير خاف عنك ما كان بيننا وبين الولي البركة، مولاي عبد القادر
العلمي، نفعنا الله ببركاته، من صفاء المحبة، وخلوص المودة، في ذات لله
ولأجله، وقد بلغتنا وفاته رحمه الله ورضى عنه، وانتقاله لدار الكرامة والسعادة،
فبوصول كتابنا هذا إليك توجه لتعزيه أقاربه وحشمه بنفسك نيابة عنا، وقل لهم:
نحن وإياهم في مصيبتهم سواء، آجرنا الله فيها، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولله ما
أخذ وله ما أعطى، وكلُّ بأجل مسمى، فليس إلا الصبر والاحتساب والرضا،
والتسليم لما جرى به القضا.

وإياك ثم إياك أن يمد أحد يدا في متروكه من أقاربه أولاد مولاي عبد
السلام أو غيرهم أو يخرج الأمر بعده عن قدمه قبل وكان يتصرف حال حياته،
فالناظر الذي كان متوليا أمر زاويته يبقى على حاله فيها من غير منازع ولا
معارض، فهو الذي يخوض في متروكه ويختص بالتصرف فيه خاصة، وقد
عضدناه وشددنا أزره بخديمتنا الأَرْضِي الناظر الطالب الطاهر بن عثمان ليعينه في
ذلك، وظهير صدور أمرنا به يصلك في إثره، فأطلع على هذا خديمتنا الأَرْضِي
الطالب أحمد اللب، وجميع خدامنا كالأمناء والمحتسب ليعملوا بمقتضاه، وأولاد
مولاي عبد السلام تعرف حالهم فمن تقرب إليه منهم ورام الخوض في أمر الزاوية
ومتاعها، كفه عن ذلك بالزجر البليغ، حتى لا يتناول أحد إلى ذلك، فإن أبناء
الزمان لا يرددهم إلا الجدد، والسلام في سادس عشر رمضان المعظم عام ستة
وستين ومائتين وألف هـ».

والمترجك المشار إليه فى هذا الظهير الشريف اشتمل من النقد الناض على اثنى عشر ألف مثقال وزيادة، وقد أنكر ذلك بعض الناس لما سمعه قائلاً: كيف يكون من يترك مثل هذا القدر وليا؟ فرأى فى نومه كأن قائلاً يقول: لو لم يأذن المترجم للشمس أن تطلع ما طلعت أو كلاماً نحو هذا، فلما أفاق استغفر وتاب.

وقد قدمنا فى الكلام على المساجد ظهيرين آخرين للسلاطان المذكور، فى أولهما التصريح بأن المترجم إنما خلف ذلك لأسرار كما قدمنا هناك، وأن من ذلك المال أتم بناء مسجد زاوية المترجم، ومنه اشترت الأصول المحبسة على مصالح ذلك، ولا زالت قائمة إلى الآن، ولو لم يكن من أسرار ذلك إلا هذا القدر لكفى.

وقد كان المترجم سيداً حصوراً، لم يحتلم قط، ولا عرف معنى الالتذاذ كما أخبر هو بذلك عن نفسه لا فى صغره ولا فى كبره، ولا يأكل دسماً، جُلُّ قوته الخبز والزيتون، وقد كان لا يمكن أحداً من تقبيل يده حتى قدم إلى مكناسة الشريف سيدى المختار البقالى وأذن له فى إطلاقها للتقبيل ففعل إذ ذاك، وصار لا يمنع من تقبيلها أحداً، كما أخبر بذلك بعض الخاصة من أصحابه.

وقد ظهرت له رضى الله عنه كرامات وأسرار، وقصده وفود الزوار من سائر الأقطار، ومن ذلك أن بعض الناس حضر بين يديه فذكر المترجم أمراً وقع فى نفس الحاضر المذكور تكذيبه فيه، فاطلع المترجم من طريق كشفه على ما حدث الحاضر المذكور به نفسه، وقال: والحاضر المذكور يسمع من كذبنا يعمى هـ فعلم الحاضر المذكور أنه هو المقصود بذلك وانصرف، فبعد مدة عمى واستمر كذلك إلى أن توفى أعمى، نسأل الله العافية وهذه القصة ثابتة أرويهها مفصلة بسند صحيح.

ومن ذلك ما حدثنى به شيخنا العرائشى أنه حدثه شيخه السيد فضول بن عزوز أنه كان يزور المترجم ويلازمه كثيراً ويصلى معه صلاة الجمعة بجامع

الزيتونة، ويراقب أحواله، ففي بعض الأيام قال فى نفسه: إن هذا السيد الجليل العظيم القدر منذ رأيتَه وصحبته ما رأيت منه أمراً يخالف الشريعة، غير أنه يرفع رأسه من السجود قبل الإمام، قال: وكان فى قلبى من ذلك حزاة ثم ساقتنى المقادير إلى مطالعة كتاب الشعرانى الميزان الكبرى فوجدته ذكر فيه أن العارفين تتجلى لهم عظمة الله تعالى فى السجود، فخفف عنهم ورخص لهم فى الرفع لئلا تتفطر قلوبهم فى ذلك التجلى، قال: فلما وقفت على ذلك حصل لى فرح وسرور حتى صرت أضرب على صدرى، وأقول: يا فرحى وياسعدى، ثم قمت فى الحين وذهبت إليه، فلما جلست بين يديه قبض على أذنى وقال لى قبل أن أكلمه: ما رأيتَه صحيح، ولعله كرر هذه المقابلة مرتين هـ.

ثم راجعت الكتاب المذكور فى المسألة فوجدت ذلك صحيحاً ودونك نصه: وربما استحضر الساجد عظمة الله تعالى فانهدت أركانه، فلم يستطع كمال الرفع، وربما استحضر بعض الأصاغر عظمة الله تعالى فى الركوع أو السجود فكادت روحه تزهد منه، فبادر إلى الرفع من الركوع أو السجود بسرعة من غير بطء، فمثل هذا ربما يعذر فى عدم إتمامه الطمأنينة وهو فى السجود أكثر عذراً كما جرب هـ.

قلت: ولا محذور فى ذلك شرعاً فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد أباح سبحانه لمن عجز عن القيام فى الصلاة الجلوس، ولمن عجز عن الصلاة جالسا الصلاة مضطجعا، ولمن عجز عن أدائها مضطجعا أن يصليها إيماء، وللضرورة أحكام.

وأخبرنى أيضاً محدثى الشيخ المذكور عن شيخه المذكور أنه كان فى ابتداء طلبه يقرأ يوماً مصنف الألفية فى لوح، فصعب عليه حفظه فرمى به مع حائط، وقام من حينه وذهب إلى المترجم، فلما جلس بين يديه قال له: لا تعجل ها

مجلسك بين يدي انظر إليه، فكان كما قال رضى الله عنه، قال مخبرى: فإننى قرأت عليه يعنى شيخه المذكور فى زاوية هذا السيد الجليل المرشد المعين بين العشائين من أوله إلى آخره ثم الشمائل النبوية كذلك، ثم طرفا وافرًا من صحيح الإمام البخارى هـ.

وما ينسب للمترجم من الأزجال هو له حقيقة وقد كان له رواية يتلقونه منه ويكتبونه عنه، منهم: العلامة السيد محمد غريط، والسيد الحاج قاسم بن المير، والسيد الحاج أحمد الدقيوق وغيرهم، حيث إن المترجم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك قد ضمن تلك الأزجال من أنواع فنون البلاغة ودقائق المعانى ما أخرس الفصحاء وأخجل البلغاء وأودعها من الحكم والمواعظ والأمثال ما حير أولى الألباب، وألزم المعاند الحجة.

أما تغزلاته فقد أشرت بنسيم الصبا ووسيم الصباح، وكلها إما فى الحضرة العلية أو النسمة النبوية، أو الأكابر من الأولياء والصالحين شنشنة فطاحل العرب والصحابة والتابعين وسلف الأمة وخلفها المتقين فى تغزلاتهم فى أشعارهم الفائقة الرائقة، لا فيما يفهمه بعض الأوغاد من أنه فى معين لا يحل، حاشا أهل الفضل والدين من ارتكاب ذلك.

والخوم حول ولوج وخيم تلك المسالك.

ولو دُونَ جميع ما قال من الأزجال لجاء فى عدة أسفار، ولكنه منه ما لعبت به أيدي الإتلاف، ومنه ما مات بموت حفاظه، ومنه ما حرق على عهد المترجم بإذن منه، وما بقى إنما هو قُلٌّ من كُثْر.

مشيخته: أخذ عن الولي الصالح، العارف الفالح، السيد الحاج المختار البقالى المتوفى سابع أو ثامن عشرى صفر عام خمسة وخمسين ومائتين وألف،

وسيدى على بن عبد الرحمن المعروف بالجميل دفين فاس المتوفى عام أربعة وتسعين ومائة وألف لازمه وانتفع بصحبته، وكذا عن شيخ أفاقى اسمه بدر الدين، ومولاي الطيب الوزانى، وسيدى محمد بن أحمد الصقلى المتوفى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف وغيرهم، وكان كثير الزيارة لأبى الأسرار حمادى الحمادى المكناسى المترجم فيما مر.

الآخذون عنه منهم: السيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، والسيد محمد غريط، والعارف الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الحفيظ الدباغ، والإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوى الذى صح عنه أنه قال: قد هان على سفر ثمانية أعوام بملاقة رجلين بالمغرب سيدى قدور (بالكاف المعقودة) العلمى، وسيدى عمر بن المكى الشرقى، والبركة الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن التهامى الإدريسى الزرهونى، وأبو حامد العربى بن السائح الشرقى دفين الرباط لازمه سنين وانتفع به، حدثنى من وثقت بخبره من الأعلام أنه حدثه بقية السلف فى الخلف أبو المواهب عبد الكبير بن محمد الكتانى، أنه حدثه سيدى العربى المذكور برباط الفتح عام سبعة وثلاثمائة وألف، وقد جرى ذكر حديث: إن لله عبادةً من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً: أنا سمعته من مولاي عبد القادر بمكناس بلفظ إن لله عبادةً من نظروا إليه نظرة سعد سعاد سعادة لا يشقى بعدها أبداً هـ.

قلت: وليس مراده ورود هذا اللفظ عن الرسول، وإنما مراده التعريف بسعة فضل الله واعتناؤه بخاصة عباده المتقين، وأنه يؤتى فضله من يشاء، وفى الصحيح إن لله عبادةً لو أقسموا على الله لأبرهه.

ومن الآخذين عنه أيضاً: الشريف العلامة سيدى محمد بن هاشم العلوى الحرونى وخلق كثيرون.

أزجاله من ذلك قوله متغزلا :

قسم

الحال غلام عساس فروض منعما فيمين حربة إلى أوما
كينوا درغام من حاده يترك رميم
صنع العلام نقط في روض منعما حكمت ربى رافع السما
ما نزلت بقلام كون الله الدائم القديم
وجعاب أروم وكوابس للطعن رايما فمكاتب كفار ظالم
ما تقبل تدمام مولوع بالقتل والهجوم
والجيد رام قدام جليب وهايما على العف والطيب قادم
شرادت لوهام ما نقر الأمان ما تقيم
زين العجم العين الشهلا النيما وحروف الزين المسقما
والبياض تمام وصف الزين فصنعت حكيم
قامت لعلام جبين وغر مبسم وخدود كورد ناسما
حسن بغير وشام صنع الله المالك العظيم لخ
وقوله :

راح الوقت ولا بقا إلا وقت المعانقة كب وراورخي وراق
والأشجار الباسقة والأطيار الناطقة عمرت بلغها أسواق
كب الصهبا الخارقا فى كيسان بنادقا من زاج بلاد العراق
تظهر خمر بارقة فالأوانى شارقة كلون سحيق الرهاق لخ

وقوله من إدرسية طويلة:

بوجودك يا سراج محفل هل اليقين

أسعد الغرب بعد كان فبرج نحيس

انتصرت ملى النبی وتشهر الدين

والحق سقام منهج بعد التنكيس

وقطع سيف الهدى أرقاب المرتدين

بالقهر ولا بقى رهيب ولا قسيس

نبات مساجد العباد للمبين

وفنون العلم بالتلاو والتدريس

بوجودك يا لغوث أمولای إدریس لخ.

وقوله فى المديح النبوى:

ببر كتابك نجا الله من فيضه نوح

وبل أيوب تعافا من أسقام القروح

وبك ارتقا ادريس مكان صدق موضح

وبلك سليمان تولى الملك مشهور

على الجن والإنس وسائر الوحوش منصور

الصلاة والسلام على النبی المبرور

بك استجاب الإله لدعوة المسيح

وبك عزم ربنا ليوسف بسراح

ورد عن يعقوب النبی ضيا الماح

وبك عز الله صالح واتشهر صلاح

ربك موسى غلب أحبار اليهود دجاح

وفات لقمان وقیصر وملوك كسرا

وكل من درجت به الروح فوق الترا

عدد ما خلق الله ميات ألف مرة

وبك تفدا النبي إسماعيل الذبيح
وبحقك نال هودعز ونجاح

وبك نال حكمت داوود الفصيح
وسخر بك صنع زرد وسلاح

وطفا الجمر اللهب بعد كان وقيح
عن إبراهيم حق وبرد تلحاح

حجب جبريل من لظاها بجناح

قسم

من على شانك دركت الأنبيا المعالى	أنت سبب وجود الارسال بالمرسول
وأنت الطود المانع وأنت البحر المالى	أنت المامن وأنت مفتاح باب القبول
وأنت السراج النائر فبصاير الموالى	أنت المؤيد بالحسن الزهى المكمول
فايق الشمس بهاك وزين من القمر	لبسك ربى حلة من محاسن النور
والهلال بحسن كمال فليلة عشر	والأدرار والنجوم الشارقة والبدور
عدد ما خلق الله ميات ألف مرة	الصلاة والسلام على النبي المبرور
	خلق آدم فيك ولسان إسماعيل
	وبها يوسف عطاك ومحبة دنيال

وزهد عيسى الصابر وخلة الخليل
وشجاعة نوح هابها لك ذو الجلال

وشدة موسى الكليم ورضى إسرائيل

وفصاحة لوط وصوت داوود فالتمثال

وطاعة يونس وعصمة أيوب الفضيل

وعلم شيت وزهد يوشع على الكمال

وعلوم السابقين والآتى ما زال

قسم

بين أنت كنز الأسرار والمواهب

ومن فضلك جاهك نلت القصد والمراغب

حديث هذا ظاهر يدره كل راقب

كيف نطق بك البكم فكل قفرا

وكلما فالأرضين تلوها وصحرا

عدد ما خلق الله ميات ألف مر

عرفت وتحققت وبقنت بالمحسوب

من عظم شأنك نزل فى مقام مهيب

الخير فيك وفامتك يا طيب القلوب

لك شهدت الوحوش الهائمة والطيور

وعليك صلات فغمق الماء دواب البحور

الصلاة والسلام على النبى المبرور

من كثر معزتك على الحق المجيب

شرف بوجودك أمتك عاتق لرقاب

ورفع المسخ ونبطل سحر الترهيب

وصنام الجاحدين خرت عل لجناب

وخرب سيف الإيمان ملك أهل التكذيب

بوجودك يا همam العجم والعرب

سعدت مكة وصلحت مدينة يثرب

والديلم والسودان وسائر لنساب

وأصبح دين الإسلام متايد غلاب لخ

وقال:

هكذا سعت بصبري سرور لأيام
ما قدرت على الصلح ولا نجمت لخصام
من لغاني يحسبني من جملة الكرام
اخترت قصيد مرسوخ فرق قرطاس
كغزالة حضرية من بنات أهل فاس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس
يا سر فالناس من بغ لي في الجليا
وفرح قلب على محاني وكداري

وياسر فالناس من عطف قلب ليا
واشفق من حالتي وبكاه أغيارى

وياسر فالناس من ضحك وظنز فيا
يوم فراقى مع أحبباني ووكرارى

وياسر فالناس من فتا الرى عليا
وزين لي فالخروج من عتبة دارى

وامشيت فليتي من الساعة كارى

(قسم)

من كثرني يجبانى إلى نكون فى الخير
يفضل وكرى وبيات بجمعهم عامر

شحال من صاحب نوجد وکمن عشير
براطل الدار حدير غير تنقت لطير
هكذاك أصحابی دار جميع فالكاس
من لقانی من عشرائی يهز لی الراس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس)

إلى يكون طعامی فكل وقت حاضر
كيف حوت المشرع یجرى على السنائر
یوم أصبحت لا مال لا مراسم
تقول عمرهم ما كناونی بئاسم
مشات داری فحماکم یا أهل الکرايم)

لحاب إلى كنت نعتادهم یحشم
ولی ننحاز لهم یرفد عاری

أعتاد یخیطو مرای ویشتم
بکلام أفصح من مزارق لیباری

ونحس بديهم فیا ونکتم
ونزین بشرتی ونضحک ونداری

وطویت القلب الحزین على هم
وصبرت لما قضی وقدر لیا الباری

حد حومة وحد عز فی داری

(قسم)

الله یرحم لأشیخ الفایزین لخبار
ما أحلى الضیق إلى یوریک طبع لعشار
النكد یتفاج ویفوت جمع لغیار
یستهل من بینى سور بغير تلساس
ویستهل من یدخل للبحور دون ریاس
(آش ما عار علیکم أرجال مکناس)

كل شی خلاوه للحادثین مجهور
تعود بحیبك ولی هو عدوك مخبور
ولا یفاد تغنم بها سنین وشهور
ویستهل من ینزل للبحور دون صارم
ویستهل من یسمك لطواد بالسلاقم
مشات دارى فحماکم یا أهل الکرام)

أواه أواه خاب لى الظن فالأصحاب
إلى بهم كنت نفخر ونفايش

فیا خلاو سم لظفار ولنیاب
بعد نیح وهرنو مثل الهوارش

بقلوب أقصح من الحدید ووجوه صلاب
أقفال الهند ما تنطرش بمطارش

لسون تقول مرحبا بمجى لا حباب
وقلوب مكسر ما تحمل غاوش

والله مابقات حرم لدرأوش

(قسم)

وصاعهم يشير للخصم والدعاوى
ملوكهم يطلع دغيا بغير جاوى
ويقطع لحم فالساعة بلا جناوى
ويح من لا عتد فمخازن دراهم
خير من صبحت شر الخلق من بنادم
مشات دار فحماكم أهل الكرايم)

لسونهم يجرح وعيونهم يكويو
يقليل ويبات مثل الذباب يعويو
من تدوق عنهم ييداو فيه يدويو
عرفتني هذا الحز بسيرت الناس
صحبت فلس زلاغى من قوارط نحاس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس
أواه أواه وين لولاف العشيران
وين أصحابى وين هما صدقانى

لا وحد منهم يوم الحز بان
غير تدرق على بلعانى

ما عرفونى ما تفكرونى بحسان
كيني جيت للمدينة يرانى

شى منهم ماتلا يلاغنى بلسان
وشى منهم كل ساعة يلقانى

ويفاقدنى الخسيس عنوة فمكاني

(قسم)

كيف ننسا تلطامى فى دروب مكناس
أعياو بيا الحوانت فى سواق لبخاس
عدت فالليل نبات على الحبال عساس
امين حس بياتم اصطبت لجلاس
المبات بالجوع ولا طعام لكناس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس
فإن أعداى وقصدهم خلاص رشيت
ما عرف بين صرخة الله معايا

فسوق أهل الله بعت بنظامى واشتريت
وابلغ قصدى مع ضراغم الولايا
وبر بعد السقام ضرى وتعافيت
وكنعت من الزمان بالقسمة وارضيت
وكملت مراغبى وقصدى ومنايا
وفرح قلبى بما أعطانى مولاي

وهنيت ولا بقات غمرة فحشايا

(قسم)

من وقف للمسعى يسعى الديور الكبار
الحلاوة بالمنة كتدير المارار
الكريم يضايف من لا بغاه البخيل
يالطامع فمودة من ارباو فالويل

المغطس فالعر ما يزول العار
فلافسى دهقانى رباوئى الكياس
القضى صرفت أحكام وصرت لابس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس
والله ماضرنى ولا عذب قلبى
غير اشفایت الحباب إلى ظنيت أصحاب

والموتى بالعلة ما يطب العليل
مقر مختبر شيخ حكيم ناجم
أحمدت بى وشكرت سابغ النعائم
مشات دار فحماكم يا أهل الكرايم)

أما أنا فین مشیت لى ربى
فى كل مكان صرخت لى تصاب

بدل رب الكريم بالراح تعبى
من دار تكل فالله عمر ما يخاف

ماحد الحاسدين تتمنا كرى
والله يزيدين الأجر والثواب

ويكثر عن عداى الحساب والعقاب

(قسم)

هكذا الدنيا الحارة كتدير للقوم
يوم شلوق ويوم حلو ويوم زقوم
بيات شمل المرو فحفظ الكريم ملموم
من مدعلى راس أعداه لا تقول فياس
يلتقى المرو نشاشبها من كباد القواس

وهكذا الدهر مشتت جمع كل لامة
ويوم مستعدل بين الطيب والزهامة
ويصبح الدهر مشتت الطالب السلامة
يضرب ضربة وبالأخرى يعود عادم
ولا يلتقى دعوت مظلوم من الظالم

(آش ما علر عليكم أرجال مكناس
الخير إلى يكون فتباع الجميل
فالجوف مدت تورث العلايل

أصل البخل كثير وأصل الجود قليل
واحد فميّات ألف توجد فاضل

كمن عز تبان لك فى وجه جميل
وعلى راس الشان المشرقى شامل

قومان تدرك بشياب التفضيل
وضحات الناس عندهم قاع حتايل

ما لازمى بقربهم نبقى نازل

(قسم)

كيف يتهدا من يرجاه سيف عزريل
وكيف تعالى يامن ما زال ترجع ذليل
آش ما قاسك يابنادم ترجع عطيل
بدوك الأول نطفة من ما هطيل نسناس
شوف ما تحت لباسك يا كير لدناس
(آش ما عار عليكم أرجال مكناس
امشات دارى فحماكم يا أهل الكرايم)

إلى غير هذا من الأزجال المشتملة على لطائف التسل والحكم ومديح
الأولياء والعارفين الأصفياء .

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون سنة أربع وخمسين ومائة وألف.

وفاته: توفي عن مائة واثنى عشر سنة بداره الكائنة بقعر درب ابن العواد من مكناس، فى البيت يمين الداخل قرب فجر يوم الاثنين ليلة سادس عشرى رمضان المعظم عام ستة وستين ومائتين وألف، كما صرح بذلك تلميذه غريط المذكور فى رجزه بقوله:

حتى قضى بقرب فجر الاثنين ليل يوم سادس وعشرين
من رمضان ستة وستين وألف إثر مائتين ثنتين
وصلى عليه بجامع الزيتونة ودفن بدار والده التى صيرها زاوية قيد حياته
بحومة أبى الطيب.

وهذه الدار هى التى يحكى أن الشيخ كان وكل بعض اللائذين به المظهرين له صدق الولاء من مسلمة بنى إسرائيل، فعمد هذا الوكيل المذكور إلى الدار المذكورة وباعها بغير إذن من المترجم، فلما شعر بذلك أقلقه وأنشأ قصيدته المذكورة ثم التى يقول فيها: امشأت دارى فحماكم يا رجال مكناس لخ

ثم ردها الله عليه بعد ذلك، فصيرها زاوية يجتمع فيها مع أصحابه للذكر والعبادة، وكان يلقنهم فى أول الأمر قراءة دلائل الخيرات، ثم صار الورد الذى يلقنه هو سورة يس، والصلاة المشيشية صباحا ومساء، وعلى ذلك استمر عملهم، وللمترجم بهذه الزاوية ضريح جليل له بهاء ومهابة، ومعه فيه ضريح أخته السيدة خديجة كانت توفيت قيد حياته فدفنها ثمة.

أما دار سكناه التى قدمنا موته بها فلا زال فراشه بها قائما إلى الآن وهو لبدتان كبيرتان من صوف تحتها حصير والكل فوق طبله من خشب تعلق من

الأرض بنحو شبر وكذا فراش أخته المذكورة لا زال قائما بمحل سكنها منها وهو على نحو الصفة المذكورة.

٤٥١ - عبد القادر زين العابدين.

عرف بنعبد الله اسما مركبا، وهو اسمه الحقيقي على قاعدة أهل معسكر والحشم، وعرف بسقط لضرب سبع له وهو راكب على فرس، فسقط مجروحا فعرف بسقط من يومئذ.

حاله: علامة مسند راوية، قال فى فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات فى حق المترجم ما لفظه: هذا الرجل هو مسند المغرب الأوسط فى وسط القرن المنصرم، له عدة إجازات من المشاركة والمغاربة، لو جمعت لخرجت فى مجلد، ومع ذلك ضيعه الناس، ولا يحفظ أهل المغرب الأوسط من شيوخه إلا الشيخ أبا راس المعسكرى.

قال عنه الحاج العربى بن عبد القادر المشرفى فى ياقوتة النسب الوهاجة: كان حافظا حجة فى السيرة النبوية، لا يفوته فيها سؤال وإن أعضل، يحفظ البخارى متنا وسندا، وكذا صحيح مسلم، أعرف أهل زمانه بالتاريخ وأنساب العرب وشيوخ المذهب، طأطأت له العلماء الرؤوس ولقى أشياخا أخذوا عنه وأخذ عنهم وفهرسته تشهد له بذلك هـ.

ورد أخيراً على سلطان المغرب سيدنا الجد من قبل الأم المولى عبد الرحمن ابن هشام، وكان يحضر معه مجلس الصحيح، حدثنى بذلك من كان يحضر معهم إذ ذاك وهو العالم المعمر أبو العلاء المولى إدريس بن عبد الهادى العلوى دفين طيبة الطيبة المتوفى عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن الشيخ محمد بن محمد بن عرب البنانى المكى المالكى، وعلى بن محمد الميلى، ومحمد بن محمد صالح الشعاب الأنصارى المدنى،

والهادى بن محمد الحسنى ومحمد حسن الميقاتى الإسكندرى، ومحمد سعيد الملقب بدرويش القادري، وعمر بن عبد الرسول العطار المكي، والشيخ الشنواني، ومحمد صالح رئيس الزمزمى المكي والقويسنى، وأحمد الدواخلى. قال الشيخ عبد الحى المذكور: وعندى إجازات مشايخه هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه إجازة بفاس أبو العباس أحمد بن الطاهر الأزدي المراكشى، وأبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الشدادى الفاسى عامة ما له مطلقا بتاريخ سبع وأربعين ومائتين وألف، أخبرنى الشيخ عبد الحى أنه وقف عليها بخطه فى كنانة الأول بالمدينة المنورة قال فيها إجازة عامة تتناول من وجد منهما من الأولاد ومن سيوجد منهم من الأحفاد وكل من استجازهما.

شعره: من ذلك قوله فى مطلع قصيدة مدح بها السلطان المولى عبد الرحمن المذكور:

إن المليحة فاس لا يقاس بها إيوان كسرى ولا صرح لذى شرح

كلها رقائق وحكم وأمثال سر بها الممدوح وأجزل جائزته عليها.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون بعد السبعين ومائتين وألف، ودفن بروضة الشيخ أبى عبد الله محمد فتحا ابن عيسى الفهدى المختارى خارج باب السبية أحد أبواب مكناس.

٤٥٢ - عبد القادر شقيق والدنا ابن عبد الرحمن بن على بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن فخر الملوك إسماعيل.

حاله: فقيه عدل رضى، أستاذ مجود نحوى، لبيب نبيل فاضل، وجيه محاضر، لطيف طريف، لسن كاتب، له خط بارع نسخ عدة كتب فقهية وحديثية

٤٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٣٣/٨.

وتاريخية، وكان الإمام بالضريح الإسماعيلي، ثم أسند إليه السلطان العظيم الشان المولى الحسن التقديم عليه، وقد رشحه قبل ذلك لقضاء مأمورية سلطانية بالقطر السوسى فقضاها وفق ما منه يرام، ثم انتقاه لنسخ بعض المهم من الكتب لجنابه الشريف، وأجرى عليه لذلك جراية ضافية، وكان يؤدب الصبيان فى أولية أمره، فتخرج على يديه عدد وافر من حملة القرآن، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول، ثم رغب عن الجلوس فى السماط والتعاطى إلا فى النادر، وعلى ذلك دام إلى أن لى الداعى؛ وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى، والسيد محمد بن عزوز المدعو الهويج، والسيد الطاهر بوحدو، والسيد أحمد بن سودة، وأجاز له والسيد الحاج المختار بن عبد الله، والسيد فضول بن عزوز وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم شقيقه والدنا رحمه الله، والعدل الشريف مولاى إبراهيم بن عبد الله وجماعة من حملة القرآن، وختمت عليه سلكا من القرآن، وقرأت عليه أوائل الأجرومية وبعض المصنفات العلمية.

وفاته: توفى أواخر جمادى الثانية عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن حذو أخيه والذى يسار الداخل لضريح أبى زيد المجذوب برد الله ضريح الجميع بمه.

٤٥٣ - عبد القادر بن على الحسنى العلوى.

نزىل زاوية زرهون.

حاله: فقيه مدرس، عدل رضى، كان أحد صدور عدول بلده المبرزين وأحد المنتخبين لقراءة الشفا بالضريح الإدريسى الأنور، عن الأمر السلطانى العزى.

٤٥٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٤٨/٨.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله بن التهامي الوزاني، وشيخنا ابن الخياط،
وشيخنا أبي عبد الله القادري، وشيخنا أبي العباس أحمد بن الجليلي وغيرهم.
وفاته: توفي عشية الاثنين ثاني جمادى الأولى عام خمسة وعشرين
وثلاثمائة وألف، ودفن ضحوة غده بالظهير^(١) خارج الإدريسية بلده.

٤٥٤ - عبد القادر بن المعطى بن العناية

الغرباوى أصلاً السفيناني المعتكى من أولاد علال المكناسي النشأة والدار
والإقبار.

حاله: فقيه معدل موقت حيسوبى، له المهارة الكاملة واليد الطولى فى
ذلك، أستاذ مجود يتقن القراءات السبع، وكان يتعاطى خطة الإشهاد بفاس الجديد
مدة، ثم استخدم ميقاتيا فى خلافة السلطان المنعم مولانا يوسف على المحلة التى
عينت للنزول على قبيلة الشراردة فى دولة السلطان السابق مولانا عبد الحفيظ عام
ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، ثم بعد ذلك رجع لبلده مكناس، وتصدر لتعاطى
الشهادة إلى أن أخرج عنها فى نيف وثلاثين وثلاثمائة وألف، فأقبل على التدريس
وتعليم الصبيان.

وكان فى أول أمره جنديا فى العساكر المغربية، وبقي فى جملة من بقى من
الحرس العسكرى بآية باعمران إحدى القبائل السوسية الشهيرة، ثم تفلت ناجيا
بنفسه لبلده مكناس، وانحاش إلى الباشا القائد العربى بن حم، فأجله واحترمه،
ثم بعد ذلك أقبل على التعلم والأخذ عن الشيوخ بجد واجتهاد، ثم لما عين
السلطان مولانا الحسن من نجباء طلبة جيوشه المولوية من يقرأ التوقيت وتوابعه،

(١) فى هامش المطبوع: «بالتصغير المقبرة الشهيرة بزرهون».

٤٥٤ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٢٩٣٧/٨.

كان المترجم من جملة من انتخب، فلازم بعزم وحزم، وقريحة وقادة، حتى نبغ وبرع.

مشيخته: أخذ عن أبي العباس أحمد العرايشي روضة الأزهار وغيرها مما له تعلق بعلمى التوقيت والتعديل كما أخذ عنه النحو والفقه، وعن سليمان الرغاي المقنع والربع المجيب، وعن محمد شاطر روضة الأزهار، وعن الأستاذ علال بن صالح القراءات السبع، وعن الشيخ الطاهر بوحدو، والشيخ محمد بن حلام، والشيخ الغالى السنتيسى العريية.

وفاته: توفي ليلة الجمعة منتصف حجة عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن صبيحته قبل الخطبة.

٤٥٥ - عبد السلام ابن العلامة الشاذلى بن محمد بن أبى بكر الدلائى.

حاله: فقيه علامة، مفتى حافظ حجة، مدرس نفاع، صدر تحرير، حبر نقاد فاضل، ماجد أديب أريب، ناظم ناثر، ولد بزوايتهم بالدلاء وبها نشأ وقرأ وأقرأ، ثم خرج مع والده واستقر بفاس، ثم رحل لمكناس وأقام به مدة وتولى الإمامة والخطبة بجامعها الأعظم، وانتصب للتدريس والإفتاء وتخرج به جماعة.

ترجمه فى الدور الضاوية بما لفظه: هو الفقيه الجليل، العلامة النبيل. الماجد الأصيل، أبو محمد سيدى عبد السلام بن الشيخ الإمام العلامة سيدى الشاذلى بن الولي الكبير، العارف الشهير، شيخ الإسلام أبى عبد الله سيدى محمد بن سيدنا الشيخ الشهير، القطب الكبير، العلم الراسخ، شيخ المشايخ، سيدى أبى بكر الدلائى أبقى الله بركتهم، وجعل التوفيق يلزم سكونهم وحركتهم، ولد رضى الله عنه ببلادهم بالدلاء وبها نشأ، وأخذ العلم عن والده

٤٥٥ - من مصادر ترجمته: نشر الثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٤ / ١٦٣٠.

وجماعة من أقاربه، ودس هناك ونفع وانتفع، ثم خرج مع والده واستقر بفاس، ثم ذهب لمكناسة الزيتون، فأقام بها مدة مديدة. وسنين عديدة. وتولى الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم، وانتصب للتدريس والفتيا وتخرج به جماعة، وله رحمه الله أنظام كثيرة؛ وأثار أدبية أثيرة هـ.

وأشار إليه صاحب حدائق الأزهار الندية عند تعرضه لأولاد الشاذلى فقال:

ومنهم عبد السلام الصدر العالم الأعلى الهمام الخبر
الحافظ البحر الفقيه الحجة الطاهر المكين فى المحجة
قد صار مستورا بثوب اللطف فى عام تسعين بعد الألف
ولم يخلف من وليد يذكر وللمهيمن البقا مقرر
مشيخته: أخذ عن والده، وجماعة من أقاربه، وعنه جماعة ببلده وفاس ومكناس.

وفاته: توفى مطعونا ثالث محرم الحرام من عام تسعين وألف بمكناسة الزيتون، قال فى البدور الضاوية: وحمل لفاس ودفن بها مع أهلهم بروضتهم المذكورة، يعنى المحل المعروف بالكغادين، قال: وكان والده حيا حين وفاته.

٤٥٦ - عبد السلام أبو محمد قاضيها ابن محمد الدلائى البكرى المسناوى.

حاله: فقيه عالم علامة، محقق دراكة فهامة، خطيب مصقع بليغ نابغة عصره، وبتيمة مصره، تولى خطة القضاء بالحضرة الهاشمية العلوية المولوية المكناسية ودرس بها وأفاد، ونفع الله به كثيرا من العباد، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثلاثة وعشرين ومائة وألف، ولم أقف على تاريخ وفاته، وغالب ظنى أنه هو الذى قال فيه صاحب حدائق الأزهار الندية ما لفظه:

عبد السلام الطيب الأخلاق كالزهر عند فجأة الإشراق
وهو فقيه فى المراقى سام لخطوة الأحكام ذو إحكام
قام بخطة القضاء فحمد كل طريق صنعه وما جحد
وهو شهير فى الحياة يذكر ونجله الطيب بدر أنور

٤٥٧ - عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، بحر زخار، ناقد فاضل مهذب متقن متضلع، قال فى حقه صاحب منحة الجبار ما نصه: شيخنا وبلدينا الإمام، الطود الهمام أبو محمد البيجرى سيدى عبد السلام، شيخ حسن التقرير، جيد التعبير، يلحق المبتدى بالمتهى فى الزمان القصير، والأمد اليسير، لازمته نحو الست سنين أخذت عنه فيها السلم والمختصر المنطقيين، وكان يسرد شرح الشيخ السنوسى على المختصر فى ختمتين، أخذتهما عنه ويوشح ذلك بحاشية شيخ الجماعة سيدى أبى على اليوسى، وفوائد آخر من كتب غريبة، ومسائل بخطوط بعض الأئمة المعبرين عجيبة، وأخذت عنه شرح العلامة المحلى لأصول التاج السبكى أخذاً عجيباً، وكان يحضر جميع الحواشى وينقل المسائل الغريبة من شروح ابن الحاجب والمنهاج، وأخذت عنه مختصر السعد أخذاً حسناً، وأخذت عنه كبرى الشيخ السنوسى، وتوفى وقد بقى من الشرح ورقات، وأخذت عنه نظم الخزرجى فى العروض، وسمعت عليه أماكن من الألفية لابن مالك منه مباشرة.

الآخذون عنه: منهم أبو حامد العربى بن محمد البصرى صاحب المنحة المنقول منها.

وفاته: توفى بمكناس آخر صفر عام اثنين وثلاثين ومائة وألف.

٤٥٨ - عبد السلام بن أبى يعزى حركات السلاوى.

حاله : آية محكمة فى التحصيل والإدراك وجودة التعبير ، واسع العارضة ، فقيه نوازلى ، مفت مرجوع له ، علامة جليل ، مشارك فاضل ، محقق لبيب ألمعى ، مهذب أريب ، ورع خاشع مثيل ، تصدر للإفتاء بالعدوتين بلده سلا والرباط ، فأحيا بهما ما اندرس ، وحل منهما محل السواد من العيون ، وأخصبت به البلاد بعد المحول ، وولى قضاء مكناسة الزيتون وثغر الصويرة ودرس فيهما وفى غيرهما من البلاد ، ونال مكانة شماء لدى الخواص والعوام .

ولا سلف لى فى كون المترجم ولى قضاء مكناس غير ما جزم به ببلديه العلامة المؤرخ الثبت صديقنا أبو عبد الله بن محمد بن على السلاوى الدكالى الأصل فى نظمه الآتى ، ولم أر ذلك لغيره ، ولا وقع لى عثور على خبر ولا أثر ببلدنا بعد البحث الشديد مع قرب زمن المترجم ، وحفظ من ولى تلك الخطة القعساء بعاصمتنا المكناسية منذ أعصر خلت قبل زمن المترجم وبعده ، وتواتر خطاباتهم والتسجيل عليهم بين طبقات أهل البلد عدول وغيرهم .

وقد كان المترجم من جلة الأعلام الذين كانوا بدولة فخر الدولة العلوية بعد جده الإمام الأعظم السلطان سيدى محمد بن عبد الله المنتخبين لحضور مجالسه العلمية ، وعرض مؤلفاته العزيزة المنال عليهم ، حسبما أوماً إلى ذلك أبو القاسم الزيانى فى خاتمة البستان الطريف ، وقال فى حق ببلديه صاحب إتحاف أشراف الملا ما لفظه :

عبد السلام حركات الأشهر

ومنهم العلامة المفسر

الفاضل المشارك المتبع

ابن أبى يعزى النزيه الأورع

وواحد القطر اعتبارا دون مين

قاضى مكناس ومفتى العدوتين

مجالس السلطان فى أقرانه	ذوى المعارف من أهل شأنه
ومعمل الأفكار فيما ألفا	برسمه فى كل وضع عرفا
كان جليل القدر عالى المنزلة	رقيق قلب خاشعا ما أفضله
صحب شيخ وقته الصقلى	مولانا أحمد الشهير الفضل
وظهرت عليه من أنواره	ما طبق الآفاق من أخباره
ونشر الأوراد عنه بسلا	وبضريح للشريشى نزلا
وبهرت أحواله عرفانا	وجل علمه فعز شانا
كان مدرسا فصيحاً لسنا	وأتقن التفسير درسا حسنا
لقيه الشيخ أبو إسحاق	عالم تونس سنا الرفاق
وحضر الدرس له بفاس	فأورد الإشكال فى ائتناس
عن آية هل نسخت أو محكمة	أجابه فوراً بما قد أفهمه
فيما لكل أمة شرعا يخص	بأنها محكمة حجة نص
قضى بصدر ثالث المئينا	بعيد ألف بسلا دفينا
وولى القضاء فى مكناس	وبالصـويرة بلا تناس

قلت: الشيخ أبو إسحاق المذكور فى النظم، هو الشيخ القدوة الحجة المحقق إبراهيم بن عبد القادر بن إبراهيم الرياحى الطرابلسى شيخ الجماع بتونس المولود عام ثمانين ومائة وألف المتوفى فى سابع عشرى رمضان عام ستة وستين ومائتين وألف، كان هذا الشيخ ورد سفيراً لسلطان المغرب عام ثمانية عشر ومائتين وألف للامتياز، والسلطان إذ ذاك بحاضرة فاس وحظى لديه بما هو أهل له من التكريم

والإعظام والإجلال والإكبار، ووجهه لزيارة كلية القرويين والاجتماع والتعرف بقادتها المهتدين، فوجد الشيخ المترجم فى درسه يُقرئ التفسير.

قال سيدى إبراهيم المذكور: وهو - أى صاحب الترجمة - بحر زاخر ويقول: ألم يتقدم لنا كذا ألم أقل لكم كذا ألم تسمعوا منى كذا من سورة البقرة إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾ [٤٨] سورة المائدة: آية ٤٨] قال: فتقدمت إليه وقلت له: يا سيدى هذه الآية محكمة أو منسوخة فقال لى: محكمة، فقلت له: ربما تكون دليلا لأهل الكتاب فى عدم عموم بعثة النبى ﷺ، فأجبنى بجواب غير مقنع فسكت لأنه رجل مهيب هـ بنقل حفيده صديقنا أبى حفص عمر الرياحى فى كتابه تعطير النواحي، وإلى هذه القضية أشار صاحب إتحاف الملا بقوله: وحضر الدرس الآيات الثلاثة.

وأقول تمييزاً للفائدة: الخطاب فى الآية يحتمل أن يكون للأنبياء المشار إليهم فى الآية قبل، والمعنى عليه جعلنا لكل نبي شريعة ومنهاجا لا يتعدها لغيرها، وهذا الاحتمال لابن عطية واستبعده الشهاب الألوسى، وعليه لا إشكال فى الآية بحال، ويحتمل أن الخطاب للأمم الموجودين حال النزول، وهم أهل الكتاب المعاصرون له ﷺ، وفيه احتمالان: أحدهما لكل أى جميعكم جعلنا شريعة واحدة، وهى ما تضمن القرآن تشريعه لهذه الأمة، وكذلك غير القرآن مما جاء به نبيها ﷺ فالجميع مخاطب باتباعه، ولا إشكال أيضا على هذا الاحتمال، وبه فسر مجاهد، الثانى لكل أمة على الأمم الموجودين بانفرادها جعلنا شريعة أى شريعة ومنهاجا، وبهذا فسر الجمهور، واستظهره الشهاب الألوسى، لكن يرد عليه أن ظاهر هذه الآية يقتضى أن كل أمة كلفت بشريعتها فلا تتعدها إلى غيرها، وهذا غير صحيح، إذ جميع الأمم الموجودين حال الخطاب مكلفون باتباع شريعة واحدة، وهى شريعة نبينا محمد ﷺ، وعلى هذا الإشكال دندن الشيخ أبو إسحاق

فى سؤاله للمتروءم عن الآفة؁ هل هى مءكمة أو منسوخة؟ وإن كان فى سؤاله قلق لأن الآفة سىقت مساق الإءبار الدال علىه لفظ ءعل لا الإنشاء .

ومن المقرر المعلوم أن الأءبار لا يطرقها النسخ؁ وإذا كان كذلك فكيف يتوهم نسخها: اللهم إلا أن يقال إن ذلك بالنظر إلى ءزاء الجملة؁ أعنى شرعة؁ لا بالنظر إلى كلها .

ويعاب عما فى هذا الاحتمال من الإشكال بأن الآفة وإن كان ظاهرها ذلك فغيرها يدل على بيان المراد كقوله تعالى: ﴿... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: آفة ١] وبأن الآفة سىقت للإءبار بما مضى كما أشرنا إليه أنفا؁ أما الآن فلا شريعة إلا الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه؁ ولا يدفع كون السياق لما مضى لفظ منكم؁ لأن الخطاب به للناس؁ وهو ءنس؁ فالءنس هو المءاطب والله أعلم .

ويحتمل أن الخطاب لغير الموجودين كالموجودين؁ وفيه تغليب المءاطب على غيره؁ والمعنى علىه لكل من الأمم الماضين والموجودين شرعة؁ لكن باعتبار الماضى الشرائع المأمور باتباعها مؤقتة؁ وباعتبار الءوءود مؤبدة .

مثلا شريعة سيدنا موسى التى هى ما تضمنه التورة منتهية بشريعة سيدنا عيسى؁ وشريعة سيدنا عيسى التى هى فى الإنءيل منتهية بشريعة سيدنا محمد ﷺ التى هى القرآن؁ وكل ما ءاء به علىه الصلاة والسلام .

مؤلفاته: منها تقييد فى مسألة ءلسة ءوانيت عنونه بمذكرة الفضلاء المشاهير فى ذكر ءوءب تغيير المناكر؁ فى ءمس وءمسين صحيفة؁ وهو موءوء بمءبئتنا . وأءبرنى قاضى مكناسة سابقا السيد أءمد بن أبى بكر عواء السلوى أن له ءاشفة على الزقاقفة .

وفاته: توفى ببلده سلا؁ بعد السنة الثامنة عشرة بعد المائئتين وألف .

٤٥٩ - عبد السلام الرامى الزرهونى أصلا الفاسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة مجود، تعرض لذكره صاحب جمهرة التيجان فى عداد تلامذة السلطان مولانا سليمان.

مشيخته: أخذ عن السلطان مولانا سليمان وغيره من الأعلام.

٤٦٠ - عبد السلام بن الحاج محمد بن عمرو.

الصنهاجى الأصل، المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة، محصل مدرس نفاع، جليل فصيح، حلو العبارة، لين العريكة، له اليد الطولى فى النحو، حسن الإلقاء، بحاث نقاد، متضلع فى العربية مع مشاركة ما فى غيرها من الفنون، رحل لطلب العلم بالحضرة الفاسية وأقام بها مدة حتى حصل على معلومات وافرة، وملكة كاملة، ثم آب لبلده وأكب على التدريس، ثم تولى النيابة فى نظارة أحباس الكبرى عن والده.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الحاج محمد جنون مختصر حاشية الرهونى وغيره ممن هو فى طبقتة.

الآخذون عنه: منهم: أبو المحاسن العربى بن عبد السلام بادو، وأبو زيد عبد الرحمن حميش، وأبو العلاء أحمد بن المهدي الأجرأوى، وأبو محمد عبد القادر بن أحمد العرايشى، وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشبيهى، وأبو محمد عبد القادر بن المكى الشريف الأمرانى فى آخرين.

وفاته: توفى ببلده مكناسة الزيتون قيد حياة والده المذكور، وذلك فى ثامن حجة الحرام عام عشرين وثلاثمائة وألف.

٤٦٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٣٠.

٤٦١ - عبد السلام بن محمد التازى الرباطى .

أمين الأمناء، ورد أبوه من فاس للرباط وبها ولد المترجم .

حاله : نشأ بالرباط، وكان فى أول أمره ممن يتعاطى التجارة بأروبا، ثم ببلده بعد ذلك، ولما مات أخوه الأكبر السيد محمد التازى سنة ١٣٠٧ - وكان من المحظوظين عند السلطان المولى الحسن لسابق معرفة بينهما إذ كان أمينا بالصويرة والسلطان لا زال مستخلفا من أبيه على بعض الجيوش بسوس - أسند له المولى الحسن خطته التى هى أمانة الأمناء، ووظيفتها الإشراف على أمناء الثغور والأملاك المخزنية، والمستفاد كما أومأنا لذلك فى الترجمة الحسنية فسار فيها سيرة حسنة، وحمد عمله فيها، وكان يرافق السلطان كسائر كبار رجال الدولة فى تنقلاته يقيم لإقامة ركابه ويظعن بظعنه بين عواصمه الكبرى مراكش وفاس ومكناس، وكان إذا حل مكناسة سكن بروض العلامة مولاي العباس بن السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام أتى الترجمة الواقع بدرب حمام السلطان إسماعيل جوار الدار التى كانت بها سكنى والدى هنالك، وصار بعد مكتبا لقبض الموظف البلدى على الملاك والزراع والمحترفين من الأهالى والأجانب وغير ذلك، وقد كان بين المترجم ووالدى صفاء حب رحم الله الجميع .

ولما توفى السلطان وبويع للمولى عبد العزيز وانقلبت الأحوال بالوزير الجامعى وأخيه، وتولى الوزارة أحمد بن موسى، بقى على وظيفه غير منازع فيه ولا مدافع، واستمر التعاون بينهما على تسيير شئون الدولة، ذاك فى صدارته ودخليته، وهذا فى مراسيه وماليته، والمسفيوى على عدليته وشكايته، إلى أن توفى الوزير المذكور بمراكش والمترجم مريض بها، فلما أبل من سقمه ورأى أمارات الاختلال وسوء الأحوال؛ وتصدر الإعجاز؛ والتباس الحقيقة بالمجاز؛ فضل

٤٦١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٤٨/٨ .

الانسحاب معتذرا بالعجز والضعف وكبر السن، وقصد الحج الواجب فقبل
السلطان عذره وأعفاه مع الإكرام والاحترام واعتباره كأنه لا زال قائما بوظيفه راعيا
لسالف خدمته .

ونص ظهير الإعفاء بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني الكبير بداخله
(عبد العزيز بن الحسن بن محمد):

«يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وقوته،
وجزيل منته، أعفينا ماسكه خديمنا الأرضى الأمين الطالب عبد السلام التازى من
الخدمة بأعتابنا الشريفة وأرحناه منها لما اعتذر به من العجز والضعف وكبر السن،
وقبلنا عذره، وأبقيناه مسربلا بسربال التوقير والتعظيم والإجلال والتكريم،
وأقررناه على ما عهد له حالة تلبسه بالخدمة من المراجعة والاعتبار؛ والملاحظة بعين
الاحترام والوقار؛ كأنه لا زال قائما فيها وملتبسا بها أو أكثر، رعا لسالف خدمته،
وصدقه ونصيحته؛ وألحقنا به فى ذلك كله قرابته وأصهاره وأصحابه فلا سبيل لمن
يريد التوصل إليهم بمكروه، أو يمد لهم يد الترامى والتعدى فى وجه من الوجوه،
ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا بأعمال عوامله وإجرائه على مقتضاها
وعدم مجاوزة أحكامه إلى ما سواها، والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٠
ربيع النبوى عام ١٣١٨» .

وقد جاء هذا الظهير بما اشتمل عليه من الرعاية بعين الاعتبار مجددا ومؤكدا
لظهير شريف عزيزى منيف تقدمه، نصه:

«يعلم من هذا المسطور الكريم، المقابل أمره بالإجلال والتعظيم، أبقاه الله
فى إكليل المعالى درة، وفى جبين الدهر غرة؛ أننا بحول من لم يزل مسدلا جلاب
الامتنان والإفضال، مسبغا أياده على التوال، أسدلنا على ماسكه خديمنا وخديم
سيدنا قدسه الله الأمين الأرضى الأنصح الأفلاح الأنجح، الطالب عبد السلام بن

الحاج محمد التازى الرباطى أردية التوقير الضافية؛ وأوردناه من معين التعظيم والاحترام المناهل الصافية، ولاحظناه بعين الاعتبار، وأرتعناه فى رياض الاصطفا والتقريب فى سائر الأطوار، وأجرينا أولاده أصلحهم الله وأخويه الحاج محمد والحاج محمد وابن أخيه الحاج محمد بن أحمد وأصهاره مجراه فى جميع ذلك، وسلطنا بجمعهم تلك المسالك؛ فلا يطالبون بجليل ولا حقير، ولا نكير ولا قطمير.

وزدناهم من التخصيص والتقريب ما يدل على علو مكانتهم، وسمو منزلتهم، ومنحنا بناءهم الوثيق بمحبة جانبنا العلى بالله، وانقطاعهم لخدمتنا الشريفة تأسيسا، ووهبناهم من مزيد الخطوة ما تكون لهم به آية على ممر الدهور تنويعا وتجنيسا، فلا يروع لهم سرب، ولا يكدر لهم شرب، ومن حام حماهم بما ينقص، نال منا بحول الله ما ينغص، رعيًا لخدمتهم، وصدقهم فى أمانتهم، وانقطاعهم إلى على جانبنا بكليتهم، فنأمر الواقف عليه من سائر عمالنا؛ وولاية أمرنا، أن يعلم ذلك ويجريهم على مقتضاه، ويقف عند حده ومنتهاه، صدر به أمرنا المعتر بالله تعالى فى ٤ ربيع النبوى عام ١٣١٢هـ.

وفى نفس السنة توجه لأداء فريضة الحج وسنة الزيارة ولما رجع لمستقره عاد لمحل تجارته مستقرا فى بلدته، إلى أن دعاه السلطان لفاس فى جمادى الأولى سنة ١٣٢٢، وقلده النيابة عن جنابه الشريف بثغر طنجة مقر السفراء الأجانب بدلا من الطريس الذى كتب له ظهير الإعفاء لحالته الصحية، ولفظه كما بكناش بمكتبتنا الزيدانية:

«خدمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: فإننا على يقين من إنفاقك نفائس عمرك فى صدق خدمة جنابنا الشريف منذ سنين، وتمسكك فيها بحبل متانة الدين، واستفراغك طاقة وسعك بجد وصفاء طوية وحسن يقين، كما أننا على بال من تشوفاتك السابقة غير ما مرة بالرغبة فى إراحتك من مشقة التكليف برياسة دار نيابتنا السعيدة بطنجة، حرسها الله معتذرا بكبر السن ووهن العظم وضعف القوى عن تحمل أعباء ذلك المنصب الأهم، وكان يصدر لك الجواب بما يسليك عن مكابدة تلك المشاق، ويحملك على الصبر ولزوم القيام بذلك الواجب، الذى هو أهم ما تطوق به الأعناق، والوعد بمساعدتك فى الإبان الذى يقتضيه الحال، ويترجح فيه من يكون بدلا عنك فى رياسة تلك الأشغال.

وقد اقتضى نظرنا الشريف الآن إجابة طلبتك، وإسعاف رغبتك، وفاء بوعدنا السابق، وشفقة عليك من تحمل ما لا يطيقه تزايد الضعف اللاحق، ومجازاة لك باغتنامك جمع شملك فى بلدك، وتفرغك للزيادة فيما يرضى الله ورسوله ببقية عمرك، فأرحناك من ذلك التكليف، عن رضى من خاطر جنابنا الشريف، وعينا الخديم الأرضى الحاج عبد السلام التازى الرباطى بدلا عنك فى القيام بذلك الوظيف، فنأمرك أن تمكث من جميع ما على يدك من الشروط والأوفاق والضوابط والمكاتب والكنائش والتقاييد وجميع ما راج على يدك فى مدة تكليفك من أشغال دار نيابتنا السعيدة ومتعلقاتها، وأن تبصره كل ما يقتضى الحال اطلاعه عليه، وأن تبين له القضايا التى لا زال الكلام يروج فيها، وما آلت إليه المباشرة فى كل واحدة منها، وما يتعلق بها ليكون على بصيرة فى إتمام مباشرتها على الوجه المتعين فيها، وأذنا لك بعد ذلك فى التوجه لبلدك مثابا مأجورا مستفيئا فى ظلال رضا الله ورسوله ورضانا ملحوظا مسرورا، والسلام لخ».

وعاد المترجم للرباط للنظر فى أموره الشخصية والاستعداد للتوجه لمقر

مأموريته الرسمية، فدخله فى موكب رسمى حيته فيه مدافع العدوتين، مملوء العيبة بالظواهر السلطانية المخاطب بها أمناء المراسى والعمال والقواد والقضاة وغيرهم من الولاة، إعلاما لهم بنيابته ليسيروا معه سيرتهم مع سلفه، ثم تطورت الأحوال وتتابع الحوادث والمؤامرات بعضها خارجى أجنبى وبعضها داخلى مغربى مما قدمنا بعضه فى ترجمة الوزير أحمد بن موسى، كل ذلك والمترجم مقيم ببلده إلى أن احترمت المنية، وإليك أمثلة من الظواهر المتعلقة بنيابته ما خطب به الطريس:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فنأمرك أن تدفع لخديمنا الأرضى النائب الحاج عبد السلام التازى سائر أملاك المخزن بطنجة المحروسة التى من شأنها أن تكون على يد المكلف بوظيف النيابة حتى يتمكن من جميعها ويتبصر فيها على القاعدة فى ذلك، أعانك الله وأنا بك والسلام فى ٣ رجب عام ١٣٢٢».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الأنصح الحاج محمد بن العربى الطريس، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فنأمرك أن تمكن الخديم النائب الحاج عبد السلام التازى المعين مكانك من التصرف فيما كنت قائما به من التكليف بشؤون النيابة السعيدة، وتسلم إليه جميع ما تحت يدك من المكاتب الشريفة، وشروط الأجناس والكنطردات والكنائش وخطوط اليد، وعقد الطرفاية، ومنار اشغار، ومحل عسة البابورات، والمراكب وما راج فى قضية جزيرة جبل المعدنوس وغير ذلك مما تصرف فى مدة خدمتك، وكذا مما حزته من النائب قبلك الخديم الطالب محمد بركاش رحمه الله، كما نأمرك أن تدفع للنائب المعين المذكور تقييداً ببيان الدعاوى التى لا زلت

تباشر أمرها، وما راج في كل منها، ليني عمله فيما كلف على يقين، وينتهج في ذلك مناهج الاقتداء بسيرتك المحمودة ونصحك المبين، والسلام في ٥ رجب الفرد الحرام عام ١٣٢٢».

وهناك ظهائر شريفة أخرى مما خوطب به قاضى تطوان السيد محمد أفيلال، وقاضى طنجة السيد محمد بن عبد القادر بن سودة، وقاضى العرائش السيد إبراهيم الصقلى، وقاضى الرباط السيد أحمد بنانى، وقاضى الدار البيضاء السيد محمد بنانى، وقاضى أزموور السيد إدريس بن بوعبيد، وقاضى الجديدة السيد محمد الدويرى، وقاضى آسفى السيد محمد بن سليمان، وقاضى الصويرة السيد محمد بن الطالب الفاسى، وكذلك ما خوطب به أمناء مراسيها وعمالها كالسيد عبد الله بن سعيد، والسيد أحمد السويسى، والحاج محمد بن يحيى الجديدي، والقائد حمزة بن هيمة، والحاج الوعدودى الأزموورى وخليفة عياد القايد المنبهى بالصويرة، وعيسى بن عمر العبدى، وقدور بن الغازى، ومحمد بن قاسم المختارى، وأحمد بن العربى المديونى.

وقد كان المترجم له من أمثل أهل عصره وأنقاهم سيرة، وأنصحهم وأكثرهم اهتماما بمصالح المسلمين عموما وخصوصا، مع التفانى فى الإحسان والبذل للمحتاجين والضعفاء، والتغالى فى حب آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعظيم العلماء، ومراعاة ذوى البيوت، والسعى فى نفعهم بقدر الإمكان.

ويكتفى هنا بشهادة العلماء والأعلام من جنوب المغرب وشماله ووسطه بل وبعض الأجانب من الفرنجة له بحسن السيرة والصدق والإخلاص، فمن الأول شيخ الجماعة العلامة السيد محمد بن إبراهيم السباعى مفتى مراكش المتوفى سادس رجب عام ١٣٣٢ فإنه قال فى كتابه: البستان الجامع لكل نوع حسن الذى ألفه بأمر من السلطان المولى الحسن لما ذكر أخبار سنة ١٣٠٧ وإقامة السلطان بفاس:

«وفى مدة هذه الإقامة وأثنائها توفى أمين الأمناء ورئيسهم القاعدة العظمى الذى عليه المدار فى معظم الأمور، وإليه مرجع مهمات تدبير خراج الملك، وعن أمره فى جميعها الإيراد والصدور، الأمين السيد محمد التازى المُوخى، يُعرَف. توفى فى غرة رمضان من تلك السنة وكان لتشييعه ورمسه ودفنه مشهد عظيم، وجمع خفيل جسيم؛ ودفن بالزاوية الصقلية من فاس.

وفى يوم دفنه دخل لحضرة فاس أخوه الأمين الأنصح، الكيس الأفلاح، ذو التدبير الحسن والرأى الأنجح؛ والخلق الأفصح؛ السيد عبد السلام التازى فأقيم مقامه؛ ورفع السلطان مقامه، لما علم من خلوص تلك الشنشنة الأخزمية، وخالص صفاء تلك السريرة، وكونهما فرسى رهان فى حسن السيرة، فكل منهما فى جانب ما أسند إليه وغيره من مهمات أمور الملك على غاية ما ينبغى من النصيحة، من حسن التدبير وصالح السياسة والآراء الصحيحة، على ما بلغنا من طريق التواتر مع متانة الدين، وصلاح القصد والاقتصاد المتين، إلا أن الذى بلغنا أن الأمين السيد عبد السلام أوسع صدرًا أو أكثر صبرًا، من أخيه وفاقه فى سعة الخلق وحسن الخليفة، وأكثر منه تحملاً وألين طبيعة وعريكة، هذا على ما نقل إلينا بالتواتر الذى هو أعلى مراتب الشهادة، وإلا فالعبيد صاحب هذا التقيد ما رآهما قط ولا رأياه، ولا عرفهما ولا عرفاه؛ إلا بالسماع نعم:

فالناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً من غير أن يجدوا آثار إحسان».

هـ بلفظه مع ما عرف عنه من المعارضة وعدم المبالاة بالولاية وذوى النفوذ بل وذمه لوزراء عصره غير المسفيوى وموسى.

ومن الثانى المشرفى فى الحلل البهية، فإنه قال لما ذكر وفاة الوزير أحمد بن موسى والانقلاب الحادث بعدها: إن وزير المالية الحاج عبد السلام موخى التازى الرباطى لما رأى ما صار إليه الأمر بعد موت الوزير من ارتكاب المجون والموافق

عليها ناصح ملحوظ، والناكر غاش في زوايا الإهمال مسجون، طلب من السلطان الإقالة من توليته معتذرا بذهابه لبيت الله الحرام، فأقاله لذلك السبب الظاهر وذهب بسلام؛ وهو من كمال عقله وديانته، وسديد رأيه ومروءته، ونتيجة صدقه وأمانته هـ منه.

ومن الثالث قول الأديب الكبير العلامة أبي العباس أحمد جسوس الرباطي فيه من قصيدة:

ذاك العقول إذا كبت آراؤهم أضحي العويص برأيه مفتوحا
إن عدت الأمثال كان أجلها بل نورها وسواه كان الشيا
أس الوقار ومنبع المجد الذي تلقى مكان الحمد فيه فسيحا
وقال الدكتور (فيسربر) خليفة مدير البنك المخزني والمراقب المدني تشريفا من محاضرة ألقاها في نادى دروس الضباط عام ١٩٢٨ موضوعها (المغرب منذ ثلاثين سنة):

«إن أمين الأمناء السعيد عبد السلام التازي جاب كثيرا أقطار أوروبا، وكان معجبا بنفسه يلفت الأنظار بهيئته، وله شعر على صدغيه، ويجعل على إحدى عينيه زجاجة^(١)، فكان بهذه الهيئة يشبه بكيفية عجيبة للمسيو جول فيرى، فهو الذى كنت أخاطبه فى أداء راتبى ولم ألق فى ذلك أدنى صعوبة منه، بل أرسل إليه التواصيل فيبعث إلى أكياسا فيها ريات».

وفاته: توفى ليلة الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٢٥، ودفن بالزاوية الناصرية من بلده رباط الفتح، وله فيها ذكر جميل وثناء عاطر طيب.

(١) فى هامش المطبوع: «بل عليهما معا عند القراءة».

٤٦٢ - عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد الله بن الطاهر الأمراني.

وقد تقدم رفع عمود نسبه في ترجمة والده وأخويه في حَرْفِي الكاف والميم.

حاله: فقيه أديب، دين خير فاضل، وجيه نزيه، صدر رئيس سياسى مذاكر مطلع على أخبار من مضى وسيرهم وأحوالهم، له اعتناء كبير بمطالعة التواريخ والسير وكتب الأدب، لا تجد في كتبه كتابا من الكتب المذكورة الأغاني فما دونه إلا وهو مملوء الهوامش بالتوقيفات والتنبيه على المهمات، كاتب بارع، لطيف الإنشاء، جزل المعاني، جواد كريم مفضل معظم محبوب.

صاهره السلطان سيدى محمد بأخته ثم بعد أن لبث داعى مولاها صاهره نجله السلطان المقدس مولانا الحسن بأخته أيضا، وكان يرشحه للمهمات ويعقد له على الجيوش، وقدمه فى البعث وبالأخص للقبائل البربرية لما يعلمه فيه من السياسة وحسن التدبير، والتنازل مع الكبير والصغير، وكان لا يرجع إلا منصور الراية من غير إيقاد نار فتنه ولا إثارة هرج ولا مرج، وكان يرافق ركابه فى حركاته وتنقلاته، وقد حضر وفاته بدار ولد زيدوح حسبما وقفت على ذلك فى رسالة كتبها لأخيه المولى الكامل سابق الترجمة، يصف فيها مرض السلطان ووفاته، وبيعة المولى عبد العزيز، رأيت إدراجها هنا إذ كان صاحبها شاهد عيان ونصها من خطه:

«حفظ الله بمنه أخى مولاى عبد الله الكامل الأمرانى ورعاه، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: عظم الله أجرا وأجركم فى مولانا أمير المؤمنين مولانا الحسين قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، فيالها من مصيبة ما أعظمها، وبشارة ما

٤٦٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٥٧/٨.

أمرها، إنا لله وإنا إليه راجعون، توفي قدس الله روحه ليلة الخميس ثالث الحجة بدار ولد زيدوح، وذلك أننا لما خيمنا بها يوم الثلاثاء ٢٣ قعدة كان محسوسا، ثم خرج يوم الأربعاء على المادة ثم أقام الخميس والجمعة لم يخرج، ثم خرج صبيحة السبت بكرة وصبيحة الأحد وصبيحة الاثنين كذلك، وما قطع الخروج بكرة حتى لقي الله، غير أنه يمكث نحو نصف ساعة أو ربع ساعة ويتلاقى بالمكلفين ثم يرجع لمحله إلى يوم الأربعاء ثانی قعدة (كذا بخطه والصواب حجة ليلتئم مع ما قبله) خرج قبل الشروق وجلس بالصوان ربع ساعة واشتد به الحال ودخل، وظل كذلك إلى الحادية عشر من ليلة الخميس قضى عليه، وقدم على ربه أكرم الأكرمين رحمه الله وألحقنا به مسلمين تائبين آمين.

ثم كتم المكلفون موته، ولم يعلم به أحد إلا خاصة الخاصة، واجتمعوا ليلا واتفقوا على الرحيل والنهوض من بلاد بنى موسى والخروج من القطر التادلي، فأدخل رحمه الله المحفة، وأغلقت عليه وحملت على القاعدة المعلومة، وأحرق بها من كان يحاذيها على العادة ورجعنا القهقري، وعبرنا وادي أم الربيع من مشرع ترماست، وجددنا في السير إلى البروج خيمنا بها عند الزوال، ونصبت الأخبية واستقر القرار بالمحلة ريثما استرحنا واجتمع الناس، فبعث خلفنا وخلف غيرنا من أعيان المحلة شرفاء وفقهاء وكتاب وعمال الجيوش والقبائل والرؤساء واجتمع الكل بالجامع، فتصدى للكلام الفقيه الحاجب السيد أحمد، وقائد المشور القائد إدريس ابن العلام، والوزير الحاج المعطى، والسيد محمد الصغير، والسيد على المسفيوى وغيره، فأعلنوا بموت السلطان رحمه الله، وعزى الناس بعضهم بعضا في مصابهم به، وأعلنوا بنصر نجله الأسعد مولاي عبد العزيز حفظه الله.

وأذعن الجميع لبيعته، وضربت الطبول والأبواق والموسيقى، وقام المنادى يبرح في المحلة وغيرها بنصره وتأييده، وأول من بايع إخوانه مولاي الكبير،

ومولاي حفيد، ثم أعمام والده منهم مولاي الأمين، ومولاي عبد القادر، ومولاي عبد المالك ثم أعيان دار مولاي عبد الله، منهم: سيدى الكبير بن خالنا مولاي عبد الرحمن، وأخيه مولاي المصطفى وغيره، ثم العبيد المذنبين، ثم سائر الأعيان والقواد والقبائل أسعد الله به الأمة وشد أزره وأعانه على ما ولاه.

وعليه أوصيك بالسمع والطاعة والدخول فيما دخلت فيه جمأة المسلمين، والزرم قعر بيتك، ولا تخض مع من خاض حتى يجمعنا الله بالسلامة والعافية، ومولانا عبد العزيز من قد علمت، ولنا فيه من الحظ الأوفر ما ليس لغيرنا فאלله يسعد المسلمين به ويجمع كلمتهم عليه والسلام».

وبظهر الرسالة: ثم اشتغل الناس بتجهيز أمير المؤمنين رحمه الله، وبعد الفراغ يحمل لمراكشة بل لرباط الفتح مع المحلة وبها يدفن تغمده الله بالرحمة والرضا والرضوان، وساعته كان أخونا حفظه الله بباب أفراق، فبعث البطاقة الواصلة إليك طيه، يحضنى على الكتابة إليك بعد المشافهة بضمنه والعامل لا يعقل، والنبه لا ينه، وأما العزائب التى بسائس فلا تترك فيها ما يخشى عليه من ذوات الأربع والماشية وغير ذلك، ومن بها من الإماء كجوهرة وغيرها ابعثهم لمكناس، أو عندك بفاس، واترك بالدار من يدخل ويخرج ويجدد المزراك مع البرابر والجيران من الأعراب، وما فى الرزق يصل وما ضاع خلفه على الله والأمر لله، وأرح نفسك من التدبير واطلب من الله السلامة والعافية، واحمد الله عليها، نطلب الله أن يجمع الشمل بكم فى قريب جمع سلامة وعافية، إنه سميع مجيب، وأسلم على سيدتنا الشريفة الجليلة وأعزينا فى مولانا أمير المؤمنين

والسلام عشية الخميس ثالث قعدة^(١) متم ١٣١١

عبد السلام لطف الله به».

(١) فى هامش المطبوع: «كذا وتقدم صوابه».

وكان المولى عبد العزيز يقدمه على الجيوش ويبعثه للقبائل كما كان والده يرشحه لمثل ذلك، ومن الوثائق الدالة على ذلك ظهير شريف كتبه المولى عبد العزيز إليه بامضاء أمانه لبنى مستارة بعد الإيقاع بهم، ونصه بعد الحملة والصلاة والطابع الصغير بداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه):

«ابن عمنا الأرضى مولاي عبد السلام الأمراني، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بما فتح الله به من الظفر بفساد جباله بنى مستارة وهم بنو يمل وبنو قيس، وقضاء الغرض فيهم واستئصالهم وتخريب حصونهم وتفريقهم في الأوعار مذمومين، وعلمنا ما عزمت عليه من الأخذ في استئصال الباقيين لما بينته، وما أخبرك به كبير الزاوية عندهم السيد محمد بن الطاهر من بلوغ العقوبة فيهم حدها، وتشوف باقيهم للفرار من البلاد لما خامرهم من الرعب وما أجبت به من الأمان عليهم، ورفعك العسكر عنهم ليعمروا بلادهم كما بكتابه الذي وجهت وصار بالبال، أصلحك الله وأعانك، وما حل بهم كله بسبب ما اقترفوه، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وقد صادف البلاء فيهم محله، وقد أمضينا تأمينك عليهم لأجل تعمير بلادهم، ونأمرك أن تجد في مطالبتهم وغيرهم من القبائل بأداء الموظف عليهم وإزعاجهم لذلك، ثم ما اقتضته المصلحة بعد تنصيب الموظف يكون الإقدام عليه إذ التريية والزجر لذوى الجرائم مطلوب والسلام في ٢٢ محرم الحرام عام ١٣٢٠».

ونص آخر في الربط على الأخماس:

«ابن عمنا الأرضى مولانا عبد السلام الأمراني وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بآنك بصدد الربط على فساد الأخماس والتضييق بهم واخترت المرور على طريق بنى زروال لسهولة قربها، والتخيم عليهم بنى قاسم من بنى زروال، على أن لا تكلفهم بشيء ليكونوا لكم إعانة عليهم، وطلبت تأخير عاملهم الحسن بن الطاهر لما شرحته من حاله وتولية الحسن الأكتامى، لما وصفته به من النجدة وصار بالبال، فحيث ترجع عندك المرور على طريق بنى زروال، فلا تعدل عن الراجح إلى المرجوح، والأكتامى قد وليناه على إخوانه وهو على سفر، والسلام فى ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٢٠».

ونص ثالث فى قضية محمى:

«ابن عمنا الأرضى مولاى عبد السلام الأمرانى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد رفع لأعتابنا الشريفة التهامى السلوى أصلا القصرى دارا محمى المركان شكايته بهجوم المذكورين طرته على صاحبه المخالط محمد بن بوسلهام، ولد الرحلة ونهبهم له ثمانية وعشرين رأسا من البقر، وعليه فأنمر أن تعمل البحث عن الواقع بمحل النهب، وإن صح الهجوم فحقق بيان المنهوب عددا ونوعا والفعال لذلك، وبيان ما هو للشاكى من ذلك، وما هو لمحمد بن بوسلهام، والزم كل واحد من العمال استخراج ما ناب إخوانه ودفع ذلك لأربابه وإيقاع الإبراء بالعدل، وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للعمال المذكورين بالتنفيذ، وها هى تصلك طيه والسلام فى ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٢٠» صح من أصله كسابقيه. والأشخاص المشار إليهم بالطرة هم: سلام الكبوس القيطونى، والقريش الزواكى، وولد الغياثى المستارى، وأحمد اليملى، وبوشتى المعضاضى.

ونص رابع فى قضية أبى حمارة:

«ابن عمنا الأرضى، مولاي عبد السلام الأمرانى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد أخبر أخونا مولاي الكبير بأن الفاسد الفتان قد عاد للدخول إلى تازا، وتحقق لنا أن ذلك إنما هو من التراخى الواقع منه ومنك، لكون المحلتين اللتين معكما موفورتين وفيهما أزيد من الخمسة آلاف من العسكر، فكيف يتصور معهما إقدامه على تازا وجرأته عليها مع كونكم بمرأى منه ومسمع، فلو لم يظهر للفساد الذين معه التراخى لما تجرءوا على ذلك، وعليه فنأمرك أن تقوم على ساق الجلد فى محاصرة الفاسد المذكور، وانتهاز فرصة الظفر به، والتشمير عن ساعد التيقظ والحزم فى أمره حتى يقضى الغرض فيه، ويقع الظفر به بنفسه، فلا يقبل منك بعد هذا تعلل بشيء فى تحصيله، لأن العدد معكم مقوم موفور.

وقد أصدرنا أمرنا الشريف لأخينا مولاي الكبير، بأن يكون عند إشارتك فى كل ما تشير عليه به، ووجهنا لك خديمتنا الأنجد القائد عباس بن المعروفى مع خمسمائة من الخيل صحبتته، رداء لكم وتعزيدها، وأمرناه بالكون عند إشارتك أيضا بحيث لا يبقى عذر لمعتذر، فلتأخذ بالحزم، وشمر عن ساعد العزم أعانكم الله وقضى الغرض بكم، وها نحن فى انتظار ما يبلغنا عنكم والسلام فى ١٨ شعبان ١٣٢٠» صح من أصله.

وكان أول أمره يتعاطى بالعدالة بالعاصمة المكناسية والخطبة بجامعها العتيق مدة، ثم تخلى عن ذلك كله، ثم لما خلع أهل فاس ربة طاعة السلطان مولاي عبد العزيز من أعناقهم وكثر الهرج والمرج، وكان المولى عبد الحفيظ قد دعا لنفسه وبايعته القبائل الحوزية، واشتدت عصبيته، ومالت قلوب الناس إليه، قام المترجم فى ذلك على ساق، حتى قلد بيعته الأعناق، بعد أن خلع المولى عبد العزيز،

وكتب بذلك لعامل عاصمتنا المكناسية وسائر القبائل البربرية وندبهم لمبايعة المولى عبد الحفيظ والدخول فيما دخل فيه أهل فاس وغيرهم من القبائل الحوزية، وأبدى ما استوجب به المولى عبد العزيز خلع بيعته من الأعناق، وأن الأولى بالقيام بالأمر من بعده هو المولى عبد الحفيظ لجمعه لشروط الإمامة ولمبايعة أهل الحوز له، ولاشدداد عصبيته، ولما فى المسارعة لذلك من حقن الدماء، وإخماد نيران الفتن المضرمة تحت التقاعس عن ذلك لتحفز الغير للوثوب فلم يسع أهل مكناس إلا المسارعة للدخول فيما دخل فيها الناس.

ثم لما تم الأمر على ما سنورده فى محله بعد بحول الله، اجتمعت كلمة أهل فاس على إزالة الشريف البركة مولاي على بن السلطان سيدى محمد عن منصب الخلافة عن السلطان، حيث كان الولي عبد العزيز رشحه لذلك عند نهوضه من فاس، قاصدا رباط الفتح، عندما تحقق لديه قيام أخيه المولى عبد الحفيظ ونهوضه عن عاصمة الجنوب مع زعمائها من القواد والرؤساء والأعيان، ووجهتهم عاصمتا فاس ومكناس.

وبعد نزع المولى على عن منصبه تولاه المترجم، وهو الذى كان يسوس الأمور ويدبرها مع الخواضر والبوادي من بربر وعرب، وكان للكل به الثقة الكاملة لما علموه من صدقه وأمانته ومحبته الخير للقوى والضعيف والمشروف، ولما يعلمون من صدق ولأء البربر له، وأنهم لا يتعدون إشارته، ولم يزل قائما ومدافعا ومسكنا للروعات إلى أن وصل المولى عبد الحفيظ مؤيدا منصورا فأبقاه ظاهرا على حاله يتربص به الدوائر، وصاهر أنجاله الثلاثة أبا العلاء إدريس، وأبا عثمان سعيد، والمولى بناصر بأخواته، والمترجم مع ذلك كله لم يغتر، بل يتيقن أن السم فى ذلك العسل إذ قديما حنكته التجارب وحنكها.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى، ومولاي محمد القاضى، والمولى عبد المالك الضرير، والسيد أحمد بنانى كلا وغيرهم من محققى الأعلام.

نشره: من ذلك ما وقفت عليه بخطه ومنه نقلت وإليك لفظه:

إلى خديم حاجته، وأسير شهوته، من ليس له فى البسيطة ود من قاص ودانى، محمد بن حم الزيانى، سلام تتوالى نفحاته؛ ورحمة الله وبركاته على من بالعهود وفى، وسلك فى سره وجهه سيرة الحنفا، وبعد فقد ملأ الأذهان، بعد ما طرق الآذان، أنك عزمت على شق العصا، فويلك ثم يا ويل من حواليك إن بلغ ما ثقل عنك هنالك، أما علمت أن هفوة العامة كغصة الطعام، وهفوة الخاصة كغصة الماء، لا دواء لها، ولعمرى لقد تصديت لمقتك، وسعيت بظلفك لحتفك، وأيم الله لقد زلت أقدامك، وطاشت سهامك، شعر:

وقل للذى سامى الملوك تعاندا فهل تعبر اللجات ويحك بالسبح
وعما قريب يتلى عليك وعلى رهطك قوله سبحانه (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة) الآية ولنا موقف بين يدى الله مع من قرأها إن لم يقرأها عليه قراءة إفهام، لعله يتذكر أو يخشى والسلام» هـ.

ولادته: ولد بفاس سنة خمسين ومائتين وألف.

وفاته: توفى بفاس عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بروصتهم الشهيرة ثمة.

ومما يتعلق بترجمته ما كتب له به أبو إسحاق إبراهيم السوسى يعزیه بموت والده سابق الترجمة ولفظه:

لكاتبه إبراهيم بن إدريس السنوسى الحسنى، أحسن الله عاقبتهم بمناه، معزيا الشريف الفقيه مولاي عبد السلام بموت والده العلامة الصالح مولاي محمد الأمرانى، رحمه الله وأعاد علينا من بركاته آمين.

استعن بالصبر يا خل الوفا
ما عسى يغنى التشكى والأسى
إن أذكى الناس من يرضى بما
وتجمل إن عرى خطب ولا
واحتسب أجر أب صار إلى
بجوار المصطفى خير الورى
فلقد كان ورب العرش ما
عالما حبرا تقيا عاملا
فاز من خلف نجلا مثلكم
فاتق الله وكن خير امرئ
لم يسد من ساد إلا بالتقى
ولقد ذكرتكم ممثلا
وتمسك به واقراً ما نزل
أيردان قضاء حيث حل
قدر الرحمن قدما فى الأزل
تشكون حالك للخلق تجل
جنة الفردوس يزهو ذا جذل
جده الهادى إلى خير الملل
له فى المجد وفى الفخر مثل
فاضلا مقتفيا نهج الأول
تابعاً سيرته ثم ارتحل
لأيد الله بالشكر عقل
وحياء وبعلم وعمل
أمر رب منعم عز وجل

٤٦٣ - عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله.

يدعى سيدى عب طلاق النساء لكثرة تطليقه - إذ تزوج بمائتين اثنتين
وسبعين بتقديم السين على المثناة امرأة - بن محمد الحبيب المعروف بسيدى حبيبى
ابن محمد فتحا بن زين العابدين بن فخر الملوك مولانا إسماعيل الحسنى .

حاله: شاب نجيب، حامل لواء الأدب فى زمانه، رقيق الطبع، حلو
الشمائل، لطيف المعاشرة، ممتع المجالسة، شريف النفس، فقيه نبيل، لودعى نبيه،

على الهمة، له اليد الطولى، والعارضة العريضة، والاقتدار الكامل فى النظم والنثر، ذهب فى شعره مذهب القاضى الفاضل، وابن نباتة وغيرهما من أكابر الأدباء، استكتب فى الدولتين العزيزية والحفيظية، فكان أكتب أهل طبقته وأبرع جلهم خطأ، وكان يقيد بإقامة الحضرة السلطانية، ويظعن بظعنها، ولما ظعن المولى عبد الحفيظ من فاس إلى الرباط كان من جملة من تخلف عن الظعن معه، ثم لحق به وأعيد لمحل خدمته، ولم يزل مقرا عليها إلى أن اخترمته المنية.

شعره: من ذلك قوله:

أشجى فؤادك بأرق الأنواء	أم ذكر رامة أم نسيم قباء
أم ذكر وجرة أم جآدد جاسم	والمنحنى أم ساكن البطحاء
سقى لهم معاهدا وملاعبا	لمهى محجبة وعين ظباء
لله أيام لنا سلفت بهـ	جاد الزمان بشربها بصفاء
جارت فيها إلى الصبابة والصبأ	رخو الأعبة أصهب الصهباء
سكران سكر مدامة وصبابة	خلع العذار أجر فضل رداء
قضيتها أحلام صب موله	قد أيقظته إشارة الرقباء
يا عاذلى لو كنت تدرى ما الهوى	أبدلت لامك عاذلى بالراء
دع عنك تحذير (المحب) فإنما	يزداد بالتحذير فى الإغراء
أأروم إخفاء المحبة والهوى	والدمع سال ولات حين خفاء
كم ذا التعلل بالإشارة والكنى	مترددا كتردد الفافاء
ما العشق من خلقى ولا فعلى بأف	عال المغازل ليلى أو أسماء
بل طيبة الغرامى ومقصدى	عين الوجود وسيد الشفعاء

ختم النبوة صفوة النور التى
والنخبة العظمى التى قد بشرت
لله ليلة كان ساطع نورها
يا زاجر الوجناء يقصد طيبة
بالله إن عرجت نحو مقامه
عفر خدودك عن عبيد مسرف
يا خير من وطئ الثرى ماذا عسى
هل بعد مدحك فى المئان يروم مد
يا متعب الأقلام بالتعداد ما
صلى عليه الله أزكى صلاته
وقوله وأجاد:

لمع البرق فأورى كمدى
مومضاً من رامة أو أضم
وأرانى من سنه ابرا
خفق الجنج ولولا برد ما
أيها البرق الذى أحبابنا
هل لأيام مضت من عودة
سمحوا بالوصل حتى لم نكن

قد أودع الأجساد للآباء
بمصون سرها سائر البشراء
بتوارد الأنبياء والأضواء
رفقا بقلبي زاجر الوجناء
وحللت بالأكناف والأرجاء
ولتسع بين مخافة ورجاء
يجدى لديك تمدحى وثنائى
حك معشر الخطباء والشعراء
لخصائص المختار من إحصاء
والآل والأتباع والصحباء

شمتة ليلا كسيف مغمد
باسمها عن حبيب أو برد
ترفأ السحب بخيط أسود
كان من ريح لحاكي كبدى
لم يزالوا مثله فى الموعد
على أن ما مضى لم يعد
نتقى فى قربهم من مبعد^(١)

(١) الوزن مضطرب فى الأصل ، والمثبت رواية المؤلف .

ثم شحوا وافترقنا بددا
 هل ترى أحظى بوصل أهيف
 رشاً يرنو بعينين فكم
 قلت قلبى ما له من مخلص
 ودوائى وشفائى ذكره
 خير مبعوث لخير أمة
 شهد الظبى مع الضب له
 والحصى قد سبحت فى كفه
 ورجوع الشمس لما أن دعا
 وانشقاق البدر منه آية
 معجزات كالنجوم ما لها
 حبذا ليلة فيها وضعه
 خرت الأصنام فيها وبدا

وقوله يرثى والده الولي الصالح أبا عبد الله محمد المحب المتوفى ليلة الأحد
 سابع عشرى محرم الحرام عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف:

سل الدار عن سكانها أين يمموا
 وأين ثووا بعد الرحيل وخيموا
 إذا وردت ماء النعيم مطيهم
 فقد لفحت قلبى الكثيب جهنم
 فعذرى فى جف المدامع واضح
 وأين يسيل الماء والنار تضرم

(١) الوزن مضطرب فى الأصل، والمثبت رواية المؤلف.

أتانى كتاب ناعيا بفراقهم
أجيل به طرفى فتزاد لوعتى
وقد كان قلبى بالرزية مخبرى
هو الموت مرفى المذاق وشربه
أرى الدنيا بحرا زاخرا وهو ساحل
وما هذه الأعمار إلا سفائن
أباد الردى آباءنا وجدودنا
عجبت لمن بينى القصور جهالة
أغرك من دنياك حسن ابتسامها
أتلهو ضلالا فى أمان وهذه
تروح وتغدو لا لديك تفكر
وما فات فى الدنيا كمثلى محمد
لقد عاش لا شىء يخاف عقابه
مضى غير صاح من هواه وسكره
ومذ جذبت أيدى الحبيب بضبعه
ولو كان كل ميت كمحمد
فياليتنى لو كنت عند احتضاره
ويا ليتنى لو كنت عند محمد

فعاد نهارى داجيا فهو مظلم
كما ازداد سما من به عض أرقم
فصار بيانا ما له أتوهم
على كل حال واجب متحتم
وبعض الورى غرقاه والبعض عوم
مجازفها الأيام تمضى وتصرم
وكل تساوى آخر ومقدم
وقبره ما تحت الثرى متهدم
حذار حذار عطرها فهو منشم
طيور المنايا فوق رأسك حوم
ولا عبرة كأنما لست تعلم
وقد صار للدار التى هى أدوم
ومسات ولا شىء له يتندم
ألا إنه هو (المحب) المتيم
غدا بلسان الحال عنه يترجم
لهان على الناس الذى هو أعظم
أقبل ذاك الكف منه وألثم
إذا ما هم صلوا عليه وسلموا

وقوله مقرظا تأليف العلامة الجليل صاحب التآليف العديدة، والمقيدات
المفيدة، حامل لواء الإفتاء والمرجوع إليه فى النوازل بالديار الفاسية، مفيدنا
ومخلص ودنا أبى عيسى المهدي الوزانى، فى الرد على ابن المهنا القسطنطينى:

سلا هل على ضوء النهار دليل	وهل لابن مهنا فى الضلال مثل
وهل مثله من أنكر الشمس من عمى	وقد كر منها بكرة وأصيل
ولا عجب أن ينكر الشم ضلة	ويرتد منه الطرف وهو كليل
فلن ينظرون شمس الظهيرة أرمـد	ولن يقذف الماء الزلال عليل
يجادلنا فى الطاهرين ومن زكت	فروع علاء منهم وأصول
وقد جادل الجهال فى الله قبله	وكذب فى الدعوى إليه رسول
يجادلنا فى الطاهرين ومن لهم	بكل قتام غرة وحجول
ومن جاهدوا فى الله حق جهاده	وقاموا بعبء الدين وهو ثـقيل
أتنقم من (إدريس) أن كان طالبا	حقوقا بهم الشهم (الحسين) قتيل
وقد كان فى قتل (الحسين) وأهله	لظلم وعن نهج الهدى لنكول
وللأرض منه والسماء لعبرة	وللخلق فيه رنة وعويل
فإن له والله فيه لأسوة	ومنحى لعمرى واضح وسبيل
فكيف ترى فى الأرض [إدريس] باغيا	وقد بايعته عامر وسلول
وكيف نرى (إدريس) للحق نابذا	وقد بان عنه إذخر وجليل
ولن يرتضى العباس لو كان باقيا	فعال بنيه فيهم و(عـقيل)
فمذ قتلوا إدريس قلت عروشهم	وصار وذاك الرعى وهو وبيل
وعاد على ابن خالد شؤم قومه	وأمسى عزيز القوم وهو ذليل

أعد نظرا فيما احتججت فإننا
كحاطب ليل ليس يدرى بما أتى
وباحثة بالظلف عن حتف نفسها
أتنسب (إدريسا) إلى غير عيصه
ومن قال إن الشمس مطلعها الدجى
ولم يتخذ إدريس عند مسيره
وإن خليقا باسمه وصفاته
وهل تصحب الآساد غير شبيهها
لك الويل ثم الويل منها مقالة
فنشهد أن الله لا رب غيره
ونشهد أن الممترين جميعهم
دعا المغرب الأقصى بدعوة صادق
وأمسى به الإسلام يعلو مناره
فطابت به منه البقاع وجددت
كفى المغرب الأقصى بذلك مفخرا
كثيرون فى أنحائه وشعبه
فلم يخل من أسمائهم عود منبر
ولم يحتكم فى نفسنا غير أمرهم
فجورهم والله عدل ورحمة

عليك به حقا عليك نصول
وحاطبة عشواء وهى حمول
فخرت وشيكا والنجيع يسيل
وتحسب أن الشبل ويك دخيل
تكذبه أبصارنا وعقول
سوى (راشد) مولاه فهو خليل
وعن عهدهم والله ليس يحول
وهل يصطفى غير الفحول فحول
بنفسك منها للبلاء حلول
وأن ابن إدريس لطفه سليل
يميل مع الجهال حيث نميل
فلبى دعاه وعره وسهول
وأصبح والإيمان فيه يجول
رسوم عفت من أهله وطلول
وفرع بنى الزهراء فيه أثيل
وهم فى سـواه نادرون قليل
ولم تخل منهم عصابة وقبيل
فكل سميع أمرهم وفحول
وصرصرهم عند الهبوب قبول

أتنكر فضل المغرب الأقصى جاحدا
تواترت الأخبار طرا بفضله
ومنهم سيوف نحو نحرك شرع
ومنها بحور قد تفجر بعضها
وهل نحن إلا الصخر توهى بنطحه
ومن تاه فى البیداء من غير مرشد
ألم يكفك التاريخ بالحق شاهدا
لقد مر قرنا بعد قرن وفضلنا
أما سلفت فینا ملوك خضارم
تسير بهم للمكرمات سوابق
يخوضون فى نيل العلا كل غمرة
ويقتحمون الموت والموت أحمر
لهم كل يوم للوغى ورجالها
رعى الشادن السرحان من حسن عدلهم
عطاؤهم قصد وعقلهم هدى
ذكاؤهم بالمبهمات موكل
أما سلفت فینا ربوع أوائل
ثمار جناها دانيات قطوفها
صحائفهم للشاردات حبال

بزوغ نجوم ما لهن أفول
وما كان فى نقل الثقات فضول
مواض قواض ما لهن فلول
فأرداك منها وافر وطويل
قرون وعول إن أئتته وعول
فليس له غير الضلال قفول
وعدلا رضيا ليس عنه عدول
يزيد وجيل قد تقضى فجيل
لفيلقها فوق السماك مقيل
فيخلف من بعد الرعيل رعيل
فلا يعتريهم فى العظیم ذهول
وللبيض والسمر العوالى صليل
نزال وللضيف الملم نزول
وعاد يسوق الكركدن لفيل
وأخلاقهم مثل الزمان فصول
وحدسهم للمعضلات كفيل
من العلم أعناب بها ونخيل
وظلهم للرائدين ظليل
وأقلامهم عند الهياج نصول

أنافوا على الشعرى العبور نباهة
فلو فاض فى بحر المحيط مدادهم
بهم ملة الإسلام أَلقت ثقالها
وما غرهم بالله والدين زخرف
ولا نبذوا عهد الرسول وراءهم
وفى الملة السمحاء لم يتلونوا
وفينا لعمر الله منهم بقية
بزاة لهم فى العلم كل طريدة
شمائلهم لم يبد فيها تصنع
وقد تخلف الأزهار بعد ذهابها
ولا عيب فيهم غير أن جسومهم
وأنطقهم فى فاحش القول أَلكن
ضوالعهم يوم الرهان سوابق
أصاغرهم عند المقال أكابر
وقد كان فى الإعراض عنك لغنية
إلى أن قال :

فصار لها بين النجوم خمول
لما شربا بعد الفرات ونيل
فما ناء منهم بازل وفصيل
ولا فتنتهم قينة وشمول
ولا جرفتهم عن حماه سيول
كما تفعل الحرباء فيه وغول
بها طرف أعيان الفخار كحيل
لتهوى ولو أن الجناح بليل
وأوراقهم لم يعتورها ذبول
لطيبا وبعد النخل ينحو فتيل
بها من هموم المشكلات نحول
وأفطنهم فى المحدثات غفول
وأطفالهم عند اللقاء كهول
ونزرهم عند النوال جزيل
فإن به وجه السكوت جميل

فرجم وأما نظمها فحفيل
ويمسى جرير وهو منها ضئيل
فتخضر آكام بها وحقول

فدونكها كالشهد أما حجاجها
قواف لها يغدو الحطيئة صاغرا
تسير مسير الشمس فى كل بلدة

لقاض ومن أهل النهى لوكيل	لها فى جدال الخصم من كل مصنف
وبرهانها مثل الحسام صقيل	ونائجها مثل الدلاص مسرد
وتضحى لأقداح السباق تحيل	بغايتها تجرى الفحول جيادها
فيمسى عليها الناشقين يحيل	ينم بها نشر الحجا عند نشرها
وغنى على الأغصان منها هذيل	وما روضة غناء باكرها الحيا
فاضحى لديه للنسيم مثول	وراح لها قيل الربيع بجيشه
فلم يك فيه من شذاها حصول	ومات بها الجعل الغبى لحينه
إذا ما تنيط زهرها وتنيل	بأطيب منها نظرة ونضارة
وليس لمزكوم إليه وصول	يطيب سليم الشم من شم طيبها
لسان مجيب سرمدا وسؤل	يؤرخ مسكا فاح عند ختامها
٣٨١ ٥٥ ٥٤٥ ٣٤٣	

ج: ١٣٢٤

وقوله راثيا شيخنا الفقيه العلامة الحافظ أبا عبد الله محمد بن عبد السلام
كنون رحمه الله تعالى:

والدهر جرعنا كئوس الصاب	الكون أصبح ظاهر الأوصاب
وأجل خطب فى الورى ومصاب	بأشد رزء فى الزمان وحادث
وبكل عين عبرة كعباب	فبكل قلب حسرة وتأسف
ما حيلة الأغنام فى القصاب	هل هو إلا الموت قصاب الورى

أبدا يفجعنا بأفضلنا فكم
لا بد فى الدنيا وإن طال المدى
كل الحياة بها كلمعة بارق
وإذا نظرت إلى الوجود بأسره
ذهب الإمام محمد لسبيله
علامة العلماء حافظ عصره
ذهب الذى فى العلم يفتح دائما
ذهب الذى قد كان فى أوج الهدى
ذهب الذى قد كان فى ليل الخطا
أسفى على شمس المعارف كورت
أسفى على روض المعارف قد ذوى
ما كنت أحسب قبل رفع سريره
من للمجالس والمنابر بعده
من للعلوم إذا تحجب وجهها
من للعباد إذا أصابهم الظما
لو قبله تفدى الكرام من الردى
ما كان إلا التبر عاد لأصله
عز العزاء به وقد عظم الأسى
فلقد تنكس رأس كل يراعة

أخذ الرءوس وشال بالأذنان
من فرقة الإخوان والأصحاب
والعمر أجمعه كفىء سحاب
لم تلفه إلا شراب سراب
واحسرتاى ولات حين إياب
من كان فى التدريس ليث الغاب
للجاهلين مغالق الأبواب
نجم اهتداء لنا وخير شهاب
إن جن بالأفهام بدر صواب
والفضل والإرشاد والآداب
وغدت مقاصره طول خراب
أن البحور تسير فى الأخشاب
من للدروس ووجهة المحراب
فيميط عنه لنا لكل حجاب
لمعين ورد عنده وشراب
لفداه أولو شيبة وشباب
وغدا بمعدن جندل وتراب
فعرى اللسان تحير الألباب
ولقد تشتت شمل كل كتاب

سيان إيجازى بذكر ثنائه ورثائه من بعد أو إطنابى
لو كان يمكننى عتاب للردى عاتبته فيه أشد عتاب
لكنها أيدى المنية طالما نبذت لقشر وانتقت للباب
إنى ليحزنى به ويسرنى أن حل بالفردوس خير جناب
فى مقعد صدق ينعم دائما بجميل أعمال وحسن ثواب
لولا الحياة لكنت تسمع حورها نادته بالتأهيل والترحاب
وتقول أرخ عند أفيا جنة لمحمد زلفى وحسن مآب

١٣٢٦

نثره: منه مقامة نصها: حكى الضحاك بن بشير قال: ضمتنى يد الرفقة
والعشرة، مع أصحاب بفاس كالنجوم عشرة، بلوت شجرهم مرا وحلوا، وخطبت
صحبتهم فوجدتها من الموانع خلوا، رضعوا من الأدب الأخلاف والأفواق،
وفطموا عن ضرعها الخلاف بالوفاق، طالما حنكتهم التجارب رغبة ورهبة،
وسامتهم الأيام فرقة وغربة، حتى ألفتهم الأسنمة والغوارب، واختصمت فيهم
المشارك والمغارب، وصارت جميع البلاد لهم أوطانا، والمنازل كلها أعطانا، وكان
لى فيهم صاحب هو واسطة عقودهم، وحة عنقودهم. امتزجت روحى بروحه
امتزاجا، واعتدل طبعى بطبعه مزاجا، أخلص كلانا لصاحبه جهره وسره، ووثقنا
بخير مودتنا فلم يتق شرى ولم أتق شره، وحينما ألقينا عصا الترحال بفاس،
وتخلصت الرحال بوضع ثقلها من معزة النفاس، أصبحت الطرق بالقطاع شاغرة،
وعوادى الفساد لأفواه الفتن فاغرة، وأمست السهول وهى وعرة، وأعثرت الخيول
بعرة، واستنسرت بغاث الطير، وانتشرت بغاة الضير، وذلك بشغب شيطان يزعم
أنه من الملائكة، وأشداقه لحنظل الباطل لائكة، فأعوزتنا السيوف ففزعنا للأقلام،

وأرهفنا بصحائف الكلام صفائح الكلام، فإذا نحن جعنا، لأقراص الأوراق رجعنا، وإذا نظما، نظمنا نظما، وترانا نثرى، إذا نثرنا نثرا، فنظم ذلك صاحب قصيدة ميلادية انتقل فيها من المديح النبوى، إلى المدح السلطاني المولوى وأشار فيها لذلك الفتان الخارجى الذى شاب الموارد لما شب نار شبيب، وعقد للفتنة فى الدين والدنيا كل سبيب، الخارج من الهدى بالضلال، والشبيه فى أخلاقه الشيطانية بالضلال، الدعى الشاق للعصا، الداعى الشقى بما لم يطع الله به بل عصا، واستشارنى فيها، هل يثبتها أو ينفيها، فأمرته أن يقصد بقصيدته تلك دار الخلافة وليأت من الباب، من له من الرياسة والسياسة اللباب، دستورها المبجل المعظم، وعقد وزارتها الأمثل المنظم من إذا وعد فالسموأل، وإذا أعطى فحاتم إذا يسأل، أكرم من تكرم فى عصره وتفضل، ووزير الوزراء سيدى محمد المفضل، قال غريط قلت غريط، والتقريظ للمعالى والتقريظ:

وزير يود السيف والسهم عزمه ورأيه فى إمضائه وسداده
وصوب الندى كقطرة من نواله على صبه أو نقطة من مداده
فأرصد ليلة الاحتفال، فلك عند ملكها أيمن فال، حيث الألسن بأسرار
المديح بائحة، والمباخر بالند فائحة، والإنشاد يرجع ويردد، والعهود القديمة تذكر
وتجدد، وكواكب الشموع والمشاعل تزهى، والجفان والأجفان هذى تكسر وهذى
تسهر، والموائد تنصب وترفع، والعوائد الكريمة صلتها للموصول تدفع، قال
الراوى فكتب القصيدة بما خشلب خط ياقوت المستعصى، وكان عنه ابن مقلة
عمى، وانتظر ليلة المولد، وورود صافى ذلك المورد، وريع أمامه وصفر وراءه،
وكرم الصدر الوزير حفظه الله يضمن عند صدوره ووروده وراءه هـ.

مشيخته: أخذ القرآن العظيم عن الأستاذ البركة أبى عبد الله محمد الغمارى
بفاس، وعن الأستاذ الفقيه أبى عبد الله محمد البوعمرانى بمراكش.

وأخذ النحو والفقه عن الفقيه العالم أبي العز رحال الزمراني، وعن الشريف الفقيه الأخير أبي علي الحسن السرخيني، وعن العلامة الأديب أبي الفضل عباس التازي، والعلامة الشريف البركة سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والعلامة رئيس المجلس العلمي سيدي أحمد بن الجيلاني.

وأخذ الطريقة التجانية عن العلامة أبي عبد الله محمد فتحا بن عبد السلام جنون المتوفي عشية الجمعة ثامن عشر شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، وأخذ عن شيخنا أبي عيسى المهدي بن محمد الوزاني المتوفي يوم الثلاثاء متم صفر عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، وشيخنا أبي عبد الله محمد فتحا بن قاسم القادري، وعن عمه الشريف الأخير الفقيه مولاي العربي المحب.

ولادته: ولد بالدار العالية بمكناس في عام اثنين وثلاثمائة وألف.

وفاته: توفي في أوائل شوال عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف برباط الفتح، ودفن بالعلو، وقد رثاه صديقنا الكاتب الأديب الأبرع أبو عبد الله محمد بن محمد المفضل غريط بقوله:

نغالط بالآمال والحكم واجب	ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنا	عن الغيب ما لذت لدينا مشارب
حيارى فلا ندرى بيوم انتقالنا	كما ضل بين النجح واليأس هائب
وما الحى إلا طعمة لمنية	برائنها لم ينج منهن هارب
فبيننا تراه أيذا متماسكا	إذا به منحل العزيمة شاجب
وأى محب لم تنله كريهة	وأى زمان ليس فيه مصائب
كأن بنى الإنسان بل كل محدث	على لجة الأيام طاف وراسب

هو الموت جل الله قاهر خلقه
فأين الملوك الصيد أين عديدهم
وأين أباة الضيم أين اقتدارهم
وأين بنو الآداب أين سرراتهم
وأين ذوو الأقلام أين خياريهم
محاهم من سفر الوجود معيدهم
وأعظم رزء تشتكى النفس حره
خليلى أما الصبر عنك فخائن
وكانت ظنوني أن يتاح اجتماعنا
فآه ليووم ثم آه لليلة
وأضحت لها الأقلام تخدش طرسها
وكنت لها نعم الموفى حقوقها
وكنت بروض العلم أنضر زهرة
وكنت أديب العصر والجوهر الذى
وكنت بتقوى الله أشرف آخذ
نشأت على هدى وجد وعفة
عكفت على الإصلاح طوعا ولم تقل
ومالك فى غير المعارف رغبة
ومت وعند الله أعظم نعمة

يروع من ذكره ضار وضارب
وأين القصور الشم أين المواكب
وأين بناء المجد أين المناصب
وأين رجال الشعر أين الحبايب
وأين ذوو الأحلام أين العصائب
لأصل الثرى والفرع للأصل آيب
نوى من إليه تدنى وتناسب
وأما فؤادى فهو بالوجد ذائب
فلم تجدنى تلك الظنون الكواذب
كساها إهاب الحزن ناع وناعب
وتندرى الدموع السود وهى نوادب
إذا كل فكر أو توقف كاتب
فذبليها ريح من الحين عاصب
تنافس فيه مشرق ومغرب
وأول ساع حيث ترضى المناقب
نقى الحلوى لم تستملك الملاعب
(وللهو منى والخلاعة جانب)
ومالك غير الذكر والفكر صاحب
لمن هو فى رضوان ربه راغب

فما للقوافى بعد فقدك محكم
معان إذا ما الناظمون تكلفوا
كواعب تهتز النفوس لظرفها
تراثب فيها للنواظر جنة
بدائعها مشهورة وحديثها
وما لعلوم العصر مثلك عاشق
وما لأخى ود وعهد وصحبة
قضى معك دهرا لم يمل وإنما
لئن سترتك عن جفونى تربة
يصور فيه الوهم منك خلائقا
لتبك عليك كل عين مليحة
عليك من الرحمن أوسع رحمة
ومالى وللشعر القوى انتقاده
وإنى على ما بى هتفت مؤرخا

وما للمعاني بعد رزئك جالب
فهن بأكتاف الجمال كواعب
كأن وسمت بالسحر منها الترائب
وفيهما لأوصال القلوب جواذب
يصححه عن شاهد الحسن غائب
وما لتتاج العقل مثلك طالب
سواك أنيس أو رفيق مواظب
قضاء موجد الأرواح لا شك غالب
فلم يحجبك عن ضميرى حاجب
مهذبة هى الكبا والكواكب
بحبك حتى تضمحل السواكب
تؤم حماك الرحب منها سحائب
بضعف القوى والرزء للرشد سالب
بقدر نال أعلى الخلد زاك مراقب

١٠٤ ٨١ ١١١ ٦٦٤ ٢٨ ٣٤٣

عام ١٣٣١

٤٦٤ - عبد الهادى بن عبد المالك بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
حفيد بن على بن محمد بن عبد الواحد أبى الغيث الشريف العلوى
البلغيشى.

حاله: فقيه أستاذ نبيل، وجيه مفضل، استوطن مكناسة الزيتون كما فى الشجرة الزكية، وصاهره إمام وقته أبو الربيع سليمان بابنته المصونة الجليلة السيدة حفصة.

٤٦٥ - عبد الهادى الفيلالى نزيل مكناس ودفينها.

حاله: عالم فاضل زكى، أستاذ مقرئ مجود، له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها وتوجيهها، انتهت إليه رياسة ذلك الفن فى عصره، نشأ بالصحراء بلاده، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجاء وأمره بقلع ثنيته ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدررا يعلم الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيد، ويث العلوم فى صدور الرجال ونفع الله به خلقا.

الآخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى، أخبرنى بالآخذ عنه ومنه استفدت بعض ترجمته.

شعره:

سألتنى نظما على الإشمام	والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام	والخفص بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماما	فى مذهب القراء خذ أحكاما
وفى عريض شكل قل بالمنع	وهاء تأنيث وميم الجمع

٤٦٦ - عبد الواحد بن على بن محمد فتحا بن على الكتانى. نزيل مكناس.

حاله: كان من أهل الولاية الظاهرة، والكرامات الباهرة، معروف بالصالح، مشارا إليه بالمعرفة والفلاح.

وفاته: توفي بحضرتنا المكناسية أواسط القرن التاسع على ما استظهره شيخنا ابن جعفر الكتانى .

٤٦٧- عبد الواحد بن الأستاذ أبى الحسن على بن محمد بن على المدعو منون.

حاله: فقيه جليل، علامة كامل فاضل مثيل، مدرس نفاع حفيل، صدر من صدور مكناس، وحامل لواء التحقيق بين علمائها الأكياس. مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام ثمانية وستين وثمانمائة، وقفت على زمام تركته بتاريخ أواخر شوال من العام المذكور.

٤٦٨- عبد الواحد بن عبد الرحمن الشبيهي الجوطى.

حاله: فقيه علامة مشارك، خطيب مصقع، فصيح بليغ، صالح فالح، خير دين ثقة ناسك متعفف، هين لين، زكى ذكى، فاضل صوام قوام، صادق الأقوال والأفعال، ذو مائدة مبسوطه، جامع لكل وصف حسن، جار على سنن سلفه الصالح، ولى الخطبة والإمامة بمسجد ضريح جده مولانا إدريس دفين زاوية جبل زرهون، رحل إلى الحج ومكث سنة بمكة والمدينة، ودخل مصر وذلك عام ثمانين ومائة وألف، ثم رجع إلى المغرب، ولما ظهر البربر على جبال زرهون رحل منه إلى سكنى فاس وتركه، وبلدة مدينة مكناس لعيث العبيد بمكناس كالبربر بزرهون أو أشد، ومكث ما شاء الله بفاس، ولما ولى أمر زرهون السلطان سيدى محمد بن عبد الله من قبل والده السلطان المولى عبد الله بن السلطان مولانا إسماعيل رجع المترجم لداره بزاوية زرهون ولم يزل مستوطنا بها.

مشيخته: أخذ عن الشريف النزيه مولاى الطيب بن محمد دفين وزان

وغيره، تعرض لذكره صاحب الأزهار النادية فى ترجمة والده المولى عبد الرحمن قائد زرهون المترجم آنفاً، وذكره الزبى فى سلوك الطريق الوارية.

وفاته: توفى بزرهون سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٤٦٩- عبد الواحد المدعو الدربالى.

أحد حفدة الشيخ أبى عثمان سعيد المَشَنَزائى، دفن خارج باب وجه عروس، أحد أبواب مكناس اليوم.

٤٧٠- عبد الواحد بن حمادى بن عبد الواحد بن محرز بن الشريف بن على.

حاله: علامة مشارك، فقيه جليل، فاضل نزيه، مفت ماجد، انتهت إليه رئاسة الفتوى فى زمانه، استوزره سلطان وقته سيدى محمد بن عبد الله وصحبه السلطان مولانا سليمان، وتوفى بمكناسة الزيتون كما فى الشجرة الزكية فى العصر السلیمانى ودفن بضريح بعض الصالحين بها، وله عقب باخنوس وفاس البالى.

٤٧١- عبد الواحد بن محمد ابن فقيرة.

المكناسى الشاة والدار والإقبار.

حاله: حاد الذكاء سريع الإدراك، جيد الإصابة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، غزير الاطلاع، فقيه نبيه، عدل رضى، موثق ماهر، ناظم ناثر، صاحب نوادر عجيبة، وأفعال غريبة، مستحضر لتراجم المتأخرين والوقائع التاريخية والنوادر السياسية والحكم والنكت الأدبية والمجون الهزلية، له من ذلك ما لو جمع لملاّ الدفاتر.

استكتبه السلطان مولانا الحسن لبراعة خطه وشدة حذقه ونبله، ثم انتخب

٤٧١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨١٩/٨.

وأدرج فى سلك الطلبة الذين ينسخون الكتب، وكانت العادة أنهم يدفعون كل يوم جمعة ما نسخوه فى الجمعة التى قبلها، ثم إنه ألقى السكر فى أدوات النساخ جميعا ولم يشعر به أحد، فلما كان يوم الجمعة ودفعوا ما تم نسخه وفق المقرر وجد الجميع ملصقا بعضه على بعض، فأعمل البحث فى السبب حتى اعترف أنه الفاعل، وأن الحامل له على ذلك هو ما رأى من عدم اعتناء النساخ بالأشغال المولوية، وعدم اهتمامهم بالشئون المنوطة بهم، وعدم تحفظهم ومبالاتهم.

وكانت هذه القضية قاضية على استخدامه بالوظائف المخزنية، كما أنه كان منتظما فى سلك كتاب الحضرة المولوية بالصدارة، وكانت العادة جارية كل سنة بتوزيع المكاتيب على الجيوش للعمال فى الشئون المخزنية، والقصد جلب النفع بها للمستخدمين بالمقبوض من العمال، وكان ما يقبض على تلك المكاتيب من القواد لا يتجاوز مائة مثقال، أعنى خمسة وثلاثين فرنكا وثلاثة أرباع الفرنك تقريبا، فكتب فى بعض المكاتيب بعد الافتتاح.

وبعد: فيأمرك مولانا أن تحسن لحامله بما يرفأ به حاله فأدخل الكتاب للحضرة السلطانية وسلم وطبع، وخرج ليختم ويدفع لصاحبه أصلح الجملة المذكورة التى هى يرفأ حاله بمائة ريال حالة، وختم الكتاب ودفع لصاحبه بعد أن قبض منه ما تجاعل معه عليه لذلك، وقد كان العامل المكتوب إليه من الحذق والنباهة بمكان، فامثل ودفع ما عين فى الكتاب السلطاني، ثم بعد مدة ورد على الحضرة المولوية ومعه الكتاب فاطلع عليه الوزير إذ ذاك وبعد البحث اعترف المترجم بأنه الفاعل وبين الكيفية، فكانت سبب تأخيره عن الخدمة المخزنية بالكلية، وذلك بعد أن كان سقط من على دار كان يسكنها بمراكش إلى أسفلها، ووقع فى حفرة بالوادي المضاف وبقي بوسطها، وقد انكسر ظهره بسبب سقوطه وبقي على

تلك الحال ثلاثة أيام، وذلك أنه كان يسكن الدار وحده، ولما دخلها أغلق الباب عليه، وقد كانت الأيام أيام مطر ولما فتحت عليه الدار ووجد على تلك الحال، بحث عن السبب فأجاب بأنه هجا صلحاء مراكش فجوزى بذلك، ومع الأسف فقد ضاعت مقيداته وفوائده العلمية والأدبية التي لو جمعت لجاءت في مجلدات.

شعره: من ذلك قوله لما سقط من سطح دار سكناه بمراكش ووقع به من الألم والكسر ما وقع، وأتى برجل فوال يكويه وكان هذا الفوال (أى بائع الفول) قوى الجسم كامل الصحة فكواه حسبما أنشد ذلك لنفسه شيخنا أبى عبد الله الطاهري ومن خطه نقلت:

جزى الله شرا من كوانى جاهلا	جزاء سنمار وما كنت ذا ذنب
ولكنما الفوال من جهله عتا	على بنار صيرتنى فى كرب
وأصبعى فى أستي أبرد حرها	فضاعف لى هما وصعبا على صعب
أعاد عليه الله من شر فعله	كذاك بنوه ما بقيت على جنب
أقاسى هموم القاسى ساعة كيه	لمقعدتى حتى كأنى فى حرب
وكدت أفارق الدنا بيد أنه	شديد عنيذ ما رأيت بذا الغرب
مماثله ومن يماثل مثله	كأنه قد أنشى من أقبح ما كلب
فلا صورة ترضى ولا فعلة تضى	خسيس حقير ليس فى العجم والعرب
ومن أشأم الأيام فوالهم كوى	وفى جسمى الحساس تار وفى جنبى
ومقعدتى من شدة الكى تشتهى	ولوج يد الفوال والحس ما دأبى
فيارب شتت شمله عاجلا يرى	رهين سلاسل إلى الرمس والترب
وفى حيص أو بيص وفتنة منكر	نكير ولا ينجو ببعده ولا قرب

وأوصى جميع العالمين بخزيه وبالبعد منه واتقاء ذوى ثلب
فلا خير منه يرتجى طول عمره لزيد ولا عمرو وشبهه بلا ريب

وقوله مادحا قاضى الحضرة المكناسية أبا العباس ابن سودة:

طالع السعد فى سماء المعالى قد أضاء به دياجى الليالى
بشرتنا بشائر البشر منه ببلوغ المنى ونيل النوال
وغدت مسند الأحاديث تروى عن علاه مصححا ذا اتصال
صح فيه غرام صب عليل لم يكن من هواه يوما بخال
لم أمل للتصايبى لولا بدور فى خدور تحجبت بجمال
أو أفه بالقريض لولا إمام علقت بمديحه آمالى
كعبة الأمن والهدى ملجأ القد صاد غيث الندى وليث النزال
بحر علم وطود حلم وتقوى للاله بخشية وابتهاال
وهى أطول من هذا.

وفاته: توفى فى ثانى ربيع الأول سنة عشرة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة
الشيخ محمد بن عيسى رحمه الله وفسح له فى عدنه.

٤٧٢- عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ المكناسى الأصل والنشأة والدار.

حاله: علامة مكناسة الزيتون وقاضيتها الأرشد الأمجد، صدر تحرير،
خطيب بليغ، مدرس مدقق محقق، مفت فاضل نبيل، كان متوليا خطة قضاء
الجماعة بمكناسة الزيتون، وخطبة جامع قصبته الهاشمية الإمامية، وإمامة محراب
جامعها الأعظم، وإليه صار مرجع الأنام فى الإفتاء، وقفت على رسم مسجل
عليه بتاريخ ثانى عشرى شوال عام تسعة وأربعين ومائة وألف، والذى ولاه خطة

القضاء فى التاريخ المذكور وهو سيدى محمد ولد عريية نجل السلطان سيدنا الجد مولانا إسماعيل، بعد أن عزل قاضيه السيد الطالب بوعنان المترجم فيما سلف، ولى مكانه أبا القاسم العميرى، ثم عزله وولى مكانه سيدى محمد البيجرى، ثم عزله وولى مكانه المترجم، كذا فى الدار المنتخب.

وقد ذكر المترجم أيضا صاحب مقصد الأسماء، فيما يتمسك به المقيم والمسافر من الأسماء، تأليف بعض تلاميذ ولده الإمام المنور أبى عبد الله محمد ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا اسم المؤلف للكتاب المشار له.

وقد كان أصيب فى عقله رحمه الله ورده الله عليه بهدايته للذهاب للعارف الكامل الشريف سيدى عبد السلام البقالى، ولما ذهب إليه اشترط عليه أن يقرئه تلخيص المفتاح إذا هو برئ وشفاه الله، فالتزم ذلك، ولما من الله عليه برد عقله، وفى البقالى بشرطه وصار لا يفارقه فى الغالب، حتى نقل الله البقالى إليه سنة نيف وخمسين ومائة وألف.

مشيخته: أخذ عن أبى على اليوسى، وأبى على بن رحال المعدانى، ومحمد ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: منهم الولى الصالح أبو محمد عبد السلام البقالى، والسيد المجذوب بن عزوز المكناسى، وأبو حامد العربى بصرى صاحب منحة الجبار وغيرهم.

٤٧٣ - عبد الوهاب أبو نصر وأبو اليمن وأبو البركات قاضيه ابن السيد الحاج محمد المدعو حم العرايشى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: علامة أصيل، متقن محصل جليل، فقيه متقن مشارك نحوى، ماهر خطيب بليغ مصقع، فاضل جليل مطلع، تولى خطة القضاء بالعاصمة الهاشمية

المولوية السلطانية المكناسية على عهد السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل، وقفت على كثير من خطابه والتسجيل عليه، من ذلك عقد بتاريخ ألف ومائة وعشرين وبتاريخ ثلاث وعشرين محلى فيها بما لفظه: قاضى الجماعة بالحضرة المولوية وأوصاف عالية دالة على شغوف مكانته ومقدرته وسعة معلوماته، وقد كان أبوه متوليا خطة النظارة على أوقاف المساكين، وكان هو متصدرا للتدريس بجامع النجارين، واعتنى بتدوين ما يرجع لمأموirته وجمع المقاصد التى وفّت بالغاية التى لا تستطاع فيما دونه، عاملا على ما يقربه عند الله من مرضاته، ويظفره بجزيل مثوباته، وكان متحليا بالسكينة، حالا من النزاهة بالمكانة المكيّنة، خطبته الخطط العلمية، واغتنبت به المجادة الأولى، واستعملته الدولة المنيفة التى ترتاد أهل الفضائل للرتب، وتستظهر أهل المناصب بأبناء التقى والحسب، فصار معدودا من أعيان خطبائها، وصدور نبهائها، رحمه الله.

مشيخته: منهم أبو مدين السوسى.

وفاته: توفى كما هو منقوش عند رأس ضريحه فى زليج فى عاشر جمادى الثانى عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بضريح الولى الأشهر المولى عبد الله ابن حمد دفين خارج باب البرادعيين.

٤٧٤- عبد الوهاب الشيخ أبو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن

ابن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمران.

أمه فاطمة بنت عبد الرحمن بن عزون، ذكره فى منحة الجبار.

حاله: كان أحد الأفاضل المشار إليهم فى وقته علما وعملا، كثير التلاوة والأذكار، تصدر للتدريس والإفادة مدة، ثم انقطع لعبادة ربه.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن حسين الشهير بأبى مدين قاضى

العاصمة المكناسية، وأبو العباس أحمد بن يعقوب الولالي، وقد كان بقيد الحياة عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف.

٤٧٥ - عبد الوهاب بن أحمد أدراق.

حاله: خاتمة الحكماء جليل القدر، رفيع الذكر، محبوب العام والخاص جبهة الزمان، ویتيمة الأوان، فقيه عالم طبيب ماهر، أديب ناظم ناثر، له معرفة بالنحو واللغة والشعر، وانتهت إليه في زمانه الرياسة في فن الطب فكان لا يجارى فيه ولا يبارى، مع لطف وجاه ووجاهة، تقف الوزراء فمن دونهم ببابه وقوف الممالك بأبواب الملوك.

وكا الطبيب الخاص لدى الجلالة الإسماعيلية، لا يفارق السلطان، وكذلك لدى ولده أبى محمد عبد الله، وكانت له مكانة عظيمة لديها، لم يلحقها غيره بحيث لا ترد شفاعته، ولا تهمل إشارته، وكان مضربه ومنزله في الأسفار أعظم من مضرب أكبر العمال.

له الاستنباط في الطب الذى يحق أن يخضع له به بقراط فمن دونه، وكذلك ابن سينا مع همة ووقار، وسمت وعلو مقدار، وكانت تحبه الملوك وتجله وتقدر قدره، وأجازوا له الجوائز ذات البال، ومارس علاجهم، وتردد إليهم فآذنوه، وأحلوه منهم محل التكرمة والإجلال، وله أنظام في الطب في أنواع العشب والفواكه وخواصها ومنافعها، لو جمع ذلك لكان ديوانا حافلا، وسيمر بك نزر من ذلك.

ومما يبرهن على مهارته في الطب وكامل معرفته أن شخصين أرادا أن يختبرا في الطب، وكان كل من عنده مريض يأتيه عند الصباح بزجاجة فيها بوله يقال لها الهراقة، فعمد أحد الشخصين إلى بول كبش سمين وجعله في زجاجة،

٤٧٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى في موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢١٤٢.

وعمد الآخر إلى سقف قديم تنزل منه القطرة وجعل ماء القطرة فى الزجاجاة كأنه بول، واختلطا فى الناس فجعل الطبيب ينظر فى كل هراقة ويصف للمريض الدواء حتى وصل لصاحب الكيش فجعله فى ناحية، ثم وصل لصاحب السقف فجعله فى ناحية حتى فرغ من أمور الناس، فقال لصاحب الكيش: هذا غلبت عليه الشحم إن لم تذبجه عن قرب مات، وقال لصاحب السقف: اجعل لهذا حرية وإلا سقط ثم قبضهما، وأراد أن يذهب بهما إلى الحاكم ثم عفا عنهما:

ومن ذلك أنه كان يمر على رأس الشرطين فيجد إنسانا فى طراز يقول الأبيات بصوت حسن، فكان يقف لاستماع صوته، فمر يوما فسمع صوته وهو متغير، فصعد إلى الطراز وسأل عن الآنية التى يشرب منها فوجدها برادة، فكسرها فوجد داخلها وزعة، فقال هذه التى غيرت صوته.

ومن ذلك أنه كان مارا بالرصيف ومعه عبده، وإذا بوإذا بإنسان بإحدى يديه لبن وفى الأخرى حوت، فقال لعبده اتبع هذا وقيد الدار التى يدخل لها فتبعه، ولما كان من الغد أمره أن يذهب إلى تلك الدار وينظر، هل بها جنازة؟ فذهب عبده وأخبره أن بها جنازة، فذهب المترجم ودخل على الميت وفصده فى محل، وقال لأهله: أخروه حتى تنظروا فى أمره، ثم بعد هنيئة زال ما بالميت وعاش بعد، إلى غير هذا مما يقضى منه العجب ويشهد للعرب بالتفوق الذى لا مطمع لغيرهم فى الوصول إليه، وإنما أوقعنا فى الحضيض الأسفل الكسل، وإهمال اتباع سلفنا الصالح رضوان الله عنهم.

وقفت على ظهير سلطاني أصدره سيدنا الجد الأكبر أبو النصر إسماعيل، يتضمن الإنعام على صاحب الترجمة بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بعاصمته المكناسية، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الإمامي:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد خديمتنا الفقيه الأجل، الحكيم الأنبل، السيد عبد الوهاب ابن الفقيه النزيه، الحكيم الوجيه، السيد أحمد أدراق، يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أنعمنا عليه بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بملاح مكناسة حرسها الله وزدنا له فى بها إعانة له على ما هو بصدد من ملازمتنا، وخدمة جنابنا العالى بالله على مقتضى حكمته، وشريف صنعته، إنعاما تاما والواقف عليه يعمل به والسلام وفى الرابع من صفر الخير عام سبعة وثلاثين ومائة وألف».

ووقفت على ظهير أصدره نجل أبى النصر المذكور المولى على زمن إمرته بالإنعام على المترجم على وجه الإقطاع والتملك بدار القرفطى المجاورة لروضة السيدة عائشة العدوية من العاصمة المكناسية، وبسط له يد الحوز فيها على الوجه المذكور، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (أمير المؤمنين أبو الحسن على ابن أمير المؤمنين إسماعيل الشريف الله وليه) وبدائرتة من أعلى (لا إله إلا الله وحده صدق الله وعده ونصر عبده لا إله إلا الله الأمر كله لله):

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأحاط بحوله وطوله أمين بيد حامله محبنا الفقيه العلامة. القدوة الدراكة الفهامة. الحكيم الأجل السيد عبد الوهاب بن أحمد أدراق، يتعرف منه بحول الله وفضله، وجميل مواهبه وعدله، أننا أنعمنا عليه بدار القرفطى المجاورة للسيدة الجليلة عائشة العدوية نفع الله بها وجدنا عليه بملكيتها والتصرف فيها بالبيع والسكنى وغير ذلك تصرف المالك فى ملكه بمقتضى أن من نازعه فيها . . . بساحتها أوحام حول حماها لا يلمن إلا نفسه. ولا يتخيلن إلا رسمه. هبة كلية. ومنحة سرمدية. على الأبد إن شاء الله، وحسب الواقف عليه العمل به. والاقتفاء بكريم مذهبه. والسلام وفى منتصف جمادى الآخرة عام سبعة وأربعين ومائة وألف».

كما وقفت له على ظهير آخر أصدره بالإنعام على المترجم بمستفاد ميزان قاعة العطارين من فاس، وما يضاف لذلك داخل المدينة وخارجها، إعانة له على ما هو بصده من القيام بالوظائف السلطانية، وملازمته للدار العالية، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المتقدم ما بداخله:

«كتابنا هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره، وخلد في دفاتر اليمن والإقبال ذكره، بمنه آمين بيد ماسكه الفقيه الأجل، العالم الأكل، الحكيم الأبل، محبنا وأعز الناس لدينا، وأحبهم علينا، السيد عبد الوهاب بن أحمد أدراق يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا أنعمنا عليه بمستفاد ميزان قاعة العطارين من فاس حاطها الله وما هو مضاف إليه، وجارى حكمه عليه، داخلا وخارجا فقد أجرينا عليه ذلك وأسندنا أمره إليه، وأقصرنا نظره وخراجه عليه، ليستعين بذلك على ما هو بصده من القيام بوظائفنا، والوقوف فى مآربنا والملازمة للعلية بالله تعالى أعتابنا، أداء لبعض واجبه علينا، وقليل ذلك فى حقه عندنا ومكانته لدينا، إنعاما تاما، مطلقا عاما، دون منازع له ولا معارض، ولا مزاحم ولا مناقض، ومن نازعه فيها أو طاف بساحتها نحفر جدره، ونمح أثره، والواقف عليه يعمل بمقتضاه، ولا يخالف ما أبرمه وأمضاه والسلام وفى الخامس والعشرين من ذى القعدة الحرام عام . . . سبعة ومائة وألف».

مشيخته: أخذ عن الشيخ اليوسى، وسيدى عبد السلام القادري، ولقى العارف بالله سيدى أحمد بن عبد الله، وكان يذكر حكايات فى تفريح مضايق عرضت فى علاج أولاد السلطان وأضرابهم.

مؤلفاته: منها تعليق على النزهة للشيخ داود، وأرجوزة ذيل بها أرجوزة ابن سينا فى الطب، وأرجوزة فى حب الإفرنج المعروف لدى العامة بالنوار، وهو

السمهرى، فيمن نفى عيب الجدرى، رد به على من يقول إنه ليس من عيوب الرقيق، ومنظومة فى مدح صالحى مكناسة الزيتون، وغير ذلك.

شعره: من ذلك قوله:

رمت انتساب سلاله الشيخ الذى
فصدت عنه والذى قد صدنى
إذ ما استطعت سوى العكوف ببابه
قد ألفت النجل الإمام المرتضى
فى النسبة العليا وذكر مناقب
وتلاه فى الوصف الجميل محمد
وتلاههم الجم الغفير من الألى
ما كان صنعهم لصحة نسبة
فلصحة النسب الشريف دلائل
فطمحت بالإلحاق لو سمحوا به
إذ من أتى بابا ولازم سدة
وعلى النبى وآله وصحابه
ما غردت قمرية باللحن فى
وقوله:

سر كما تحمل فى كف القدر
ما لعبد من مراد أن يرد
لا كما تختار إن كنت أثر
كل شىء بقضاء وقدر

فإذا ما قلت إني قادر
سلم الأُمـر لمولـاك ولا
واطرحن عنك قضايا ما لها
وإذا ما اشتد أزم فله
فابتـهل لله واسأله إذا
بخضوع وخشوع تعط ما
وختام المسك إكـثارك من
وعلى الآل وصحب كلما
وقوله فى منافع النعناع:

ألا هل من الأعشاب نبت يوافق
فكم من خصال حازها وفوائد
يسارع بالتسليم عرفا على الذى
فما العنبر الشجرى ما المسك ما الشذا
إذا عبق النعناع فاغن به ولا
ففى طبعه حر بآخر أول
ولكن به لبن من الماء عارض
يؤنس بالتفريج نفسا مشوقة
ويرسل مقوال الفتى بمقوله

فادن كى تفعل شيئا أو تذر
تتعـب العقل بورـد أو صدر
أثر واشدد على ما فى الأثر
فرج أقرب من لمح البصر
جن ليل سيما عند السحر
فوق ما تأمل من رب القدر
صل يا رب على خير البشر
طلعت شمس وما لاح قمر^(١)

موافقة النعناع بل ويطابق
وكم من مزايا لا يفى بها ناطق
يمر به فى روضه ويسابق
إذا فهن طيبا كلها منه سارق
تخرج على روض خلا منه عالق
ويس عليه المعتنون توافقوا
تزيد به أسرارـه والدقائق
ويذكى حجا من للمعارف عاشق
يفتح أبوابا عليها مغالق

(١) الأبيات فى نشر المثنائى فى الموسوعة ٦/ ٢١٤٣ .

فخذ منه قبل الأكل نذرا وبعده
يصون غذاء المرء من كل آفة
إذا الشهوتان احتاجتا لموافق
ففى هضمه إن عز هضم لناقص
وقاطره فى الكل مثل طبيخه
وللماء إصلاح بتضميده علا
له فى علاج الصدر سهم مفوق
وفى المعد اللاتى تفاقم ضعفها
وفى الغشيان الصعب قد شاع نفعه
وللدوخة الضراء بالرأس نافع
وهل لدماع قد وهى مثله وهل
وينفع ألبانا من العقد عندما
ويخرج ديدان البطن بأسرها
مدر لبول للحصاة مفتت
وفيه لطرذ الريح بالحر غاية
وفيه لدفع الريح نفع مقرر
وفى ألم القلب الضعيف بدت لنا
فمضغه يشفى السن من وجع ومن
يحمّر لون المرء حتى كأنه

ترى عجباً نعم العشير الموافق
تخاف ولم يطرقه بالسوء طارق
فليس كما النعناع خدن موافق
وفى التخمّة الشنعاء خير دافق
بسكر نبت فهو راق ورائق
وشائعه أن غيرته ريانق
وفى خفقان القلب سهمه بارق
له الرتبة العظمى على الغير فائق
وللقىء والإسهال بالفور عائق
كذاك الصداع لا تراه يفارق
عيون وهت عما سواه رواق
تكون حوتها للغذاء مسارق
وللسم دفاع وللبرء سائق
منق لأنواع البلاغم فارق
كذا لفواق جربته الحواذق
إذا بفضا الأحشاء برقه خافق
منافعه الجلا فسوقه نافق
بتور بلثات لدى الفتق رائق
إذا رثى قال المبصرون شقائق

وقد جريته للبواسر أسرة
وللنكهة الطبيب عند امتضاعه
فما لى لا أثنى عليه وأعتنى
وقوله:

أفضل شىء للتداوى يوكل
فطبعه الحر وقيل البرد
وقيل بل بحسب الأقاليم
مسخن للمعد المبروده
يفتت الحصى واللبول يدر
منبه لشهوة الغذاء
ويخرج الحام من المفاصل
ويطرد الرياح والسموما
والريق والسعال للمبرود
ويبرئ القروح والأسنانا
ويجبر الكسر وما ضهاه
كذا يحل كل صلب من ورم
ويخرج الديدان عن قريب
وهذه الخصائص المذكوره
وقد ينوب اللب عن أصله فى
والكبر الحائز كل فخر

وأرواحها فانزاح عنها التضايق
وناهيك منه ما حوته الحدايق
بنظم لآليه وفضله سابق

الكبر المملح المخلل
والحر أشهر على ما يبدو
حرا وبراد عن ذوى التعاليم
مفتح للكبد المسدوده
وفى الطحال سره أمر شهر
بعد سقوطها بلا امتراء
إن حلها من خارج أو داخل
يرئها والبهق المذموما
والخل فى الحرور من مفيد
يعيدها قوتها استنانا
من هتك أو وهن حواء
وشبهه وفى الخنازير أتم
ولو من الأذن على تجريب
لقشر أصله ترى مسطوره
خصاله وبالمزيد قد يفى
ما كان منه نابت فى الصخر

وفاته: توفي عن سن عالية ليلة صبيحة الاثنين الثامن والعشرين من صفر الخير عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ودفن ظهر اليوم المذكور بروضة سيدى محمد الطالب، قرب سيدى أبى غالب على ما فى المورد الهنى، والذى فى النشر أنه توفي أواخر صفر عام الترجمة يريد العام المذكور.

٤٧٦ - عبد الوهاب أجانا.

المكناسى أصلاً المراكشى داراً أو قراراً.

حاله فقيه أستاذ مقرئ مجود بركة فاضل، وجيه نزيه، صالح فالح معتقد كانت له جلالة ومكانة لدى السلطان العادل مولانا سليمان ومحبة زائدة وكان يؤدب أولاد الملوك بالدار السلطانية من الحضرة المراكشية بعد أن رجع من سجلماسة بعد أن حفظ عليه القرآن السلطان العادل مولانا سليمان وأخذ عليه علوم القراءات من تجويد وغيره، ولذلك لم يزل مراعيًا فيه حق الشيخوخة معتنيا بأولاده بعد وفاته، محسناً إليهم، أقطعهم بعد موته داراً وجنة بمراكش، كانت بيد والدهم بظهير دونك لفظه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، ثم الطابع داخله (سليمان بن محمد بن عبد الله) ودائرته فيها محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، على:

«أنعمنا بحول الله التام، وشامل يمنه العام، على أولاد شيخنا البركة الفقيه الأجل السيد عبد الوهاب أجانا رحمه الله، وهم الفقيه السيد المفضل، وأخوه الفقيه السيد أحمد، وإخوانهم بالدار التى بها سكناهم مع والدهم رحمة الله عليه الكائنة بدرب الحمام من المواسين من حضرة مراكش أمنها الله، وكذا أنعمنا عليهم

٤٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٥٦/٧.

بالعُرْصَة^(١) التي كانت فى يد والدهم وتصرفه الكائنة بدرب سنان من الحومة المذكورة يتصرفون فيها بأنواع التصرفات كلها من غير منازع ولا معارض، ولا مدافع ولا مداحض، إنعاما سائغا لا يتعقب، وإقطاعا إماميا لا نسخ بحول الله يترقب، والوقف عليه من القضاة والحكام، وحملة السيف والأقلام، يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، والسلام وكتب فى سادس شعبان المبارك أحد شهور عام اثنى عشر ومائتين وألف، ذكره صاحب الإعلام، بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، وقال إنه وقف عليه.

وقد كان ولاه على قبائل تامسنا لما ولاه الله أمر المسلمين، فأقام واليا بها مدة أعوام إلى أن كبر سنه وعجز، فأخره إذ ذاك عن الولاية وأنزله بمكناسة كذا فى جمهرة التيجان لدى تعرضه لذكر الآخذين عن السلطان المذكور.

مشيخته: منهم السلطان العادل المولى سليمان، فإنه لما ولاه الله أمر المسلمين صار المترجم يأخذ عنه العلم فى جملة من أخذ عنه من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان العادل المولى سليمان، وهو مؤدبه فى صغوه إلى أن حفظ القرآن، والأمهات الصغار، وكان يظعن بظعنه ويقيم بإقامته وناهيك به، ذكره الزيانى وتلميذه ابن رحمون فى عداد مشيخة السلطان المذكور. وفاته: توفى أوائل القرن الثالث عشر بمراكش.

٤٧٧ - العباس بن محمد بن كيران الفاسى الأصل المكناسى الوفاة.

حاله: عالم زمانه، وفريد عصره وأوانه، حامل لواء التحقيق، المشار له فى الإتقان والتدقيق، مشارك نفاع، غزير المعارف كثير الاطلاع، له اليد الطولى فى سائر العلوم، والاقتدار الكامل على الخوض فى منطوقها والمفهوم، انتقاه سيدنا (١) فى المطبوع: «العروة، وأمامها كلمة (كذا) والعروة: ساحة الدار، والبقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها.

الجد المولى عبد الرحمن بن هشام لقضاء عاصمته المكناسية، واتخذهُ شيخ مجالسهِ الحديثية ينوهُ بقدره، ويستمعُ لِنهيه وأمره، وتولى خطبة جامع القصبة السلطانية، وأقبل على التدريس، فانتفع به جم غفير من أهل النقد والتحرير، ولم يزل محمود السيرة على تلك الحال، إلى أن لقي الكبير المتعال.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد عبد القادر بن شقرون الفاسي، وتلميذه الشيخ الطيب ابن كيران وخصوصا الحديث، وعن الشيخ محمد صالح بن أبي محمد خير الله الشريف الحسني نسبا البخاري السمرقندي أصلا ومنشأ الرضوي نسبة إلى علي الرضا البخاري المولود عام واحد ومائتين وألف المتوفى بالمدينة المنورة عام ثلاثة وستين ومائتين وألف، وأجازه إجازة عامة عام ستين ومائتين وألف عند مقدمه للديار المغربية، إجازة عمم فيها وخصص، ودونك صورتها بعد البسملة والصلاة:

أحمدهُ إذ الحمد لذاته، له بذاته، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد قطب دائرة الوجود وصفاته، وعلى آله وأصحابه نجوم الاقتداء وهداته وحماته.

أما بعد: لما كان عادة أهل الحديث، في القديم والحديث، الاستكثار من الاستجازة ولو من الدون، لصالح أغراض لا يعقلها إلا العالمون، طلب مني العلامة الأشهر، والبدر المنير الأزهر، الشيخ البركة، الحميد السكون والحركة، قاضي مكناسة الزيتون، المزرية علما بالروض الهتون، أبو عبد الله محمد العباس ابن كيران، تولاني الله وإياه وجميع المسلمين بالقبول والغفران، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، أن أوصل له سند الفاتحة وأصافحه وأشابكه بالمصافحة والمشابكة، المعروفة المتداولة بين المحدثين فصافحته وشابكته، وهأنا أوصل له سند الفاتحة فأقول وأنا الفقير الباري، محمد صالح الرضوي النجاري، أدركني الله وأسلافِي وأخلافِي والمسلمين بلطفه العميم الساري؛ وخيره الكثير الجاري، حدثنا

السيد الجليل، العالم النبيل، جمال الليل صالح عن السيد عبد المحسن بن العلوى المقيبيل قدس سره عن السيد إبراهيم اصعد مفتى المدينة المنورة قدس سره، عن الشيخ محمد بن الطيب المغربي المدرس بالمسجد الشريف النبوى رحمه الله، عن الشيخ أحمد بن ناصر قدس سره، وكان مشهوراً بإقرائه للجن عن عبد المؤمن ساكن بدر الجنى صاحب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة باتصال ميم البسملة بلام الحمد على القراءة الورشية، وهذا أعلى سند لنا فى الفاتحة فالحمد لله على ذلك.

وأما المصافحة فيحمد الله تعالى لى أسانيد ستة من طريق سيدى القاضى أبى محمد الشمهروش رضى الله عنه، وأبى سعيد الحبشى رضى الله عنه، وسيدى أبى العباس الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام بسندين، وسيدى أنس ابن مالك رضى الله عنه بسندين، فصارت الجملة ستة أسانيد، فمنها ما أرويه عن السيد الجليل عبد الوهاب الموصلى، عن الشيخ إسماعيل، عن الشيخ أحمد المنينى، عن الشيخ عبد الغنى المقدسى، عن القاضى أبى محمد الشمهروش رضى الله عنه أنه اجتمع برسول الله ﷺ فى جبل أحد فقال له: يا شمهروش صافحنى وأنه من صافحنى أو صافح من صافحنى إلى سبع مرات دخل الجنة من غير سابقة العذاب، فهذا والحمد لله أعلى سند فى المصافحة من حيث إنه وقع بينى وبينه خمس وسائط فانا السادس فالذى صافحته أنا هو السابع، فله أن يصافح فقط دون من يصافحه.

وأما سند المشابكة فأرويه عن سيدى ومولوى رفيع الدين قدس الله سره العزيز، عن مولوى الشريف مولوى محمد بن عبد الله المغربى نزىل المدينة المنورة شرفها الله، عن مسند الحجاز الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، عن شيخه محمد ابن سليمان البابلى كما شابكه شيخه الجزائرى وقال لى: شابكنى، من شابكنى

دخل الجنة، إذ بذلك شابكنى شيخنا أبو عثمان المغربى وبذلك شابكه سيدى أحمد خجى، وبذلك شابكه أبو سالم التازى، عن سيدى صالح الزواوى، عن عز الدين ابن جماعة، عن الشيخ محمد بن سيرين، عن الشيخ سعيد الدين الزعفرانى، عن والده محمود الزعفرانى، عن أبى بكر السيواسى، وناصر الدين على بن أبى بكر ابن ذى النور الملطحى، وهما عن محمد بن إسحاق القونوى، عن الشيخ الأكبر محبى الدين بن عربى، عن الشيخ أحمد بن مسعود بن شداد المغربى الموصلى، عن الشيخ على بن محمد الحالى الباهرى، عن الشيخ أبى الحسن الباغوزادى، قال: رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فشد أصابعه بأصابعى، وقال: يا على شابكنى، فمن شابكنى دخل الجنة، ومازال يعد حتى وصل إلى سبعة، ثم استيقظت وأصابعى فى أصابع رسول الله ﷺ.

قال الشيخ التازى: كذا ينبغى لمن شابك أحدا أن يقول شابكنى فمن شابكنى دخل الجنة، رزقنا الله وإياه التقوى منه فى السر والعلن فإنه مجمع الخيرات، ومنبع السعادات، ورفع الهمة كن أجدر رجل فى الدنيا، وهامة همته فى الثريا فإن الله يحب رفع الهمة ويثبتنا وإياه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويرزقنا الورع والقناعة والزهد والصبر والشكر والتوكل والرضا والتسليم، ويجنبنا عما ينافيها ويحمينا فى ظل حمايته وحفظه وحرزه وأمانه ويمن عنايته، وحسن رعايته، وظل رأفته ورحمته ولطفه وجوده وإحسانه، ويجعلنا من محبيه صلى الله عليه وظل رأفته ورحمته ولطفه وجوده وإحسانه، ويجعلنا من محبيه صلى الله عليه وسلم بدءا وعودا، ويعاملنا معاملته بهم حياة وموتا ونشورا.

وأجزت له أن يصافح ويشابك كما صافحته وشابكته، ويجيز برواية الفاتحة، كما رويت له، وبالجملية أجزته أن يروى عنى الكتب المتداولة المعروفة الحديثية والتفسيرية وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، وأرجو الله عز وجل أن ينفع به عباده من حيث إنه ينشر العلم النافع ابتغاء مرضاته، وكان ذلك فى ثانى جمادى

الثانية سنة ستين ومائتين وألف من هجرة من له المجد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه صلاة زاهرة وسلاماً فاخراً، هـ لفظه .

الآخذون عنه: منهم ابو عبد الله محمد بن المدنى جنون صاحب اختصار الرهونى، والقاضى الحاج المهدي ابن سودة، وأخوه الحاج عمر، والقاضى حميد مصغرا - بنانى، والحاج صالح التادلى، وشيخنا أبو العباس أحمد بن الخياط سمع عليه مجلساً واحداً فى الشفاء، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز، والسيد الظاهر بوحدو، وأبو عبد الله محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجرأوى، والسيد الهادى فرموج، وغيرهم من نقاد فحول الأعلام.

مؤلفاته: منها حاشية على خطبة الشيخ ميارة الصغير شرح المرشد المعين .

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون فى ثانى قعدة الحرام عام واحد وسبعين ومائتين وألف أغفله صاحب السلوة فلم يتعرض لترجمته، وترجمه الحاج المختار التاسفينى فى ذيله على تاريخ ابن عيشون والقاضى حميد فى فهرسته .

٤٧٨ - العباس بن أمير المؤمنين مولاى عبد الرحمن بن أمير المؤمنين مولاى هشام بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن أمير المؤمنين مولاى عبد الله بن أمير المؤمنين السلطان الأعظم مولاى إسماعيل بن الشريف الحسنى.

حاله: فقيه علامة، مشارك متفنن، مدرس مقيد ممتن، كثير المطالعة، جماع للكتب، عمت كتبه بعد موته المشرق والمغرب، لا تكاد تجد خزانة من الخزائن ذات البال خالية من كتبه، ولا تكاد تجد كتاباً من كتبه إلا وعليه توقيفاته من أوله إلى

٤٧٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٣ .



مولای العباس بن السلطان عبد الرحمن

آخره ولو تعددت أجزاءه، وربما قيد ساعة ابتدائه للكتاب بالمطالعة وساعة ختمه، وقفت على كثير من ذلك بالخزائن الإسلامية والأوربية، وكان ذا همة عالية، ونفس آبية، وتؤدة ووقار وأبهة، مع بشاشة ولين جانب وتواضع وخفض جناح وحنان وشفقة وحلم، جوادا كريما وجيها.

قال فى حقه صاحب الدرر البهية! فكان رحمه الله فى العلوم آية، ومن أهل الإتقان والدراية، مشاركا حافظا جاهدا مجاهدا ذا إقدام ولسان، مع كرم وإحسان، رأيته يوما فى بعض المحافل وقد ألقى من الأحاديث النبوية، مع ما طابقتها من الآيات القرآنية، ما بهر عقول الحاضرين، وقطع ألسن المناظرين، كما أنى رأيته وقد حضر بيعة أمير المؤمنين مولانا الحسن رحمه الله، وقد تكلم بكلام يحرك الجماد، ويصدع القلوب والأكباد، مفصحا فى الخطاب والجواب، حتى رد الناس إلى الصواب.

وقد كانت له مكانة لدى والده وعناية كاملة بشأنه حتى إنه كان يتتبع أطوار أحواله، ويرشده لما فيه تحسين مآله، يرشدك لذلك المكاتيب الإرشادية التى كان يوجهها له منها كتاب يخاطبه فيه بلسان وزيره الشهير السيد العربى بن المختار الجامعى ونصه.

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. سيدنا الأجل الأرضى الفقيه العلامة الأحظى الأجد الأنجد الأفضل، مولاي العباس بن مولانا أمير المؤمنين حفظك الله ورعاك، وأخصب بمنه روض مرعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد أمر سيدنا أعزه الله أن يكون السيد محمد الريفى يطالع معك الأنصبة التى تقرأ على السيد العباس بن كيران، فإنه طالب عارف غير مزوق،

وإنما يبلغ المقصود وعلى محبة سيدى والسلام فى ٢ محرم عام ١٢٦٨ العربى بن المختار خار الله له».

ولم يزل قائما على أخذ العلوم عن نقادها بجد واجتهاد، حتى فتحت له النجابة بابها وبرع ومهر، فكان يدرس العلوم العقلية والنقلية بجامع القصبة السلطانية المعد لصلاة السلطان الجمع عند حلوله بالحضرة المكناسية، وكان يحضر درسه قاضى الحضرة فمن دونه من الأعلام والعدول، ودرس بجامع المنصور من الحضرة المراكشية، أصدر والده الأمر لطلبة العلم بالحضور عنده.

وكان كثير الانحياش لجانب الله محبا للصالحين مواسيا للضعفاء والأرامل وبالأخص الأشراف ساعيا فى خيرهم، ومستعملا نفوذه فى الإنعام عليهم. ينبئك عن ذلك ما أجابه به الوزير أبو عبد الله الصفار عن كتاب بعثه إليه فى الموضوع ونصه بعد الحمدلة والصلاة.

«سيدنا الفقيه النبیه، السرى النزیه، التحرير الأجل؛ اللوذعى الأفضل مولای العباس نجل مولانا أمير المؤمنين حفظك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنى كتاب سيدى وعرفت مضمونه وشاورت سيدنا أعزه الله على ما طلب سيدى للأساتيد، فأنعم عليهم بما من عادته أن يصلهم به كما شاورناه على الشريف مولای عبد المالك ولد مولای أحمد القاضى، وعلى الشريفة لال صفية، فأنعم على الأول بكسوة بيضاء وكساء وسلهام وعشرة مثاقيل، وللثانية أربعة مناصير وعشرة مثاقيل، الكل على يد السيد أحمد اللب، وقد توجه له الأمر الشريف بذلك كما شاورناه أعزه الله على أمر نقص حزابة لأل عودة لم ييسر الله لهم فى شىء، وقال أعزه الله إن فتح لهؤلاء باب الزيادة طمع فيها غيرهم، وما علينا إلا البلاغ المبين، وأمر الفقيه السيد العربى بصرى منا على بال،

نطلب الله أن ييسر فى الوفاء بوعدده وعلى محبة سيدى، والسلام فى ٦ حجة عام ١٢٧٠ .

محمد الصفار وفقه الله .

ثم بعد يسر الله فى تسراد السيد العربى مكرما مجبور الخاطر فالحمد لله على الوفاء بالوعد».

قال فى الدرر البهية: حدثنى من لا أتهم، أن والده أمير المؤمنين مولاي عبد الرحمن، لما دنت وفاته أدناه منه وأشهد من حضره من أهله أنه راض عن أولاده عموما، وعن صاحب الترجمة خصوصا، وأوصى الخليفة من بعده سيدى محمد بواسطة الحاضرين بالإحسان إلى صاحب الترجمة، فنفذ رحمه الله وصية أبيه فيه ولذلك كان له معه مزيد إخاء وارتباط يقدمه للمهمات، ويستشيريه فى المدلهمات، لا يفارقه ظعنا ولا إقامة إلا إذا عقد له على جيش لقضاء مهم.

وقد كان رحمه الله هو المتولى رئاسة وقعة تطوان الواقعة مع الإصبان سنة ١٢٧٦ معززا بصنوه جدنا من قبل الأم أبى العباس مولانا أحمد الذى كان نجا بنفسه بعد الواقعة للديار المشرقية، وصاهر أحد ملوك بنى عثمان، ولم يزل بتلك الديار إلى أن ختمت أنفاسه بدمشق الشام من الأرض المقدسة، وقد أسلفنا مضمن تلك القضية، التى هى على عزة الإسلام قاضية، فى ترجمة أخيه السلطان سيدى محمد بن عبد الرحمن، وذكرنا ما أظهره المسلمون من القوة والبأس أولا، وأن المعارك لم تزل متوالية وجيوش الإصبان فى انكسار إلى أن كان ما قدر الله وقوعه مما لا داعى إلى التطويل به .

وإنما أومأنا لذكر القضية لدلالاتها على نبل المترجم ومهارته فى علم السياسة والحرب، وزيادة على ما أوتيه من واسع الاطلاع، مع قلة من كان معه، وشدة

جيوش خصومه ولذلك لما وقعت المخابرة فى عقد الصلح بين السلطان المقدس سيدى محمد وبين دولة إصبانيا فوض للمترجم فى عقد الصلح مع تلك الدولة كل التفويض حسبما تنبئ عن ذلك ظهائر السلطان المذكور والمتقدم ذكر نصوص بعضها، ولم يخب ظن السلطان سيدى محمد فيما أمله فى أخيه مولاي العباس، والمطلع على ما كان يروج بين السلطان وأخيه المذكورين من المكاتيب فى قضية الحرب التطوانية يعلم أن ذلك التفويض فى محله.

وعلى يد مولاي العباس المذكور انعقدت عدة معاهدات كالهدنة والصلح بين المغرب وإصبانيا إثر تلك الحرب المشؤومة، وتلا ذلك عقد معاهدة تجارية بين الدولتين على يد مولاي العباس المترجم وكان سفير إصبانيا قد كتب إليه فى شأن المفاوضة فيها بما معربه:

«سفارة الجلالة المسيحية.

فى المغرب.

إلى الكريم الأمير مولاي العباس، خليفة سلطان المغرب وممالك إفريقيا الجنوبية.

نسأل أولا عن صحتكم التى نرجو أن تكون تامة، ثم أفيدكم بأنه وفاقا لما أوضحتكم لكم فى مذكرتنا الأخيرة، تلقيت من جلالة مولاتى الملكة، تعليمات قاطعة فيما يخص السعى لديكم، لتعيين مفوض من قبل جلالة سلطان المغرب، يعهد إليه بمفاوضتى فى إبرام اتفاقية تجارية تنفيذها لما ورد فى الفصل الثالث عشر من معاهدة الصلح المنعقدة فى تطوان بتاريخ ٢٦ يراير من هذه السنة.

وقد علمتم أن جلالة ملكة إصبانيا أصدرت أمرها بتعيين مندوبها المفوض للغاية المبينة.

وفى أملى أنكم تتخذون كافة الاحتياطات اللازمة للوصول إلى غرضنا من غير توان، وليس بخاف أن المادة الرابعة عشرة فى معاهدة تطوان تنص على وجوب اجتماع المفوضين بعد انقضاء شهر على توقيع المعاهدة المشار إليها، وها قد انقضت خمسة أشهر كاملة ونحن لم نجتمع والسلام.

كتب بطنجة بخامس نوفمبر ١٨٦٠

مندوب جلالة ملكة أسبانيا:

فرانيسكو ميرى اكلون».

صح مباشرة من أصلها الإصبانى المحتفظ به بالمكتبة الزيدانية.

وقد توجه مولاي العباس لمديره فعقد مع حكومتها المعاهدة التجارية المشار إليها المؤرخة بخامس عشر ربيع الثانى عام ١٢٧٨، وقابل ملكة الإسبان فلقى منها ومن رجال دولتها من الإجلال والإعظام ما يليق بجنابه السامى، وكتب للسلطان أخيه يخبره بذلك، فأجابه بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير: «أخانا الأعز الأرضى، مولاي العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعرفنا ما تضمنه خطابك، واستفدنا منه وصولك لمديره، وأنت تلاقيت مع رينة دولة الصبنيول فى الساعة الثالثة من اليوم الذى أرخت، على الكيفية التى شرحت ووصفت، وأنها أظهرت لكم من أنواع الفرح والسرور والترحيب، والمباششة والاعتناء والتقريب، ما أبهت أرباب دولتها حيث لم يكن عندهم معتادا وأعلمتكم بما هى عليه من المحبة فى جانبنا العالى بالله ووعدتكم بالخير وكمال الغرض إن شاء الله ثم وجهت لكم الوزراء والأعيان والكبراء مسلمين عليكم ومهنتين ومظهرين ما يدل على كمال النجح وقضاء المراد

بحول الله، فنسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، بجاه رسوله صلى الله عليه وسلم أن ييسر لكم جميع الأمور، ويصحبكم السلامة والعافية في الورد والصدور، وأن يجعل الفتح أمامكم حيثما توجهتم والسلام ١٢ ربيع الثاني عام ١٢٧٨هـ.

وقد قدمنا نصوص تلك المعاهدات في الترجمة المحمدية فلتراجع هناك، ولعل من لا خبرة له يفوق سهام اللوم للرجل المقدم صنو جلالة السلطان مولاي العباس، الذي فوض له في عقدها، ومن علم الحالة التي كان عليها المغرب وقتئذ وأحاط علما بتلك الظروف الحرجة التي منها احتلال العدو لثغر من أرفع ثغور البلاد يقرب من النقطة المحتل لها، ومنها جنوح الرعية وتحفزها للثورة اغتناما لفرصة اشتغال المخزن بتلك الحادثة المؤلمة، ومنها إظهار بعض القبائل الجبلية الميل للعدو والتفاخر بحسن معاملته، كما يرشد لذلك ما تقدم في الترجمة المحمدية، علم أن هذه أمور كلها موجبة لحسم مادة الحرب التي لا يوافق على خوض معامعها إذ ذاك عاقل، ولولا حسن سياسة النائب المفوض مولاي العباس لعظم الأمر واستفحل الداء، ولله في خلقه شؤون.

وكان السلطان أخوه يكلفه بمراجعة السفراء ومباحثتهم في غير ما تقدم من لاشئون، وهم ي كاتبونه في ذلك، من ذلك ظهير شريف كتب له ليجيب به سفير فرنسا فيما طلبه من إباحة إصدار الصوف لفرنسا، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير بداخله (محمد بن عبد الرحمن غفر الله له):

«أخانا الأَرْضَى مولاي العباس حفظك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كتب لجانبا العالى بالله نائب الدولة الفرنصوية في شأن الصوفة بأن في دوام وسقها منفعة لتجارنا وتجار جنسهم، وأن في قطعه تكديرا لهم، وأن

ما كان يذكر من أن وسقها يحدث منه الضرر بسبب أمر الحماية قد ارتفع قبل هذا بزمان، وأنهم بريئون من التعدى فى أمر الحماية بكل وجه ممن هو تحت نظرهم.

فأخبره بأن كتابه وصل لجانبنا العالى بالله، وبأننا نعرف ما فيها من النفع لبيت المال، لكن أمرنا بتثقيفها حين يكمل الأجل الذى حددنا لها، لننظر عند ذلك فى أمر الضعفاء والمساكين الذين يحتاجون إليها، ويصعب عليهم التوصل لها، وفى أمر نفع بيت المال، وننظر فيما تحصل من النفع فى مدة تسريحها، وما اقتضته المصلحة نرتكبه إن شاء الله، وما كان سيدنا رحمه الله قطع وسقها إلا رعى للضعفاء حيث بلغ سيادته أنهم لا يجدون ما يتسترون به إلا الجراتيل، وأنهم يلقطون صوفة موتى المواشى من المزابل، فوسع عليهم بقطع وسقها لترخص ويتوصلوا منه لما يجعلون على ظهورهم، وما قيل من أن الرعية لم يحصل لها ضرر فى وسقها فهو صحيح بالنسبة لمن يبيعها فقط، وأما من لا يبيعها وهم الأكثر بكثير فليس كذلك، ونحن إن شاء الله ننظر فيما فيه نفع بيت المال والرفق بالضعفاء إن شاء الله، والله الموفق بمنه والسلام فى متم صفر عام ١٢٧٧هـ.

وكتب له الوزير الطيب بن اليمانى بوعشرين فى شأن سفير الإنجليز الراجع لطنجة بعد قدومه على الحضرة السلطانية بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشريف الأجل، الفقيه العلامة النبيه المبجل، سيدى مولاي العباس حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله. وصلنا الأعز كتابك، وعرفنا ما تضمنه الشريف خطابك، واستفدنا منه وصول بأشودر دولة الإنجليز لطنجة مثنيا على ما لقيه من الجانب العالى بالله، ووصلت الكريظة التى وجهت وطالعنا، وصار بالبال ما اشتملت عليه من الأخبار، كما وصلت

البهائم ٢٠ التي حمل عليها الباشدور المذكور ورددتها ونحن على محبة سيدنا وعهده والسلام في ١٩ من صفر الخير عام ١٢٧٨.

الطيب بن اليماني آمنه الله.

وقد زاد الوزير المذكور بخطه أسفل الكتاب: «وقد سررنا غاية بما ذكره سيدنا عن الباشدور، لأننا لا نحب إلا أن تكون أمور سيدنا نصره الله على ما تحبه سيادتكم، لأنك تحب له الخير أكثر من كل أحد كيف وأنت أخوه وعضده وساعده أبقاكم الله آمين للمسلمين». هـ.

وكتب له السلطان في شأن ما طمح إليه الإسمان من بناء على شاطئ تكة بقصد التجارة ظاهراً بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير بداخله (محمد بن عبد الرحمن الله وليه):

«أخانا الأعز الأَرْضِي، مولاي العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن بيرك التكني كان على عهد سيدنا ومولانا قدسه الله تواطاً مع بعض النصاري على البناء بشاطئ أرضهم، فبلغ خبره لمولانا فوجه له نور الله ضريحه من ذكره وخلفه في المصحف الكريم على أن لا يعود لذلك، ولا يسلك مع الكفار تلك المسالك، وظهر منه من التوبة ما أوجب اعتباره ومراعاته عند سيدنا، ونفذ له داراً بالصويرة، وكان محرراً من الإعطاء على سلعه التي ترد على الثغر الصويري تأليفاً له، وبقي على ذلك إلى أن لقي الله تعالى.

ثم خلفه من أولاده خلف أضعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا، ويبيعوا دينهم بديانهم، فتواطوا مع نصاري جنس الصبنيول على البناء هنالك، فسمعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك، واتفقت على قتالهم إن لم يرجعوا عن غيهم، ويقلعوا عن بغيهم.

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الفتن والأهوال، واتساع دائرة القتال، وعليه فيتعين الكلام مع الصبنيول فى هذا الأمر الذى يجبر إلى ما لا يليق ليرجعوا عنه إن بدءوك بالكلام فيه وإلا فلا، ومن المعلوم أن أهل تلك البلاد من جملة رعيتنا وإيالتنا، فليس لأحد منهم أن يفعل فى شبر منها ما شاء ولا تسلمها تلك القبائل ولو أفناهم القتال عن آخرهم.

ومرادنا أن تبقى هذا المر مكتوما حتى يبدأك به الصبنيول، فإن بدءوك به فتجد عندك ما تقول لهم وما تردهم به.

وها كتاب المرباط السيد الحسين الأليغى يصلك فطالعه لتعلل ما ذكر فيه، وإن ذكروا لك أن أهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه، فأجبهم بأن الأمر بخلاف ذلك، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه أحد فيما أراد فعله، واذكر لهم فى ذلك ما يليق أن يذكر، وإن لم يذكروا لك شيئا فلا تذكر لهم شيئا، ونسأل الله أن يرد كيده فى نحره، وقد أخبر خديمنا الطالب عبد الله أبهى بمثل ما أخبر به المرباط المذكور ونسأل الله أن يعجل بهلاكه آمين والسلام فى ١١ من ربيع الأول عام ١٢٧٨هـ.

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى العباس أحمد المرنيسى، وسيدى إدريس السنوسى، وسيدى عبد السلام بن على بن ريسون، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي ابن سودة، وسيدى محمد بن محمد بن على الترغى، والسيد ابن داود بن العربى الشرقى، وسيدى محمد غيلان، والسيد عبد السلام المصورى، والسيد محمد بن اد الشنجيطى، والشيخ محمد صالح الرضوى، والسيد على المسفيوى، وأبى الحسن على بن محمد الهوارى، وأبى عبد الله محمد بن عزوز، ومولاي أحمد بوغربال، والشيخ الطالب بن الحاج السلمى، وعن الحاج أحمد الصفار جميع أوراد الشاذلى وغيرها من الأذكار والأسرار، وأخذ دلائل الخيرات

عن والده السلطان مولاي عبد الرحمن، عن البركة السيد الحاج التغمرتي، عن الشريف مولاي الطائع بن محمد بن هاشم، عن شيخه الشريف مولاي الفضيل ابن علي، عن شيخه العلامة الهمام خلاصة الذهب الإبريز ومن له في تحقيق العلم والإفادة التبريز، أبي العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي، عن شيخه مولاي المصطفى البكري، وخليفته بمصر الشيخ محمد الحفناوي، عن شيخه البديري، عن شيخه محمد بن أحمد المكناسي الميطاري، عن شيخه أبي القاسم السفيناني، عن شيخه سيدي محمد الشرقي، عن شيخه سيدي عبد الله بن ساسي، عن شيخه العارف بالله سيدي عبد الله الغزواني، عن شيخه سيدي عبد العزيز التباع، عن شيخه مولاي محمد بن سليمان الجزولي رضى الله عنه.

وأخذ التغمرتي المذكور عن سيدي العربي بن المعطي الشرقي التادلي، عن سيدي محمد بن أبي القاسم العيساوي الشهير بالرباطي صاحب نظم العمل المطلق، عن شيخه سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ويروي الجواهر الخمس عن الشيخ محمد صالح البخاري الحسني الرضوي، عن مولاي رفيع الدين القادري، ويروي عنه، أيضا الدور الأعلى حسبما ذلك بخط يد المترجم في كناشة له ومنها نقلت.

الآخذون عنه: منهم عمنا أبو محمد عبد القادر بن زيدان، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهري وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: وقفت له على ختم حافل على صحيح البخاري بخط يده.
شعره: من ذلك قوله:

يا ذا المكارم والعلا يا ذا الجلال والأوحد
إن العصاة تجمعوا وأتوا لبابك سيدي

قصدتك كل قبيلة ممن يروح ويغتدى
بسطوا إليك أكفهم والرامقات مع اليد
حطوا لديك رحالهم وتوسلوا بمحمد

وفاته: توفى خارج مراكش يوم الثلاثاء ثامن شعبان عام ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن من غده بضريح سيدى يوسف بن على صاحب الغار، وقد رثاه رئيس حملة الأقالام بالحضرة السلطانية العلامة السيد عبد الواحد بن المواز وورخ وفاته بما نصه ومن خطه نقلت:

دعا الحمام وداع الموت عباسا فاشتد خطب جليل أصمت الناسا
دعا حليما عظيما ذا حظ وأبهة من بيت مملكة ركنا لمكناسا
بل آية الله كان فى مذاكرة فحده جامع ومنعه قاسا
قياس من لم يكن لشبهه شبه غريب موت شهيد يقرئى الناسا
أرسل عقيقا من الأجفان مرحمة لتربة حلها بحر ولا باسا
قضى (برشم نجا) أرخ بحمرته وأد حق كريم غصنه ماسا
أشار لتاريخ وفاته بحساب أبجد بحروف برشم نجا.

٤٧٩ - العباس بن الهادى فرموج المكناسى.

حاله: فقيه أديب، مهذب فاضل، صالح دين، نبيل حى أريحى، ناظم ناثر، موثق عدل رضى، مبرز موثوق بدينه وأمانته، له خط بارع وإشراف على فنون، ولوع بنسخ الكتب، لا تكاد تجده إلا كاتبا مع إتقان وتحري، وكان مدررا يعلم الصبيان وله معرفة بالطب.

مشيخته: أخذ عن المفضلين السوسى، وابن عزوز، والسيد المختار

٤٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٧٨٣/٨.

الأجراوى، وعن السيد أحمد بصرى صاحب الخط الرائق الفائق المترجم فيما مر
أصول الخط وباقى الفنون العلمية وعليه حفظ القرآن.

الآخذون عنه: منهم الفقيه الكاتب السيد محمد بن العربى غريط، والسيد
عبد الله حجاج.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة فى مدح السلطان الأفخم مولانا الحسن:

يا آملا بحر الكرام لتقر عن	عج بالإمام وهنه بوصاله
يا عاشقا ذاك الحمى متولها	اخلع عذراك فى سناء هلاله
واطرب وغن بالهوى به صرحن	واسق السلاف بخانه وخلاله
هذا وإن السعد لاحت شمسه	عم الفضاء بنوره وكماله
طلع المظفر ذو المفاخر والسنا	حسن الملوك وسعدها من فاله
هذا الذى حاز المفاخر والعلا	هذا الهمام فاخضعن لجماله
هذا المؤيد من سلاله هاشم	يسمو سمو لائقا بجلاله
هذا الخليفة والهنا متواتر	والدين فى أبراج سعد نواله
نجل الملوك وطودهم وإمامهم	واليث يشبه دائما لشباله
خدم الإله فأصبحت روح الورى	خدما له تصغى لحلو مقاله
الله عظمه وشيد ذكره	فضلا وأعطاه سناء مناله
يا عاذلى لا تكثرن مقالة	ودع الغرام لعاشق وجماله
لو كنت تعلم من أنا به مغرم	قبلت بالأشواق ترب نعاله
أو لو رأيته فى الحروب مشمرا	والأسد تحت جناحه ونصاله
لشهدت نصر الله فيه مكمل	نصرا عزيزا باهرا بنباله

إلى أن قال :

أبقاك ربى فى القلوب معظما
بالعرش والكرسى وما حوت السما
صلى الإله عليهم ما حن صـ
وموقرا تسعى لنفع عياله
والمصطفى وصحابه وبآله
ب للحبيب وقربه ووصاله

وقوله يرثى شيخه الحاج المهدى ابن سودة قاضى مكناسة :

إذا جرت مدلهمات بأضرار
وإن فقدت حبيبا جل مقدرة
إذا قضى الله أمرا لا مرد له
فليس للمرء دون الله من جار
فأله سبحانه أجل مقدار
فألزم للصبر للجارى من البارى

إلى أن قال :

السيد المنتقى المهدى فى سمة
دار تفجر فيها العلم سائغه
من كل بحر طما بلؤلؤ الفهم لا
لم يمض منهم سميع بسودده
من للمسائل يملئها ويملاها
ومن سواه لتحقيق المعارف بل
مؤيدات بأنقال محررة
إن يقرر فنا تخله فى تفننه
واسم أريد به ابن سودة الدار
بكل وقت ينابيعها بأنهار
بلؤلؤ الحجر المختار زخار
إلا ويأتى سميع بأثار
صدر المسائل فى ورد وإصدار
تدقيقها ولتنميق لأسرار
ليلا وفى الصبح يحمد السرى السارى
كأنه ليس ما خلاه بالقارى

إلى أن قال :

قد بر إذ فنت فى العلم مهجته
لأنها بقيت فى عد الأبرار

وطالما أتقن التدريس مطلعاً
 ما أخجل الحاضرين في تعلمهم
 إلى مكارم أخلاق مهذبة
 وشيم ليس يحصيها سوى رجل
 فلا رعى الله من نعاء جد به
 قد راع قلبى إذ وعته أذنى وقد
 إلى أن قال:

صبت شآبيب رحمة ومغفرة
 ومن مخوف أجاره وأمنه
 صلى عليه... آله وعلى
 وفاته: توفى ببلده مكناس فى ثمانى عشرى حجة الحرام عام سبعة وثلاثمائة
 وألف.

٤٨٠ - عثمان أبو سعيد بن عبد الواحد بن عبد العزيز اللمطى المكناسى
 الميمون.

ذكره ابن القاضى وقال: هو والد شيخنا أبى العباس أحمد.

مشيخته: منهم الإمام ابن غازى، ومن فى طبقتة.

ولادته: ولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة.

وفاته: توفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة.

٤٨٠ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٢١١/٣.

٤٨١ - العربي بن محمد فتحا بصرى المكناسى .

حاله شيخ الشيوخ، ومعدن التحرير والإتقان والرسوخ، علامة مشارك
نحير، نقاد بصير خبير، متصدر فى عصره للتدريس والإفادة، مشار إليه بين
معاصريه بالإصابة فى الإدراك والإجادة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد
الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران
بصرى، وأبى عثمان سعيد العميرى، وأبى على اليوسى، وأبى العباس بن يعقوب
الولالى، وأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن البهلولى البوعصامى، وأبى محمد
عبد السلام البيجرى، وأبى العباس أحمد بن ناجى السجلماسى قاضى مكناس مار
الترجمة وغيرهم ممن يطول ذكره، وقد ذكر ما أخذه عن كل من المؤلفات والفنون
فى مؤلفه منحة الجبار.

الآخذون عنه: منهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود، وأبو القاسم
العميرى، ومن فى طبقتهم من الأعلام.

مؤلفاته: منها: منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، والكواكب
الدرية، فى مدح النبى وآله وصحبه وسائر الأمة المحمدية، رتب الأول على خمسة
أبواب وخاتمة: الأول فى أدلة وجود الأولياء وأسمائهم المصطلح عليها لدى رجال
التصوف، الثانى فى بيان حقيقة التصوف والصوفى وإثبات الكرامات، الثالث فى
الشرفاء الأربعة الأقطاب، الرابع فى التعريف بالشيخ أبى عبد الله البصرى جده،
الخامس فى ذكر من اتصف بخير من بنيه وأقاربه، الخاتمة فى بيان من اشتهر
بمكناسة من الأشراف وحشاه فوائده مهمة، وتراجم جملة.

ورتب الثانى على أبواب خمسة وخاتمة أيضا، الأول فى بعض مزايا سيد
الأنبياء والمرسلين، والثانى فى ذكر السادات الأصحاب، والثالث فيما خص الله

تعالى به من انتسب لهذا النبی الکریم، والرابع فی حسم مادة الجهل بإثبات الشرف من قبل الأمهات والجدات، والخامس فیما یجب لأهل البيت من التعظیم والإجلال، والخاتمة فی فضل الأمة المحمدية.

فرغ من تألیفه ضحی يوم الجمعة متم عشرين من جمادى الأولى عام ثلاثین ومائة وألف.

وكلاهما من محتویات مکتبتنا، وقد نقل عنهما تلميذ تلامذته السيد محمد فتحا بن محمد بصرى المترجم فی المحدثین صاحب الثبت المسمى بإتحاف أهل الهداية والتوفیق والسداد.

وفاته: توفى فی جمادى الثانية عام ثمانية وأربعین ومائة وألف، ودفن بضریح سیدی بصرى الشهير بمكناسة الزيتون، كما بتاريخ الضعیف وغيره.

٤٨٢ - العربی بن مسعود أبو سرحان بن عبد الله بصرى.

حاله: قال فی المنحة: كان فقیها نزیها؛ ربانیا نبیها، روى أنه كان یقرأ العلم بفاس، وانتقضت فاس وهو بها على أمير المؤمنین إسماعیل بن الشریف نصره الله تعالى ووفقه، كلمه ابن خالته مولای أحمد الطاهری الشریف فی أن یکفیه أمر قوته مدة الحصار فامتنع، ففرغ ما كان بیده أو أشرف على الفراغ، فدخل جامع القرویین وجلس مع سارية من سوارى المسجد أظنه منکسا رأسه، فسمع طنین الدراهم فی حجره ففتش فوجد مقدار ما قام به مدة إقامته هنالك إلى أن دخل إلیه بعض إخوته فأخرجه. هـ.

٤٨٣ - العربی بن علی القسمطینی^(١).

حاله: علامة محصل دراكة نبیل، مجرح معدل، ماهر مشارک، انقادت له

٤٨٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فی الموسوعة ٢٤٥١/٧.

(١) فی إتحاف المطالع: «القسمطینی».

العلوم، وتوقفت عليه الآراء والفهوم، كان سيد علماء زمانه، وصدر أهل وقته وأوانه، جمع بين جلاله العلم والدين، وأجازته أكابر العلماء المهتدين، وتخرج به غير واحد من أكابر الأعلام، ودان بذكره وحبه البادى والحاضر، وإلى التمسك به والتعلق بأذياله يبادر.

تولى خطة القضاء فى كثير من حواضر المغرب فاس ومكناس وما دونها، كما تولى القضاء برباط الفتح أول القرن الثالث عشر. قال فى تعطير البساط: وقفت على ذلك ببعض الرسوم بتاريخ أواسط ذى القعدة عام ثمانية ومائتين وألف هـ.

كما أنى وقفت على عدة خطابات والتسجيل عليه بالحضرة المكناسية، من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ ثانى عشرى قعدة سنة خمس وثمانين ومائة وألف، وآخر بفتاح اثنين وتسعين ومائة وألف محلى فيه بالعلامة الأفضل، البركة الأمل، الحافظ الحجة المبجل الشريف المنيف الأكمل، قاضى الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية الإمامية السلطانية مكناسة الزيتون وإمام جامعها الأعظم ومفتى الأنام بها فى حينه... إلخ.

أصيب فى آخر عمره وهو بمكناس بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه فى تناول جميع أسبابه فصبر، وعد ذلك من جملة النعم وشكر، واستمر على ذلك إلى أن توفى رحمه الله، ذكره فى الشرب المحتضر.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف رحمه الله وبل بمنه ثراه.

٤٨٤ - العربي بن أبي فارس بن محمد المدعو ولد عريية ابن السلطان
الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل.

حاله: شريف جليل المقدار، علامة متبحر وبالأخص في الفروع، كذا
وصفه بعض تلاميذه ومن خطه نقلت.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون ظهر يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الثاني
عام أربعين ومائتين وألف، ودفن بروضة أبي محمد عبد الله بن أحمد، خارج
باب البرادعيين.

٤٨٥ - العربي بن عامر المكناسي.

حاله: قال في حقه العلامة الميقاتي المقيد المعتنى أبو العباس أحمد الأغزاوي
المعروف بالجبلي، مار الترجمة في الأحمدين ما لفظه: الشاب الأديب الفقيه
الأريب، سيدى أبو عبد الله محمد العربي بن عامر المكناسي أصلاً ومنشأً وداراً،
وقد كان من المعاصرين له.

٤٨٦ - العربي بن الطاهر بن المهدي بصرى المدعو قطيطة المكناسي النشأة
والدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة، مدرس متقن، محرر دراية، حبي فاضل زكى،
متقشف، كان صدرا في وقته، متصدراً لبث العلم ونشره بالمسجد الأعظم من
الحضرة المكناسية، انتفع به غير واحد من أعيان علمائها.

مشيخته: أخذ عن الفقيه ابن عبد الرحمن الحجرتي وغيره ممن هو في
طبقة.

الآخذون عنه: أخذ عنه مولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام المترجم
أنفاً، والسيد فضول بن عزوز، والسيد الطاهر بن محمد فتحا بن عبد الرحمن
بصرى وغيرهم من محققى الإعلام.

وفاته: توفي بعد التسعين ومائتين وألف.

٤٨٧ - العربي: بن محمد بن محمد السائح بن العربي بن فاضل بن محمد
ابن بوعزة الصالح بن رشيد بن عبد القادر بن الشيخ أبي عبيد سیدی
محمد الشرقي العمری.

دفین جعیدان رحمہ اللہ ورضی عنہ وعن کرام سلفہ.

حاله: فقیه عدل رضا نزیه، علامه مشارک نبیه، مدرس نفاع، ناظم ناثر،
بارع فاضل ماجد، هین لین مهاب صالح، مرشد ناصح، له إشراف على التاريخ
مستحضر لتراجم المتأخرين، معتن بقراءة صحيح البخارى، إذا تكلم فى حديث
أتى بما يهر العقول، مما لا يظفر به ديوان منقول، من أهل الرسوخ فى السنة
والتمكين، عارف بربه دال عليه، مرشد إليه، قدوة، ذو أدب غض ولطف
وبشاشة وحسن استقبال للزائرين، مع بسط المائدة لكل صادر ووارد.

نشأ بمكناسة الزيتون وانتقل لفاس، وأخذ عن جماعة من أعيان نقاد
جهاذتها الأكياس، حتى فتح له التحرير بابه، وأدخله التحصيل حجاب، ثم رجع
لمسقط رأسه مكناس وأقبل على التدريس والإفادة، وتعاطى خطة الإشراف مدة، ثم
بدا له الانتقال لرباط الفتح فانتقل وجعله محل استيطان، وحصل له به مزيد ظهور
واشتهار وإقبال، تفد الناس لزيارته والتبرك به واستجلاب صالح دعواته، فيبلغون
بفضل مولاهم، غاية مناهم، وظهرت له مكاشفات، وخوارق عادات، حدثنى
غير واحد ممن وثقت بخبره بما وقع له معه من ذلك مما هو كشمس الظهيرة أو
أظهر.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد عبد القادر الكوهن دفين المدينة، وعن
الفقيه أكنسوس، وعن سیدی عبد القادر العلمی المترجم قبل، جالسه سنين ونال

منه وسمع منه الكثير، حدثني الأخ المسند مولاي عبد الحى الكتانى، عن والده الإمام مولاي عبد الكبير، أن المترجم حدثه عام سبعة وثلاثمائة وألف، وقد جرى ذكر حديث: إن لله عبادة من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، قائلاً، أنا سمعته من مولاي عبد القادر العلمى بمكناس بلفظ إن لله عبادة من نظروا إليه نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً هـ.

وعن أبى عبد الله محمد الهاشمى بن محمد السرغينى دفين عين ماضى أخذ عنه عام ستة وخمسين ومائة وألف الطريقة الأحمدية التيجانية التى كان المترجم من كبار رجالها، ولقى المترجم الشيخ عبد الرحمن النابلسى وأجازه عامة وعن غير هؤلاء من فحول الأعلام.

الآخذون عنه: منهم العلامة الطاهر بوحود، المترجم فيما سلف، والعلامة المشارك حامل لواء الأدب فى وقته برباط الفتح الحاج أحمد جسوس المتوفى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو عبد الله بن يحيى بلامينو الرباطى المتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد فتحا التادلى الرباطى، والفقيه العلامة الناسك المتبرك به قاضى الرباط أبو العباس أحمد بنانى المتوفى عام أربعين وثلاثمائة وألف حسبما أفادنى ذلك مؤرخ الرباط صاحبنا أبو عبد الله بوجندار وغيره، ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسنى الرباطى المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر رجب سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف، والفقيه أبو العباس أحمد بن موسى السلاوى المتوفى ليلة الاثنين حادى عشر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف، وأديب سلا الفقيه الحاج الطيب عواد المتوفى ضحى يوم السبت تاسع عشرى رجب عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وشاعر الرباط الفقيه العدل أبو الحسن على بن عبد الله المتوفى عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والعلامة مولانا الكامل الأمرانى، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد السلام جنون، وأبو عبد الله محمد الصنهاجى المدعومانى، والعالم الصالح

أبو المحاسن العربى بن عبد السلام المحب العلوى الإسماعيلى المولود عام ستة وسبعين ومائتين وألف وغيرهم من الأعلام.

مؤلفاته: منها بغية المستفيد فى شرح منية المريد، وشرح على لامية الإمام البوصيرى فى المديح.

شعره: من ذلك قوله متغزلاً:

وشادن أبلج المحييا	تغار من حسنه الدرارى
يقدمه إن مشى سناه	كأنه صيغ من نضار
إن رام فى مشيه انطلاقا	لج به السكر فى العثار
لاموه فى الكاس إذ تردى	وهو من الزهور فى الخمار
وأكثروا عذله وراحوا	عن جانب العدل فى ازوار
بكى للذغ الملام حتى	بكى لما نابه القممارى
نأى فعاد النهار ليلا	وعز من فقداه اضطبارى
فقلت والقلب فى اضطراب	عليه والدمع فى انهمار
ونار وجدى به تلظى	وكبدى منه فى انفطار
مهلا فعذر المليح باد	مالت به نشوة العقار
فظن كأس المدام قلبا	من حبه ظل فى انفطار
وهو بكسر القلوب مغرى	فكلها منه فى انكسار
فكسر الكاس وانثنى من	دلاله سـاحـب الإزار
وهل على الظبى من ملام	إذ مال للتفيه والنفار
أبقاه ربى فريد حسن	يعنو به جوذر القفار

وقوله :

واصل شراب حليفة الأمجاد واترك مقال أخى هوى وعناد
صفراء تسطع فى الكتوس كأنها شمس تبدت فى ذرى الأطواد
وكأنها من حسننها وصفائها من عسجد عصرت بأعصر عاد
ما إن بدت فى موضع إلا بدا فيه السرور يناط بالإسعاد
لا يعتري ندماءها ندم ولا يشكون من ملل بطول تمادى
فكأنها أم بهم قد أنجبت لكريم فحل فى نقى مهاد
فغذتهم ذر الصفا وسقتهم منها لبان محبة ووداد
فتناسقت أخلاقهم وتوافقت آراؤهم فى عفة ورشاد
تدعى الأتاي وذاك رمز ظاهر يدرى من يدرى من الأمجاد
إيقاظ فكر ثم تهذيب الحجا مع يسر إنفاق بدون نفاذ
فادأب عليها ما حييت فإنها تجلو متى جلبت صدا الأنكاد
واترك رواية معضل فى شأنها وارو المسلسل موصل الإرشاد

وقوله فى الإمام المولى عبد الكبير الكتانى قدس سره :

لكل امرئ فى مقتضى اسمه نسبة إلى قدره فى العالمين تشير
لذلك علا عبد الكبير كما ترى سماء علاه شامخ ومنير
وقوله يرثى شيخه العلامة الورع أبا الفتوح الهادى بادو المكناسى المترجم
فيما يأتى من خط من نقلها من خط المترجم :
ما بال نفسك عز اليوم راقىها كأنما الروح منك فى تراقىها

وما لعينك لا ترقى مدامعها
تذرى على الخد منشور مدامعها
وما لحالك من وجد ومن أسف
أو حال آنسة عذرا محجبة
فبينما هى تطوى البيد ظاعنة
فأصبحت مثل مطفل بوحدة قد
أو حال ذات وحيد أتكلمته فما
تبیت تذكى بروق الجوز فرتها
أطلت ويحك تسأل كأنك لا
ولا عرفت الليالى فى قلبها
ولا المنية إذ ترمى النفوس فما
مثل الصياريف فى تنقاد جيدها
ألم ترعك من الدنيا فجائعها
أما عراك من الخطوب فادحها
ألم يفاجئك ماسك المسامع من
مصاب من فجع الإسلام فيه ومن
وخر منه لأفق المجد نيره
ومادت الأرض إذ مالت جوانبها
محمد المرتضى الهادى الذى جليت

كأنما اليم يجرى من مآقيها
تناسقت قبل أسلاك لآليها
كحال من رزئ الدنيا بما فيها
نأى بها منزل قد كان يأويها
إذ غيل فى شاسع البید هاديها
أضلت الخشف يوما فى حوافيها
أرض على سعة الأنجاد تأويها
ومتلى من نواحيها نواحيها
تدري الحوادث إذ تعدو عواديها
وكيف يعتاض عاليها بسافها
تخطى إذا ما رمت سهام رامها
فما على غيره ينقض بازها
أما دهتك من البلوى دواهيها
أما دجى لك منها اليوم داجيها
كل البرية قاصيها ودانيها
قد ضعضت منه للتقوى مبانيها
وقد خبت منه للعلا دراريها
لفقده وتزلزلت رواسها
لنا الهدى منه فى أبهى مجالها

شيخ الوقار الذى ما حل حبوته
 فما استرق نهاه ذكر غانية
 ولا استزلته أهواء بلذتها
 ولا زهت نفسه لنيل أمنية
 ولا استفزته من دنياه زهرتها
 ولا ثنته المثانى نحو رنتها
 إن المكارم أبكار زففن له
 وهى كما قيل أخلاق نعددها
 والعلم ثالثها والحلم رابعها
 والصدق سابعها والصبر ثامنها
 سعى لها غير واه لا ولا وكل
 وقد تسامت به إلى العلا همم
 مستعجبا عزمات منه أصغرها
 فعاش فى تقوى يواصلها
 ملازمًا طاعة الرحمن مجتهدا
 حتى انثنى طاهر الأثواب طيبها
 لم تبق من تربة غداة مدفنه
 أبكيه للعلم والدين المتين معا
 من للفنون جميعا يحققها
 كى يسعف النفس يوما فى تصافيه
 ولا حنين شج إلى مغانيها
 وكم لبيب تردى فى مهاوئها
 وكم حلیم زهت به أمانيه
 ولا لهته عن العليا ملاهيه
 ولا لحوق مهة فى أغانيها
 من حضرة الوهب والإفضال واليه
 فالعقل أولها والدين ثانيها
 والجود خامسها والبر ساديه
 والشكر تاسعها واللين عاشيه
 لم يسعد النفس مطر فى توانيه
 تقاصر النجم عنها فى تساميه
 يستنزل الأبيات من صياصيه
 مواليا كل حين من يواليها
 مسارعا كلما دعاه داعيه
 زاكى الخلال حميدها وساميه
 إلا تمت لو أنه ثوى فيها
 إذا بكت رتب العليا بواكيها
 من للأحاديث يرويها ويمليها

من للعويصات إن عنت يوضحها
 من للدفاتر يطويها وينشرها
 من للفرائد دائما يؤلفها
 من للشوارد إن ندت يقيدها
 من للمنابر يرقاها لتذكرة
 من للمساجد غيرها يجاورها
 من للمناجاة بالأسحار يرصدها
 أما وحق مآثر نشرن له
 وما له من مفاخر بقين له
 لو كان يشفى بكاء العين من كمد
 لأسبلت مقتلتي على الدوام دما
 ولا أسلت على خدى سوى كبدى
 لا تنكروا فرط تفجاعي عليه فما
 (لا يعرف الشوق إلا من يكابده
 سقى الإله ثراه صوب مرحمة
 ما خيم المجد فى ضلال روضته
 واخضل بالحمد من أدواحها غصن
 وقفها عليها سلام الله يصحبه
 ما حن مغترب شط المزار به

والمشكلات إذا دجت يحليها
 ومن يبيت سميرها ينجيها
 وللفوائد همه تلافوها
 ويذل الروح فى تقرب ناديةها
 يجلو بها كل بكر من معانيها
 وللمواقيت دائما يراعيها
 وللمحاريب فى الدجى يوافيها
 بين الخلائق حاضر وباديهها
 كآى صخرا جاد الوحى واحيها
 أو كان يجدى من أدمعى تواليها
 يذيه من حشاشتى تظليها
 أما الدموع فشئ لا يواليها
 يدري الشدائد إلا من يقاسيها
 ولا الصبابة إلا من يعانيها
 يبقى مدا الدهر دائما يغاديها
 وعرس الفخر والسنا بواديها
 وألبست حلل الثنا روايها
 منه الرضا وكرامات توازيها
 إلى معاهد أنسه ومن فيها

وقوله متوجاً بحروف عمران ابن حصين:

عودتني منك إحسانا وثقت به	وحاش فضلك أن أراه منوعا
ما زلت تولى العطا لمن عصاك ولم	يكن عطاك لأجل الذنب مقطوعا
رب البرية يا من لم يزل أبداً	دعاء كل امرئ دعاه مسموعا
إني دعوتك مضطرا أخا كمد	ركن اضطباري أضحي منه مصدوعا
نفسه عني يا مولاي عن عجل	حتى أرى غيمه في الحين مقلوعا
إني سألتك بالمختار أفضل من	به كفيت الوري أذى وترويعا
بحر المكارم تاج الرسل خاتمهم	من لم يزل ذكره لديك مرفوعا
نور الهدى من بدا في أصل فطرته	على التقى والحيا والزهد مطبوعا
حماء أوسع بي إن أزيمة دهمت	وظل من أجلها ذو الحلم مصروعا
صلى عليه إلهي كل آونة	ما دام للجود والإحسان ينبوعا
يا رب وارض عن الصحاب أفضل من	بذكرهم ظل باب الفتح مقروعا
ناهيك من سادة حازوا الكمال بمن	ساد الخلائق تابعا ومتبوعا

وقوله:

بابي من زار في الـ	غيب يغى شهودنا
لو علمنا مجيئه	لبسطنا خدودنا

قال تلميذه آخر قضاة العدل أبو العباس أحمد بناني الرباطي ومن خطه نقلت: وسبب نظمه لهما أنه رضى الله عنه كلفني بأمر فيسره الله وذهبت إليه لأخبره، فوجدته نائما فلما استيقظ وأعلم بذلك كتب البيتين ووجههما إلى

فحصل لى من السرور ما لا يعلمه إلا الله حتى إنه من فرط ما سرنى أبكاني والله على ما نقول وكيل . انتهى كاتبه أحمد بناني سامحه الله . انتهى لفظه من خطه .

ولادته : ولد بمكناسة الزيتون ليلة عيد الأضحى عام تسعة وعشرين ومائتين وألف حسبما أخبر بذلك عن نفسه ، ونقله عنه تلميذه أبو العباس بناني ، وإلى ذلك رمز الفقيه الأديب السيد محمد بن أحمد التريكي الأسفى بقوله :

إن قيل ما عام مولد ابن سائحنا ففه بقولك مكناس به ابتهجت

وفاته : توفي برباط الفتح فى الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب ، عام تسعة وثلاثمائة وألف ، وكان الذى تولى غسله الفقيه ابن الغازى الكبير ، والحاج العربى افقير ، وصلى عليه تلميذه العلامة السيد أحمد ابن محمد بناني المذكور آنفا ، وحشره الشريف سيدى محمد الودغيرى فى جماعة من أفاضل الأعيان ، ودفن بداره وضريحه مزار مشهورة مقصودة بالشجر الرباطى ، وقد رثاه الأديب الشهير السيد الحاج الطيب عواد السلاوى بقوله :

سكب الدمع على الأرجاء أضناكا	أم حر نار الأسى والبين أفناكا
أم أنت صب موله فلست ترى	صبرا على من بنور العطف حلاكا
ومن دعاك بسعد الدين مذ زمن	وتارة بأمين الدين سماكا
وقال من أول الرعيل أنت فمل	لله ميلا فإن الله أعطاك
أم قد فقدت بروح القدس سارية	كانت تهب سحيرة بمغناكا
أم قد فقدت من الأنوار بارقة	سارت بحسك للحمى ومعناكا
أم قد فقدت سراج القلب من سطعت	أنوار أسرارهِ على محياكا
أم قد فقدت ضياء الدين فانكسفت	شمس المعارف فى آفاق مسراكا

ذاك الإمام الذى حاز الكمال ومن
روح الوجود وسره وطلعته
حصن الحنيفة السمحاء صارمها
بحر المعارف والعلم الذى بهرت
ما جئت زائره فى كشف نازلة
ما جئت تشكو له نزول نائبة
فاشهد معاهده تمل معارفه
واعرف مفاخره تمل مناقبه
بالله ربك يا سعد الوجود أفق
بكاك قطع أكباد الورى أسفا
ومن يلمك على طول البكاء فلم
فاسكب دموعك من دم الفؤاد على
محمد العربى بن السائح العمرى
إلى أن قال :

يا رب بالذات بالاسم الكريم ومن
محمد خير من أدنيتة شرفا
فصل رب وسلم دائما أبداً
وآله الغر ما ازدهى الوجود بهم
واجعل شفاعته تعم مجلسنا

قرت به فى جمال الأنس عيناكا
وقطبه خير من تهوى ويهواكا
غيث الندى من يبشر الوجه يلقاكا
أنواره فاقتبس منها لمسعاكا
من قبل تسأله إلا وأفئاكا
إلا وأذهب ما تشكو وسلاكا
إن لم يكن ذنب نار الشك أقصاكا
إن لم يكن ران شرك الحب أوداكا
من سكرة الوجدان الصحو ينهاكا
والأرض قد أظلمت من فقد مولاكا
يشهد بسرك من تبكى ونجواكا
فقد الهمام ولو عدت محياكا
خليفة الغوث من بالورد أحياكا

ناديت فى المستوى عبرى فلباكا
لقاب قوسين محبوبا فحياكا
عليه ما حن ذو وجد للقيكا
وفاز عبد أحبهم بمرضاكا
ومن غدا فى بنى الزهراء يرهاكا

وحط بجاهه ديننا فجاهه في كل العوالم معقل لنعماكا
وارض عن الختم للأسرار أجمعها كذا خليفته السامى لمآكا
وعم مثواهما نورا ومرحمة تنهل من مزنها أرياح رحماكا
ما أنشد العبد مبتولا لسيده مذ غاب منظره شوقا لرؤياكا
إن سرت للمنزل الأسنى وكنت به ففى سويداء نور القلب مثواكا

٤٨٨ - العربي بادو ابن الأمين المحتسب الحاج الطاهر.

حاله: فقيه علامة جليل، مشارك دراكة نبيل، لم أقف على تاريخ وفاته ولا على شيء زائد على ما قيده في ترجمته، وضريحه بسيدى الدغوغي من جامع الزرقاء، يسار الداخل عليه دربوز خشب.

٤٨٩ - العربي بن علي بن فارس الحسنى العلوى.

حاله: نابغة أقرانه وأنجبهم وأذكاهم وأزكارهم وأشجعهم، كان فارسا كراراً، بطلاً مقداما شعلة ذكاء، ذا ذهن وقاد، ومملكة كاملة كل صعب له بها انقاد، درس بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية فأجاد وأفاد، ثم بارح الديار المكناسية مسقط رأسه بدرعة وذاك آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن مشائخ مكناس السيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد عبد السلام بن عمرو الصنهاجى، وأبى عبد الله محمد بن الجيلانى السقاط وهو عمده وعن غيرهم.

٤٩٠ - العربي بن إدريس الشريف العلمى اللحيانى المعروف بالموساوى.

دفين مدشر موساوة، أحد مداشر جبل زرهون.

حاله: أستاذ مقررئ موجود، علامة فاضل، له مشاركة في فنون شتى، فقيه

٤٩٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨ / ٢٨٣٠.

محدث، مفسر أصولي، بياني منطقي، نحوي، خير دين عابد متبتل ناسك، عارف بربه، دال عليه مرشد إليه، ورع متقشف، معتقد صالح فالح مكاشف، شوهدت منه مكاشفة عجيبة أخبر بها بعض أصدقائه وقد طلب منه بيان حقيقتها على طريق الكشف فأخبره كتابة بخط يده فاطلعت على جوابه وكان في نفسى شيء منه، ثم كان الأمر وفق ما أخبر، وذلك بعد موت المسئول والسائل، وقد كان السيد العربي بن السائح المترجم آنفاً ينوه بقدره ويشنى عليه ويحض الناس على زيارته والتبرك به، وقد لقيته بداره بمدشر موساوة وزرته والتمست بركته، ودعا لى بخير، ولقننى الورد التيجانى وسائر أذكار الطريق وأسرارها، وأجازنى عامة فى ذلك برد الله ثراه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بدر الدين الحمومى المتوفى ثامن محرم الحرام عام ستة وستين ومائتين وألف، وعلى التسولى المتوفى خامس عشر شوال عام ثمانية وخمسين ومائتين وألف، وعلى المرينى المتوفى فى سابع رجب الفرد عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ومحمد بن عبد الرحمن الحجرتى الفيلالى، والشيخ الطالب بن حمدون بن الحاج، وأبى بكر بن الطيب بن كيران المتوفى رابع عشر جمادى الثانية عام سبعة وستين ومائتين وألف، والشيخ الطالب بن عبد الرحمن والشيخ أحمد بن أحمد بنانى المتوفى يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف، والشيخ أبو العلاء إدريس الودغيرى الملقب بالبكرواى المتوفى سادس عشر محرم سنة سبع أو ثمان وخمسين ومائتين وألف، والشيخ محمد بن عبد السلام الشفشاونى العلمى المتوفى سنة إحدى وتسعين بتقديم المئنة فوق على السنين ومائتين وألف، وغير هؤلاء ممن يطول بنا تعداده.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد الكامل الأمرانى، ومحمد بن الطاهر الفاسى فى جماعة من الأعلام.

مؤلفاته: منها القول النافع والجواب القامع، فى بيان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية المثناة فى نحو كراسة، وقفت على مبيضته بخط يده، ومنحة الإخوان فى نحو ألف بيت، ضمنها بعض ما يتعلق بالطريق التيجانية، ورسالة الترغيب والترهيب فى الطريق والتصوف وآداب المريد، ونصائح سنية سنية نافعة وغير ذلك.

وفاته: توفى عن سن عالية ليلة السبت سادس عشر جمادى الثانية عام عشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بمدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون وقبره مزارة شهيرة رحمه الله.

٤٩١ - العربى بن الأستاذ فضول ابن شمسى.

المكناسى الأصل، والنشأة والدار والإقبار.

حاله: كان شيخ جماعة القراء الأساتذة ببلده مكناسة الزيتون، فقيها أستاذا، مقرأً متقناً، مجوداً فاضلاً زكياً، تقياً نقياً، بشوشاً هيناً ليناً، حسن الخط والتلاوة، ذا نواذر ومستظرف أخبار، من أهل الخير والفضل والدين المتين، والمروءة الكاملة، تصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع بإتقان وتحرير، وواظب على ذلك بجد واجتهاد مدة تزيد على الخمسين سنة، فنفع الله به، وتخرج على يديه من حملة القرآن وحفاظ السبع المئونة، حتى كاد أن لا يوجد فى زمنه بمكناس من القراء إلا من أخذ عنه أو عن تلاميذه أو تلاميذهم، حسبما جاء فى شهادة شرعية شهدها جماعة الأساتذة بها أول هذه المائة، وثبتت لدى قاضيها أبى العباس ابن سودة ونصها بعد الحمدلة:

«شهوده المجموعة^(١) إثر تاريخه يعرفون الأجل الأرضى، المؤدب الأخطى

٤٩١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٣٦.

(١) فى المطبوع: شهود الموضوع (كذا).

الأستاذ المرتضى، السيد العربى بن المنعم الأستاذ البركة السيد الحاج المفضل ابن شمسى معرفة كافية، شرعا عينا واسما ونسبا بها ومعها، يشهدون أنه من أهل الفضل والمروءة والخير والديانة، وأنه شيخ جماعة الأساتيد وقتئذ بهذه الحضرة المكناسية صانها الله، وأنه المتصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع وتحريرها بها، بهذه الحالة عرفوه، وعليها خبروه واختبروه، ولا زال على الحالة المذكورة إلى الآن كل ذلك فى علمهم مستندين على المخالطة والأخذ عنه وبمضمونه قيدت شهادتهم مسئولة منهم لسائلها عن إذن من يجب سنده الله وأرشدته بواسطة عونه الحسن، وفى ثانى عشرى ربيع النبوى الأنور عام خمسة وثلاثمائة وألف:

الشرىف بن عبد القادر بن مولای هاشم العلوى الأستاذ، مولای مشيش ابن مولای الطاهر الإدريسى الومغارى الأستاذ، الفقيه الأرضى المدرس الأحظى السيد التهامى بن الطالب، الطالب السيد أحمد بن الطيب الفلالى الأستاذ، الطالب الأستاذ العباس بن الطالب سى ج العيسوى السقاط، الأستاذ الناسك الأجل سيدى محمد بن السيد العياشى القبرى، الطالب الأستاذ السيد محمد بن المدنى الأجراوى، الأستاذ الحىى السيد إدريس بن بوعز البخارى، الطالب الأستاذ سى علال بن الطالب السيد أحمد العزوزى، الطالب المؤدب الناسك سى فضول مسامح، أخوه الفقيه الأرضى الأستاذ الأحظى السيد إدريس، الأستاذ الأبر السيد إدريس بن المرحوم بكرم الله السيد ج محمد المزورى.

وبعده بخط القاضى:

«شهدوا لى من قدم لذلك فثبت»

وبعده: «الحمد لله وحده أشهد الفقيه الأجل، العالم العلامة الأمثل، الدراكة الفهامة الأكمل، قاضى مكناسة ونواحيها وهو (أحمد ابن سودة المرى الله

وليه ومولاه) أعزه الله وحرسها بثبوت ما سطر أعلاه الثبوت التام لصحته عنده بواجبه، وهو أكرمه الله وأرشد به حيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفي التاريخ أعلاه عبيد ربه سبحانه محمد بن عبد السلام الطاهري الحسنى لطف الله به وعبد ربه فلان.

الحمد لله بمثل ما شهد به الشهود أعلاه يشهد عبد ربه تعالى، فلان، وعبد ربه سبحانه جل وعلا فلان بشكلكهما ودعائهما».

وكان أحب شيء إليه الخلوة والعزلة عن الناس، يظل يومه في مكتب تعليمه مرتبا أوقات يومه ومقسما لها على إفادة المستفيدين على اختلاف طبقاتهم، يشتغل من الشروق إلى الزوال بتعليم صغار الصبيان، وبعد أداء فريضة الظهر يفد إليه قراء السبع فيشتغل معهم إلى العصر، ثم يقبل على التلاوة مع المتعلمين على اختلاف طبقاتهم إلى الغروب لا شغل له غير ما ذكر، ولا يروق ويحلو له سواء، حتى إنه بقى عازبا مدة تزيد على أربعين سنة بعد أن كان متزوجا وولد له.

مشيخته: أخذ عن والده الحاج فضول، وجده من قبل أمه الأستاذ الحاج محمد السقاط، والأستاذ سيدى اليزيد وهو عمده وبه كان يلهج، وهو عن سيدى الحاج المختار البقالى.

الآخذون عنه: منهم الأستاذ السيد محمد بن العياشى القبرى، والأستاذ العباس السقاط، والأستاذ العلامة التهامى بن عبد القادر دعى الحداد مار الترجمة، والأستاذ أحمد بن الطيب الفيلالى، والأستاذ محمد بن المدنى الأجرأوى، والأستاذ إدريس بن بوعز البخارى، والأستاذ عبد القادر بن المعطى البخارى دعى الصبيغ مصغرا، والأستاذ المولى محمد العلوى الإسماعيلى دعى الخيزى مصغرا، والأستاذ إدريس الأجرأوى دعى بابا، والأستاذ قاسم البرنوسى، والأستاذ محمد

ابن البشير الساوري، والوافي بن هاشم العلوي، ومحمد بن أحمد الحميدى حامل راية القراء والموجود من المتقين فى عصره فى مئين .

وفاته: توفى فى ثانى عشر قعدة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح ولى الله تعالى أبى الطيب من الحومة المعروفة بحومة سيدى قدور العلمى .

٤٩٢ - على أبو الحسن عرف بالأعرج.

نجل فخر الملوك وجد سلاطين المغرب أبى النصر إسماعيل قدس سره .

حاله: كان حليما عفوا، بويغ له يوم الأحد ثامن وعشرى ربيع الثانى عام سبعة وأربعين ومائة وألف، باتفاق رؤساء عبيد البخارى وأهل فاس الجديد، بعد خلع صنوه الأمير أبى محمد عبد الله، وكان المترجم يومئذ بمحل استقراره سجلماصة، فوجه العبيد إليه، كتيبة من الخيل لإعلامه بما ذكر والإتيان به، ولما اتصل به الخبر خرج مسرعا وصار يطوى المراحل إلى أن بلغ صفرو فاستقبله هنالك أهل فاس علماء وأشراف وأعيان، وقدموا له بيعتهم فسر وقابلهم قبولا حسنا، ثم نهض ووجهته فاس والوفد فى معيته، وسار إلى أن حل العاصمة الفاسية، ثم ولى عمالتها مسعودا الروسى، وأمره أن لا يقبض زائدا على الهدية والزكوات والأعشار، ثم نهض إلى مكناس، ولما حل بها بايعه العبيد والأعيان البيعة، ووفدت عليه الوفود بالبيعات والهدايا ووصل الجيوش بأموال .

ولما نفذ ما بيده ألقى القبض على الحرة المصونة ربة الدار السيدة خنائة بنت بكار أم صنوه السلطان عبد الله، وكذا على حفيدها أبى عبد الله محمد واستصفى أموالها، وبalg فى التضييق بها، لإخراج ما زعم أنها أخفته من المال، وشدد الوطأة على أهل مكناس، وفوض الأمر فيهم للباشا مساهل والقائد العياشى

وأضرابهما من حملة راية الاستبداد والقساوة، وقد كان زمام السلطة بيد سالم الدكالي.

قال أبو عبد الله الضعيف: ولما ضيق المترجم على ربة الدار خناثة بنت بكار، بعثت للعلماء تطلب منهم الوساطة بينها وبين صاحب الترجمة في تسريح حفيدها الأمير أبي عبد الله محمد بن عبد الله من السجن، لأنه صبي لم يقترب ذنباً، وإعمال الشرع المطهر معها، لأنها امرأة أبيه، وهنَّ العظم منها واشتعل الرأس شيباً، فإن أبي فسيحكم الله بينها وبينه، ولما كلم العلماء المترجم سرح حفيدها المذكور ونهض من مكناسة لفاس الجديد، ولما وفد عليه خرج لاستقباله أهل البلدين القديم والجديد، وقدموا إليه الهدايا وذلك عام سبعة وأربعين ومائة وألف.

وفى السنة نفسها ثار بأقصى سوس أبو محمد عبد الله بن محمد الكرسيقي ودخل أكدير بالسيف عنوة وأوقع بأهلها وقعة هائلة، نزل على معاطنهم في (يونت) تحت سيدى بوقناديل حتى مات اجل منهم عطشا، وكانوا يدفنون النساء والصبيان الذين هلكوا بالعطش بالمساجد والدور، وأمر الثائر بإعلان النداء في الجبال السوية وقبائلها بالحث على جهاد أهل أكدير ويقول: إن ثلثهم نصارى، وثلثهم عصاة حطب جهنم.

ثم إن أهل سوس الذين وفدوا معه أنصاراً لم يكن أحد منهم رأى البحر قبل، فأخذوا يشربون منه ويلتون السويق بمائه، فمات منهم بسبب ذلك خلق كثير، ثم نهض الثائر المذكور وسار إلى تارودانت، وصمم على الإيقاع بهوارة، فتفطنوا لذلك وأجمعوا أمرهم على الغدر به فشرع بذلك وفر منهم مظهراً أنه يريد زيارة الشيخ عمرو وهارون برأس الوادى، فاقتفت أثره هواراة إلى أن لحقوا به

بزاوية السيد عياد، فلحقوا به وضربوه بالرصاص فأصابته رصاصة من يد ابن همان الهواري كان فيها حتفه .

واستمرت دولة المترجم على هذا الحال، وكانت أيامه منعمة والأمطار كثيرة، وفي أول دولته وصل وسق القمح إلى ثلاثة وثلاثين مثقالاً، وفي عام ثمانية وأربعين وهو العام الثاني من ولايته رجع الزرع إلى عشرة مثاقيل للوسق هـ ملخصاً مع تقديم وتأخير .

وفي البستان الظريف أن مسعودا الروسى والى فاس قتل الحاج أحمد بودا ريس اللمطين، وأمر بجر جثته لباب الفتوح لسعيه من قبل فى قتل أخيه أبى على الروسى، فاجتمع أهل فاس وحملوا السلاح وتوجهوا لقتل مسعود العامل المذكور، فنجوا بنفسه، فكسروا السجون وأطلقوا سراح من بها، وقتلوا الحرس، ولما اتصل الخبر بالمترجم أعرض عنهم ووجه لهم القائد غانم الحاجى مع أخيه المهتدى، وقال لهم فيما كتب لهم به: إنى عزلت عنكم مسعود الروسى، ووليت غانما الحاجى فلم يقبلوه .

ومن الغد رجع من حيث أتى، ووجهوا مع المهتدى جماعة من العلماء والأشراف والأعيان بهدية ذات بال، ولما مثلوا بين يديه عدد عليهم ما ارتكبوه من قبيح الأفعال، وأوقع القبض عليهم وأودعهم السجن، ولما بلغ ذلك النبأ لفاس أغلقوا الأبواب وأعلنوا بالخلاف، وحكموا السيف فى كل من له علاقة واتصال بالروسى المذكور، ووقع قتال مع الودايا .

وفى رمضان العام قدم القائد عبد الله الحمري أحد قواد العبيد، واجتمع بأهل فاس واعتذر لهم عما صدر من المترجم، وأمرهم بتوجيه هدية له مع وفد منتظم من العلماء والأشراف، فقبلوا ما أبداه من الأعذار وامثلوا أمره فيما أشار به، وعينوا الوفد وجمعوا الهدية، فكتب الحمري المذكور للسلطان معترداً عن أهل

فاس، ولما مثلوا بين يديه أغلظ عليهم فى القول، ثم عفا وصفح وسرح مساجينهم، وولى عليهم عبد الله المذكور.

وفى العام نفسه ولى على أهل فاس عبد الله بن الأشقر، واشتغل بتجهيز العساكر لآيت ومالوا، لأخذ ثأر العبيد منهم، وخرج إليهم فى محرم عام تسعة وأربعين، فلما أحسوا بمقدمه عليهم أظهر الفرار أمامه، فصار يتبع آثارهم ويحل منازلهم إلى أن قطعوا وادى أم الربيع وتوغلوا فى الجبال، فعند ذلك انقضوا على الجيوش السلطانية من الثنايا والشعاب وأحاطوا بها من كل ناحية، فولت تلك الجيوش الأدبار منهزمة، وتركوا الخيول والأثقال ولم يتعرضوا للمترجم فى موكبه وخاصته إلى أن قطع وادى أم الربيع ورجعوا عنه، وسار إلى أن دخل مكناسة فطالبه العبيد بالكسوة والسلاح والمرتب ولم يكن لديه ما يعطيهم هـ.

قال الضعيف: وفى عشرى ذى الحجة الحرام منصرم العام خلع العبيد صاحب الترجمة، وتبعهم على ذلك أهل مكناسة وغيرهم، وبايعوا لصنوه أبى محمد عبد الله.

وفى البستان أن المترجم لما سمع بذلك هرب لفاس، وأراد الدخول لفاس الجديد، فمنعه الودايا فنزل بقنطرة سبو، ومن الغد توجه لتازا، ومنها للأحلاف فأكرموه وصاهروه وأقام عندهم بوطنهم عدة أعوام معرضا عن الولاية وأسبابها إلى أن رجع لمكناسة بأمر أخيه السلطان عبد الله فأعطاه مالا ووجهه لمكناسة الزيتون، وأعطاه المكس وأجنة المخزن وأرضه، ثم إن العبيد قبضوا عليه ووجهوه لصنوه السلطان المذكور وقالوا: هذا أفسد علينا بلادنا فسرّحه ووجهه لسجلماسة، ولم يزل بها إلى أن لقي ربه.

علائقه السياسية:

وقفت له على كتاب بالمكتبة الوطنية بباريس كان بعثه لسفير فرنسا، هذا نصه بعد البسملة والحوقة بالله العلى العظيم، ثم الطابع كالبضة بداخله (أمير المؤمنين أبو الحسن على الشريف ابن أمير المؤمنين إسماعيل الشريف الله وليه ومولاه) وبدائرتة (لا إله إلا الله وحده، صدق الله وعده، ونصر عبده، لا إله إلا الله الأمر كله لله):

«إلى الباشدور الفرنسي، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله واهتدى.
أما بعد: فاعلم أن خبرك وصل لمقامنا العالى بالله، وأنت أردت أن تقدم إلى أبوابنا العلية، وتوقفت على إذننا، فمرحبا بك، وأقدم فى الأمان على سبيل الفور، وما نعمل لك إلا ما يسرك ويرضيك، وما ترجع إلا على خاطرك وكما تحب وترضى، وكل ما جئت عليه نقضيه لك إن شاء الله تعالى، والسلام على من اتبع الهدى، وكتب فى الخامس عشر من جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائة وألف» صح من أصله مباشرة ولم يسم فيه المكتوب له.
ومن ذلك ما كتب به للملك لويس الرابع عشر ولفظه بعد الحمدلة والحوقة والطابع كما تقدم:

«إلى الرواى الويس الفرنسى.

أما بعد: فاعلم أنا لما جلسنا على سرير ملكنا واستولى سلطاننا وأمرنا على إيالتنا السعيدة الدانية والبعيدة، وأمدنا الله تعالى بالمدد، والعدد والعدد، وجمع المولى سبحانه كلمة جيوش الإسلام، وسائر أقطارنا الخاص منها العام، وانهقد بذلك الإبرام، ذلك بتقدير العزيز العلام، وردت علينا الوفود، أهل الخواضر والباد على الرسم المألوف المعهود، المؤدى إلى صلاح البلاد والعباد، أقرنا كل حد على

ما أقره عليه والدنا وأخونا أحمد قدس الله أرواحهم، وأبد في الفردوس نفوسهم
الكريمة وأرواحهم، وأجرينا كلا ما كان عليه.

ولما مثل بين أيدينا المباركة النصراني طوماس وتصفحنا كتاب أخي المذکور،
الذى بيده الجارى على مقتضى شرعنا الكريم المطاع أعزه الله من أن الهدنة والسلام
والفداء المأمور بهم معكم، وجهنا لكم مسطورنا هذا المبارك الأسمى، واقتفينا فى
ذلك بكتاب أخي الأعمى، فوجه لنا بأشودرك وكل ما فى خاطرك وأردته
لدينا، نقضوه لك بحول الله وقوته، وحتى هؤلاء النصارى الذين هنا بمقامنا
العالى بالله أسارى إن أردت فديتهم والكلام معنا فى شأنهم فابعث بأشودرك
عليهم نبعثهم لك، والسلام على من اتبع الهدى كتب فى رابع شوال

تحيساته:

من ذلك ما حبسه على قراء الحزب بالرحبة المرتفعة من باب السادات أحد
أبواب المسجد الأعظم بالعاصمة، وذلك جميع الحانوتين المستندتين على فندق
الرتيمى، وجميع الكوشة بجناح الأمان، وجميع حانوت..... وحنوتين
بالصف المقابل المستندتين على الحمام فوق بابا الفرنان، وجميع الأرحى الفوقية
تحت حوش العين الزرقاء المحدثه البناء على أرض الجزاء على صلوقية المضاف
الهابط من وجه العروس قبالة سيدى على منصور، على أن يقتطع الناظر ربع
الكراء للإصلاح، والثلاثة الأرباع منه لهم ووجه الناظر أبا القاسم المسطاسى لحيازة
ما ذكر لمن ذكر على الوجه المذكور فى أوائل قعدة الحرام عام ١١٤٧ حسبما
بصحيفة ١٣٦ من الجزء الثانى من الحوالة الحبسية.

ومن ذلك تحيسه لغابة الزيتون المعروفة إلى اليوم بمولاي على لشراء الحصر
للمسجد الأعظم، وما أضيف إليه، وقد أخبرنى من وثقت بخبره من النظار، أن



ظهیر السلطان المولی علی بن اسماعیل للویس الرابع عشر ملك فرنسا

ثمن غلة ذلك الزيتون لا تتجاوز ثمن ما يحتاج إليه المسجد من الحصر ولا ينقص، وأن ذلك تتبع بالاستقراء عدة أعوام فلم يتخلف.

ووقفت على نصف مصحف كريم من سورة الكهف إلى من الجنة والناس، بخط رائق فائق، على أول ورقة منه تحبب صاحب الترجمة له على أمه المصونة السيدة عائشة المتوفاة في سادس جمادى الأولى عام سبعة وعشرين ومائة وألف، حسبما هو منقوش في رخامة ضريحها الواقع خلف الجدار الشرقي من قبة ضريح أبي زيد عبد الرحمن المجذوب، وتاريخ التحبب أواسط رمضان العام رحم الله الجميع آمين، وقد تقدم قريبا ذكر ما أنعم به على طبيبه عبد الوهاب أدراق في ترجمته.

٤٩٣- علي بن حمود.

المكناسي الأصل الفاسي الولادة والدار المكي الوفاة.

حاله: عالم زاهد، ورع محسن إلى الغرباء، كثير الخشوع، متسع الصدر معرض عن الدنيا، مقبل على الطاعة متواضع، سريع الدمعة، مشفق على عباد الله، رحل إلى الحج عام اثني عشر وخمسمائة، ولقى جلة الأعلام، ورجع بعد قضاء حجة سنة ثمن عشرة وخمسمائة، فأقام بمدينة فاس مدة، ثم دخل الأندلس بنية الغزو والرباط، وصحب بها جلة علمائها، ثم رجع إلى فاس وبقي بها إلى سنة ستة وعشرين، ثم رحل كرة ثانية ودخل المَرِيَّة، ورحل منها إلى الإسكندرية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج وجاور بمكة، وأم بالحرم المكي شرفه الله.

ذكره ابن الأبار في تكميل الصلة، وابن فرتون في الذيل، وابن الزبير، وصاحب الجذوة، وصاحب صلة الصلة، قالوا: أصله من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبي بكر الطرطوشي سنن أبي داود، وصحيح مسلم عن

٤٩٣ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ٣/٢٤٤، جذوة الاقتباس - ص ٤٦٧،

صلة الصلة ٤/١٥٧.

طرخان، وجامع الترمذى عن ابن المبارك، وعن أبى الحسن سعد الخير الأندلسى جميع صحيح البخارى عن ابن مكتوم، وموطأ القعنبي عن أحمد بن عبد الله وعن غير هؤلاء.

ولادته: ولد بفاس عام ستة وسبعين وأربعمائة.

وفاته: توفى بمكة المشرفة ودفن بالصفاء سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

٤٩٤- على بن عيسى بن عمران بن دافال المكناسى.

حاله: فقيه علامة، مشارك تحرير، فاضل زكى المعى، مهذب، ولى قضاء مدينة فاس.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من محققى الأعلام.

الأخذون عنه: أخذ عنه أبو الربيع بن سالم وغيره.

وفاته: توفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

٤٩٥- على بن أبى بكر بن سبع بن مزاحم المكناسى.

حاله: أستاذ مقرئ راوية، رحالة محدث ناقد، مطلع خبير، مدرس نفاع، قال المقرئ فى النفع: ورد علينا من المشرق فأقام معنا أعواماً، ثم رحل إلى فاس فتوفى فيها بالوباء العام.

مشيخته: أخذ عن أحمد بن الشحنة الحجار البخارى، وذلك سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان الحجار قد سمعه على ابن الزبيدى سنة ثلاثين وستمائة. قال المقرئ: وهذا ما لا يعرف له نظير فى الإسلام، وقد قال عبد الغنى الحافظ: لا نعرف فى الإسلام من وازاه إلا عبد الله بن محمد البغوى فى قدم السماع، فإنه توفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة، قال ابن خلاد: سمعناه يقول: أخبرنا إسحاق بن

٤٩٥ - من مصادر ترجمته: نفح الطيب ٥/٢٣٨.

إسماعيل الطالقاني سنة خمس وعشرين ومائتين، وسمعه ابن الزيدى، عن أبى الوقت بسنده قال لى ابن مزاحم: هذا طريق كله سماع، وأخذ أيضاً عن بدر الدين ابن جماعة الشاطبيتين قراءة عليه لجميعهما عن أبى الفضل هبة الله بن الأزرق بقراءتهما عليه عن المؤلف كذلك وأخذ عنه تسهيل الفوائد عن مؤلفه ابن مالك وغير ذلك.

الآخذون عنه: أخذ عنه جد أبى العباس المقرئ وهو قاضى القضاة بفاس أبو محمد بن محمد بن أحمد القرشى كما قال ذلك هو على نفسه وتبعه حفيده فى النفح، وأخذ عنه غيره، ولم أحفظ وفاته غير أنها كانت بفاس.

٤٩٦- على بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى، شهر بالطنجى المكناسى.

حاله: فقيه حافظ، فرضى حيسوبى، فاضل زكى نبيل، وجيه كامل ألمعى، انتهت إليه رئاسة الفرائض فى عصره.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن الزرويلى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الحافظ أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى وناهيك به، وأبو يعقوب البادسى المغراوى. مؤلفاته: منها تقييد على المدونة.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

٤٩٧- على بن موسى بن أبى بكر بن محمد فتحا بن عبد الله الكتانى.

حاله: قال فى النبذة اليسيرة النافعة: كان رحمه الله من أهل الفقه والنباهة، والظهور والوجاهة، علامة باهراً، مشاركاً ماهراً، وهو الذى رفع عمود نسبه صاحب عقود اللآلى المستضيئة.

٤٩٦ - من مصادر ترجمته: وفيات النشرىسى فى موسوعة أعلام المغرب ٢ / ٦٢٠.

وفاته: قال فى النبذة أيضا: غالب الظن أن وفاته كانت أوائل القرن الثامن
بمكناسة.

٤٩٨- على أبو الحسن بن الفقيه الأستاذ المدرس محمد بن على، دعى منون
الحسنى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: محدث مفسر، فقيه علامة، أستاذ نبيل فاضل ماجد، ذكى زكى،
فرضى موثق مقرئ مجود، ذو فكاهة ودعابة ولطف، كان ببلده مكناسة صدرا
متصدرا للإقراء والتدريس، وبث العلوم على اختلاف فنونها فى صدور الرجال،
وكانت سكناه بحومة القورجة كما بزمam تركته، وقد تنوسى إطلاق هذا الاسم
على هذه الحومة الآن.

مشيخته: أدرك أبا الحسن على بن عمر، وأبا حفص الجراجى، وأبا مهدى
ابن علal، وأبا يعقوب يوسف بن منحوت، وأبا زيد الجادرى، وأبا وكيل ميمون،
وأبا عبد الله الفخار السماتى.

الآخذون عنه: أخذ عنه إمام مكناسة أبو عبد الله بن غازى العثمانى،
وجماعة، قال تلميذه ابن غازى فى فهرسته وغيرها: استفدت منه كثيرا وكانت فيه
دعابة، أنشدنى لبعضهم:

يا معشر الإخوان أوصيكم	وصية الوالد والوالده
لا تعملوا الإقدام إلا لمن	كانت لكم فى وصله فائدة
إما لعلم تستفيدونه	أو لكريم عنده مـائده

ولادته: ولد سنة تسعين - بتقديم المثناة فوق - وسبعمائة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون فى قعدة الحرام عام أربعة وخمسين وثمانمائة
وضريحه مزاراة شهيرة.

٤٩٩ - على بن هارون الشريف الحسنى المكناسى .

حاله : ذو جلاله فى سائر الفنون وإجلال لى الخواص والعموم مشارك
نقاد ، محرر محبر ذو ذهن وقاد .

مشيخته : أخذ عن أبى حفص : عمر الجراجى ، وأبى مهدى : موسى بن
علال المصمودى ، وأبى يعقوب الأغصاوى ، وأبى زىد عبد الرحمن^(١) الجاديرى ،
وأبى وكيل : ميمون مولى ابن الفخار وغيرهم .

وفاته : توفى بمكناسة الزيتون بعد السبعين وثمانمائة .

٥٠٠ - على بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالمراكشى .

الأقاوى الأصل من بنى صالح بالسوس الأقصى ، وسقط من قلم صاحب
الدرر المرصعة اسم المترجم على ، فسماه محمد بن عبد الرحمن ، والصواب على
ابن محمد بن عبد الرحمن .

حاله : فقيه بركة جليل ، فرضى نحوى ميقاتى ، قال فى حقه تلميذه أبو
العباس أحزاي - بألف مفتوحة فحاء مضمومة فزاي مفتوحة مشبعة فياء ساكنة -
فى قرى العجلان ، على إجازة الأعبة والإخوان ، ما نصه : آية فى الحفظ ، وفهم
الفقه واستحضاره ، ومشاركة فى غيره من الفنون ، وقد تصدر للتدريس والإفتاء
بالزاوية البكرية بالجامع الكبير فقها وعربية وحسابا وفرائض وتوقيتا .

وقال فى حقه صاحب الصفوة : الشيخ الفقيه المحصل ، كان صلبا فى الحق
لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وقع له مع خليفة السلطان بتادلا وهو أحمد المعروف
بالعبد بالبربرية وكان من أعظم الوزراء ووجوه الدولة ما هو - ويعنى بالسلطان

٤٩٩ - من مصادر ترجمته : درة الحجال ٢٥ / ٣ .

(١) فى المطبوع : «وأبى عبد الرحمن» والمثبت من درة الحجال .

المولى الرشيد العلوى - مبسوط وكانت له فصاحة فى التقرير، ولى القضاء بالقصر مدة، وولاه السلطان مولاى الرشيد قضاء تادلا، فقام به أحسن قيام وحمدت سيرته، انظر الصفوة.

وفى السؤال التاسع من الأسئلة التى سأل عنها أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستائوتى علماء وقته ما نصه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، سئل كاتبه عن شخص حبس شيئاً على أن يصرف فى سبيل الله وفى أنواع الخير كرفد المحتاج واستضافة غريب، وذى نسبة إلهية، على أن النظر له فيه وعلى يده يكون صرفه فى الوجوه المقصودة به، وبعد موته يستمر على الحالة المقصودة من غير تغيير، ويليه من يخلف مقامه، ويتمم بذلك الأمر اهتمامه. هل الحبس نافذ وماض أو هو لصفة الضد حائز؟ فقلت مجيباً ومن الله أستمد المعونة، وعليه أعتمد فى كفاية المثونة، إن الحبس ليس بجائز ولا نافذ لما اعتراه من الشرط المذكور الذى هو تصرفه وإجالة نظره: قال ابن شاس فى المختصر الكبير: لا يجوز للرجل أن يحبس ويكون هو ولى ذلك. وقال ابن المواز: لو شرط فى حبسه أنه يلى ذلك لم يجزه له ابن القاسم وأشهب، وقد اعتمد ذلك صاحب المختصر مشهراً له قائلاً: وعلى أن النظر له مما يبطل به الحبس، وأيضاً فقد قال ابن القاسم وأشهب: إذا شرط المحبس أن يأخذ من الناظر على حبسه مستفاد ويصرفه فى مصارفه بعدم الجواز والبطلان فمن باب أولى وأحرى نازلتنا لانتفاء الناظر فيه وتخريج قول فيها من قول مالك بالجواز فى غاية البعد والله أعلم، وكتب على بن محمد المراكشى لطف الله به.

مشيخته: أخذ عن القاضى أبى العباس: أحمد بن سعيد المجيلدى المعقول،

وحضر مجالس أبي محمد: عبد القادر الفاسي في التفسير والحديث وغير ذلك، وعن أبي العباس: أحمد العرفاوي القراءات كما أخذ عن أئمة زاوية الدلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحزاي المذكور، قال عن نفسه في قرى العجلان: أخذت عنه العربية والفقه والفرائض والحساب، وخليلا غير ما مرة، والرسالة غير ما مرة، والألفية غير ما مرة، وخدمته بنية صالحة خالصة مدة تزيد على عشر سنين بالزاوية البكرية.

مؤلفاته: له أجوبة حسان في الفقه، وشرح على منظومة وجيزة للقاضي أبي العباس المجيلدي في التوقيت، أجاد فيه ما شاء.

وفاته: قال في النشر: توفي فجأة سقط إثر صلاة الظهر بباب المسجد الأعظم من الحضرة المكناسية عام عشرة وتسعمائة بتقديم الفوقية.

٥٠١ - علي بن محمد بن أبي الفضل بن أحمد بن العافية.

حاله: فقيه علامة نحير، تولى قضاء مكناسة الزيتون في دولة يعقوب بن عبد الحق المريني.

قال في درة الحجال: كان حيا سنة أربع وثمانين وستمائة.

قلت: وقد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ سادس عشر صفر عام أربعة عشر وسبعمائة محلى فيه بما لفظه: الفقيه الأجل، قاضي مكناسة، يتضمن ذلك الرسم الشهادة بصحة نسبة الشرفاء الأطهار، الجلة الأخيار، الحسينيين الأبرار، الكانونيين الأخيار، وعليه عدة خطابات من جملتها خطاب المترجم.

٥٠٢ - علي بن سعيد بن محمد الصنهاجي المكناسي.

وقفت على الجزء الأول من شرح ابن جابر الغساني على التلمسانية بخطه، وذكر عن نفسه أنه كتبه وهو بسجن مكناس سنة سبع وعشرين وتسعمائة، نقلا عن

خط المؤلف، ولم أقف على من أجرى له ذكراً، ولا على ولادة، ولا وفاة إلى الآن والله فى خلقه شئون.

٥٠٣ - على بن يوسف.

يدعى ابن يشو، التلاجدوتى، نسبة لقرية من قرى مكناسة الزيتون.

حاله: أحد قادات مكناسة المقتدى بهم، علامة مشارك، نقاد خير محنك، مطلع متفنن من فحول عصره المشار لهم بالبنان، المرجوع إليهم فى تحرير العلوم العقلية والنقلية وبالأخص علوم العربية والفرائض والحساب والعروض، وأظنه هو المعروف اليوم بسيدى على والحاج خارج مكناس، لأن محل مدفنه يعرف بتلاجدوت والله أعلم.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله القورى، وأبو العباس الحباك، وأبو عبد الله بن جابر الغسانى كما صرح به فى شرحه على التلمسانية، وناهيك بهم علما وجلالة، وقد غاب عنى تاريخ وفاته.

٥٠٤ - على بن محمد الزرهونى المعروف بالدشيش بصيغة التصغير.

حاله: صالح زاهد، ورع تقى نقى فاضل، وصفه سميته العلامة البطونى بالتصوف والزهد.

مشيخته: أخذ عن سيدى رضوان الجنوى وانتفع به، كما أخذ عن غيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدى أحمد بن على بن يوسف الفاسى وغيره، وتوفى بفاس وضريحه بزقاق الرمان شهير، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٥٠٥ - على بن حبق^(١) المكناسى.

٥٠٥ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١١١.

(١) فى المطبوع: «حبق» والمثبت من الروض الذى ينقل عنه المصنف.

حاله: فقيه صالح علامة أديب فاضل، بركة قدوة، قال ابن غازي: قد حدثني المعمر أبو زيد عبد الرحمن النيار مزوار المؤذنين بجامعة الأعظم، أن ابن حبق هذا رثى في المنام بعد موته فسئل عما لقي من الحق سبحانه فأنشد:

حسبوا على وقيدوا فعل القبيح مع الحسن
ورأيت أمرا هائلا حتى لعمري كدت أن
وعفوا وذلك شأنهم لله در أبي الحسن

شعره: من ذلك قوله يعاتب نفسه:

عبد من الحسنات أصبح مفلسا وبضدها ثوب الديانة دنسا
يمسى ويصبح للخطايا كاسبا لم ينهه مر الصباح ولا المسا
ولم أقف على تاريخ وفاته ولا على شيء من ترجمته غير ما في الروض
الهتون.

٥٠٦- علي بن عمر.

ذكره ابن غازي في الروض، ولم أقف له على ترجمة.

٥٠٧- علي أبو الحسن قاضيها بن أحمد بن محمد بن حماد زغبوش.

ذكره ابن غازي، ولم أقف له على ترجمة.

٥٠٨- علي أبو الحسن.

دفن داره بالمنيا من طاعة فاس، ابن إبراهيم ابن العارف الكبير سيدي عبد الله الخياط الشريف الحسني، دفن جبل زرهون، المترجم فيما مر.

حاله: فقيه سني ناسك صالح، خاضع متواضع، دال على الله ذو أحوال ومناقب وفضل ودين متين، انتقل من مسقط رأسه زاوية جده الشهيرة بجبل

زرهون بعد وفاة والده لفاس بقصد الأخذ بها عن جلة أعلامها، ثم إنه غلب عليه الحال، واشتغل بالعبادة وقصد الشيخ أبا الطيب بن يحيى دفين بلاد ميسور بوصية من والده أبى إسحاق إبراهيم له، وذلك أن أبا الطيب المذكور جاء مرة زائراً لزرهون على العادة، فاجتمع معه سيدى إبراهيم، ونادى ولده المترجم، فلما دخل عليهما قال له: يا ولدى ادن من الشيخ أبى الطيب وسلم عليه: يا ولدى هذا شيخك، فلما كبر المترجم ذهب إلى أبى الطيب ولازمه حتى كان منه ما كان، وكان المترجم هو خليفة جده بزاوته بعد وفاة والده، وكان والده قبله هو خليفة بها بعد وفاة والده سيدى عبد الله الخياط، ثم لازم المترجم داره بالمنية الفوقية من حومة قنطرة أبى الرؤوس وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن والده بزاوته جده من زرهون، ولازمه إلى أن توفى وذهب لفاس فأخذ عن أبى الطيب ولازمه، وعلى يده فتح له ولم يتسبب إلا إليه، ولم أقف على تاريخ وفاته، بيد أنه من أهل القرن العاشر، إذ شيخه أبو الطيب كانت وفاته فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، وقد أشار إلى المترجم الشيخ المدرع فى منظومته فى صلحاء فاس رضوان الله عنهم بقوله:

والسيد الخياط واسمه على ذو الجاه والهمة والقدر العلى

كذلك سيدى مغيث أحيا ذكرهما معا دريب المينا

٥٠٩- على بن قاسم الوقاد المفاى قاضيا أبو الحسن.

حاله: علامة نقاد وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث عشرى جمادى الأولى عام اثنين وعشرين وألف، يتضمن تزوج الشاب الأمجد أبى العباس أحمد بن عبد الله الجنان الأنصارى بالبكر العذراء المصونة فاطمة بنت المرحوم أبى زيد عبد الرحمن حفيد أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى رحم الله الجميع.

٥١٠- علي الزرهوني.

حاله: محقق خير دين فاضل بركة قدوة، ناقد بصير، مدرس علامة، مشارك نفاع للطلبة، متضلع في النحو والتصريف والعروض مع المشاركة في غيرها من الفنون، دءوب على إقراء الألفية، تخرج به رحمه الله جماعة أعلام.

مشيخته: أخذ عن جماعة من أعلام عصره كأبي الحسن علي بن الزبير السجلماسي المتوفى سنة خمس وثلاثين وألف وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام أبو محمد عبد القادر الفاسي شيخ الجماعة بفاس وناهيك به وغيره.

وفاته: توفي بشفشاون سنة اثنتين وسبعين وألف، رحمه الله ورضى عنه.

٥١١- علي بن أحمد المكناسي.

أورده أبو محمد عبد الله الفاسي في كتابه الإعلام.

حاله: فقيه علامة له مشاركة في الحديث والفقه والأصول.

مشيخته: أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، ولازمه في الحديث والأصول والفروع.

وفاته: توفي ببلده مكناسة سنة أربع وسبعين وألف.

٥١٢- علي بن عمر بن عبد السلام بن أحمد بن محمد بن محمد ثانيا بن

أحمد بن الحافظ بن أبي بكر بن العربي المعافري.

دفن خارج فاس.

حاله: ميقاتي متقن قال فيه أبو عبد الله ابن غازي: فاضل دين، لم يل الأذان ببلدتنا مثله هـ.

٥١٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني في موسوعة أعلام المغرب ١٥٠١/٤.

انتقل من فاس لعاصمتنا المكناسية وأسندت إليه رئاسة التوقيت بمنار
مسجدها الكبير حسبما الإشارة لذلك فى السلوة.

٥١٣- على أبو البركات بن محمد المدعو حمدوش بن عمران الشريف
العلمى العروسى.

كذا وقفت على نسبته هذه فى عقد إراثة لوالد المترجم بتاريخ حادى عشر
صفر عام تسعة عشر ومائة وألف - الوالى الشهير دفين جبل زرهون^(١).

حاله: كان فى ابتداء أمره بفاس يجلس بباب القرويين المقابلة لباب
الشماعين، دام على ذلك سنين، ثم انتقل لزرهون حيث زاويته الآن، وكان من
أهل الجذب ساقط التكليف، قوى الحال، يحب السماع والأمداح ويرتاح للطرب،
ويصبو لسماع آلاته، أظهر الله على يده كرامات، وخوارق عادات، وأورثت عنه
أحوال ومقامات، وربما ضرب الناس فى بعض الأحيان بكل ما يجد من أوانى
وعصى وحجر وغير ذلك، حتى لا يقدر أحد على القرب منه وله معتقدون وأتباع
كثيرون فى أقطار كثيرة دائية وشاسعة، تشد الرحال للوفود لزوايته بقصد الزيارة
كل سنة، وقد وقفت فى بعض التقاييد بخط أحد أعلام مكناس أن للمترجم وردا
وهو ثمانية عشر ألفا من الهيلة، وأن الشيخ بن قدور الزواق كان يجيز به الناس
هـ.

أما هؤلاء الذين يزعمون له اليوم الأتباع، ويحسبون أنهم يسرون سير
النتيجة والانتفاع، فيجلبون على رؤوسهم بالمعاول والفئوس ويحاربونها بالعصى
وزبر الحديد ولا كحرب البسوس، فهم عن عهد الهدى بمعزل، بل إنهم اتخذوا

٥١٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٢٥، نشر المثنى فى الموسوعة ١٩٧٩/٥.

(١) فى هامش المطبوع: طرق سمعى أن بعض العلماء ألف فى مناقبه تأليفا سماه (الذهب
المنقوش فى مناقب ولى الله تعالى سيدى على بن حمدوش).

من مسالك الضلالة والعمى أردى منزل، ولعمر الله إنهم فيما يفعلون لفي قصوى درجة السفه في الدين، وأقبح ما يأتيه من ينسل منه انسلال الشعرة من الطين، تواطئوا على شذخ الرؤوس، والسعى في هلاك النفوس، ويعدون ذلك كرامة حيث لا يقع لهم هلاك بالشذخ وسيل الدماء، بل يعتقدون أن ما يرتكبون من الخرق المصادم للإنسانية بل والدين الإسلامي يقربهم إلى الله زلفى، ويكسبهم رضا متبوعهم المتبرئ من سوء فعلهم في الواقع براءة الذئب من دم يوسف، وربما اعتقد فيهم ذلك أيضا همج الرعاع وأخلاق الخلق سفهاء الأحلام وما ذاك إلا من عمى الجهل الطام، وكبير الخذلان العام.

ولا سلف لهم في ذلك الفعل الشنيع، والعمل البشيع، غير ما يقال من أن بعض أتباعه وهو أحمد الدغوغى أحد اتباع المترجم من العوام الصرف لم يحضر وفاة متبوعه المترجم، فلما آب من سفره وعلم بوفاته صار يضرب رأسه مع الجدارات وبالأحجار أسفا على فقد شيخه، وتحسراً على عدم حضوره لوفاته، واغتنامه صالح دعواته، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة ولم يعلموا أن صاحب ذلك الفعل المحرم إجماعاً ليس محلاً للقدوة، سواء قلنا إنه صدر منه ذلك بحال اعتراه لأن صاحب الحال يسلم له حاله ولا يقتدى بفعله لأنه فاقد التكليف، أو قلنا إنه تعمد ذلك الفعل الجاهلى وألقى بنفسه للتهلكة اتباعاً لهواه، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، فلا تحل متابعته على هذه السنة السيئة المصادمة لما قضى الله ورسوله، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم، ومعلوم أن ذلك الفعل ليس من سبيل المؤمنين، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الكتاب والسنة، وأن يثبتنا على العمل بهما آمين.

أما الشيخ المترجم فالمعتقد أنه لا يصح لمميز الاقتداء به بحال، فقد أطبقت

كلمة من نظمه معه الزمان على أنه كان مجذوبا معلوما بالغيبة والوله، ومن هذا سبيله سقط عنه التكليف، ولا يصح الاقتداء به في حال ولئن فرضنا سلوكه وقيامه على الأمر فهو من الشريعة تحت حكمها؛ ومؤخذ إن أخل بشيء من نظمها، إذ الشريعة حاکمة على كل واحد وليس لأحد عليها حكم، فالرجوع إليها والوقوف عند حد تعاليمها واجب، لأن صاحبها معصوم من الهوى، ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾ [الحشر: ٧]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقد أتاننا بتحريم الإلقاء بالنفس في التهلكة ونجاسة الدم المسفوح والتلطخ به، وقضى بالاهتداء بهديه والاقتداء بالخلفاء الراشدين من بعده والعض على سنته بالنواجذ، وهؤلاء نبذوا ذلك وراءهم ظهريا، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا.

فإن قلت: ما يرى عليهم من تعجيل البرء بمجرد انقضاء زمن اجتماعهم فيه أعظم كرامة لهم.

قلنا: الأمر الخارق غير محصور في الكرامة، ولا بد من التفصيل فيه، فإما أن يظهر على يد مبتدع أو على يد متبع للقوانين التي أسسها الإسلام وأوجب الائتمار بأوامرها والانتهاز بنواهيها، فإن ظهرت على يد متبع وكان من دعوى النبوة فمعجزة، وبدونها مع الاستقامة فكرامة، إذ كل ما يقع للنبي معجزة جاز أن يكون للولي كرامة، وإن ظهر على يد مبتدع فلا يشك عاقل أنه مكر من الله واستدراج لمن علم الله شقاوته وضلالته، قال الله تعالى: ﴿... سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف آية: ١٨٢] ولا يغتر عاقل بذلك ولو رآه يطير في الهواء، ويمشى على الماء. قال أبو يزيد البسطامي: إذا رأيت من يطير في

الهواء فلا يغرنك فعله، حتى تراه واقفا عند الأمر والنهى لأن إبليس لعنه الله يطير فى الهواء ويمشى على الماء ويخترق الأرضين إلى الأرض السفلى، وأن السامرى ألقى الحلى فى النار فأخرج له عجلا جسدا له خوار، والنمروذ بن كنعان حين ارتفع إلى الهواء فى تابوت فكان يرمى بالنشاب إلى السماء ليقتل إله إبراهيم بزعمه، وكانت ترجع إليه السهام مخضوبة بالدم فقال: قتلته، وكل ذلك فتنة واستدراج من الله ليزيد فى كفره وطغيانه.

فإذا كانت هذه الخوارق العظيمة يظهر مثلها على يد هؤلاء القوم الظالمين، فكيف يغتر عاقل بما يجرى من الأوهام والحيل على يد أهل البدع والضلال؟ كأهل هذه الطوائف الزائغة الضالة التى أصبحت قذى فى عين شريعة الإسلام، ساعية جهدا وطاقتها فى إفساد سمعتها عند غير أهلها، فكل ما يظهر من هذا على يد غير متبع للقوانين الإسلامية فهو فتنة وبلية يضل الله بها من خالف أمره وأمر نبيه عليه السلام واتبع هواه، هذا على تسليم اطراد وقوع البرء ناجزاً، على أننا لا نسلمه، إذ قد مات غير واحد على الفور وربما كان البرء سوريا، وقد تمكن الأئم باطنا فرمته الأيام بالحدثان فأقبل على الآخرة مدبراً، وكتاب الله الحكم فقد قال تعالى: ﴿... وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ [سورة البقرة آية: ١٩٥] فمن لم يَنْقُدْ لأحكام الكتاب والسنة لَفَظَهُ الإيمان، فأصبح مخلداً فى دركات النيران، فقد رويناه عن خير من نطق بالضاد: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وقد كان إمامنا مالك رضى الله عنه كثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

فإن قلت: فعلهم هذا هو من الأمور التى مرت عليها الأجيال، وقد ظهر وانتشر واشتهر فى كثير من العواصم وارتاح إليه، وعرضه الجم الغفير من

الدهماء، ولم نر من تصدى لإنكاره ممن يشاهد ذلك من أهل العلم والدين، ومن مكنهم الله في الأرض وجعل بيدهم الحل والعقد.

قلنا: أما ظهور مثل ذلك وانتشاره في الحواضر والبادى فلا مفر عنه، ولا يزيد أهل الرسوخ في الدين إلا إيماناً وتسليماً، لأنه مصداق لما أنبأ به نبينا الصادق المصدوق صلوات الله عليه وسلامه من ظهور البدع وافتراق الأمة فيها على فرق كغيرها من الأمم، وأحاديث ذلك مشهورة في دواوين الشريعة المطهرة، واللازم حينئذ بعد تحقيق كونها بدعاً منابذة للدين الإسلامي، التحذير منها وإنكارها بقدر المستطاع. أخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه وابن مردويه كلهم عن عبد الله ابن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ...﴾ [سورة الأنعام آية: ١٥٣] قال: البدع والشبهات.

وقال الجنيدي رضي الله عنه: الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء يأخذ أدبه عن المتأدين أفسد من يتبعه.

وعن عبد الرحمن بن مهدي قد سئل مالك بن أنس عن السنة قال: هي ما لا اسم له غير السنة وتلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قال بكر بن العلاء يريد إن شاء الله حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ خط له خطاً وذكر الحديث، قال الشاطبي في الاعتصام إثره: فهذا التفسير يدل على شمول الآية لجميع طرق البدع لا تختص ببدعة دون أخرى هـ.

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقول فى خطبه: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة. وفى رواية للنسائى: وكل محدثة بدعة وكل بدعة فى النار. وقال عليه الصلاة والسلام: من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ.

وقد بين العلماء رضى الله عنهم أن المعنى فى الحديثين المذكورين راجع لتغيير الحكم باعتقاد ما ليس بقربة قربة لا مطلق الإحداث، إذ تناوله الشريعة بأصولها فىكون راجعاً إليها أو لفروعها، فىكون مقيساً عليها، قالوا: وبحسب هذا فلا تكون البدعة إلا محرمة لاسيما إن كانت فى مقابلة منصوص عن الشارع أو مخالفة لأصل الملة، أو خارجة عن قواعد الأحكام الشرعية.

وأما زعم أن ذلك وأمثاله لم ينكره أهل العلم ولا حذروا منه، فكلا ومعاذ الله أن يرضى بذلك ذو علم حقيقى أو عاقل هذبته الإنسانية فضلا عن أن يقر عليه، بل لم يأل العلماء جهداً فى بيان شرح خصال الإسلام ويذلون المجهود فى ذلك بأساليب تقرب من الإفهام، ويوضحون فى كل قول وفعل ما يوافق السنة وما يراغمها من البدعة ويتفننون فى ذلك باختلاف الأحوال وما يقتضيه ما أحدث فى كل زمان، وإنما الذى كاد أن يعدم إن لم نقل عدم هو الأذان الواعية، والقلوب المهتدية، وإلا فكم قرع المبتدعة أهل الدين ووبخوا وما قصروا؟ وقد نظموا فى ذلك ونشروا، كما أن أمراء العدل وإن قلوا لم يزالوا يتعاهدون الضرب على أيدي أمثال هؤلاء وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولكن من يضل الله فما له من هاد.

قال الحافظ السخاوى فى التبر المسبوك ما نصه: فى يوم الاثنين سابع عشر ذى القعدة عام اثنين وخمسين وثمانمائة أمر السلطان راجح بن الرفاعى وجماعته

بعدم فعل ما لا يجوز كالزممار والتشبيبة والرقص فى زواياهم، بمقتضى مرسوم
سأل فيه أولاد الشيخ عبد القادر الكيلانى بعد أن حكم عليهم قاضى الحنابلة
بذلك، ولله در القائل، من السادة الأوائل .

الضرب بالطار والتشبيب بالقصب شيئان قد عرفا باللهو والطرب
إنى لأعجب من قوم وطيشهم وأن أمرهم من أعجب العجب
ومطرباتين^(١) لا تصغى لقولهما فالشرع قد حرم الإصغاء للطرب
إن نقروا الطار أمسوا يرقصون له شبه القروء ألا سحقا لمرتكب
صوفية أحدثوا فى ديننا لعبا وخالفوا الحق دين المصطفى العربى
من اقتدى بهم قد ضل مثلهم سحقا لمذهبهم لو كان من ذهب
أهل المراقص لا تأخذ بمذهبهم فقد تبادوا على التمويه والكذب
أنكر عليهم إذا ما كنت مقتدرا واضرب ظهورهم بالسوط والخشب^(٢)
وهذا السلطان العادل المولى سليمان قام فى وجوه تلك الطوائف البدعية
وسفه أحلامها وقبح أفعالها، وبين ما كان عليه سلفنا الصالح ودونك نص خطابه
فى ذلك:

«الحمد لله الذى تعبدنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بالمحافظة على السنة
والجماعة، وحفظ ملة نبيه الكريم، وصفيه الرؤوف الرحيم، من الإضاعة، إلى
قيام الساعة، وجعل التأسى به أنفع الوسائل النفاة، أحمده حمدا ينتج اعتماد
العبد على ربه وانقطاعه، وأشكره شكرا يقصر عنه لسان اليراعة، وأستمد معونته
بلسان المذلة والضراعة، وأصلى على العموم والإشاعة، والرضا عن آله وصحبه
الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة» .

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «ومطربانينا» وصوابه لدى السخاوى .

(٢) التبر المسبوك للسخاوى ٢/ ١٠٠ - ١٠١ .

أما بعد: أيها الناس شرح الله لقبول النصيحة صدوركم، وأصلح بعنايته أموركم، وأعمل فيما يرضيه آمركم ومأموركم، فإن الله قد استرعانا جماعتكم، وأوجب لنا طاعتكم، وحذرنا إضاعتكم، يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، سيما فيما أمر الله به ورسوله، أو هو محرم بالكتاب والسنة النبوية وإجماع الأمة المحمدية، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولهذا نرثى لغفلتكم وعدم إحساسكم، ونغار من استيلاء الشيطان على أنواعكم وأجناسكم، فآلقوا لأمره أذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم، وطهروا من دنس البدع إيمانكم، وأخلصوا لله إسراركم وإعلانكم، واعلموا أن الله بمحض فضله أوضح لكم طرق السنة لتسلوكها، وصرح بدم اللهو والشهوة لتتركوها، وكلفكم لينظر عملكم فاسمعوا فى ذلك وأطيعوه، واعرفوا فضله عليكم وعوه، واتركوا عنكم بدع المواسم التى أنتم بها متلبسون، والبدع التى يزينها أهل الأهواء ويلبسون، وافترقوا أوزاعاً، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعاً، بما هو حرام كتاباً وسنة وإجماعاً، وتسموا فقراً، وأحدثوا فى دين الله ما استوجبوا به سقراً، قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وكل ذلك بدعة شنيعة، وفعلة فظيعة، ووصمة وضيعة، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة، وتلبس وضلال، وتدليس شيطانى وخبال، وزينة الشيطان لأولياؤه فوقتوا له أوقاتاً، وأنفقوا فى سبيل الطاغوت فى ذلك دراهم وأقواتا، وتصدى له أهل البدع من عيساوة وجيالة، وغيرهم من ذوى البدع والضلالة، والحقاقة والجهالة، وصاروا يرتقبون للهوهم الساعات، ويتزاحمون على حبال الشيطان، وعصيتهم منهم الجماعات.

وكل ذلك حرام ممنوع، والإنفاق فيه إنفاق غير مشروع، فأشدكم الله عباد الله هل فعل رسول الله ﷺ حمزة عمه سيد الشهداء موسما؟ وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الأرسال صلوات الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب موسما؟ وهل فعل عمر لأبي بكر موسما؟ وهل تصدى لذلك أحد من التابعين؟ رضى الله عنهم أجمعين.

ثم أنشدكم الله هل زخرفت على عهد رسول الله ﷺ المساجد؟ أم زوقت أضرحة الصحابة والتابعين الأماجد. وكأنى بكم تقولون فى نحو المواسم وزخرفة أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع، حسبنا الاقتداء والاتباع، إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، وهذه المقالة قالها الجاحدون هيهات هيهات لما توعدون.

وقد رد الله مقالهم، ووبخهم وما أقالهم، فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين. وأهل الصلاح والدين. خير القرون قرنى الحديث.

وبالضرورة أنه لم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، فقد قبض رسول الله ﷺ وعقد الدين قد سجل، ووعد الله بإكماله قد عجل، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً.

قال عمر بن الخطاب: أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الجادة، فلا تميلوا بالناس يمينا وشمالا، فليس فى دين الله ولا فيما شرع نبي الله أن يتقرب إلى الله بغناء ولا شطح، والذكر الذى أمر به وحث عليه ومدح الذاكرين به هو على الوجه الذى كان يفعله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد، فهذه سنة السلف، طريقة صالحى الخلف.

فمن قال بغير طريقهم فلا يستمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يتبع، ومن

يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين .

فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع؟ أأمننا من مكر الله أم تليسا على عباد الله أم منابذة لمن النواصي فى يده؟ أم غرور بمن الرجوع بعد إليه؟ فتوبوا واعتبروا، وغيروا المناكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنوب المترفين من دونهم، وعاقب الجمهور لما أغضوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عقبى الجميع، ما بين العاصى والمداهن المطيع، أفيزلكنم الشيطان وكتاب الله بأيديكم؟ أم كيف يضلكنم وسنة نبيكم تناديكم؟ .

فتوبوا إلى رب الأرباب . وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب، ومن أراد منكم التقرب بصدقة، أو وفق لمعروف إطعام أو نفقة، فعلى من ذكر الله فى كتابه، ووعد فيهم بجزيل ثوابه، كذوى الضرورة الغير الخفية، والمرضى الذين لستم أولى منهم بالعافية، ففى مثل هذا تسد الذرائع، وفيه تمثل أوامر الشرائع، ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: الآية ٦٠] .

ولا يتقرب إلى ملك النواصى، بالبدع والمعاصى، بل بما يتقرب به الأولياء والصالحون والأتقياء المفلحون، أكل الحلال، وقيام الليال، ومجاهدة النفس فى حفظ الأحوال، وبالأقوال والأفعال، البطن وما حوى، والرأس وما وعى، وآيات تتلى، وسلوك الطريقة المثلى، وحج وجهاد، ورعاية السنة فى المواسم والأعياد، ونصيحة تهدى، وأمانة تؤدى، وخلق على خلق القرآن يحدى، وصلاة وصيام، واجتناب مواقع الآثام، وبيع النفس والمال عن الله، ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: الآية ١١١].

﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى
حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ...﴾ [البقرة: الآية ١٧٧]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام: الآية ١٥٣]
صراط مستقيم كتاب الله وسنة رسول الله.

وليس الصراط كثرة الرايات، والاجتماع للبيات، وحضور النساء
والأحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص، أفمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

عن المقدام بن معد يكرب سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بالرجل يوم
القيامة وبيده راية يحملها وأناس يتبعونه فيسأل عنهم ويسألون عنه، إذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب.

فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئا من السلطان والخلائف، أن
يمنعوا هؤلاء الطوائف، من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن
بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، فإياكم ثم إياكم
والبدع، فإنها تترك مراسم الدين خاوية، والسكوت عن المناكر يحيل رياض
الشرائع ذابلة ذاوية، فمن المنقول عن الملل، والمشهور في الأواخر والأول، أن
البدع والمناكر إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم، وأظلم ما بينهم وبين
ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثالات، وشحت السماء،
وسحت النقماء، وغيض الماء واستولت الأعداء، وانتشر الداء وجفت الضروع،

وانقطعت بركة الزروع، لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طريق الفوائد، والأدب مع الله ثلاثة: حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع، ورعاية السنة من غير إخلال ولا ابتداع، ومراعاتها في الضيق والانتساع، لا ما يفعله اليوم هؤلاء الفقراء، فكل ذلك كذب على الله واقتراء، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ وقال: أوصنا. قال أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة لمن وليكم وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وها نحن عباد الله أرشدناكم، وحذرناكم وأذرناكم، فمن ذهب بعد لهذه المواسم أو أحدث بدعة فى شريعة نبيه أبى القاسم، فقد سعى فى هلاك نفسه، وجر الوبال عليه وعلى أبناء جنسه، وتله الشيطان للجبيين، وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» هـ.

قال الزيانى فى رحلته بعد نقلها: فتأملوا ما أملاه أمير المؤمنين فى هذه الخطبة التى لم يسمع مثلها فيما مضى من العصور، ولا ذكرها ملك ولا عالم مشهور، فهى سادسة خطب الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز فمن تأملها علم علم يقين، أنها برزت من قلب خالص عارف بما أعد الله للمتقين هـ.

وقد نص العلماء على أن العاصى أحسن حالا من المبتدع، لأن العاصى

يعلم أنه عاص، ويقول أتوب وأرجع إلى الله، والمبتدع يزعم أنه على الحق حتى يموت على بدعته، ومن مات مبتدعا وجد في قبره حفرة من حفر النار.

أخرج الطحاوي أن النبي ﷺ قال: ستة ألعنهم لعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في دين الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت يذل به من أعزه الله ويعز به من أذله الله، والتارك لسنتي، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله.

وفي رواية أبي بكر بن ثابت الخطيب: ستة لعنهم الله ولعنهم، وفيه الراغب عن سنتي إلى بدعة هـ. واللعن الإبعاد من رحمه الله تعالى، أى هلاك أعظم من ذلك عياذا بالله.

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه: أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة ألا لا تضلوا بالناس يمينا وشمالا، وصفق بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، إن يقل قائل لا نجد حدين فى كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، الحديث.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وقال ابن الماجشون: سمعت مالكا رضى الله عنه يقول: من أحدث شيئا لم يكن عليه سلفنا فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان فى الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ [سورة المائدة آية: ٣] وسئل إمامنا مالك رضى الله عنه عن قوم يأكلون كثيرا ويرقصون كثيرا، فقال على وجه الإنكار لهم: أمجنونون هم أم صبيان؟ وقال: هذا لا يفعله أهل العقل والمروءة.

وقال الإمام الطرطوشى حين وصف له حالهم: فمذهب هؤلاء جهالة وبطالة، وبدعة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام.

وخرج ابن وهب عن سفيان أنه كان يقول لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا موافقا للسنة، ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة، ولا بعد أمتكم أمة ألا وإن الحلال ما أحل الله في كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإنى لست بمبتدع، ولكنى متبع، ألا وإنى لست بقاض، ولكنى منفذ، ألا وإنى لست بخازن ولكنى أضع حيث أمرت، ألا وإنى لست بخيركم ولكنى أثقلكم حملا، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم نزل.

فإن قيل: هؤلاء يحبون شيخهم ونبيهم ويصلون عليه ويرجون شفاعته، ولهم نية خالصة في عبادتهم وأفعالهم في الله قلنا: كما قال الحسن: لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب، فإنك لن تلحق الأبرار إلا بعملهم وستهم، فإن اليهود أحبوا موسى وليسوا معه، إذ لم يتبعوه بل كذبوه ولقد أحسن من قال:

ومن يدعى حب النبي ولم يكن بسنته مستمسكا فهو كاذب
علامة صدق المرء في الحب أن يرى على منهج كانت عليه الحبايب
والنية لا تنفع إلا مع اتباع السنة فقد كان للكفار نية خالصة في أصنامهم ولا ينفعهم ذلك، وما ازداد صاحب بدعة اجتهدا إلا ازداد من الله ابتعادا.

تنبيهان: الأول أسلفنا فيما نقلناه من قضية السلطان رافع التحذير من أفعال من ينتسب إلى الصوفية، وليس القصد الإرسال في ذلك فيجد من في قلبه مرض لإيقاد نار الفتنة السبيل إلى الانتقاد على أمثال أهل الدين، الذين بذلوا أرواحهم في خالص الطاعة كل حين، كالحسن البصري والشاذلي والجنيد والسري السقطي وابن أدهم ومن ضاهاهم من سلف الأمة وخلفها المهتدين المتقين، المنوه بهم في

نص الكتاب، فإن الصوفية الحقيقيين قوم خلص الله بواطنهم وظواهرهم، ونور بمعرفته سرائرهم، وأقامهم على درجة الاختصاص والقرب، فهم القوم لا يشقى جليسهم، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

قال ابن عبد السلام: والله لقد قعد الصوفية على قواعد الشرع التى لا تهدم، ومبغضهم فى دركات حرابة الله، ففى الصحيح عنه ﷺ: من عادى لى ولما فقد آذنته بالحرب، فالمعترض لهم بالقول السيئ لا إخاله إلا استبطأ غضب الله ونقمته، ورام أن ينقض من عهد الله حرمة، والله حسيب أقوام نسبوا إليهم ما هم منه أخلياء، ورموا الخط من مقاماتهم وتلطخهم بما هم منه أبرياء، ولا تزر وازرة وزرة أخرى، وإنما المراد المتصوفة المخلطون المدعون المتهورون.

الثانى: قد عمم صاحب القطعة الشعرية فى تحريم الشبابة وما شاكلها، وليس ذلك على إطلاقه، ومحمل ذلك على من يمزج الذكر بالشطح والرقص وضرب الصدور وترف الشعور والتشبه بالحيوانات العادية وأكل الميتة والتلطخ بالدم المسفوح المحرم بنص الكتاب ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...﴾ [سورة المائدة: آية: ٣] ﴿...إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا...﴾ [سورة الأنعام آية: ١٤٥] الآيتين، إلى غير هذا من أنواع المجون كالزمار والطبل والتلحين، إذ ذكر الله ينبغى تعظيمه، وإجلاله وإقبال المتلبس به بسرّه وعلايته على الله بخشوع وفراغ القلب من غير المذكور ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون، وتدبر قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ [سورة الحج آية: ٣٥] وضرورة أن الوجل مبين لحضور آلة الله وبيانها تمام المباينة، ومعلوم أن الموضوع مخصوص فكيف إذا انضم لآلة الله ما ذكر والتفصيل فى ذلك قد علم فى مسائل الفقه، وألم به العلماء فى أبواب خصوصا مبحث الولائم فليراجع فى

مظانه، فليس المحل لبيانه، وقد بسطنا القول فيه فى غير هذا التقييد شرح الله صدورنا لمتابعة الكتاب والسنة فى الأقوال والأفعال، وجعلنا بمنه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه آمين.

ولم يقع ولله الحمد فى عصرنا اليوسفى إهمال وإغضاء عن تلك البدع، بل النهضة اليوسفية ساهرة على اجتثاثها من أصلها تدريجا، وذلك أوقع فى النفوس، فقد دمرت بعض أولئك الطوائف بثغر الدار البيضاء جملة، وأخذ فى تطهير فاس ومراكش من دنسها، ونرجو من الله التوفيق والإعانة لمولانا الأمير وأنصاره، وولاية أمره على حسم مادتها تماما، من سائر إيالاته الشريفة بيده سبحانه التوفيق والهداية^(١).

مشيخته: أخذ عن السيد محمد المدعو الحفيان، وهو عن والده الشيخ محمد فتحا المدعو أبا عبيد الشرقى، عن والده أبى القاسم الزعرى الجابرى الرتخى، عن التباع، وأخذ أيضا أبو عبيد الشرقى أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ عبد الله بن ساسى الغزوانى عن التباع، برد الله ثرى الجميع.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن يوسف المدعو الحمدوشى نسبة لشيخه المترجم المتوفى بفاس عام أربعة وخمسين ومائة وألف، وأبو عبد الله

(١) فى هامش المطبوع: أما فى عصر مولانا الإمام، المعتنى بشريعة جده عليه السلام، سيدى محمد أبد الله ملكه، وأجرى بالتوفيق فلكه، فقد أظهر اهتماما عظيما بمنكرات تلك الطوائف وكف أيديهم كما كانوا يفعلون وأصدر أدام الله حفظه أوامره المطاعة بمنع الذين يدعون الانتساب للشيخ ابن عيسى مما كانوا يفعلونه بمقابر مكناسة حسبما سيأتى الكلام على ذلك عند ذكر عوائد مكناس فى المولد النبوى الأثور لا زال مولانا ساهرا على رعاية السنة قامعا للبدعة حتى نرى أوامره الشريفة مطوقة جميع بدع الضلال، وأرباب المنكرات والخبال.

محمد المدعو الحمدوشى الشريف الكنانى المتوفى عام أربعة عشر ومائتين وألف بمحروسة فاس، وأبو العباس الدغوغى دفين جبل زرهون، وأبو على الحسن بن مبارك دفين حومة بوعودة من الحضرة المكناسية، والسيد قاسم أوقار ببنى مسارة من الجبل ولا زال أعقابه يفدون لضريح المترجم بقصد الزيارة والتبرك كل عام فى جماعة من أهل الخير والصلاح، جلهم مجاذيب أو مشوبون بجذب، وورده الذى كان يلقنه لأتباعه ثمانية عشر ألفا من الهيلة حسبما وقفت على ذلك فى بعض تقاييد لأبى العباس الأغزاوى المعروف بالجبلى المترجم فيما سلف. قال: أخبرنى تلميذه - يعنى ابن قدور سابق الترجمة - صاحبنا النجيب الصالح المهدي الورياجلى أن ابن قدور أجازه فى ورد ابن حمدوش، وذكر أنه ثمانية عشر ألفا من الهيلة هـ.

وفاته: توفى بجبل زرهون حيث مشهده وزاويته الآن سنة خمس وثلاثين ومائة وألف، كذا فى نشر المثانى والتقاط الدرر، والذى فى سلوك الطريق الوارية أنه توفى سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف.

٥١٤- على بن سعيد العميرى.

حاله: علامة مشارك، مدرس نفاع، محرر نحرير، متقن، أحد صدور علماء الدولة الإسماعيلية المتصدرين للإرشاد والإفادة، حلاه عصره العلامة الأقدم أبو الحسن على بن محمد بن على العكارى حسبما وقفت عليه فى بعض تقاييده بخطه بما نصه: ذو اللسان الفصيح الفقيه الأديب، الحاذق اللبيب، أبو الحسن السيد على أخو السيد أبى القاسم العميرى، سمعته يقرئ الشفا للقاضى عياض بعد صلاة المغرب وبعد الصبح وهو ذو لسان، وذو عبارة مروقة بالبيان، مولعا بالأدب والتاريخ والسير، ذو تثبت على ما يطالعه فيذكره كما قاله قائله، ورأيت يأتى بأبحاث فى مجلسه بلفظ فإن قلت: كذا، قلنا: الجواب كذا، ومن طبعه كما حدثت عنه إجابة المناقشة له فى مجلسه، وقد شهدت له ما يدل على ذلك، قال:

وهو من جملة من لقيت من أعلام مكناسة الزيتون لما قدمت إليها فى أوائل جمادى الثانية عام سبعة وأربعين ومائة وألف .

وهو من أعيان الأعلام الذين شهدوا على جلالة سيدنا الجد الأعظم مولانا إسماعيل المذكور وهو على كرسى مملكته بعاصمته المكناسية فى عقد المؤاخاة بين نجلية الأجلين مولانا أحمد الذهبى وجدنا مولانا زيدان، حسبما سبقت الإشارة إليه فى ترجمة أخى المترجم فى الأحمدين .

وقد كان متوليا له وزارة الأوقاف الحبسية بسائر الإيالة السلطانية يحاسب النظار ويسجل عليه، وقفت على محاسبتين له أصدرهما مع الناظر الفقيه العلامة السيد أبى القاسم بن الفقيه الحاج عبد الواحد المسطاسى، أولاهما بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام خمسين ومائة وألف، وثانيتها بتاريخ أوائل محرم عام واحد وخمسين، محلى فيهما بالفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، من له النظر والتصرف التام فى سائر أحباس هذه الإيالة الشريفة، وقد كان استوزره المولى المستضىء بن مولانا إسماعيل فى دولته فسار سيرة حسنة، حمده عليها الأصدقاء والأعداى حسبما أوما إلى ذلك صاحب الدر المنتخب المستحسن .

مشيخته: أخذ عن والده، وأبى على الحسن بن رحال المعدانى وغيرهما .

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى، سابق الترجمة وغيره .

وفاته: قال ابن عاشر الحافى فى كناشة: توفى صاحبنا الفقيه السيد على ابن سعيد العميرى فى تاسع رمضان عام خمسين ومائة وألف .

٥١٥- على بن عبد الرحمن بن عبود المكناسى النشأة والدار والإقبار .

حاله: إمام همام، فاضل علامة، نقاد مشارك، مطلع نحري، متبحر ذو

ذهن وقاد، مدرس نفاع، غزيز الاطلاع، محصل مفصل مديد الباع. قال فى حقه أبو الحسن على العكارى ما نصه: الفقيه الأديب، الخاضع المنيب، أبو الحسن السيد الحاج على بن عبود وهو من أهل الخير والدين، ومن السادات المعتبرين، عليه مخايل الكمال، تميز بها عن هؤلاء الرجال، مجتهد فى الدروس، مورد فى تقريره ما تطيب به النفوس، سمعته يقرئ مختصر خليل بالمسجد الأعظم فى وقتين، وأنصت له فرحت قرير العين، ولما عرفنى وقد كنت كتبت له قبل ملاقاته أدخلنى داره، محبة للعلم لا مداره، وأجلسنى على الفراش، وجاء بما تيسر من المعاش، وكان يومئذ صائما، ولم يزل طبق المحبة قائما، التقى بالوالد واستنجده لعهود، أعظمها أنه أن كان فى الجنة ينادى أين ابن عبود.

ولما صدر منه ما صدر، أخذ عنه الوالد أن يعترف هو أيضا بمثل هذا الخبر، ليصير كلاهما عن الآخر سائلا، فكان كل منهما لذلك قابلا، وحين أراد الانصراف، خاطبنا مخاطبة إسعاف، أنه يأتى لنا كل يوم بما تيسر من الطعام، ليس إلا الحل دون شبهة حرام، من غير مشقة تلزمه فى ذلك، فكان يسلك أحسن المسالك.

ولم يزل يتردد إلينا مدة الإقامة، ولم يتطرق لنا منه ولا له منا سامة، إلى أن عزمنا على الرحيل، فتوادعنا معه موادة الخليل. هـ من خطه.

وقد رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة النبى المختار، ولقى فحول جلة العلماء الأخيار، وأفاد واستفاد، وازدهت بوجوده البلاد، وكان متصدرا لتحمل الشهادة من أجل عدول مكناسة المبرزين، وأئمتها القادة المعتبرين، دين خير، فاضل زكى، ذكى، نبيل، أريحى لودعى كامل.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن سالم بن أحمد الحفنى سنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه وسنن النسائى الصغرى ومسند الشافعى

والشفا وتفسير البيضاوى وتفسير الجلالين والمحلى ومؤلفات ابن هشام والقاموس، وعن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الله . . . النوادر، وهو عن الخرشى، عن الأجهورى، وأخذ عن أبى على الحسن بن رجال المعدانى، وسعيد العميرى، وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغازى ابن عبود، والسيد محمد بن سميه بن عبد الرحمن بصرى.

وفاته: توفى يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الثانى عام أربعة وسبعين ومائة وألف.

٥١٦- على بن صانبة البخارى المكناسى.

حاله: علامة أديب، أستاذ محقق، فاضل نبيل، جهيد، نقاد، ألمعى أريب أصله من عبيد البخارى ممالك سيدنا الأعظم مولانا إسماعيل قدس ثراه، وكان من عدول سباط عاصمتنا المكناسية المبرزين المتصدرين للشهادة، وقفت على عقد بشهادته تاريخه خامس رجب عام عشرين ومائتين وألف.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان أبو الربيع سليمان كما قال ذلك هو عن نفسه وحلاه فى كتابه عناية أولى المجد: بشيخنا العلامة الأديب الأستاذ المحقق، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٥١٧- على جد والدنا دنية ابن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن فخر الملوك مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة جليل، قدوة ماهر، دراكة نبيل، مبجل وقور هبوب

٥١٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٥٦٨.

مبرور، ذو جد واجتهاد، وجلالة ومكانة ونزاهة، وجاه ووجاهة، لدى الصغير والكبير فى كل ناد، ورد من الصحراء أواخر دولة أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله فقوبل من لدنه بكل حفاوة وإكبار، وإعظام واعتبار، وأدناه وأجله، وعلى منصة التكريم والتبجيل أحله، وقلده خطة نقابة الأشراف، لما علمه وتحققه من كمال فضله ومثانة دينه وتحليه بأشرف الأوصاف، وتخليه عن كل ما يشين وتجنبه أهل الاعتساف، فقام بأعبائها أتم قيام، ولم يأل جهداً فى الدفاع عن حمى النسبة لخير الأنام فى حل وإبرام، وفوق ما منه يرام، إلى أن لى داعى مولاه، وانتقل لما اختير له رحمه الله، وولاه السلطان المولى سليمان الإمامة بمسجد القصبه السعيدة المولوية.

وقد وقفت على ظهير سليمانى يوجب له إعانة شهرية من الأحباس، نصه بعد الحمدلة والطابع الصغير بداخله (سليمان بن محمد غفر الله له):

«نأمر السيد سعيد بن القاضى ناظر أوقاف مكناسة الزيتون، أن يكون يدفع من الأحباس لمولاي على بن زيدان عشرين أوقية فى كل شهر إعانة على قراءة العلم الشريف والسلام وفى منتصف رمضان المعظم عام ١٢٢٦».

وبعد بخط بعض القضاة:

«رفع على الخاتم الشريف صدر التنفيذ المولوى عدل فقبل».

كما عثرت على ظهير رحمانى بمعناه نصه بعد الحمدلة والطابع الصغير بداخله (عبد الرحمن بن هشام الله وليه):

«نأمر الفقيه الناظر السيد الطاهر بن عثمان أن يرد على الشريف مولاي على ابن زيدان الميثقال الذى أسقط له من الثلاثة مثاقيل المنفذة له من الأحباس، بأن يقبض العدة الموصوفة كاملة عند افتتاح كل شهر، ولا ينقص له منها شىء، فإن مثله يزداد ولا ينقص، والسلام فى ٢٨ من شعبان المبارك عام ١٢٤٩».

ولما مات المترجم أستمّر التنفيذ جاريا على أولاده من بعده حسبما يدل على ذلك ظهير محمدى شريف، نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله):

«أقررنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أولاد ابن عمنا مولاي على ابن زيدان رحمه الله، على قبض الثلاثين أوقية التى كان نفذ والدنا المقدس بالله لوالدهم المذكور من أوقاف مكناسة الزيتون، إعانة على طلب العلم الشريف، مرتبا فى كل شهر، فنأمر الناظر على الأوقاف المذكورة أن يبقى على دفعها لهم فى كل شهر، صدر به أمرنا المعتز بالله فى تاسع عشرى ربيع الأول عام ١٢٧٦».

ولما تولى السلطان المولى الحسن أقرهم على ذلك بظهير نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره أننا بعون الله وإفضاله، أقررنا ماسكيه أبناء عمنا مولاي على بن زيدان رحمه الله على الثلاثين أوقية التى أقرهم سيدنا الوالد على قبضها كل شهر من أوقاف لهم على طلب العلم الشريف والسلام فى ٢٦ من جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

وفاته: توفى فى ربيع النبوى الأنور عام ستين ومائتين وألف، ودفن بروضة أبى زيد عبد الرحمن المجذوب عند أصل الجدار الشرقى من قبة ضريحه خارج القبة، رحم الله الجميع بمحض الفضل.

ولما مات أنعم السلطان على أولاده بخمسين مثقالا، وقد خلف من الأولاد المولى أحمد، والمولى عبد الرحمن النقيبين من بعده، وتقدمت ترجمة ثانيهما، والمولى عبد السلام صيبا مراهقا، وأربع بنات حسبما بزمام تركته المؤرخ بأواخر ربيع الأول المذكور.

٥١٨- على بن (١) صالح.

حاله: فقيه أستاذ عشرى هين لين، قانت ذاكرة، تال فاضل، كان رحمه الله مقرئاً مجوداً حسن الصوت حلو التلاوة، بارع الخط، يحفظ السبع والعشرين حفظاً (٢) متقناً، إذا تلا أبكى وود المستمع عدم سكوته، حسن السميت، نادرة زمانه فى اللطف والظرف والتؤدة ومكارم الأخلاق، آية فى حسن التعليم، يؤدب الصبيان ويقرئ الأساتيد، نفع الله به أقواماً من حملة القرآن وقراء السبع بالحضرة المكناسية، وكان لا يخرج من داره إلا لمكتب تعليمه، أو لأداء الخمس جماعة بالأعظم، وكان الإمام الراتب بالأعظم فى التراويح التى بعد العشاء، والراتب لأخذ قراء السبع عليه به عين وقتاً لإفادتهم يفدون عليه بالواهم يرمزها ويصحح الرموز منها، ولم يزل دعواً على ذلك حتى نقله الله إليه، وقد رحل لأداء فريضة الحج وتلاقى بمن أفادهم واستفاد منهم من أهل الحرمين الشريفين وغيرهم.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد بن إدريس البوعناني، والسيد الصديق الأجرأوى المترجم فيما مر، والسيد اليزيد العلمى آتى الترجمة، والسيد صالح بن يوسف أخذ عنه العشرين وتقدمت ترجمته.

الآخذون عنه: أخذ عنه الأستاذ السيد عبد السلام الفشار، والأستاذ عبد القادر المدعو الصبيح، والشريف الفقيه السيد الحسن بن اليزيد العلوى، والأستاذ أحمد المجذوبى، وأبو عبد الله محمد بن سمية ابن عبود فى خلق لا يكاد يعد كثرة من الأساتيد وحملة القرآن الموجودين.

وفاته: توفى فى رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بمسجد سيدى عمرو بوعودة عن يسار الداخل له بمرجع دفته.

٥١٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٦٥٧/٧.

(١) فى إتحاف المطالع: «على صالح».

(٢) فى إتحاف المطالع: «حفظ السبع ودفن ببلده».

٥١٩- علي بن محمد المسفيوي.

حاله: علامة مفت، ثبت محقق مدقق، شعلة ذكاء ونباهة، سريع الإدراك، جيد الفهم، متوقد القريحة، له المشاركة الكاملة في فنون العلوم عقليها ونقلها كالمنطق والبيان والمعاني، مع غزارة المادة في الفروع، والتفوق على معاصريه في علوم العربية والسير والأخبار ونوادير الزمان، لوذعى أريحي، مهذب حسن الأخلاق جميل المعاشرة، ذو مروءة وفضل ونبيل وورع، وطهارة ذيل، وكرم نفس، وصدق لهجة، مقبل على شأنه مهتبل بأمور المنحاشين إليه.

حدثني من وثقت بحديثه أن الحاج عبد السلام النساخ حدثه وهو ثقة ثبت أنه حج عام ١٢٨٠ في رفقة جماعة من الأعلام منهم والد المترجم السيد محمد المسفيوي، فكان من قدر الله أن مات الوالد المذكور، ولما حضرته الوفاة أوصى العلامة السيد محمد بن الفضيل المراكشي المتوفى عام ١٣٠٦ بأن يتولى أمر متروكه حتى يسلمه لأهله، فتولاه وفق ما طلبه منه، فاستسلف من برفقتهم ما خلف من المال، ولما رجعوا لمراكش وسلموا المتخلف لصاحب الترجمة ولد الهالك امتنع من قبض ذلك وسامحهم فيه، معتذرا بأن والده كان متوليا خطة القضاء ببلده مسفيوة، فربما تكون به شبهة، كذا أخبرني الفقيه العلامة الثبت الحاج محمد بن كبور قائلا حدثه بذلك الحاج عبد السلام المذكور رفيقا وهو من جملة من استسلف.

رحل من بلده مراكش في طلب العلم لفاس عام أربعة وستين ومائتين وألف، ولازم الأخذ عن جهابذة أعلامها بمزيد اعتناء وجد واجتهاد إلى أن برع، ومن قاموس المعارف التيار كرع، ولم يزل في رقى وإجلال، معمرا أوقاته بما يرضى ذا الجلال.

٥١٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٥.

وانتخبه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لإقراء أولاده، ثم اصطفاه السلطان سيدى محمد وزيراً لولده المولى الحسن زمن خلافته، ثم بعد مدة طلبه السلطان سيدى محمد للظعن معه، وجعله بمثابة كاتب مع وزيره الصدر الفقيه أبى عبد الله الصفار، وذلك أن بعض الولاة بمراكش كان فى قلبه عليه مرض ولم يستطع حيلة للتوصل إليه والسعى فى إذايته وتنحيته عن منصبه، حتى ورد السلطان سيدى محمد لمراكش وصار يبحث الولاة وذوى الحثيات عن سيرة ولده الخليفة عنه ثمة، فأثنوا عليه ثناء عاطراً ووصفوه بأوصاف عالية فى الدهاء والسياسة، والنبل والكياسة، ثم قال شانيه إلا أن عامة الناس تنسب ذلك لوزيره فإن رأى مولانا أن يعمل له وزيراً دون هذا فى العلم والمعرفة والرياسة لتنسب الأعمال لمولانا الخليفة، ويتضح الأمر جلياً للعامة والخاصة، فاستحسن السلطان منه ذلك واستصوبه، وبلغ صاحب الدسياسة مبتغاه.

ثم رشح المترجم لعمالة طنجة أياماً، ثم أعفى، واستكتب بالصدارة، ثم بعد جلوس السلطان مولاى الحسن على أريكة الملك قربه واستوزره، فكان فى دولته وزير سماع المظالم وإبلاغها للحضرة الملوكية بعد وفاة الفقيه الصفار الذى كان مكلفاً بذلك، فسار فى مأموريته وفق ما منه يطلب، استوطن مكناسة مدة، وكان سكنه بها زمان وزارته بمقربة من جامع النجارين بالدرب المعروف اليوم بدرب الدلائين بياين.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى الوليد العراقى، وعن والده سيدى محمد المدعو حم المتوفى عام ثمانين ومائتين وألف، وعن أبى العباس المرينسى، وأبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحجرتى الفيلالى وهو عمده، ولقى الشيخ بدر الدين الحمومى وأجازه عامة كسابقه وغير هؤلاء ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان مولانا الحسن ولازمه زمن خلافته وقبله

ظعنا وإقامة، وعمه مولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام المترجم قبل، وإخوانه المولى بوعزة، والمولى الرشيد، والمولى على، والسيد صالح السرخيني، والسيد الحبيب بن كيران، والسيد محمد بن المعطى السرخيني المراكشى المتوفى ثمانى عشر محرم الحرام عام ستة وتسعين ومائتين وألف. قال فى حديقة الأزهار: سمعت منه ألفية جمال الدين ابن مالك مع توضيح الإمام ابن هشام مع مباحثة فى حواشى إرشاد السالك، ومختصر الشيخ خليل إلى البيوع، ولامية الزقاق وبعض تحفة ابن عاصم، وصغرى السنوسى والسلم.

وفاته: توفى ليلة الجمعة عاشر رجب عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح المولى أبى إسحاق الذى جدد بناءه فى حياته بمدينة مراكش.

٥٢٠- على بن الشاد بن محمد بن العربى بن الطالب الأمرانى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله، فقيه صالح فالح، نزيه عدل، رضى نبيه، خير دين، فاضل نبيل، صوام قوام، قنوع على الهمة شريف النفس، محافظ على الصلاة فى الجماعة، كثير المطالعة، مشغول بما يعنيه، تولى خطة العدالة بالحاضرة المكناسية، يحفظ المختصر الخليلى والتحفة وغيرهما من مهمات المتون، نشأ بتايفاليت ثم نقله السلطان المولى الحسن بعد وفاة والده إذ كان ابن عمته، وأنزله مع أصنائه بأعبائه الشريفة، وأجريت عليه من الجرايات الملوكية ما يجرى لأمثاله، واشتغل بالتعلم مواصلاً ليله بنهاره حتى حصل ما قسم له من المعلومات ففاق جل أقرانه.

مشيخته: أخذ عن السيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد سابق الترجمة وهو عمدته، والسيد المفضل السوسى، والسيد محمد حمود يدعى مريود، والسيد محمد القصرى، والسيد محمد السوسى، والسيد الغالى الستيسى، وقاضى

٥٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٩١٥.

مكناسة السيد محمد بن عبد السلام الطاهري، والحاج المختار بن عبد الله والسيد المعطى بن عبود، وتراجع جل هؤلاء تقدمت.

وفاته: توفي ليلة الثامن والعشرين من حجة الحرام عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بصحن الضريح الإسماعيلي برد الله ثراه.

٥٢١ - عمر بن عثمان الونشريسي المكناسي.

حاله: فقيه مدرس مدرّك، أستاذ في العربية، قال ابن الخطيب في نفاضة الجراب: حضرت مذكراته في مسألة أعوزت عليه وطال سؤاله عنها وهي قول الشاعر:

الناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ما لم يروا عنده آثار^(١) إحسان

وصورة السؤال: كيف يصح وقوع أفعال بين شيئين لا اشتراك بينهما في الوصف، إذ أوقع الشاعر أكيس بين الناس وبين أن يمدحوا وهو مؤول بالمصدر وهو المدح ولا يوصف بذلك هـ بنقل صاحب الروض.

قال في نفخ الطيب: عقب نقله لهذا الأيراد: قلت الإشكال والجواب عنه بضرب من المجاز ظاهر، وقد أشار إليه أبو حيان في الارتشاف، وجماعة آخرون في قول بعض المؤلفين كصاحب التلخيص: (أكثر من تحصى) ولولا السامة لذكرت ما قيل في ذلك، وخلاصة ما قالوه أن في الكلام تقديرًا والله أعلم.

وفاته: توفي عام عشرة وثلاثمائة، وإلى وفاته رمز صاحب الإعلام بوفيات الأعلام بلفظ قذى من قوله:

والونشريسي نجل عثمان عمر نحويًا عام (قذى) الدمع انهمر

٥٢١ - من مصادر ترجمته: الروض الهتون - ص ١٠٤، نفخ الطيب ٣٥١/٥، نيل الابتهاج ٣٣٩/١.

(١) في الروض الهتون: «إيثار» وفي النفخ: «آثار» كما هنا.

٥٢٢- عمر الحراق أبو حفص، وزير الحضرة الإسماعيلية الشريف الحسنى.

حاله: عين أعيان الأعلام، وواسطة عقد حملة الأقلام، بذلك الأوان، إذا نظم سحر الألباب، وإذا نثر أدهش فرسان البلاغة بما أويته من حسن الانسجام، وعجيب الإبداع، نشأ ببلده شفشاون نشأة حسنة فى العفاف والصيانة، وغذى بألبان المعارف والعلوم والآدب، إلى أن بلغ الأشد، ونبع وبرع فى الفنون على اختلاف أنواعها. قال فى حقه معاصره الأديب الماهر المقتدر أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمى فى أنيسه ما لفظه: قوى العارضة، لا يطمح الفتح أن يعارضه، تقلد الوزارة، وشد بها إزاره، فألقت إليه الرياسة عصا الطوع، وأمنت بسيف أقالمه وسهام إصابته من الروح، وجاءها من البيان بكل صنف ومن البديع بكل نوع، من رجل يهاب سطوته الحجاج، ويستفتيه فى العربية الزجاج.

رحل إلى المشرق فحج واعتمر، وطلع بأدبه على ذلك الأفق طلوع القمر، فاستفاد وأفاد، وخلد هنالك علما تدخره الأبناء للأحفاد، وله ديوان شعر يشهد له بالدراية، وينشر على رأسه فى دولة الإحسان أى راية، ولقد أثبت له ما تبصره شعرا، وتجده عند الاختبار سحرا، وعند الاستشاق شحرا، إلى أن قال: لقيته بداره من محروسة مكناسة فأطرفنى بما شاء من الطرف، وأعطانى فى أخباره من كل فن طرف، ثم دعا بولد له بعد ست سنين، فلما حضر أدى حق الآباء على البنين، ثم قال له: قل يا بنى لا فض الله فاك، ولا سلم من جفاك، فأشد وما وجم، حتى أتى على آخر لامية العجم، من غير أن يحدث فى عروضها كسرا، أو يغفل فى إعرابها ضما ولا كسرا.

ثم أتى من القصائد ما يتخذ ذخرا، وانتقل فى المعانى فكان تميميا مرة وقيسيا أخرى، فما رأيت والله من يفصح مثل لفظه، ولا من ظفر بمثل حفظه، ثم

قال يا بنى أطرنا بشيء من الأخبار. مما عقلت من الأخبار. ونبذة من عجائب الأسفار. فحدثنا بقصص رائقة، سلك فيها منهج الإتيان ورائقه.

أخبرنا قال حدث الخالد عن أبي بكر الصنوبري، قال: كان بالرُّها وراق له سعد، وكان يجلس له أهل الفضل والأدب من أهل عصره وكان حسن الأدب غزير العلم، كثير الفهم، ينظم الأشعار الفائقة الرائقة، وكان جملة من الأدباء لا يفارقون دكانه، منهم أبو بكر المعوج الشامي الشاعر، وأبو بكر الصنوبري وغيرهم من علماء الشام وديار مصر.

وكان لتاجر نصراني هنالك ولد اسمه عيسى من أحسن الناس وجهها وأعلاهم قدرا، وأظرفهم منطقا، وكان يجلس إلينا ويكتب من أشعارنا وجميعنا يحبه ويميل إليه، وهو حينئذ في المكتب، فعشقه سعد الوراق عشقا مبرحا، وكان يعمل فيه الأشعار فمن ذلك قوله فيه وقد جلس عنده يكتب شعرا:

اجعل فؤادي دواة والمداد دمي وهاك فاجر عظامي موضع القلم

يرى المنعم لا يدري بمن كلفني وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم شاع بعشق الغلام، فلما كبر وبلغ الاحتلام، أحب الرهبانية وخاطب أباه وأمه في ذلك، وألح عليهما فأجاباه، وخرجا به إلى دير زكري بنواحي الرقة وهو في نهاية الحسن، فابتاعا له قلابة فأقاماه فيها، وضاعت الدنيا على سعد الوراق فأغلق دكانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام يعمل فيه الأشعار، ويسير خلفه حيث سار.

فأنكرت الرهبان إمام سعد بعيسى ونهوه عنه وأنكروا عليه، وأغلظوا له في القول، وأزمعوا على إخراجة إن دخل القلابة على عيسى، فلما رأى سعد امتناعه منه شق ذلك عليه وخضع للرهبان، وتملق لهم فلم يجيبوه، وقالوا: هذا عار علينا وفيه إثم فلا تمكن موافقتنا عليه، مع ما نخشى من السلطان.

فكان إذا وافى الدير أغلقوا الباب فى وجهه، ولم يدعو الغلام يكلمه،
فاشتد وجعه وزاد عشقه وكلفه، حتى صار إلى الجنون، فحرق ثيابه وأضرم النار
فى جميعها، ولزم صحراء الدير وهو عريان يهيم، ويعمل الأشعار.

قال الصنوبرى: فعبرت يوما أنا والمعوج الشامى من بستان بتنا فيه فرأيناه
عريانا جالسا فى ظل الدير، وقد طال شعره وتغيرت خلقته، فسلمنا عليه وعذلناه
وعنفناه، فقال: دعانى من هذا الوسواس، أتريا ذلك الطير الذى على هيكل
الدير؟ قلنا: نعم، قال: إنى والله أناشده منذ الغداة أن يسقط فأحمله رسالة إلى
عيسى، ثم التفت إلى وقال: يا صنوبرى أمعك ألواحك؟ قلت: نعم، قال اكتب
عنى وأنشد:

بدينك يا حمامة دير زكرى	وبالإنجيل عندك والصليب
قفى وتحملنى منى سلاما	إلى قمر على غصن رطيب
حماء جماعة الرهبان عنى	فقلبى لا يقر من الوجيب
وقالوا رابنا إمام سعد	ولا والله ما أنا بالمريب
وقولى سعدك المسكين يشكو	لهيب جوى أحر من اللهب
فصله بنظرة لك من بعيد	إذا ما كنت تمنع من قريب
وإن أنامت فاكتب حول قبرى	محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيش	فكيف بمن له مائتا رقيب

قال: ثم تركنا وقام إلى باب الدير وهو مغلق دونه، وانصرفنا عنه، وما زال
كذلك زمانا حتى وجد فى بعض الأيام ميتا إلى جانب الدير فأنتهى خبره إلى أمير
البلد ابن كيغلغ، فعزم على ضرب رقبة الغلام وإحراقه بالنار، وضرب جميع
الرهبان بالسياط حتى افتدوا منه بمائة ألف، وانتقل عيسى إلى دير سمعان مطرودا.

رجع: ثم أنبأت صاحب الترجمة بعزمي على هذا الكتاب، وطلبت منه أن يعطيني من ديوانه ما أثبت له في طبقة الكتاب، فمأطلني في ذلك، وكأنه رأى نفسه ليس أهلاً لما هنالك، تواضعا لمولاه، ومن تواضع لله رفعه الله، ثم لما أن عدت في ذلك إليه، وأجلبت بخيلي ورجلي للتأكد عليه، اعتذر بتراكم الأكدار، ووعدني بوصول القصائد إلى الدار؛ فودعته مصدقا لوعده، فما رأيت شيئا من بعده، سوى فقدته، هـ لفظه.

شعره: من ذلك قوله يتشوق إلى شفشاون بلده ويحن لها حين الوالد لولده:

شفشاون يا شفاء النفس من نصب	ومن عنا وشفاء الروح من وصب
حياك من لم يزل حيا وأحيا ربِّي	رَبَّيتَ فيها رهين اللهو والطراب
مسقط رأسى وأنسى مع جهابذة	أربوا على كل ذى علم وذى أدب
زدت جمالا على حمراء أندلس	وفقت بيضاء غرب منتهى الأدب
أرض تجمع فيها كل مفترق	في غيرها من أراضى العجم والعرب
ماء معين وأشجار منوعة	تعجز عن وصفها الأقلام في الكتب
ما شعب بوان ما مرج دمشق وما	نيل بمصر وما العاصي لدى حلب
في جنب شفشاون الغراء إن فخرت	بتينها وبزيتون مع العنب
إلى أن قال:	

أنت التي في سواد القلب مسكنها	يا بلدة قريبها يروى بلا قرب
تسر من جاءها ظمآن في تعب	كما تسر عطاش ليلة الغرب
قومك قومي ورهطى لست أنكرهم	وكيف أنكر أمي أو أعق أبي

ومنها:

وقد تبوأها دارا ومعتصما لولا رمته يد الأقدار بالنواب

ومنها:

فأعجب لقلب غريق في محاسنهم وقد جفوني فيا للناس للعجب

وقوله مديلا قول القائل:

وجربت الأمور وجربتني كأنى كنت في الأمم الخوالى

وذلك باقتراح من مخدمه مولانا الجد الأكبر السلطان مولانا إسماعيل،
وكان كثيرا ما يتمثل بالبيت المذكور مديلا:

ومن عجب تروم الروم حربا بسهل أو حزون أو جبال

وقد شهدوا العرائش يوم جاءت بها الأجناد تزحف للقتال

(وجربت الأمور وجربتني كأنى كنت في الأمم الخوالى)

٥٢٣- عمر الوقاش.

به شهر، ويعرف بلوقش بفتح القاف، وأصله: لوكس، اسم لعائلة أندلسية
من بقية ملوك بنى أمية، سمو باسم حصن من حصونها، كذا في عمدة الرواين
لأبى العباس أحمد بن محمد الرهونى التطوانى.

حاله: من أهل الرياسة فى العلم والأدب، كاتب بارع، متفنن فصيح القلم
واللسان، بديع الإنشاء، له القدم الراسخ والمشاركة الزائدة فى المعلومات، من
أشرف بيوتات تطوان وأهل الوجاهة بها، أصل سلفه من الأندلس، نزلوا تطوان
ونواحيها فى حدود السبعة عشر بعد الألف أيام خروج المهاجرين من الأندلس.

والد المترجم أبو محمد عبد السلام، كان ذاجاه ووجاهة، وثروة عظيمة،

استنابه سيدنا الجد الأكبر السلطان مولانا إسماعيل عنه مع الدول الأجنبية، وولاه وظائف أخرى، ويقال: إنه هو الذى عرف السلطان المذكور بالبasha على بن عبد الله الريفى الحمamى، كذا فى تاريخ تطوان لأبى محمد عبد السلام بن محمد سكيرج.

وقد استكتب المترجم سيدنا الجد المذكور فى ديوانه الملوكى، ونال لديه حظوة ومكانة عالية، وإذ ذاك كان مقامه بعاصمة الملك مكناسة، ثم لما كبر سنه وضعف عن الخدمة السلطانية، ولأه على بلده تطوان وأعمالها، وكانت بينه وبين أبى العباس أحمد بن على الريفى زعيم البلاد الهبطية ووجيها، منافسة ومشاجرة أحدثها المعاصرة والمجاورة، واستبداد كلمة كل وعصبيته ونفوذ كلمته وعزته فى قومه، ولم تزل الضغائن بينهما تزداد كل آونه، والعداوة تشتد إلى أن انتقل مخدمهما السلطان المذكور لسعة رحمة مولاه، وأسند الأمر إلى غير أهله، وعصفت رياح الفتن وضع الحزم، وانحلت عرى السطوة الملوكية، وانمحت آثار هيبتها من قلوب الرعية، ونامت البزاة وصرخت الدياك، وأهمل أمر الجند.

انتهاز إذ ذاك الفرصة أبو العباس المذكور، وكان مصمما على أريكة الملك، إذ قد كان أخبره بعض من ينظر فى الأجفار بأنه سيدخل مدينة فاس بالطبول ويستولى عليها قهرا، فاغتر بذلك، وأخذ فى جمع السلاح والأموال والأبطال وتقوية أصحابه، وبعث للروم على أن يصنعوا له سرير المملكة فصنعوه له ورسعوه وأتقنوا صنعه، وبالقوا فى تنميقة وزخرفته، وأنفقوا عليه فى ذلك أموالا طائلة، وبعثوا له به وفق طلبه لما كان بينه وبينهم من التوادد.

ثم جعل فاتحة أعماله الزحف على تطوان والفتك بأهلها، فزحف إليها فى عزم جرار، ودخلها على حين غفلة من أهلها، فبرز إليه المترجم فى أبطال أهلها، وأوقع به أشنع وقعة وردة على عقبه مكسور الراية، وترك أشلاء قومه طعمة للعقبان والذباب.

ولما أتيح للمترجم على عدوه هذا الانتصار الباهر الذى لم يكن له فى حسابان، طاش عقله واستفزه الشيطان، فسولت له نفسه الجلوس على أريكة

الملك، وأنه الأحق والأولى بذلك مع كبر سنه ووهن عظمه واشتعال الرأس منه شيبا، وأعلن عن نفسه بما أفسد دياجة علمه وأدبه ونباهته، وصيره غرضا للسهم، وقد صرح بأنه ثالث العمرين ونظم فى ذلك ونثر، ثم بعد ذلك نقل إلى تارودانت واستقضى بها، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

شعره: من ذلك قوله ينعى على أهل الريف فعلتهم، وينتقص دولتهم، ويفتخر على أهل فاس فمن دونهم ويخبر عن نفسه بما يثول إليه أمره كما فى الاستقصاء وغيره:

بلغت من العلياء ما كنت أرتجى	وأيامنا طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحا ومصرحا	هلم أبا حفص فأنت لها الصدر
نهضت مجيبا للندا راقصا به	وما راعنى إذ ذاك زيد ولا عمرو
شرعت بحمد الله للملك طالبا	وقلت وللمولى المحامد والشكر
أنا عمر المعروف إن كنت جاهلى	فسل تجد التقديم عندى ولا فخر
أنا عمر الموصوف بالباس والندى	أنا عمر المذكور بى ورد الجفر
ظهرت لأُحْيِي الدين بعد اندراسه	فطوبى لمن أمسى يساق له الأمر
ولم يبق ملك يستتب بغيرنا	فعندى انتهى العلم المبرح والسر
أنا عمر المشهور فى كل غارة	أنا البطل المقدام والعالم الخبر
ضبطت بلادى وانتدبت لغيرها	وعما قليل يعظم الجاه والقدر
وجئت بعدل للإمامين تابعا	أنا الثالث المذكور بعدهما وتر
فمن ذا يضاهينى ومالى وافر	ومن ذا يعانينى ولى الحكم والأمر

إلى أن قال:

وراغون كنزى والصغير به القهر
وأهلى وأنصارى هم الأنجم الزهر

ففرطوط والرحمون والكوط عصبتى
أولئك أنصارى وأرباب دولتى
إلى أن قال:

وغيلان إذ لى به عظم الوفر
فلم يبق بالتحقيق عندى لها جبر
فأبوا سراعاً والصوارم والسمر
هنيئاً فحق للأنام بنا البشر
وما فاته منا نكال ولا خسر
وذكرى مغمور به البر والبحر

هلالى بدا لما هلالى أجابنى
ودولة أهل الريف حتما تمزقت
أذقناهم لما أتوا شرر بأسنا
تطير الأكف والسواعد منهم
بخفى حنين أب عنا كبيرهم
فما ذا يضاهينى ومالى وافر

وقد أجابه على ما فاه به وسولته له نفسه الفقيه أبو عبد الله محمد بن بجة
الريفى العرائشى بقصيدة رد عليه فيها أقبح رد وأفظعه، وإن كانت ليست بشيء
بالنظر للصناعة الشعرية ودونك بعض ذلك:

منها ادعاء الحمار أنه بشر
خبره بعجيب دهره الكبر
ليس الضلال هدى ولا العمى بصر
وإن تكن كاسمها ولا الدُّجى قمر
وإن دعى عمرا فليس ذا عمر
عرف قدرك إذ أودى به البطر
فر الحديث واهل عنك والصور

فى صفحة الدهر قد خطت لنا عبر
من مر عنه الصبا وما رأى عجبا
لا تطمعنك الدجاجيل ببرقشة
ولا الثرى كالثريا فى ترقرقها
ولا الذى لم يزل فى الغى منهمكا
تنضاف للمجد والهزل البشيع به
ما وجه كونك مثل العمرين وقد

ليس التشبه بالعمرين قصدك بل
ولو تملأ الورى عنك بأن غفلوا
وكان أولى بأن يدعى مسيلمه
هل أنت إلا كصار حوله ذهب
جعلت علمك إذ تهدى به شركا
وكنت تسعى إلى العليا لتدركها
أنى لبلعام أن يرضى ببيعته
وأى فخر وفضل ثم أى ندى
أصبحت مثل الحما المسنون بعد هدى
لا غرو أن كنت فى تطوان ذا أفق
أراك مثل دخان الجو يرفعه
أنحست قومك إذ طلعت ذا زحل
هلا لهالك عن الغراء أربعة
لكنت نزهت فاسا إن تضمضها
من أنت حتى يراك الناس مشورة
أنستشير ونهدى فى مسالكنا
تعيب فاسا وما حوته من بطل
لم نفتخر أبدا على الورى شمما
أقر كل هزير أننا أسد

تبغى النبوءة لولا الصارم الذكر
لجاءنا بالتنبى فى غد خبر
أو المسيح الكذوب لو طرا عور
فقلت عن سفه كلاهما حجر
كيما يحصل من مرغوبك الوطر
ثم انسلخت ككلب حظه القذر
وبادر اللوم أن يخلوه الكدر
لراح عمر ترى تقبيلها الحمر
من فوق صفوانه أراقها المطر
فى معشر همج من جلهم بقر
رأى كذوب وفى الأبصار محتقر
فأمرهم مذ بزغت بينهم زبر
حوت وكزبرة والثوم والخضر
بذكرك السوء يا ممقوت يا غدر
هل أنت إلا كقدر حوله زمر
بأحير من كضب رشده خطر
وفضلها فى الورى ما ليس ينحصر
وقد يحق لنا نعلو ونفتخر
لسنا لغير إله الكون نفتقر

من خاض بحر الوغى منكم وكافحه
ورد عنكم خزايا كتتم غرضا
وصد بالبيض والسمر على رغم
جالدنا عن حضرة حتى غدت حرما
لسنا بأنفسنا ولا بأسيفنا
والأولياء الذين حولنا مدد
فإن يمد العدا لنا حبالهم
وأتم تبعدون عنهم جنبا
ما أنصف الناس أهل الريف وابن على
لولا انتنوا عنكم والحام شيمتهم
فررتم حين تبغون وقد علقت
فلا يقيكم ذمام المشركين ولا
أخبث بمن يتخذ أهل الصليب له
يا قاصدا نحو تطوان على مهل
بلغ إلى عمر الوقاش دامغة
تلك الصناديد والأفراس داخلها
عليك منى سلام صائب أبدا
وهى وإن كانت مملوءة هجوا وشتما وتقريعا، فالبادى أظلم والظالم أحق
بالحمل عليه .

ورد جيشا أتى كالسيل ينهمر
لسهمها لم تزل ولو مضى العمر
عنا جرادا من الأبطال ينتشر
لكل حربها ظل ومستتر
لكننا نصير الله فنتصير
كتر لدينا من الرحمن مدخر
لذنا إلى جانب الله فتبتتر
لدى انكساركم ما ليس ينجبر
لما عفوا عنكم حلما وقد قدروا
لم يبق فى الفحص عنكم منهم ضرر
بكم برائين أسد فى الوغى صبروا
بنيان فى سبته كلا ولا وزر
دون الهدى أولياء النصر لا انتصروا
لا بد يرمى بها أقدامك السفر
أدهى من السم لا تبقى ولا تذر
لا ما افتريت من البهتان يا غدر
ما لآلات فيها من إشراقها زهر
وهى وإن كانت مملوءة هجوا وشتما وتقريعا، فالبادى أظلم والظالم أحق
بالحمل عليه .

وفاته: توفي بتارودانت فى حدود ستة وخمسين ومائة وألف، ودفن قبالة باب جامعها، ويعرف هنالك بالفقيه الغربى، قاله صاحبنا مؤرخ تطوان العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الرهونى وزير العدلية حينه بتطوان فى تاريخه عمدة الراوين فى تاريخ تطاوين.

٥٢٤- عمر الخطاب نزيل جبل زرهون ودفينه.

حاله: صدر الشيوخ، وقدوة أهل الرسوخ، ذو الكرامات التى لا تعد، والمفاخر التى لا تحد، قال فى الدوحة: كان من الصلحاء الأتقياء، لقي المشايخ وأخذ عنهم، وتواتر عنه كرامات كثيرة، ونية حسنة، ومعتقد صحيح، له الوجهة عند الأمراء وغيرهم، وأصحابه يحكون عنه الخوارق، إلا أنه لا بضاعة معه من العلم، والله أعلم بحقيقته، على أن أحوال الديانة هى المعتبرة هـ.

وفى ترجمة فلان الفلانى من ممتع الأسماع وكان صاحب الترجمة هو سيدى عبد الله الخياط ابنى خالة، وكانا فى صغرهما يقرآن على مؤدب واحد فى مكتب واحد، فكان بعض أهل البصائر يأتى المكتب فيقول للمعلم: عندك ها هنا قنديلان يضيئان، فكان لا يعرفهما إلى أن كان من أمرهما ما كان، ولما كبرا وصارا وليين بعث مرة صاحب الترجمة إلى سيدى عبد الله الخياط أن اخطب لى فلانه امرأة فى مدشر سيدى عبد الله الخياط، فأرسل إليه أنها ذات زوج قد عقد عليها وهو ينتظر البناء بها، فبعث إليه ثانية وهو يأمره بخطبتها فعجب منه سيدى عبد الله يقول له: إنها ذات زوج ويرسل إليه فى خطبتها، فلما كانت ليلة الزفاف والمرأة قد تزينت وتهيأت، ومن عادتهم أن لا يسموا الصداق والشروط إلا ليلة الزفاف، فذهبوا يشترطون فوق بين الزوج ووالد الزوجة نزاع واختلاف وعدم توافق، فحلف الولى لا زوجها للزوج وحلف الزوج لا تزوجها، فحملها أبوها من ليلته بتلك الزينة إلى صاحب الترجمة وذكر له كرامات.

مشيخته: لقي الشيخ الإمام، علم الأعلام، سيدى محمد بن سليمان الجزولى صاحب كتاب دلائل الخيرات، وأخذ عنه وانتفع به، وأخذ عن غيره من المشايخ المقتدى بهديهم.

وفاته: توفى فى العشرة الخامسة من المائة العاشرة على الأصح، ودفن بمدشر القلعة من جبل زرهون، وضريحه هناك مشهور يزار.

٥٢٥- عمر بن عبد العزيز بن عمر الخطاب الزرهونى.

حاله ك فقيه شهير البركة، يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة فى النحو، ترجمه فى درة الحجال ونشر المثنى.

ولادته: ولد سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة.

وفاته: توفى قتيلا آخر قعدة الحرام عام اثنين وألف.

٥٢٦- عمر بن مبارك الحصينى.

نسبة لحصين - بالتصغير - فخذ من قبيلة بنى حسن الشهيرة من عرب معقل.

حاله: شيخ فقيه زاهد، كثير التنسك والانقطاع إلى الله تعالى، وكان ورده فى كل ليلة أن يختم القرآن العظيم ما بين العشاءين فى ركعتين، يفتح القراءة فى أول ركعة بعد صلاة المغرب، ويختمها فى الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون أذان المؤذن فى الحين، وكذلك فى كل ليلة لا يزيد ولا ينقص، مع أن أذان بلدهم فى غاية الإتقان من التوقيت وآلاته، وكان فصيح الصوت يرتل القرآن ترتيلا من غير هدرمة ولا عجلة، وتلك خصوصية ربانية بلا ريب، والله على كل شىء قدير، وربك يخلق ما يشاء ويختار، وليس هذا

٥٢٥ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٢٠٦/٣.

بمستحيل فى جانب كرامات الأولياء الثابتة بنص الكتاب والسنة والإجماع، ولا ينكرها إلا زنديق مبتدع، وقد ألمنا بأدلة ذلك ونصوصه فى كتابنا إزالة الوهم والشكوك، فلا حاجة بنا لجلبه هنا، ويحكى أن إنسانا كان يبلغه ذلك عن المترجم فيكذب به فجاءه يوما فسأله عن ذلك فقال له: هات أذنك فقرأ له القرآن كله حرفا حرفا فى أذنه فى أقرب زمان.

وكان رحمه الله ورضى عنه يزور الشيخ أبا يعزى فى كل سنة مرة، يمشى إليه حافيا من مكناسة إلى قبره بتاغيا مسيرة يومين للمجد، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة فى كل زورة، فإنها تقضى له على القطع، ويحكى أنه أشار على بعض الطلبة الآخذين عنه بقراءة دعاء ناوله إياه لتجربة الدم، وأكد عليه فى حفظه فقرأة وحفظه، ثم إن المريد امتحن بالأسر عند النصارى فلم يكن سببا لفكائه وسراحه من ربقة الأسر غيره، عمله لبنت رئيسهم فعالجوها فأعياهم علاجها، ثم إنهم تنبهوا له فسألوه هل يعرف دواء لدائها فقال لهم: نعم، نداويها، واشترط عليهم شروطا من جملة تسريحه فداواها بشيء أظهره لهم، وترك الدعاء فبرئت وسرح.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى محمد بن سليمان الجزولى، وسيدى عبد العزيز التباع، قال فى ممتع الأسماع: ولم أدر لمن ينتسب منهما.

وفاته: توفى بمكناس عام عشرة وتسعمائة، ودفن بروضة رأس التاج والروضة إليه الآن تنسب، وضريحه من أشهر المزارات المتبرك بها بالعاصمة المكناسية.

٥٢٧- عمر الكوش المكناسي.

حاله: فقيه علامة جليل.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وله فيه مرثية ميمية كما وقفت على النص على ذلك بخط بعض الأئبات من الأعلام، ولم أقف على المرثية ولا على شيء زائد من ترجمة الرجل.

٥٢٨- عمر بن الفقيه المقدس أبي عبد الله محمد بن عوادة العثماني.

دفين حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

حاله: ولي صالح، معتقد فالح، متبرك به.

مشيخته: أخذ عن أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشنّزائي، عن أبي عثمان سعيد الداعي، عن الشيخ عبد العزيز التباع، عن السيد محمد بن سليمان الجزولي، عن سيدي محمد الشريف أمغار، عن أبي عثمان الهرتناني، عن أبي زيد الرجاجي، عن أبي الفتح الهندي، عن عنوس البدوي، عن القرافي، عن أبي عبد الله المغربي، عن أبي الحسن الشاذلي، عن شمس الدين، عن زين العابدين القزويني، عن أبي إسحاق البصري، عن أبي القاسم المرواني، عن سعيد، عن سعد، عن فتح السعود، عن سعيد الغزواني، عن سيدنا جابر، عن سيدنا الحسن بن علي، عن رسول الله ﷺ وشرف وكرم وعلى آله وصحبه، مثل ذلك كذا وجدت هذه السلسلة منقوشة في لوح خشب ملصق بالجدار بقبة ضريح المترجم.

وفاته: توفي أوائل المائة الحادية عشرة، وقفت على عقد حبس معقب على ضريحه بتاريخ ستة وألف.

٥٢٩- عمر بن أمير المؤمنين مولانا الحسن.

ابن أمير المؤمنين سيدي محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمن بن السلطان مولانا هشام بن واسطة عقد الدولة العلوية ومجدد فخرها أمير المؤمنين سيدي محمد بن السلطان عبد الله بن السلطان الأعدل الطائر الصيت في المشارق والمغارب، سيدنا الجد الأكبر الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن الشريف.

٥٢٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٥.

حاله : ولد بالمدرسة المولوية، أحد القصور السلطانية بعاصمة مكناس، ونشأ في حجر الصيانة، وتغذى بلبان الأدب والعفاف، ثم بعد أن شب وقرأ ما شاء الله من القرآن ومبادئ الفنون، وجهه والده السلطان المظفر لثغر تطوان، وشرح لتعليمه المهرة من الأساتيد والأعلام، فأكب على التعلم بحزم وعزم، ووالده وراءه أذنا وعينا، إلى أن فتحت له النجاة بابها، وأدخلته العناية حجابها، وحصل على ما قسم له مما منه يراد وبرع في الكتابة والترسيل وصار يتصرف في فنون الإنشاء، وفق ما منه يشاء، وتعاطى قرض الشعر ومال إلى الأدب ميلة واحدة فحفظ من الأشعار، ما كان غالى الأسعار، ومن الرسائل، ما أصبح معين البلاغة منها سائل، ما أوجب توقد قريحته، وزاد في قوة عارضته وتوسيع حافظته، وكان في التوقع والنقد والذكاء آية، ثم رجع لمسقط رأسه وأقام به برهة من الزمان.

ثم عقد له والده على جيش عرمرم، ووجهه خليفة عنه لقضاء مأمورية بوجدة، وذلك في ثانی عشرى قعدة الحرام عام ثمانية وثلاثمائة وألف، فسار فيما رشح له أحسن سيرة، إلى أن تم المراد، على وفق ما كان والده أراد، وكان وزيره إذ ذاك العلامة السيد العربي المنيعي، ورئيس مشوره وكبير محلته هو الطالب محمد بن سلم السلاوى البخارى، وكان رجوعه من هذه الوجهة ووصله لحضرة والده بفاس في ثانی عشرى شعبان عام تسعة، ثم رشح للخلافة بفاس في حجة الحرام عام تسعة، وكان وزيره بفاس هو شيخنا العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله، وهذا مثال مما كان يجرى بينه وبين أبيه يومئذ من الرسائل بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«ولدنا البار الأرضى، مولاي عمر، أصلحك الله، وسلام عليك ورحمة

الله.

وبعد: وصل كتابك بأنه ورد على أعتابنا الشريفة الرجل المسمى بسليم بن

عبد الله البغدادي، ذكر أنه كان على دين اليهودية، وأتى راغبا في الدخول في الإسلام ورافضا دين الكفر، فوجهته لنائب القاضي ثمة وعرض عليه أركان الإسلام فقبلها ونطق بالشهادتين كما بالموجب الذي وجهت، وأنت أنزلته عند خليفة الخديم أبا محمد حتى تؤمر بما يكون عليه العمل وصار بالبال، فقد كتبنا في شأنه لوصيفنا الحاج سعيد بن فرجى والسلام في ٣ ربيع الأول عام ١٣١١هـ.

ولم يزل المترجم في سائر أطواره ملزما من والده بملازمة الدروس العلمية ولكن الصبا جنون، وقديما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أى مفسدة

كيف وقد انضم لذلك نفوذ الكلمة، ومقابلة الأوامر بالسمع والطاعة، ومجالسة قرناء السوء، وفقد الزاجر والراذع، ثم لما بلغ السلطان المولى الحسن ما هو عليه من الانهماك في التصايب من غير احتشام ولا مبالاة قام وقعد، وأبرق وأرعد، وكتب له مكتوبا مسهبا سب فيه وجدع، وويخ وهدد وقرع، فاتحته: ولد نفسه عمر، السلام على من اتبع الهدى، وخالف الشيطان والهوى، ومن فصوله: أما مرافقتك مولاي على سروالو فلو كنت ذا عقل وفهم لكفأك اشتقاق لقبه واعظا عز غيره، فلم نسمع عليه ممدوحة منذ شب إلى أن شاب، وأما ولد الساورى فشهرته تغنى عن وصفه، وأما خروجك كل يوم للمشينة ولأبى الجنود، فإن أخاك مولاي بلغيث معنا بالمحلة، لم ير خارج قبته، مع أن المحلة لا سور لها، ولم يحضرني الآن المهم من فصول ذلك الكتاب المدهش تقريعاته وزواجه.

ثم لبي والده السلطان رحمه الله مولاه، واجتمعت كلمة أهل الحل والعقد على بيعته ولى عهده من بعده السلطان السابق مولاي عبد العزيز، ولما بلغ خبر ذلك لفاس، وضربت الطبول على أبواب القصور السلطانية، مزق المترجم طبول الطبالين، وطردهم وهم بالإيقاع بهم فارغا ذلك في قالب الأسف على والده

الفقيد، وفي الحقيقة الداعي له لذلك هو ما لحقه من الغيظ والكمد على عدم جلوسه على أريكة الملك، لأنه كان يرى أنه الأولى بها والأحق.

ولما بلغ خبر فعلته الشنيعة لأحمد بن موسى الوزير المترجم سابقا أسرها في نفسه، وكانت النتيجة عزل المترجم عن وظيف الخلافة وترحيله لمكناس مسقط رأسه، مثقفا لا يخرج من المحل المعد لنزوله من القصور السلطانية حتى لصلاة الجمعة مدة حياة الوزير المذكور.

ثم لما انتقل لما قدمت يداه وتولى الوزارة بعده ابن عمه شيخنا الحاج المختار الذى كان وزيرا للمترجم مدة خلافته، خففت عنه وطأة الوثاق وسوعد على الخروج للاستحمام فقط، تحت مراقبة عامل البلد، ولم يزل الأمر ينحل شيئا فشيئا إلى أن حل ركاب السلطان بالحضرة الفاسية، ولم يأل المترجم جهدا فى اتخاذ الوسائل للتقرب من السلطان والتودد لجنابه، ولو بالوشاية بغيره، وكان يعرف من أين تؤكل الكتف فوجه السلطان عليه لفاس وأنزله بدار من دور أقارب أحمد بن موسى المذكور، ولم يزل يتودد ويتحجب إلى أن وجه لقضاء مأمورية بأحواز مراكش والخليفة إذ ذاك بها هو صنوه السلطان السابق المولى عبد الحفيظ، ثم لما حل بمراكش آواه المذكور وأحسن إليه، والمترجم ينوى له النوايا السيئة ويتمنى كينونته مكانه، فصار يتربص به الدوائر وينصب إليه أشراك الأذى ويبالغ فى الوشاية به، والحال أن للخليفة المذكور بالبساط السلطاني عيونا تطير له الإعلام بكل شاذة وفادة، حتى إنه ربما وجهوا له مكاتيب المترجم بالوشاية به للسلطان، فلما تيقن ذلك قام على ساق فى التضييق به وسد دونه سائر الأبواب التى يظن وصول النفع منها إليه، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وباع جل أمتعته فيما يقتات به، ورجع لفاس صفر الكفين لا يملك درهما ولا دينارا، ولم يزل من ذلك الوقت فى كمد ونكد إلى أن ختمت أنفاسه.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد محمد بن التهامي الوزاني، والفقيه الغماري، وسيدى جعفر الكتاني، والحاج المختار بن عبد الله والسيد العربي المنيعي، والشريف مولاي أحمد العلمي، والحاج أحمد السلاوي شيخ الجماعة بتطوان، وأبى عبد الله محمد البقالي، وأبى عبد الله محمد النجار، والأستاذ أبى محمد عبد السلام الدهرى وغيرهم.

رسائله: من ذلك ما كتب به لابن عمه المولى إدريس بن عبد السلام الأمراني ونصه بعد الحمدلة والصلاة.

«حيا الله بأزكى التحيات وأتمهاها، وأتحف بوافر البركات وأسمأها، مقام ابن عمنا، وخلاصة ودنا، الشريف المنيف، الطود العفيف، الأديب الألعى الأريب اللودعى، الذى أعتقد أنه بعين القلب يرانى، مولاي إدريس بن عبد السلام الأمراني، وسلام عليك أتم سلام، بوجود سيدنا ومولانا الإمام، أدام الله عزه للأنام.

وبعد: وصل كتابك الرائق المعنى، المتناسق اللفظ والمبنى، منبئا عن صدق الوداد، المتجدد على طول البعاد؛ هذا ونحن والحمد لله بخير وعلى خير، فى نعم شاملة متوالية وعلى ما تعهد من الود، ومنذ فارقناكم لم نزل سائلين عن أحوالكم، متشوفين لأخباركم، نسأل الله تعالى أن يجمعنا بكم فى ساعة حسنة، وأيام مستحسنة، فى ظل سعادة مولانا المؤيد، أدام الله سعوده تتجدد.

وسلم منا بآتم سلام وأطيبه على عمتنا طالبا لك منها صالح الأدعية، لأنها بظهر الغيب مستجابة مرعية، والله بمنه يقيقكم محفوظين، وبعين العناية ملحوظين، ويسمعنا عنكم ما يسر البال فى الحال والمآل.

والمؤمل من سيادتك أن توجه لنا كتاب التخليص وعلى المحبة والسلام فى
١٧ رجب الفرد الحرام عام ١٣١٠ .

عمر بن أمير المؤمنين وفقه الله» .

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف إثر عملية جراحية
باشرها طبيب بريطانى ، ولم يتم عمله حتى انفلتت نفسه رحمه الله ، ودفن بمقبرة
أسلافه بمولاي عبد الله .

٥٣٠- عمران أبو موسى البصرى الولهاصى الولى الشهير .

حاله: إمام كامل، عارف واصل، متبرك به حيا وميتا، هو قعدد البيت
البصرى، وفيه يجتمعون .

قال فى منحة الجبار: اعلم أنه مما شاع عند هذا الحى من البصريين وذاع،
وملأ الأفواه منهم والأسماع، ولهج به منهم الصغير، تابعا فى ذلك أخبار الكبير،
أن السيد أبا موسى عمران البصرى كان من كبار الأولياء العظام الشأن، موثر
للخفاء مكتفيا بعلم الملك الديان، نابذ الشهرة خشية الوقوع فى شىء من آفات
الزمان، وأنه لما دفن خارج مكناسة برأس التاج بين باب عيسى وباب القورجة
خفى قبره، فأخذوا يطلبونه فأخبروا عن الشيخ أن من فحص عن قبره تصيبه عاهة
أظنها العمى، ومن المجرب عندهم أن من صعبت عليه حاجة فليأت محل القبر
فى يوم الاثنين ويسأل الله حاجته، فإنها تقضى بإذن الله تعالى، يفعل ذلك ثلاث
مرات فى كل يوم اثنين مرة انتهى .

فائدة: ولهاصة التى ينسب إليها هذا الفريق بطون شتى منهم بنو الزجالي^(١)
بقرطبة من بلاد الأندلس، قاله ابن حزم فى الجمهرة. وذكر فيها أيضا أن بنى
الخليع^(٢) الذين كانوا بتاكرنا من الأندلس منهم أيضا، وذكر فيها أيضا أن الإمام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «بنو الرجال» وصوابه لدى ابن حزم الذى ينقل عنه المصنف .

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «بنى الخيع» وصوابه لدى ابن حزم فى الجمهرة - ص ٥٠٠ .

الأعظم، الطود الشامخ الأفخم، محيي الدين القاضي مُنذر بن سعيد منهم^(١).
فليُنظر ذلك فيها.

ومن أراد الإطلاع على مناقب هذا القاضي فليطالع ترجمته من المراقبة العليا، فيمن يستحق القضاء والفتيا^(٢).

٥٣١- عمران بن موسى الجاناتي المكناسي.

حاله: راوية أبي عمران موسى العبدوسي، كان رحمة الله فقيها حافظا، ضابطا متقنا، علامة مجيدا، مدرسا نافعا، صدرا معتمدا.

مشيخته: أخذ عن أبي عمران موسى بن محمد بن معطي العبدوسي وهو عمدته ومعتمده في المدونة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام القوري ومن في طبقته.

مؤلفاته: منها تقييده على المدونة في عشر مجلدات، قال صاحب النيل: وقفت على بعضها.

فائدة: الجاناتي ويقال بالشين بدل الجيم، نسبة إلى جانا بن يحيى والد زناته، وصيغته هذه هي أصل زناته على ما صححه ابن خلدون، لأنهم إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات، وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار فجانات، قال: ونطقهم بهذا الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب فينطقون بها بين الجيم والشين، وأميل إلى الشين ويقرع السمع منها بعض الصغير، فأبدلوا زايا محضة لاتصال مخرجهما، فصار زانا لفظا مفردا دالا على

(١) الجمهرة - ص ٥٠٠.

(٢) المراقبة العليا - ص ٦٦.

٥٣١ - من مصاد ترجمته: جذوة الاقتباس ٤٩٨/٢.

الجنس، ثم ألحقوا به هاء النسب، وحذفوا الألف الأولى التي بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه، وربما تكلف بعضهم فزاد فى النسب ما ليس فيه فقال: زانا جانا، وبعضهم تكلف له غير ذلك مما ليس معروفا للعرب، وقد قدمنا أن الصحيح فى نسب زناته هو ما درج عليه ابن خلدون، من أنهم ولد حام بن نوح، وكل قيل خالف هذا فهو باطل.

وفاته: توفى سنة ثلاثين وثمانمائة بمكناسة الزيتون، ودفن خارج باب عيسى إذ ذاك، وهو صاحب الضريح المجاور لضريح أبى زيد عبد الرحمن بن عياد المجذوب من الجهة الشرقية، رحم الله الجميع بمنه آمين، وألحقنا بهم مسلمين.

٥٣٢ - عياد السوسى.

دفين سهب الرمان من الحضرة المكناسية، ابن الولى الصالح سيدى عبد الله، المدعو عبد النور، دفين خارج باب الشريعة بفاس.

حاله: ولى صالح، قطب واضح، قدم من تمصت بسوس واشتهرت بركته وأقبلت عليه الوفود حسبما جاء فى شهادة شرعية لبعض أحفاده، وقفت عليها بخطاب قاضى المغرب سنة ١٢١٢، وفيها رفع نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب ونسختها بعد الحمدلة والصلاة:

«وبعد: فإن شهداء هذا الرسم يعرفون الم رابط الخير البركة سيدى أحمد بن يعقوب، وشقيقة الم رابط الخير التهامى بن يعقوب، نجلى سيدى عياد السوسى الضعيفى معرفة تامة، كافية شرعا، ويشهدون مع ذلك بأنهم لا زالوا يسمعون سماعا فاشيا مستفيضاً من الآباء والأجداد المتواترة على السنة أهل العدل وغيرهم، وأنهما ابنى سيدى يعقوب بن محمد بن سيدى الحسن بن سيدى على بن سيدى محمد بن سيدى الحسن بن سيدى محمد الملقب بمولاي الأخضر بن الولى الصالح، القطب الواضح، سيدى محمد الصغير المدفون بالحريشة بن سيدى أحمد ابن سيدى يعقوب بن الولى الصالح، القطب الواضح، سيدى عياد السوسى المدفون بمكناسة الزيتون القادم من بلاد تمصت بسوس.

واشتهرت بركته وانتشرت، وأقبلت عليه الوفود مما أفاض الله عليه، أعاد الله علينا بركته، وهو ابن الولي الصالح سيدى عبد الله المدعو عبد النور، المدفون خارج باب الشريعة بفاس، وقبره مزارة هناك، ابن سيدى موسى بن سيدى عبد الرحمن بن محمد فتحا بن خوف الله بن عقبة بن وقدان بن زيد بن عفان بن عبد الله بن سهل بن الوليد بن جابر بن عدنان بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

زوجه السيدة أم كلثوم بنت مولانا على ومولاتنا فاطمة الزهراء رضوان الله عليهما، وأنهما لا زالا فى عين العناية والاحترام، عند الخاص والعام، المعظمين المبجلين يتتسبان لهذا النسب الكريم، ويتسمان بوسمه الصميم، يكتبان ذلك فى عقود أنكحتهما وبياعتهما، كما يوجد فى ظواهرهم الكائنة بأيديهم للأسلاف الكرام، وفى عقود من قبلهما من أسلافهما رضوان الله على جميعهم من غير منازع لهما فيه ولا مدافع، بل لا زالا على عهد أسلافهما فى التعظيم والتوقير والاحترام عند الصادر والوارد أهل قبيلتهم وغيرهم، وأنهما يتصرفان فيما تأتى به الوفود لجدتهما سيدى عياد المذكور أدركنا الله رضاه يحقون ذلك ولا يشكون فيه، كل ذلك علموه بالمخالطة والمجاورة وشدة الاطلاع على الأحوال، وبمضمنه قيدت شهادتهم مسئولة منهم فى ثالث عشر رجب الفرد عام اثنى عشر ومائتين وألف» بلفظه وعليه إشكال ثلاثة عشر عدلا، وخطاب القاضى الحاج أبو سلهم بن التهامى الزيزونى المالكى بقبيلته من الغرب، والتعرف به بعده مؤدى لدى القاضى سيدى محمد بن أحمد القرشى الحسنى بالغرب.

وقد ذكره الوزير ابن ادريس فى أرجوزته الآتية أواخر الكتاب بقوله:

وسيدى عياد السوسى الرضا وأحمد المليانى سيف منتضى

وضريحه بسهب الرمان قرب جامع الأزهر المعروف بجامع الأروى، عليه قبة، ولا أعلم له ترجمة سوى ما ذكرناه أخذا مما أوردناه.

٥٣٣- عائشة العدويّة دفيّنة مكناسة الزيتون.

حالتها: صاحبة بهلولة ملاميتية، ذات أحوال ومكاشفات ووّكّه، وهيمان واستغراق في ذات الله، وانهماك وغيبة في محبة رسول الله، شاعت بذلك أخبارها في الحواضر والبوادي، وأوْثرت عنها رضى الله عنها كرامات وخوارق عادت ونفع الله بها أقواما.

مشيختها: أخذت عن أبي العباس أحمد بن خضراء.

وفاتها: توفيت ليلة الجمعة تاسع ربيع الثانى على ما فى الصفوة، والذى فى النشر أنها توفيت فى شهر ربيع الأول عام ثمانين وألف، وقبرها من أشهر المزارات المقصودة للتبرك بها بالعاصمة المكناسية.

٥٣٤- عيسى بن دافال أبو موسى المكناسى.

حاله: راسخ القدم فى العلوم، قائم على الأصول والفروع، أديب شاعر، خطيب مفوه، من رجال الكمال، ولى قضاء مراكش فحمد، صحب أبا القاسم ابن ورد، واختص به، وكان يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبى القاسم، ولا أخشى من القوم من أحد.

مشيخته: أخذ عن أبى القاسم ابن ورد، ولقى بأغمات سنة ثلاثين وخمسائة أبا محمد اللخمى، فسمع منه وأخذ عن غيرهما.

ولادته: ولد سنة اثنتى عشرة وخمسائة.

وفاته: توفى فى شعبان سنة ثمان وتسعين بتقديم المثناة وخمسائة.

٥٣٣ - من مصادر ترجمتها: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ٤ / ١٥٦٠.